زلزال جهيمان في مكة

تأليف فهد القحطاني

منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية

الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

((انفروا خفافاً وثقالاً، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله، ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون)).. صدق الله العظيم

المقدمة:

في مطلع هذا العام الهجري الجديد (١٤٠٦هـ) تكون قد مرت على انتفاضة الحرم ست سنوات، عاشها المؤمنون على امتداد الوطن الإسلامي في صراع مرير مع أنظمة التبعية والعمالة من أجل بناء دولة الإسلام، وتطبيق حكم الله في الأرض..

ست سنوات هي قليلة بعمر الزمن، ولكن ذابت فيها أحداث قرن، فكانت بمثابة منعطف قلب المعادلات السائدة، وها هي بشائر الأمل تلوح في كل قطر إسلامي، على أن دين الله باق وأن الطواغيت إلى زوال..

ست سنوات كافية لدراسة الانتفاضة العظيمة التي فجرها المؤمنون في مكة المكرمة، بعيداً عن الأجواء المشحونة بالانفعالات والتضليلات التي صبها الاعلام الفاسد كالسيل في آذان المسلمين..

وهذه الدراسة لحادثة الحرم والتي نستعرض فصولها في هذا العدد من المجلة، هي بمثابة تخليد لذكرى الشهداء، وهي بالدرجة الأساس ليس هدفها تغيير القناعات التي تشكلت بسبب الغموض والدعاية المضللة فحسب، وإنما هي أيضاً محاكمة لأقطاب النظام السعودي وجرائمه معتمدين في ذلك على أقوالهم وتصريحاتهم وأفعالهم أيضاً..

إنها دراسة لا تستهدف التبرير أو الدفاع عن باطل.. بل هي دفاع عن قناعات حقة.. فالانتفاضة ــ وكأي انتفاضة ــ لها أخطاؤها، ولها سلبياتها، لكن ما يهمنا هنا أنها قامت للدفاع عن حق مشروع بل وواجب، وإذا كان هناك خطأ ما، فإننا نتخذ من كلام الامام علي (عليه السلام) جواباً على هذا الاشكال.. لقد قال الامام: (ليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل بأصابه)..

آل سعود طلاب باطل، طلاب سلطة، ومستعدون لمقاتلة وذبح أي كائن كان من أجل الحفاظ عليها.. لقد أصابوا الباطل حينما قتلوا المؤمنين في الحرم، وقتلوا معهم جموع الحجاج.. وزادوا على ذلك بأن شوهوا ــ أيما تشويه ــ أهداف الانتفاضة ودوافعها، واستخدموا كل الوسائل لقلب الباطل حقاً، والحق باطلاً.. وهذه الصفحات تحوي تفاصيل الباطل السعودي الذي روجوه عبر إعلامهم للعالم الإسلامي لتأييد مواقفهم ضد طلاب الحق.

(تمهيد)

الحدث

في فجر مطلع القرن الخامس عشر الهجري، الموافق ليوم الثلاثاء ١٤٠٠/١/١هـ ــ ٢٠ نوفمبر ١٩٧٩م، سيطرت مجموعات من الأشخاص ينتمون إلى جماعة (الدعوة المحتسبة) التي هي امتداد لحركة (الاخوان)[١]، على الحرم المكي الشريف واعتصمت بداخله، يرافقهم في ذلك نساؤهم وأطفالهم..

وقد أصيب النظام السعودي بالذهول من هذا الحدث.. وحاول فرض تعتيم إعلامي على الحدث ومنع تسربه للخارج، وقام بعدة إجراءات ابتدأت بالصمت وعدم الاعلان عن أي شيء، وانتهاء بغلق المطارات، وقطع الاتصالات الهاتفية بالخارج..

لكن وبعد اقل من عشرين ساعة، سمع العالم بما حدث من خلال إذاعة صوت أميركا التي هي أول إذاعة أعلنت النبأ.. وقد تسرب الخبر إلى سفارة واشنطن في جدة، فأعلنت وزارة الخارجية الأميركية (أن ما يتراوح بين ٦٠ ــ ١٠٠ شخص يحتجزون ٣٠ رهينة في أحد مساجد مكة).. وأضاف الناطق بإسم الوزارة (هودنغ كارتر) أن (مجموعة غير معروفة الانتماء استولت على المسجد، واحتجزت رهائن فيه، وقتلت شخصية حكومية سابقة. وقد تكون هذه المجموعة من المذهب الشيعي).. وفي اليوم التالي مباشرة نشرت الخبر العديد من الصحف الأجنبية والعربية[٢]..

وفي صباح اليوم التالي (الأربعاء ١٩٧٩/١١/٢١م) أشارت جريدة النهار إلى أن مراسلي وكالات الأنباء في الكويت والامارات والبحرين وغيرها، قد أعلنوا بأن الاتصالات الهاتفية مع السعودية قد قطعت لأسباب مجهولة..

وقد جن جنون الحكم السعودي، فأميركا التي هي الحليف الأول كسرت جدار الصمت الذي أراد فرضه على الأحداث.. لدرجة أن أقطاب الحكم السعودي اشاروا أكثر من مرة إلى امتعاضهم ولومهم لهذا الاعلان.. فقد أعلن وزير الداخلية نايف بأن (التصرف الأميركي لم نجد له التفسير الكافي حتى الآن.. وهو مؤسف.. بالاضافة إلى أنه تصرف لا مبرر له حتى الآن)، وقد كرر الوزير مرة أخرى امتعاضه هذا في مقابلة له مع جريدة السفير البيروتية في (١٩٨٠/١/١٠)..

إن الاعلان الأميركي عن النبأ أحرج الحكم السعودي بدون قصد، كما أنه يوضح مدى متابعة ومراقبة ونشاط سفارة أميركا في البلاد..

ومن جانب آخر، وبسبب الاحراج، اضطر آل سعود إلى إعلان النبأ مشوهاً إلى العالم، خوفاً من أن تفهم الأحداث بخلاف وجهة النظر السعودية، وحتى تكون المصادر الاعلامية السعودية هي المصدر الوحيد للأنباء.. خاصة وأن الحكومة السعودية منعت الصحفيين من الدخول إلى البلاد، وقطعت الاتصالات عنهم حتى لا يبلغوا عن أي أخبار..

---

[1] ــ حركة الاخوان، هي حركة تختلف كلية عن الاخوان المسلمين.

[2] ــ من بينها صحيفة النهار البيروتية (١٩٧٩/١١/٢١م).

إذن ــ وبوجهة النظر السعودية ــ ليس هناك مشكلة.. فالاعلام وأجهزته هو سعودي مسعود، ولن ينقل سوى البيانات الرسمية، ويعكس وجهة نظر الحكومة، وأما العالم الاسلامي فعليه الانتظار لما تجود به قريحة وزارة الداخلية من بيانات ملؤها الشتائم والاتهامات الباطلة.

ومع هذا.. لم تستطع السلطة السعودية الفاسدة، أعطاء وجهة نظر واحدة تجاه الموضوع.. فالبيانات تتناقض مع نفسها، والتصريحات التي اطلقها المسئولون باستمرار يناقض بعضها ومع هذا.. لم تستطع السلطة السعودية الفاسدة، أعطاء وجهة نظر واحدة تجاه الموضوع.. فالبيانات تتناقض مع نفسها، والتصريحات التي أطلقها المسئولون باستمرار يناقض بعضها الآخر.. فهذا ينفي وذاك يؤيد، وثالث يصحح، ورابع يجمع بين المتناقضات، وهكذا دواليك..

وإلى كتابة هذه السطور، لا يستطيع أي باحث أن يخرج بنتيجة واحدة مما قاله مسئولو النظام.. بل إن معهد (دايان) الصهيوني للدراسات الاستراتيجية، قال في معرض دراسة لحادثة الحرم، أنه لا يمكن أبداً الاعتماد على البيانات الرسمية السعودية في تحليل ما حدث.

وسوف نلقي في هذا البحث المزيد من الأضواء الكاشفة على التخطيط الاعلامي السعودي الذي لم يشهد له مثيل، والذي يبين واقعه دجل الاعلام السعودي ورجاله..

(الفصل الأول)

هوية الثائرين

بعد أربع وعشرين ساعة من وقوع الحادث، وبعد تسرب الأنباء حول الاعتصام بداخل الحرم، نطق الحكم السعودي كفراً بعد أن صمت دهراً..

وتمثل الرد في أمرين، الأول: قالت مصادر سعودية مقربة من الملك السعودي الحالي (فهد) والذي كان حينها ولياً للعهد، يحضر اجتماعات القمة العربية في تونس، معلقة على تصريح الناطق بلسان وزارة خارجية أميركا: (إن هذا الحادث أقل أهمية بكثير مما ألمحت إليه وزارة الخارجية الأميركية)[1].. وهذا التصريح هو محاولة للتقليل من الحادث الذي تصور آل سعود أنه سينتهي خلال يوم أو يومين..

والأمر الآخر، هو البيان الذي أصدرته وزارة الداخلية السعودية في صباح ١٩٧٩/١١/٢١م، والذي جاء متأخراً يوماً كاملاً..

وأهم ما في البيان أنه أعلن وجود الحدث الذي سبقهم إليه غيرهم.. وأما بقيته فهو تهم وشتائم ليس إلا..

يقول البيان: (اغتنمت زمرة من الخارجين على الدين الاسلامي صلاة الفجر يوم الثلاثاء ١٤٠٠/١/١هـ، وتسللت إلى المسجد الحرام، ومعهم بعض الأسلحة والذخيرة.. وقدموا أحدهم إلى جموع المسلمين المتواجدين بالمسجد الحرام بمكة المكرمة لأداء صلاة الفجر مدعين لهم بأنه المهدي المنتظر، ونادوا المسلمين المتواجدين بالمسجد الحرام للاعتراف به بهذه الصفة وتحت وطأة السلاح منهم..

---

[1] ــ وكالة الأنباء الفرنسية ١٩٧٩/١١/٢١م.

وقد قامت السلطات المختصة باتخاذ كافة التدابير للسيطرة على الموقف، وبناءاً على فتوى من العلماء جميعاً اتخذت الاجراءات لحماية أرواح المسلمين المتواجدين بالمسجد الحرام.. وسوف تقوم وزارة الداخلية بإصدار بيان لاحق يوضح ما يستجد بشأن هذا الحادث إن شاء الله)..

ولنا هنا بعض الملاحظات على هذا البيان:

الأولى: الحكم السعودي نعت ولازال ينعت كل المعارضين لحكمه الفاسد والمخالف للشرع بـــ (الخوارج)، وهذا هو دأب الحكم السعودي منذ تأسيسه وحتى الآن.. والسبب في استخدام الحكم السعودي لهذا النعت، هو إيهام الرأي العام المحلي والخارجي بأنه قائم على أساس من الدين والعقيدة، وعليه فإن من يخرج على الحكم السعودي الفاسق فانه يخرج من دين الله.. ولقد كان الشهيد جهيمان عالماً بهذه الحقيقة، ويشهد على ذلك كتاباته، وكأنه يتوقع من الأسرة الحاكمة أن تطلق عليه هذا النعت (الخوارج) قبل أن يقوم بانتفاضته..

وهنا لا يسعنا إلا أن ننقل مقتطفاً طويلاً من كراس منشور للمرحوم جهيمان بإسم (الامارة والبيعة والطاعة، وكشف تلبيس الحكام عن طلبة العلم والعوام) حول هذه المسألة.. يقول جهيمان مدافعاً (عن الاخوان) السابقين الذين هم أجداده، والذين أسسوا الحكم السعودي وكانوا الجيش الأساسي للملك عبد العزيز، والذين فتك بهم الملك المؤسس وقتلهم بذات التهمة (الخوارج) ما يلي:

(ولم تستطع هذه الدولة ــ دولة آل سعود ــ أن تفعل ما تفعله من التلبيس والتدليس، إلا لأن رعيتها ومن هم في قبضة أيديها كأرانب، دفعت عليها الغنم لاصطيادها وقتلها، ومن كانت هذه صفته فهو يستحق ما يناله، وبذلك تجد المغرورين من هذه الرعية رؤساء في الدنيا، أتباعاً في الدين لكل ناعق..

وتجد حكمهم وسلطانهم ــ أي حكم آل سعود وسلطانهم ــ قائماً على ثلاث قواعد من حيث معاملة أهل العلم والدين.. إن وافقتهم وسكت عن باطلهم قربوك واتخذوك حجة على من خالفهم، وإن سكت عنهم سكتوا عنك، وربما زادوك وأرسلوا لك الهدايا، وذكروا في حقك هذا الحديث "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" ــ رواه البخاري، وهي كلمة حق أريد بها سكوت عن باطل.. وإن خالفتهم قتلوك بشبهة يسكتون بها الأرانب، فيقولون هو "خارجي"، مع ان أرنبهم لا تعرف معنى "الخارجي".. وأقرب مثال وأوضحه، مؤسس دولتهم والمشايخ الذين كانوا معه في سلطانه، وهم ما بين موافق له ومعزز له بما يشاء، وآخر ساكت عن باطله، وآخر التبس عليه الأمر..

فقد دعا "الاخوان" رحمهم الله الذين هاجروا في القرى المختلفة هجرة لله عز وجل، دعاهم إلى بيعته على الكتاب والسنة، فكانوا يجاهدون ويفتحون البلاد، ويرسلون له بما للامام من الغنائم والخمس والفيء ونحو ذلك، على أنه إمام المسلمين، ثم لما استقر سلطانه وحصل مقصوده، والى النصارى، ومنع مواصلة الجهاد في سبيل الله خارج الجزيرة.. فلما خرجوا، لقبهم هو ومشايخ الجهل الذين معه، لقبوهم بإسم يكرهه أهل الاسلام وهو "الخوارج"، مع أن الاخوان رحمهم الله، لم يخرجوا عليه ولم يخلعوا يداً من طاعة، وإنما لم يطيعوه حينما نهاهم عن الجهاد، وهذا هو الواجب لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "إنما الطاعة في المعروف" ــ متفق عليه، وقوله: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" ــ رواه أحمد وهو حديث صحيح.

فيتبين لك ضلالهم في حكمهم على من خالفهم أنه "خارجي"، ولكنهم يلبسون على عوام المسلمين الذين لا يتبصرون في دينهم، ويجدون من مشايخ الضلال من يعطيهم الفتاوى، بلا تورع ولا تقوى..

وليس لنا مراد في الخوض في الأموات، فقد افضوا إلى ما قدموا، ولكن لأمرين:

الأمر الأول: دفع الشبهة عن إخواننا الذين جاهدوا في سبيل الله، وكانوا صادقين مع الله، ثم مع ذلك تلبسهم هذه الدولة ــ السعودية ــ وعلماء السوء لباس الخوارج المارقين من دين الاسلام.. حتى أنك لتجد اليوم من أهل الخير الملتبس عليه أمرهم من لا يترحم عليهم "سبحانك هذا بهتان عظيم"..

ولا غرابة في ذلك من أهل ملك يريدون تثبيت ملكهم، وإنما الغرابة ممن يدعي الصلاح والخير، ثم يتهم المؤمنين بما هم منه براء.)

ــ ويضيف ــ:

(وبعدما لقبهم عبد العزيز بالخوارج، حمل إخوانهم الذين لم يخرجوا معهم على قتالهم، فخرج بهم على طريقهم وبدأهم بالقتال.. فلما قتلهم وشتتهم، واستقر سلطانه الجبري، والى النصارى، وعطل الجهاد في سبيل الله، وفتح من الشر أبواباً مغلقة.

ثم واصل السير على نهجه أبناؤه من بعده، حتى وصلت بلاد المسلمين إلى ما وصلت إليه اليوم من الشر والفساد.. فنقول الآن: أين الحكم بالكتاب والسنة الذي ادّعوا الحكم به أول ملكهم، ويدعيه كل من تجددت له بيعة منهم؟، أم أن الأمر كما وصفه النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث: "وإن طالت بك حياة لتجدن الولد يشابه أباه" ويشعلون الحرب بين المسلمين ويسيرون بعضهم على بعض.

الأمر الثاني: حملنا على الكلام في تاريخ هذه الدولة مع أهل الحق الصادقين، وتلقيبهم "بالخوارج" تلبيسا على العوام الجهال، أنه لا يزال إلى اليوم من هو على هذه الضلالة من مشايخ الجهل والضلال، ويعتقدون أن الاخوان الماضين "خوارج"، ويسمون من يدعو إلى الحق الذي جاء في الكتابة والسنة اليوم "خوارج" ويفتون بقتله.. الخ)..

هذا الرد من قبل جهيمان، وقبل أن تعمم الأسرة الحاكمة صفة "الخوارج" التي أطلقتها ضده بعد الانتفاضة، على العالم الاسلامي، يوضح بصورة مطلقة كيف أن آل سعود ومشايخهم يستخدمون أقذع العبارات ضد معارضيهم ويجردونهم من إسلامهم، رغم أن هؤلاء ما ثاروا وانتفضوا إلا من أجل الاسلام..

والغريب أن الأسرة الحاكمة ومن خلال بيان وزارة الداخلية، لم توضح هوية المعتصمين في الحرم، ولا جنسياتهم، ولا مطالبهم، ولا عددهم، ولا نوعية سلاحهم، كل هذا لم تشر السلطة إليه، إنما أشارت إلى التعريف الذي تطلقه اعتباطاً وبسهولة على أنهم "خوارج" وكفى!

الثانية: تعمد البيان الحكومي إغفال الهدف من الاعتصام، ولكنه أوحى بأن الهدف هو مبايعة "المهدي المنتظر" فحسب، وتحت وطأة السلاح أيضاً.. ورغم أن مبايعة ما أسمي بالمهدي المنتظر كان قد وقع في الحرم بالفعل، ورغم أنه لم يتم تحت وطأة السلاح كما زعمت السلطة وبيانها، رغم هذا فإن البيان أراد حصر أهداف المعتصمين في مسألة المهدي فقط، وتجاوز الاهداف الدينية والسياسية المعلنة.

ومن المعلوم أن جميع المسلمين "سنة وشيعة" يعتقدون بالمهدي المنتظر، كل حسب اجتهاداته، لذا أراد البيان أن يشغل العالم بتفاصيل هذه المسألة لاهمال الجوانب الأخرى من العملية.

الثالثة: زعم البيان الحكومي ــ وبحجة الحفاظ على أرواح المسلمين في داخل الحرم ــ أن الحكومة اتخذت تدابير أمنية من أجل ذلك بناءاً على فتوى جميع العلماء.. ويتوضح هنا حرص الحكومة على ذكر "جميع" العلماء، بيد أن الحقيقة التي ظهرت هي أن العلماء لم يصدروا حتى ذلك التاريخ "صباح ١٩٧٩/١١/٢١م" أي فتوى، وإنما أرادت الأسرة الحاكمة أن توهم الناس بأن أعمالها العسكرية التي بدأت بها نالت الموافقة الشرعية المسبقة، لحماية أرواح الحجاج..

وقد تبين فيما تبين أنه لم تكن هناك أي رهائن لدى المعتصمين، الذين زعمت أجهزة الاعلام أنهم بقبضتهم، وما كان التشديد على وجود رهائن إلا من أجل أن يسبغ على التحرك العسكري السعودي صفة الشرعية والدفاع عن الأرواح البريئة..

والأكثر من هذا أن محمد عبده يماني وزير الاعلام السعودي أشار في لقاء له مع مجلة الحوادث "١٩٨٠/١/١٨" إلى أن السلطة تصورت في البداية أن القائمين بالعملية هم بعض المشايخ.. فكيف تحول هؤلاء المتهمون إلى موقف الحكومة الذي يطالب بمداهمة الحرم عكسرياً رغم أن ولاء بعضهم للعائلة الحاكمة ــ على الأقل ــ مشكوك به؟، وكيف يبرر البيان تأكيده على وجود فتوى من "جميع" العلماء؟!

الثوار كما يعرفهم آل سعود:

من السهل أن يلقي النظام التهم والألقاب السيئة التي يريدها ويجد لها من يروجها..

فأولا.. لا ينقص آل سعود الأجهزة الاعلامية المتطورة، ولا ينقصهم تعاطف الصحافة الغربية والاعلام الغربي، إضافة إلى أن الاعلام الرسمي العربي والاسلامي معها.. هذا لا ينقصهم

وثانيا.. وهو الأهم، أن أمراء الأسرة الحاكمة، لا يحكمهم وازع من دين فيحاسبوا أنفسهم في تصرفاتهم "أقوالهم وأفعالهم"، وما داموا طلاب ملك، ويدافعون عن ملكهم، فلا يهمهم الوسيلة بعدئذ..

ولذا لم يدخر أي مسئول سعودي أو أمير صغير من أمراء الأسرة المالكة وسعاً في إلقاء التهم والنعوت التي يريدون على المعتصمين داخل الحرم.. خصوصاً وأن هؤلاء الأخيرين لم يكونوا يملكون أي توجه إعلامي يفند للعالم مزاعم الحكم السعودي، وهكذا بقيت التعريفات السعودية للثوار التي أطلقها آل سعود سيدة الساحة الاعلامية، تلوكها الصحف الأجنبية والعربية، وتنقلها عن بعضها البعض..

في السابق ، كان السعوديون يواجهون القوى الوطنية المعارضة لحكمهم بأنها شيوعية تريد القضاء على الاسلام الذي جاء آل سعود لاحيائه والدفاع عنه (...).. ولكن ما عساهم أن يقولوا اليوم والحركة الاسلامية تقف بشموخ في ساحة المعركة، وفي مواجهة حكمهم الفاسد من أجل تطبيق حكم الاسلام العادل؟!

لابد أن تتغير الاتهامات بالطبع.. فلا يمكن أن يمرروا على المسلمين بأن هؤلاء شيوعيون يريدون القضاء على الاسلام.. وإنما هناك صفات لابد أن تبتدع لمواجهة مثل هذه الحالة..

ولذا كان من جملة الأوصاف السعودية التي اطلقت على جهيمان وصحبة، "التطرف".. "الهوس الديني".. "الجنون".. "الغرور".. "الخروج عن الدين".. "المروق والظلال، والكفر..الخ"..

ففي البيان الأول للحكومة الصادر في اليوم التالي للاعتصام (١٩٧٩/١١/٢١)، جاء وصف (الخروج عن الدين). وفي اليوم التالي وصفهم وزير الخارجية سعود الفيصل بأنهم (مجموعة من المتعصبين المهووسين)[١].. كما وصفهم أمير المدينة المنورة عبد المحسن بن عبد العزيز بأن الجماعة (فئة مارقة ضالة أرادت التفرقة بين المسلمين)[٢].. وفي نفس الوقت وصفهم وزير الداخلية (وزير القمع) نايف بن عبد العزيز بأنهم (مجرمون وقتلة)، وفي اليوم التالي أضاف بأن (الحادث هو انحراف وخروج عن حقيقة الدين الاسلامي في إطار إجرامي) [٣].

من جهته قال الملك السعودي السابق (خالد)، وحسب ما أذاعته إذاعة الرياض (١٩٧٩/١١/٢٣م) أنه أرسل برقية جوابية للملك المغربي، جاء فيها بأن أفراد الجماعة (فئة متطرفة ومغرورة ومنحرفة عن جادة الدين الحنيف)..

وبالنسبة للاذاعة السعودية، فقد جاء في تعليقها السياسي في اليوم الرابع للعملية (١٩٧٩/١١/٢٣) ما يلي: (إن المملكة ستضرب بيد من حديد كل من يحاولون التستر تحت ستار الاسلام كذبا وادعاءا واستغلالا للأوهام والخزعبلات، بهدف الوصول إلى أهداف خطيرة سعياً للاساءة إلى الاسلام والمسلمين)..

فلاحظ أخي القاريء هذه الأوصاف كيف أنها تنطبق فعلاً على الحكام السعوديين لا على أولئك المعتصمين في الحرم، ولاحظ كيف أن الاعلام السعودي يصم كل محاولة لمعارضة الأسرة الحاكمة الفاسقة بأنها تمسيء إلى الاسلام، بينما هي في الواقع لا تسيء إلا إلى آل سعود أنفسهم..

وزادت حمى التصريحات السعودية، وزادت الأوصاف والنعوت الباطلة، فهذا مشعل بن عبد العزيز، وزير الدفاع السابق يعتبر حادثة الحرم شيئاً مكملا للحروب الصليبية، وأنه وإخوته يمثلون الاسلام والدفاع عنه، بينما جهيمان وجماعته يمثلون العداء الصليبي للاسلام، مع أن كراسات جهيمان تشهد بأن من أسباب انتفاضته أن آل سعود موالون للصليبيين أعداء الاسلام.. يقول مشعل هذا (إن حادث الحرم هو استمرار للحرب ضد الاسلام منذ الحروب الصليبية حتى الآن)..

وهذا سلمان بن عبد العزيز (أمير الرياض) يصفهم بالانحراف والشذوذ[٤]، بينما لا يوجد على أرض الجزيرة العربية والعالم الاسلامي أكثر شذوذا وانحرافاً من آل سعود، وهذه الصفة نالها آل سعود عن جدارة، وشهد لهم الغرب بها قبل المسلمين، رغم اختلاف التوجه الديني والأخلاقي..

واعتبرهم فهد، الذي كان يومها ولياً للعهد، ويحضر اجتماعات القمة العربية في تونس، بأنهم (أعداء الدين والوطن) وأنهم (طغمة فاسدة)[٥].. ثم عاد ووصفهم بأنهم (سذج)، وأوحى في تصريح له بأن الاحساس

---

[1] ــ جريدة المدينة السعودية ١٩٧٩/١١/٢٢م.

[2] ــ جريدة البلاد السعودية ١٩٧٩/١١/٢٢م.

[3] ــ جريدة الرياض والجزيرة ١٩٧٩/١١/٢٣م.

[4] ــ صحيفة الرياض السعودية ١٩٧٩/١٢/٩م.

[5] ــ الصحف السعودية ١٩٧٩/١٢/١٠م.

الديني المتعمق في البلاد يسبب السذاجة، وعليه فإن كل المواطنين أو معظمهم ــ برأي فهد ــ هم من السذج، يقول مضيفاً (وبطبيعة الحال فإن السذج كثيرون، والاحساس والشعور الديني أعمق عندنا هنا منها في أي بلد آخر)..

لقد كان وزير القمع السعودي أكثر المتحاملين على المعتصمين، وقد أضاف إلى قاموس السباب الذي اشتهرت به أسرته الفاجرة، بذاءة في التعبير، ووقاحة بلغت حدا تصور معه المراقبون بأن نايف يحمل حقداً دفينا في قلبه على المتدينين جميعاً داخل البلاد..

فإضافة إلى نعوتاته السابقة قال نايف عن الجماعة بأنها (شرذمة فاسدة مفسدة روعت المسلمين والطائفين في بيته الكريم الآمن)[١]، وبعد مدة قال مصححاً:

(أحب أن أصحح كلمة قيلت عن وصف هذه الفئة بالفئة الباغية، الواقع أنها أكثر من باغية، هي مجرمة وخارجة)[٢].. وفي مقابلة مع سليم اللوزي رئيس تحرير (الحوادث) السابق قال بأن أفرادها (مهووسون سذج، استولت عليهم مشاعر دينية معينة)[٣].

ونقلت الصحف اللبنانية تصريحا لفهد بتاريخ ١٩٨٠/١/٢٥ قال فيه: (إن الذي حدث هو، سمة ما تسميه، ولكنه أقرب إلى الهوس، وعدم الانتظام، وعدم التفكير).. وفي هذه الأثناء وصفهم نايف بأن: (مستواهم الفكري والثقافي كان دون الحد الأدنى الذي يمكنهم من طرح أي قضية علمية أو دينية أو اجتماعية)..

وبلغ استخفاف الاعلام السعودي بالرأي العام حداً فظيعاً، حين قارن حادث الحرم مع طائفة جيم جونز التي قامت بعملية انتحار جماعي في (غوايانا) في عام ١٩٧٨م.. وتلقفت مجلة الحوادث هذه المقارنة السخيفة ليكتب بعدها رئيس التحرير: (كنت في الولايات المتحدة، ولعل هذا هو السبب الذي جعلني أربط بين حركة "الاخوان" وحركة "هيكل الشعب" في مقاطعة "غويانا" بأميركا، حيث أقدم حوالي تسعمائة شخص عام ١٩٧٨م على الانتحار بدعوة من مرشدهم "جيم جونز".. كلا الحركتين قامتا على الهوس الديني، وكلاهما انتهت بعملية انتحارية غبية، بل إن دعوة هيكل الشعب الأميركية كانت مفهومة أكثر..)[٤].

فهل هذه مقارنة صحيحة؟!

إنها مغالطات واضحة تفيض بالحقد والتعامي عن الحقائق، وتجافي العقل والمنطق!، ولا عتب على اللرزي ومجلته ، لانها مجلة انظمة تحارية ،تنقل ما يردده الاعلام الحكومي.. إنما العتب على أولئك الذين انضموا إلى جوقة (الطبالين) وهم يتصورون أنهم يحسنون صنعاً..

وإلا فأي عقل وذوق ومنطق يقبل بالمقارنة الفجة هذه؟!

إن الدين لكلا الطائفتين مختلف.. والأهداف كانت مختلفة ومتباعدة بعد السماء عن الأرض، والوسيلة لتحقيق الهدف كانت مختلفة، فبينما قامت (هيكل الشعب) بالانتحار بالسم جماعياً، للتخلص من هذه الحياة،

---

[1] ــ الرياض ١٩٧٩/١٢/٥م.

[2] ــ الأنوار اللبنانية ١٩٨٠/١/١٦م.

[3] ــ الحوادث ١٩٨٠/١/١٨م.

[4] ــ الحوادث، المصدر السابق.

كانت جماعة جهيمان تدافع عن مبدأ حق، وتعلم ان الانتحار إثم، وقد قتل أفرادها حرقاً وحنقاً وبالرصاص ثم بالسيف في ساحات الاعدام على يد جلاوزة النظام الحاكم، ودفاعاً عن أهداف دينية وسياسية.. ولا نريد هنا أن نناقش كل الترهات التي أطلقها الاعلام السعودي وأمراء الأسرة الحاكمة، فالعاقل البصير يكتشف الحقائق التي جعلها السعوديون، بسبابهم وشتمهم واضحة كالشمس في رابعة النهار.

وما يهمنا من سيل الأوصاف والنعوت السعودية هذه، هو التوقف عند أمرين هامين:

أولا: لم يذكر أي مسئول سعودي اسم الجماعة التي قامت بالاعتصام.. لم يقل أحد منهم أنهم من جماعة "الدعوة المحتسبة" التي ترجع في جذورها إلى حركة الاخوان التي أسست الحكم السعودي، أو أنها امتداد لها.. ما هو السبب يا ترى؟!

هل أن النظام الحاكم وأمراء الأسرة السعودية عرفوا بأن أفراد الجماعة (خوارج، ومهووسون، ومجانين، وجهلة، وبغاة، وسذج، وظالمون، ومنحرفون.. الخ) ولم يعرفوا اسم الجماعة فتجنبوا ذكره؟، أم أن العملية مقصودة أساساً ؟!

إن الذي يستطيع أن يصدر بيانات تفيد بجنون المعتصمين، من السهل عليه أن يكتشف اسم جماعتهم وحركتهم، فكيف وصل آل سعود لمعرفة العقول ولم يعرفوا الاسم؟!

إننا لا نشك بأن الأمراء تغافلوا عن ذكر الاسم، لا لجهل منهم به، ولا لنسيانهم له، ولا لأن الاسم غير مهم في الوقت الذي كان العالم الاسلامي والعالم بأجمعه يبحث بين بيانات الحكومة المليئة بالاسفاف، عن شيء يرشدهم إلى معرفة الهوية والاسم.. وأن المسألة لم تكن مصافة، لأن المسئولين الكبار في الأسرة تجنبوا عن سابق إصرار خلال المقابلات الصحفية، الاجابة على الأسئلة التي تشير إلى الهوية..

والعالم الاسلامي ــ وإلى هذا الوقت ــ لا يعلم هوية القائمين بالعملية، سوى ما أعلنته الحكومة أنهم مجموعة خوارج احتلوا الحرم.. فهل هذا التعريف كاف لتوضيح الحقائق؟، وكيف يخرج الرأي العام بنتيجة صحيحة طالما أن التعريف اقتصر على السباب والاتهامات؟!

لقد قدمت بيانات وزارة الداخلية، وتصريحات فهد ونايف وإخوتهما، مجموع الشتائم للثوار، على أساس أنها تعريف كاف لهم، فلم يقتنع بذلك الواعون من هذه الامة، فالجميع شعر بأن حلقات كثيرة من فصول عملية الحرم طمستها السلطة السعودية.. ومع هذا تصور آل سعود بأنهم أقنعوا العالم بما قالوه، ولكنهم بعد ذلك اعترفوا ــ ولأول مرة ــ بفشل إعلامهم، وراح كل منهم يلقي اللوم على الآخر، كما سيتوضح.

ثانيا: رغم أن اجهزة النظام وأقطاب الأسرة السعودية استخدمت عدة تعريفات ولم تستقر على واحد منها، فإن هذه التعريفات والأوصاف لا يجب أن تقبل لسببين:

الأول/ أنها مجموعة من الشتائم ولا تتعدى في واقعها أكثر من ذلك.

والثاني/ أن التعريفات صدرت من نظام يقف في الجهة الأخرى من المعركة مع المعتصمين، وبالتالي فهو ليس طرفاً محايداً وصادقاً تؤخذ منه الحقائق، أو بالأحرى تؤخذ منه الاتهامات على أنها حقائق.. وكنا سنقبل بالاوصاف لو أن الذي أطلقها أناس محايدون يعرفون الجانبين على حقيقتهما، ومن ثم كنا سنعرف حقاً من هو الخارج عن الدين، ومن هو الزنديق، والمنحرف، والشاذ ؟!

وبعد هذا العرض السريع لاتهامات السلطة، سنحاول في السطور التالية توضيح هوية القائمين على العملية، وجذور تحركهم التاريخي..

قلنا أن المعتصمين ينتمون إلى (جماعة الدعوة المحتسبة)، التي هي امتداد لحركة "الاخوان" الذين قضى عليهم الملك عبد العزيز في أواخر العشرينات، بعد أن أسسوا دولته، وبعد أن قضى وطره منهم.

وهنا لا يسعنا أن نفرد بحثاً عن نشوء حركة "الاخوان" الأولى وكيف آلت نهايتها، ولكننا مضطرون إلى إلقاء بعض الاضواء الكاشفة السريعة حولها، لاستكمال حلقة التعرف على هوية المعتصمين في الحرم، وبإمكان من يريد الاطلاع أن يراجع الكتاب الذي صدر عن المنظمة مؤخراً حول هذا الموضوع بالذات، وهو (الاسلام والوثنية السعودية).

بداية "الاخوان"

وبداية الدولة السعودية

جاء الملك عبد العزيز إلى الحكم بانقلاب عسكري على ابن عجلان حاكم الرياض في يناير عام ١٩٠٢م، وسيطر على المدينة بالقوة.. والمبرر الذي رفعه الملك حينها هو المطالبة بعودة ملك الآباء والأجداد، فلم يكن هدفه دينياً، بل هدفه الكرسي والحكم..

ومن الرياض قام ابن سعود بتجنيد بعض البدو والقبائل لمحاربة خصمه ابن الرشيد، الذي يتخذ من مدينة حائل مركزاً لحكمه، وذلك من أجل توسيع ملكه ليشمل معظم مناطق الجزيرة العربية التي كانت في العشرينات من القرن التاسع تحت سيطرة جده (سعود الكبير).

ورغم أن عبد العزيز أحرز بعض التقدم بمساعدة الانجليز، فاحتل بعض المدن جنوب الرياض، وحاول التوسع أكثر فأكثر.. إلا أنه عجز عن تحقيق ما كان يصبو إليه، وهو إسقاط حكومة آل الرشيد، وحكم الأشراف في الحجاز، وحكام عسير والجنوب..

في عام ١٩٠٤م، احتل مدينتي عنيزة وبريدة وتوقف.. وفي عام ١٩٠٨م واجه ابن سعود ثورات وتمردات في البلقان واليمن وغيرها من المناطق التابعة لدولة الخلافة..

فاستشار الانجليز على الاحتلال، وبعد تمنع ــ لأسباب تتعلق بوجودهم في الخليج، وعلاقاتهم مع تركيا ــ وافقوا على ذلك، فاحتل الاحساء بمعاونة الاهالي الذين سهلوا له الأمر من أجل الخلاص من فساد الحكم التركي، وكان الاحتلال عام ١٩١٣م/ ١٣٣١هـ.

في هذه الأثناء صعد نجم جماعة دينية أطلقت على نفسها (الاخوان)، تدعو للعودة إلى الدين، وما كان عليه السلف الصالح، وكانت هذه الجماعة قد بدأت في عام ١٩١٣م، بالتوسع من أجل إعادة المجتمع نحو الاسلام والاخوة الاسلامية، بدل الاقتتال والنهب والسلب، فوجدها الملك عبد العزيز ــ بعد عودته من احتلال الاحساء ــ منافساً لسلطانه، فحاول مراراً أن يقضي عليها بالقوة ولكنه عجز عن ذلك، وتدل المصادر التاريخية إلى أن عبد العزيز اصطدم مع فيصل الدويش زعيم (الاخوان) قبل أن يتحالف معه ثم ينتفض ضده.

وخلال عامي (١٩١٣ ــ ١٩١٥) جرب عبد العزيز أسلوب الاحتواء، فبعد زيارات ومراوغات وإظهار نفسه متدينا يحمل أهداف "الاخوان" التي يسعون إلى نشرها، استطاع إقناعهم بالانضواء تحت لوائه ورفع راية (الجهاد) لتوحيد جزيرة العرب بإسم الاسلام، ومنذ هذا الوقت (١٩١٥) اتخذت فتوحات عبد العزيز الصفة الدينية كما يؤكد كل المؤرخين، وبدأ "الاخوان" يوسعون من قاعدة عملهم ونشاطهم حتى أصبحوا جيشه، فحين يذكر المؤرخون كلمة (الاخوان) فهي ترمز بدقة إلى (جيش عبد العزيز)، فيقال جاء (الاخوان)، وقاتل (الاخوان)، وصلى (الاخوان)، وغير ذلك..

من جهته، تخلى عبد العزيز عن لقب (الأمير) أو (الشيوخ)، وسمى نفسه (إماماً) لتأكيد مساره الجديد، فكان "الاخوان"، حتى بعد أن أعلن نفسه (سلطاناً) ثم (ملكاً)، لا يسمونه إلا بـــ (الامام)، وعليه.. فقد كانوا يأتونه بالخمس الذي يقره الشرع بالنسبة للإمام!!

وكان من ضمن ما اتفق عليه زعماء (الاخوان) مع عبد العزيز ان يدعو الأخير كل القبائل إلى الاستيطان لتشكل (هجراً)، وهي جمع (هجرة)، وهي المكان الذي يهاجر إليه.. فتتحول بعدئذ القبائل إلى جماعات مستوطنة تقوم بالزراعة وقت السلم، وتحارب مع الملك وقت الحرب، فيستطيع أن يعلمهم (التوحيد) ــ الدين الجديد!! ــ ويستطيع أن يثير حماسهم، وأن يعاقبهم أيضاً.. وهذا ما كان يطمح له ابن سعود.

فهو ــ أي عبد العزيز ــ لا يستطيع أن يتوسع أكثر مما توسع، لأن البدو الذين يعتمد عليهم لا يثبتون في أرض، وإن كانوا مستعدين للذهاب إلى أي مكان للقتال، ولكن وقت الهزيمة يتراجعون بسرعة، لانهم جاؤوا للقتال من أجل المغنم والمال الذي يعطيهم عبد العزيز إياه.. أما المدن المحتلة فأفرادها مشغولون في زراعاتهم وتجارتهم، وهؤلاء لا يستطيعون مجاراته في مغامراته العسكرية.

أما (الاخوان) فهم نموذج فريد من نوعه، إنهم بدو في الأساس، استوطنوا بعض المناطق من أجل الزراعة وتعلم الدين وأصول الجهاد من أجله.. وبالتالي فهم بروحهم الدينية وقدرتهم على تحمل المصاعب ومشاكل التنقل، قادرون على الايفاء بمتطلبات المعارك كلما يدعون إليها، دون الحاجة إلى توزيع المال، ودون الخوف من الارتداد أثناء الهزيمة، لان الادبار في المعركة حرام.

إذن، فمن أجل أن يعطي لتحركاته صبغة دينية تمكنه من القتال وبعث النخوة وروح الجهاد في قواته، ومن أجل أن يكون هناك معين لا ينضب من المقاتلين الأشداء من الهجر الاخوانية، ومن السيطرة على البدو وتقييد تحركاتهم وإخضاعهم لسلطانه، قرر ابن سعود احتواء حركة "الاخوان" وتأسيس مثيلات لها بدعوة القبائل ــ وبالقوة ــ للاستيطان، وفي ذات الوقت دعا العلماء لتعليمهم بعض المسائل الدينية القشرية التي تزيد في تأكيد ولاء البدو لعبد العزيز، والقتال بإسم الجهاد، وشحنهم بمفاهيمهم غريبة تقول بأن غيرهم كفار تحل دماؤهم، وأنهم وحدهم المسلمون..

ولهذا السبب رفض ابن سعود عروض حاكم الأحساء ابن عمه (عبد الله بن جلوي) الذي نصحه بالاستمرار في مقاتلة بؤرة "الاخوان" الأولى، التي كانت (الأرطاوية) مرتعاً لها، وتذكر المصادر أن ابن جلوي شبهها بالنار التي تأكل ما حولها.

الآن.. بدأ ابن سعود يقاتل بإسم الاسلام، من أجل توسيع سلطانه ومملكته، وترك قوة (عودة ملك الآباء والاجداد) إلى حين..

وبدأت دورة الزمن، فما هي إلا سنوات قلائل حتى تحول "الاخوان" إلى قوة قال عنها أن عبد العزيز يستطيع أن يفتح بها ما يشاء، كيف شاء، أنى شاء.. فاكتسحت القوة الاخوانية الساحة السياسية للجزيرة العربية اكتساحاً، ولولا المعادلات الدولية التي كان يراها ابن سعود، لما احتاج الأخير إلى عشر سنوات لاحتلال بقية المدن والمناطق التي شكلت فيما بعد دولة آل سعود الحالية.. فقد كان بإمكان "الاخوان" القضاء على كل القوى الأخرى في ظرف سنوات قلائل جداً، مع العلم أن عشر سنوات هي قليلة بعمر الزمن (١٩١٥ ــ ١٩٢٥).

لذلك يقول جلال كشك في كتابه (السعوديون والحل الاسلامي): (نجد أن من ١٩٠٢م إلى ١٩١٥م، ــ وإن كان الخط البياني لصالح ابن سعود ــ إلا أن الحرب سجال،والكفتان تعادلت ــ كفة ابن الرشيد وكفة ابن سعود ــ من البكيرية إلى جراب.. ولكن بعد اتضاح الطابع العقائدي بالاخوان حسم الموقف تماماً، وأصبح الأمر هيناً بإرادة عبد العزيز، متى شاء أنهى دولة آل رشيد، فلما حانت اللحظة المناسبة أنهاها)..

ويقول مترجم الملك، محمد المانع في كتابه (توحيد المملكة العربية السعودية) ص١١٣: (وكان استيلاء ابن سعود على كل من الحجاز وجبل شمر بسهولة، يرجع في الدرجة الأولى إلى جهد "الاخوان"، ولقد مر زمن في أواخر العشرينات من هذا القرن كانوا يسيطرون فيه على كل جزيرة العرب، وكان في استطاعتهم أن يضموا أي جزء منها إلى دولة ابن سعود لو سألهم أن يقوموا بذلك)..

وأما فيلبي ــ العميل الانجليزي المعروف ــ فيقول بعد أن يعدد معارك ابن سعود: (وقد نجح ابن سعود في حروبه هذه، وكان مديناً بهذا النجاح إلى قوات "الاخوان" على الخصوص).

وفي موقع آخر يقول: (لقد انتزعت الشوكة من حركة "الاخوان" الذين لعبوا دوراً بارزاً في خلق النظام ــ السعودي ــ الجديد، ولم يعد بإمكانهم تأدية أية خدمة نافعة أخرى)!!

وهكذا يتوضح دور "الاخوان" في إقامة النظام السعودي، رغم أن ما قاله مؤيدو آل سعود لا يفي بشيء من حقهم..

احتلال الحجاز والنهاية

الحجاز كان آخر منطقة سمح الاستعمار الانجليزي لعبد العزيز باحتلالها، فاحتلت للقضاء على الشريف حسين وعلى مطالبه بأن تكون فلسطين للعرب وليس لليهود كما وافق عبد العزيز.. لقد عجز الانجليز في إقناع حليفهم الشريف حسين بالموافقة على أن تكون فلسطين لليهود، وهددوه بكلب الحراسة (عبد العزيز) وبقوات "الاخوان"، لكنه رفض.. فأعطى الانجليز بعدئذ الضوء الأخضر لإبن سعود حتى يحتل الحجاز، بعد أن عجز لورانس في إقناع الشريف وإرغامه!

بسهولة فائقة احتلت قوات "الاخوان" الطائف، وهزمت قوات الشريف حسين الضخمة، فاعملت في الأهالي ذبحاً وتقتيلاً، لأن الناس هناك كفار وهراطقة والمسلمون هم وحدهم!!، وبعد أيام احتلت مكة في

أواخر عام ١٩٢٤م، فيما هرب الشريف حسين للخارج إلى الأردن ومنها إلى (قبرص) منفاه الأخير الذي اختاره الانجليز له!

وفي ذات الوقت اعتصم الشريف علي، ابن الشريف حسين في جدة وقاوم من هناك، فحوصر لأكثر من سنة إلى أن استسلم وأنهيت دولة الاشراف بسقوط المدينة المنورة أولا، وجدة ثانياً.

في هذه الفترة عرف ابن سعود ان زمن الحرب ولى، وأنه آن الأوان للانكفاء وبناء الدولة، لأنه ليست هناك مناطق أخرى قابلة للاحتلال بعد التقسيمات الاستعمارية التي أظهرتها اتفاقية (سايكس/ بيكو).. فلا العراق ولا الأردن، ولا مناطق الخليج، ولا اليمن، يمكن أن يسمح الانجليز لابن سعود أن يحتلها، وإن كان في قدرته ــ من الناحية العسكرية ــ فعل ذلك، لأنها مناطق النفوذ الانجليزي، ولأن اتفاقيات فرنسا وبريطانيا بعد الحرب العالمية الأولى تقضي بذلك.

بعد اسبوعين ــ تقريباً ــ من سقوط جدة، أعلن عبد العزيز نفسه (ملكاً) وتخلى عن لقب (الامامة)، فثارت ثائرة "الاخوان" لأن من دواعي قتالهم الشريف أنه أعلن نفسه (ملكاً)، وكان ابن سعود يشحن "الاخوان" لقتال "ملك العرب" الحسين بن علي!.. فكيف يقبل هو الآن بلقب (الملك)؟، وكيف يشرك نفسه مع الله باتخاذ اسمائه، فيقال له (صاحب الجلالة، والمعظم، وصاحب السمو)!؟

في هذا الوقت دخل عليه جماعة "الاخوان" وعلى رأسهم سلطان بن بجاد قائد الجيش السعودي الذي احتل الطائف ومكة ثم جدة وهم شاهرين سيوفهم، مستنكرين فعلة الملك، ومهددين بالقتل إن لم يتخل عن اللقب، فوعدهم خيراً، ولكنهم حين خرجوا فاجأ المجلس بكلام جديد، وهو التشنيع بفعل "الاخوان" ووصمهم بالجهل والتخلف، وأنهم ضد المخترعات "التلفون" وغيره!!

وقد كان هذا الموقف دليل تبدل في موقع الملك السعودي، فأظهر ما أخفاه طيلة عشر سنوات، ضحك فيها على "الاخوان" والمشايخ، بأنه ينهج نهجهم ويسايرهم.. لقد تحقق لابن سعود ما اراد فأعلن الحجاز وملحقاتها!، ولم يعد يعبأ بالعلماء او بـــ "الاخوان"، لأنه استنفذ أغراضه منهم!!

وجاءت المشكلة الأكبر، وهي أن عبد العزيز يعلم أن (الجهاد) الذي أطلقه ضد معارضيه لا يقف عند حد.. فأهل الكويت والعراق وسوريا ومصر واليمن ومشيخات الخليج وغيرها، كلهم كفار كما كان الكفار في دين الاسلام!!، بيد أن الأمور انتهت من الناحية الاقليمية، فوضع التجزئة الذي رسمه قابل للاختراق، وهذا ما لا يفهمه "الاخوان"، وإن فهموه فهم لا يعبؤون به، فالجهاد ليس له حدود، والانجليز وغيرهم لا يخيفون "الاخوان" المتحمسين لقتالهم.

وبدأ تمرد "الاخوان" بعد عودتهم من الحجاز، فأثاروا أهالي نجد ضد الملك الذي (تغير)، فأسر الأخير إلى الرياض لضبط الأوضاع المتسيبة التي سببها تمرد "الاخوان" الذين أصدروا بياناً يبين سبب تمردهم، والذي يتلخص في أمور أهمها:

(أن ابن سعود أصبح ملكاً ويتصرف كالملوك، وأنه يأخذ ضرائب بغير حق، وأنه يعطل الجهاد، وأنه يوالي النصارى)..

وأصدر علماء ابن سعود بياناً رداً على "الاخوان" يدين في جانب منه عبد العزيز، ولكنهم ختموه بأن لا يجب الثورة على (الامام!!) إذا خالف أوامر الشرع!!

لم يقتنع "الاخوان" بل توجهوا إلى الشمال، وهناك بدأوا بالهجوم على المركز الحدودي إلى الشمال، وهناك بدأوا بالهجوم على المركز الحدودي العراقي في (بصية)، واستولوا على ما فيه، فتحركت جماهير "الاخوان" بعشرات الآلاف تطالب بالقتال مع الدويش متمرد على أوامره، وطالب بإعادة ما أخذ من المركز، وقطع اعطيات جنده وكل من ينضم إليه، وأبلغ بريطانيا والانجليز في العراق والكويت أن ما فعله الدويش ليس بأمره وأنه يستعد للقضاء عليه..

ويصف المندوب السياسي البريطاني (ديكسون) في كتابه (الكويت وجاراتها) ما جرى بعدئذ بين قادة "الاخوان" وابن سعود كالتالي:

(كانت خطتهما ــ الدويش وابن بجاد ــ وضع ابن سعود في مأزق لكي يتسنى له احراجه حسب الحجة الآتية: يا عبد العزيز، انت كأمام كنت تدعو إلى الجهاد ضد الكفار والمشركين، لطالما دعوت وكررت الدعوة إلى أن العراق كدولة يجب أن يدمر، وأن كل ما يؤخذ من أهله حلال.. ولطالما رددت قول القرآن الكريم لاثبات أن كل الاعمال التي يقوم بها المؤمنون ضد الكفار والمشركين يجب أن يكافأوا عليها، والآن، وبأمر من الانجليز الكفار أنفسهم، تدعونا نحن فرسانك المختارين، سيف الاسلام، إلى إعادة ما اخذناه، لأنك تعتبر ما فعلناه خطأ، فأما أن تكون أنت دجال منافق تحب ذاتك وتبحث عن منفعتك، وإما أن يكون القرآن غير صحيح!، فليحكم علماء نجد بيننا)..

ويضيف ديكسون (ومما لا شك فيه أن الرعب دب في قلبه ــ أي قلب ابن سعود ــ بحيث أنه لم يفكر قط في عرض القضية على أية هيئة من علماء الدين، وبدل أن يقرر القطيعة مع البريطانيين، قرر ضرب "الاخوان" بسرعة مرة واحدة وإلى الأبد)..

وهنا أذاع ابن سعود بأن الدويش وابن بجاد واتباعهما هم من الخوارج، وأصدر رجال الدين ومشايخ الملك الفتاوى التي تنعتهم بذلك، والتي تجيز قتالهم، فجاءت معركة السبلة في (١٩٢٩/٣/٢٩م).. فـ"الاخوان" الذين تبعوا قيادتهم "الدويش" كانوا عشرة آلاف مقاتل، وأما الملك فكان معه (٤٠) ألف مقاتل من البدو والقبائل الأخرى، مع هذا أصيب الملك بالهلع وكذلك حاشيته لأنهم يعرفون بأس "الاخوان" وقد توقع مترجم الملك الذي رافقه في المعركة كما يذكر في كتابه (الموت أو الهرب)!!

لكن ــ المترجم ــ يعترف بأن المدافع الرشاشة "الجديدة" التي سلمها الانجليز لابن سعود، هي التي حسمت المعركة من البداية، خاصة وأن "الاخوان" لم يكونوا يعلمون بها.. فهزموا وجرح الدويش وقتل (٥٠٠) من أنصاره، وانسحبت قواتهم إلى هجرتهم الأولى (الأرطاوية)، فلحق به الملك وأراد أن يعتقله، ولما جيء بالدويش محمولاً على نعش، تصور الملك أنه سيقدر على اعتقاله، لكنه علم قبل ساعات أن جيش "الاخوان" يحيط بالمعسكر، وأنه إن قتله فسيقتل هو أيضاً، فتركه، خاصة وأن طبيبه أكد له بأنه جراحات الدويش ستقضي عليه سريعاً "وهي جراحات كبيرة استغرب المانع في أنها لم تقض عليه!!".

بعدها توجه الملك إلى شقراء، وطلب مقابلة ابن بجاد الذي هو أقوى من الدويش، ومع أنصار أكثر يبلغون (٣٠) ألف مقاتل.. فجاء ابن بجاد وحده مع قلة من أنصاره للمباحثة، فاعتقله وأرسله إلى الرياض وأنهى الأزمة..

ويعلق (ديكسون) على هذه الخيانة والغدر بقوله: (شتت ابن سعود اتباعهم ــ أتباع الاخوان ــ بعمل وصفه أصدقاؤه بانه عقاب حق، ووصفه أعداؤه بانه الغدر بعينه، ويمكن إرجاع ثورة الدويش التالية التي كلفت ابن سعود كثيراً إلى هذه الحيلة ــ الخيانة ــ غير الملكية، لأن العربي لا ينسى)..

لم يمت الدويش وإنما انطلق شرقاً يقود أعداداً كثيرة من "الاخوان" ومن أفراد قبيلة عتيبة ومطير، وبعد فترة قتل ابن الدويش (عزيز) وقتل ابن حثلين غدراً، بالطريقة ذاتها التي استخدمها ابن سعود مع ابن بجاد، ولكن تمت الخيانة هذه المرة على يد ابن حاكم الأحساء.. وبعدها راح الدويش يهاجم في العمق، في نجد، فظهر له الأنصار هذه المرة والمؤيدون من "الاخوان" غير أن الملك ــ وباتصالاته ــ حاصر الدويش شرقاً (الكويت) وشمالاً (العراق)، وهاجمتهم طائرات ومدرعات انجليزية، فاستسلموا قبل أن يصل الملك لقتالهم، بتاريخ ١٩٣٠/١/١٠م، وهم (الدويش، ونايف بن حثلين، وسهود بن لامي)، وأخذهم سلاح الطيران الملكي البريطاني إلى البصرة، ثم وضعوا على ظهر سفينة حربية بريطانية إسمها (لوبن) في شط العرب، وبعد اسبوعين نقلوا جواً إلى معسكر ابن سعود في (خباري وضحة) بتاريخ ١٩٣٠/١/٢٨م وسلموا إليه، فأودعهم (سجن) في الرياض وانقطعت أخبارهم.. لكن بتاريخ (١٩٣١/١٠/٣م) أعلنت الحكومة موت الدويش في السجن، وعلم أن السرطان قد أصاب حلقه فترك دون عناية إلى أن مات.

أما البقية، فقد نقلوا إلى سجن (العبيد) بالأحساء تجنباً لاثارة النجديين وبقايا "الاخوان"، وهناك لقوا حتفهم وانقطعت أخبارهم.

وبعد مرور أقل من سنة على مقتل الدويش، أعلن الملك بتاريخ (١٩٣٢/٩/١٨م) بتغيير اسم البلاد إلى (المملكة العربية السعودية) وعين فيما بعد ابنه سعود وليا للعهد، وهكذا انقلبت البلاد بغناء "الاخوان" رأساً على عقب!

البعث الجديد

مع بداية الثلاثينات الميلادية، كان التيار الديني يسير بسرعة مدهشة نحو الانحدار والتراجع، وزاد تسارع الانحدار بظهور النفط، وتأكد في الخمسينات والستينات. وفي منتصف السبعينات بلغ التراجع مداه بعد الطفرة البترولية، واستمر التراجع حتى انتفاضة الحرم، ومع بداية الثمانينات بدأ المؤشر يرتفع شيئاً فشيئاً..

وفي جانب الدولة وعرش الحكم، فقد بدأ استقراره رغم الأزمة المالية في الثلاثينات، لكنه سرعان ما تقوى بعد الحرب العالمية الثانية، وبدأ الانتاج الفعلي للنفط يأخذ دورته، ولما مات الملك ابن سعود (١٩٥٣) جاء ابنه سعود، وزادت مداخيل النفط التي عززت اجهزة الدولة، وفي العموم كل مؤشر استقرار النظام في ارتفاع حتى منتصف السبعينات، ثم بدأ العد العكسي إلى الآن، خاصة بعد انتفاضة المحرم ١٤٠٠هـ/ نوفمبر

١٩٧٩م.. مع ملاحظة فترة عدم الاستقرار في الفترة الواقعة بين عامي (١٩٥٨م/ ١٩٦٤م) التي كانت فترة صراع بين أجنحة الحكم، وهي الفترة التي نمت فيها المعارضة أكثر فأكثر..

بالنسبة للتيار الديني يمكن إرجاع انحداره إلى عوامل عديدة أهمها:

١/ القمع الحكومي الذي سلط على خلاصة أفراد حركة "الاخوان"، فكانت تصفيتهم، ومن ثم جاء التراجع لعدم وجود قوة معارضة تحمل فكرة جهاد الحكام السعوديين الفاسدين، وتحاسبهم وتضغط عليهم باتجاه التمسك بأهداب الدين ــ على الأقل ــ. حتى العلماء في تلك الفترة، والذين ارتخت قوتهم بارتخاء قبضة "الاخوان" الذين كانوا السبب في علو نجمهم، حتى هؤلاء كان النظام قد احتواهم وأشغلهم بالتوافه، ودجنهم بالأعطيات والرواتب والهبات، فصاروا له بوقاً، بدل أن يكوانوا أداة للإصلاح ومعارضة النهج الحكومي الفاسد.

٢/ مداخيل النفط أثرت بشكل كبير ــ خصوصاً منذ بداية الخمسينات ــ على الوضع الاجتماعي، وعرضته للهزات والقلاقل.. فتبدلت قيم، وانهارت أفكار، وتحطمت قناعات، وتغيرت مسالك وتوجهات.

فالنظام الذي بدأ مستقراً، بدأ بالانفتاح على الخارج، وبدأت عوارض الأمراض الاجتماعية تفد إليه، والتكنولوجيا غزت العقول وبدلت في الأفكار، وصاغت قناعات جديدة ورسختها في أدمغة الأجيال الجديدة.. الراديو والتلفاز بعدئذ، والمواصلات البرية، والصحافة، والمستهلكات الأجنبية، كلها صنعت من المجتمع المنغلق على ذاته، مجتمعاً مفتوحاً بدون ضوابط.

والأموال، أموال النفط، التي تسرب جزء منها إلى الموظفين وصغار العمال، خلقت طبقة وسطى جديدة تنفق على المستوردات الأجنبية، وتتغنى بتقليد ومحاكاة الآخرين، يساعدهم في ذلك ما تبثه أجهزة الاعلام من أفكار شاذة وغريبة، وتقاليد فاسدة هي أبعد من أن تنبت بحالها في أراضي البلاد.

ولما زاد المال وكثر وسهل جمعه وبعثرته، بدون توجيه وإرشاد، ظهرت إلى السطح أمراض المجتمعات الغربية، ودب التحلل والفساد الأخلاقي في أوصال المجتمع، وأضحى السكان يعيشون عشرات المتناقضات في حياتهم اليومية.. وهكذا أدى النفط دوره في زيادة دخل الأفراد، لكنه قلب الوضع الاجتماعي رأساً على عقب.

٣/ المؤسسات الدينية تتحمل الدور الأكبر فيما وصل إليه المجتمع، فهي من جهة كانت السبب الأول في ديمومة النظام السعودي الفاسد المعادي لله وللإسلام، بمساندتها له وإضافئها الشرعية على ممارساته، وباتهامها كل المعارضين له بأنهم خوارج أو ملاحدة.

ومن جهة ثانية كانت المؤسسة الدينية ــ ولا زالت ــ غارقة في القشريات والتوافه والانغلاق والجهل بالعالم وبأوضاع المجتمع وما طرأ عليه، وهي بهذا لم تكن بمستوى التحدي الحضاري الذي كاد أن يقضي على كل اساسيات المجتمع..

في فترة العشرينات كانت المؤسسة الدينية طليعة المجتمع المثقفة والمتعلمة بحساب ذلك الزمان، وفي الخمسينات والستينات والسبعينات بدأ المجتمع انطلاقته نحو التعليم، فتأخرت المؤسسة عن ركب العلم، وانفصل المثقفون عن رجال الدين لأسباب قد يكون منها جمودهم، ونوعية المعارف التي حصل المتعلمون

عليها، وهي بالطبع علوم، ولكنها ليس علوماً دينية، إن الانفصال الذي أدى إلى الاستهزاء بالمؤسسة الدينية ما كان ليتم لولا مناهج التعليم الفاسدة، ولولا عدم إحاطة المشايخ بالعلوم الحديثة وما استجد في العالم من اكتشافات ومخترعات وتطور.. وبقائهم على حالتهم السابقة منذ بداية القرن.

ومن جهة ثالثة، كانت المؤسسة الدينية ــ ولا تزال ــ بمجمعها، مقصرة ايما تقصير في التوجيه والارشاد الاجتماعي، ولا نقول السياسي، فلا هي ساهمت في حل المشاكل بتوضيح الطريق ورؤية الدين تجاهها ولا هي كثفت جهودها في محاربة التيارات السلوكية الوافدة أو على الأقل حذرت منها، بل ولم تضغط على السلطة باستخدام قبضتها ؟؟؟ لوضع حد للتجاوز المشين لكتاب الله وسنة رسوله.

ومن جهة رابعة، كانت سلوكيات مشايخ السلطة ــ ونقول الكثير منهم وليس كلهم ــ هي الأخرى بعيدة عن أن تكون مثالا وقدوة للآخرين.. فبعضهم قبل بدور الجاسوس، والبعض الآخر قبل بدور المفتي، والثالث قنع براتبه ومسكنه والعيش المرفه، والرابع قنع بزيارة الملك كل يوم اثنين وشرب القهوة معه (!!)، والخامس قبل أن يكون من حاشية الملك أو الأمير الفلاني والعلاني، فيكون ضمن الوفود المستقبلة والمودعة وما شابه ذلك..

ترى لو أن عشرة (فقط) من رجال الدين قاموا بدورهم الصحيح والذي يطلبه الله منهم، هل كانت البلاد لتصل إلى ما وصلت إليه؟!

نشك في ذلك..

العودة من جديد

في أواخر الستينات الميلادية، الثمانينات الهجرية، شعر رجال الدين أن البلاد تغيرت من رأسها إلى قدمها خلال فترة لا تتجاوز ثلاثة عقود، وكان بعضهم ممن ساهم في بناء (هجر) الاخوان، قد لحظ هذا التغير الطاريء، وإن كانت الملاحظة متأخرة جداً.. فقد نبت جيل بكامله في أوضاع متردية من الناحية الدينية، وتفتحت مداركه على بيئة اختل توازنها، وفقدت حيويتها وجديتها والتزامها، فنشأ هذا الجيل والذي تلاه حياة اللامبالاة والخمول والكسل، حياة الضعف والهزيمة والحقارة الذاتية، فيما كانت جحافل الغرب (أفكاره ومصنعاته، وتقاليده وقيمه، وخبراؤه، وعلومه، ودعاياته) تكتسح ساحة البلاد من أقصاها إلى أدناها.

أواخر الستينات كانت البداية لعودة شيء من الوعي لبعض رجال الدين، مع أنها كانت بداية سطحية ولازالت.. رجال الدين الذين يستطيعون في كل زمان ومكان أن يغيروا دولا، ويسقطوا أنظمة، إذا كانوا بمستوى المرحلة والتحدي، أحسوا بضرورة القيام بالدعوة من جديد..

دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي بدأت في النصف الأخير من القرن الثامن عشر، انهارت بعد أن كونت دولة ممتدة من اليمن جنوبا إلى العراق وحدود الشام شمالاً، ومن الخليج شرقاً (عمان والبحرين والأحساء) إلى البحر الأحمر غرباً، انهارت الدولة بعد وفاة محمد بن عبد الوهاب إثر الانحراف الشديد الذي أصاب الدولة والقيادات السعودية، فدكتها مدفعية محمد علي باشا بمباركة الرأي العام الاسلامي.

وجاء التجديد والبعث على يد (الاخوان) الذين هم امتداد لجيل القرن الثامن عشر الذي بنى الدولة السعودية الأولى، فبنوا دولة آل سعود الأخيرة، ولكن ما لبث أنقضي على المؤسسين، وانفصل الدين عن الدولة، وآلت البلاد إلى الفساد والتراجع..

في هذه الفترة (١٩٦٠م)، أسست الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة، بضغوط ودعوة من رجال الدين، فاستجاب الملك لهم وأعطاهم أحد قصوره كمقر للجامعة، وعين الشيخ عبد العزيز بن باز أول مدير لها..

وباتفاق مسبق بين مفتي الديار السعودية وأكبر رجل دين في ذلك الوقت (محمد بن إبراهيم آل الشيخ)، وبين الشيخ ابن باز، على القيام بالدعوة من جديد بعد أن كثرت المفاسد، نبتت البذرة الأولى لما يعرف الآن باسم (الدعوة السلفية)، والتي هي امتداد لدعوة (الاخوان) ولدعوة (محمد بن عبد الوهاب)..

الحجاز الذي كان آخر المناطق التي احتلها السعوديون يختلف كثيراً عن نجد (معقل الأفكار الوهابية)، خاصة وأن هذه الأفكار لم يتح لها فرصة الترسخ بفعل السلطان والقوة، لأن الدولة السعودية التي دشنت عهداً جديداً، لا يهمها أن تكون هذه الأفكار موضع رسوخ.

ومن جهة أخرى كان الحجاز مرتعاً لكل المذاهب والتيارات الفكرية المعاصرة، بسبب انفتاحه على الحجاج الوافدين.. ويبدو ــ للأسف ــ أن المشايخ "مشايخ الوهابية" كان همهم في بداية دعوتهم أن يقفوا أمام المذاهب الأخرى التي تتعارض مع مذهبهم، الذي يعتبرونه صحيحاً وما عداه باطلاً، وأنهم إذا لم يظهروا مذهبهم فإنهم يخافون بأن يعبد قبر الرسول وتشوش العقائد!!

ولا يفوتنا هنا أن نذكر بأن الدعوة السفلية الجديدة هذه، كان لها تواجد ضعيف في الحجاز، ممثلاً في (دار الحديث) التي ضمت فيما بعد للجامعة الاسلامية، من أجل تخريج دعاة للمذهب الوهابي.

بدأت الجماعة بأفراد تحت رئاسة الشيخ بن باز، وبدأت بالقاء الدروس في المساجد وتعليم الناس علم التوحيد على رأي محمد بن عبد الوهاب.. بعدها تطوع أحد المريدين ببيت ومسجد في المدينة المنورة وهي المقر الأساسي للدعوة، نظراً لوجود بن باز، والجامعة الاسلامية، لكي يكوناً مكاناً للتجمع والالتقاء.

واستمرت الجماعة التي اطلقت على نفسها بعدئذ، جماعة (الدعوة المحتسبة) في التوسع شيئاً فشيئاً، حتى تضخمت في بداية السبعينات الميلادية، وتحولت إلى تجمع فاعل له ق ياداته وموجهوه، فأنشيء قسم للرحلات، وآخر للضيوف، وثالث للسفر إلى القرى من أجل الوعظ والارشاد.. وتزايدت البيوت والمقرات، كما تزايد الخطباء والوعاظ والمشايخ، وانطلقت الجماعة بعدئذ فأسست ما أسمي بــ (بيوت الاخوان)، في جدة والطائف والرياض والقصيم وغيرها، وكان من جملة نشاطات بيوت "الاخوان" استضافة عابري السبيل، وبث الدعوة بالدروس اليومية، وتعليم القرآن والحديث، إضافة إلى المحاضرة الاسبوعية، حيث يستضيف بيت "الاخوان" في المدينة في أحد المشايخ كل اسبوع مرة، وبعد إلقاء محاضرته يعلن اسم الشيخ المحاضر في الأسبوع الذي يليه وهكذا.

ومن المشايخ الذين داوموا على الحضور، أبو بكر الجزائري مسئول الجماعة الذي عينه ابن باز، والشيخ العامودي، والشيخ العشماوي، وشيخ يسمى بــ (عبد الفتاح) وغيرهم.

من جانب آخر قسم أفراد الجماعة في المدينة المنورة إلى أقسام، بعضهم كان مسئولاً عن الرحلات (وكان المرحوم جهيمان رئيس هذا القسم)، وقسم للتبليغ في القرى والأرياف، وقسم للضيوف، وقد استفاد الشيخ بن باز من موقعه في إقامة شبكة اتصالات مع أفراد في مدن مختلفة من البلاد، وكان هؤلاء هم رسل الجماعة، إضافة إلى أنه كان يرسل إلى (بيوت الأخوان) هناك، مشايخ لتوعيتهم في يومي الخميس والجمعة..

ومع أن بيوت "الاخوان" في مختلف المناطق والمدن لم تكن كثيرة جداً، إلا أنها كانت مقرات منظمة.. وقد ساعد قسم التبليغ على ربطها ببعضها، لأن أفراد هذا القسم انطلقوا إلى القرى المحيطة بالمدينة مثل (النخيل) وغيرها، وراحوا يروجون لأفكارهم وتصوراتهم..

ولم تكن مقرات "الاخوان" خالية طوال أيام الأسبوع، بل إنها كانت تمتلئ بالشباب من مختلف البلدان (اليمن ــ تونس ــ المغرب ــ مصر ــ الأردن)، وكان مجمل الحديث والنقاش يدور حول السيرة النبوية وتدارس القرآن، والتباحث في بعض المسائل الفقهية، لكنها لم تتطرق إلى أي من الأمور السياسية والأمراض الاجتماعية التي يعج بها المجتمع، إلا على يد المرحوم جهيمان، حيث انفصل بعدئذ وكون له جماعة خاصة به.

أما الدولة، فإنها لم تنظر إلى الدعوة في باديء الأمر كخطر محتمل يمكن أن يهددها في المستقبل، ولربما وجدت فيها أداة مساعدة على بث ما تريده، ومحاربة التيارات الفكرية الوافدة التي أتاحها عهد الانفتاح، خاصة وأن تأسيس الجماعة كان في خضم أزمة الصراع بين الملك سعود وأخيه فيصل، وبين سعود وجمال عبد الناصر، مما لم يتح لأحد أن يقيمها على حقيقتها، بيد أن الحكومة كانت تنظر إليها وإلى كل تحرك ديني آخر على أنه يصب في جدول أرباحها، ويدل في إطار صراعها مع الآخرين.

ولربما رأى الملك سعود أن رجال الدين يجب غض النظر عنهم، خاصة وأن سخطهم من تصرفاته وسلوكياته الفاسدة قد ظهر إلى السطح.. ثم إن قادة الجماعة مشايخ معرفون بولائهم للحكم السعودي، وأن اعتراضهم هو شكلي ولا يمس الجوهر، ونعني به أصل النظام القائم، فضلاً عن أن الجماعة بعيدة عن السياسة وأوضاع المجتمع.

وعلى العموم، قوبل إنشاء الجماعة بالترحيب من معظم الشخصيات الدينية النجدية، وكان المعارضون كثيرون ومن منطلق مذهبي أيضاً.. فمشايخ الحجاز رأوا فيها إحياء للفكر الوهابي، وضرباً للمذاهب الأخرى، والمعارضون لآل سعود، وجدوا فيها أداة إضافية لقهر المجتمع باسم الدين، لأن الدولة تستغلها لصالحها..

ولأن الجماعة نشأت تحت سمع وبصر الدولة فلم تلق معارضة منها، فقد انخرطت مجموعات كبيرة في صفوفها، حيث لم تكن هناك شروط للراغبين بالانضواء، سوى تسجيل الأسماء ودفع مبلغ صغير من المال إلى بيت "الاخوان"، وحتى هذا المبلغ لم يكن إلزاميا.

وبعد أن ثبتت الجماعة أقدامها، ورتبت بيوتها ــ بيوت الاحزان ــ وانطلق أفرادها إلى المناطق الأخرى (الأحساء ــ تبوك ــ أبها) وغيرها، عقدت تحالفاً وثيقاً بأهل السنة والجماعة، وهي جماعة نشأت في مصر، وأصدرت مجلة اسمها مجلة التوحيد، وكان "الاخوان" يوزعونها ويبيعونها في مقراتهم، بل إن بعض مشايخ أهل السنة والجماعة وقفوا معها أثناء تواجدهم للتدريس في الجامعة الاسلامية، كالشيخ سعد ندا، والشيخ

حسين الملا، إضافة إلى المشايخ الآخرين الذين كانوا في الجامعة الاسلامية (أبو بكر الجزائري ــ رئيس الجماعة) و (الشيخ العامدي ــ مدرس في جامعة محمد بن سعود)، و(الشيخ محمد الأنصاري).

الانشقاق

كان آخر ما تصوره آل سعود أن تبنت جماعة معارضة في رحم الدعوة السلفية، تطالب بإزالتهم وتكفيرهم.. وكيف يكون ذلك وهم الذين يتبنون المذهب الوهابي ويدعون إليه، بل ويجيرون الآخرين على تبنيه والأخذ به!؟..

كيف يحدث ذلك والمشايخ معهم؟، كيف ينقلب السحر على الساحر هكذا بسرعة!؟

في أحد بيوت الجماعة في المدينة المنورة، كان المرحوم جهيمان العتيبي المسئول الأول عن قسم الرحلات، وكان ذا قدم سابق في الدعوة، وقد أنفق الكثير من أمواله وممتلكاته من أجلها.. وفي عام ١٩٧٦م اختلف مع المشايخ حول أمر واحد ومنه تفرعت بقية المسائل، إلا وهو (وجوب مقاومة الحكم السعودي) لأنه حكم قائم على الباطل.

أخذ جهيمان بإثارة الاشكالات حول الحكم السعودي في بيوت الاخوان بالمدينة المنورة، وبدأ بمسألة البنوك الربوية الحكومية والأهلية والأجنبية المنتشرة في البلاد، وقال إن هذا كفر صريح.. وتلاها بطرح مفاسد الأسرة الحاكمة وعدم حلية بيعتهم وتكفيرهم، ثم ناقش قضايا سياسية من منظار فقهي، وأثار قضية كبرى أزعجت الدولة حين قام بتشطيب صور الملوك على النقود بالحبر الأسود..

العلماء والمشايخ سكتوا عن جهيمان في البداية لسببين:

الأول: أن ما يطرحه هو حق وواضح ولا يخالف معتقدهم.

وثانيا: لأن جهيمان ليس شخصاً عادياً، بل هو من أوائل السفليين الداعين لفكر الجماعة، وقد قدم عشرات الخدمات لها وأنفق مما عنده من أجل نموها.

لكن الأمور والاشكالات وصلت للدولة، فبدأت تحقق، وقامت بزرع جواسيسها في المقرات، وطالبت بن باز بردع جهيمان والدفاع عن الدولة وأفكارها، في الوقت الذي بدأ الانشقاق يتسع بين الأفراد، فهذا مؤيد وذاك معارض، وآخر انسحب من الساحة، ورابع متذبذب لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.. وهكذا.

الحكومة خافت أن تضرب جهيمان ومؤيديه بالقوة قبل أن تستحصل على فتوى من العلماء، أو على الأقل قبل أن تعزل جهيمان وتضع حداً لتأثيراته على بقية الأفراد.. وقد اعترفت السلطة على لسان وزير الداخلية بعد حادثة الحرم بأن الجماعة معروفة لدى الدولة، وأن الدولة عاملتهم بالحسنى هو لأن بعض المشايخ تدخلوا من أجلهم.. وهذا التدخل هو الذي دفع بوزير الاعلام أن يقول بعد الحادثة أن التصور الحكومي هو ان المشايخ قاموا بعمل (ما)!! مما يعطي انطباعا عاماً أن جماعة جهيمان كانت مؤيدة من قبل بعض المشايخ ــ أو لا أقل ــ كان المشايخ يتعاطفون مع أهدافها ولا يريدون لها سوءاً يأتيها من آل سعود.

هنا دعت الدولة إلى مناظرة جهيمان وجماعته، وجاءت ببعض المشايخ لكي يقنعوهم بعدم صوابية أفكارهم (المتطرفة!!).. حضر "الاخوان" ــ جماعة جهيمان ــ ويقال أن جهيمان لم يكن بين الحضور.. فطرحوا إشكالاتهم واحداً واحداً، فما استطاع العلماء إلا لفلفة الأمور..

قالت الجماعة للمشايخ ــ وكان على رأسهم بن باز ــ إن البيعة لا تجوز لآل سعود، لأنهم ليسوا من قريش، ولأن سيرتهم تخالف الاسلام، ولأن بيعتهم كانت بالجبر والقهر.. فرد العلماء بأن الدولة السعودية أفضل من غيرها، ولا زال فيها بعض الخير، ولا يمكن مقارنتها بالدولة العربية الفلانية أو العلانية.. وأضافوا بأن الشيوعية سوف تسحق الاسلام إذا سقطت هذه الدولة في براثنها، وأن معارضتها تؤدي إلى ذلك!!

بالطبع هذا الجواب لا يقنع حتى الاطفال، وهذا هو الذي حدا بجهيمان أن يكتب في إحدى كراساته ساخراً حول هذه المسألة.. فحين يطالب بالحكم الاسلامي وإسقاط الدولة السعودية، لوحوا له بخطر الشيوعية!

مسألة البنوك طرحت على بساط البحث، حيث أبدى أفراد الجماعة استنكارهم للربا الذي تتعامل به البنوك، فرد العلماء بأن البنوك لا تتعامل به صراحة، وإن كانت الفائدة في مقام الربا، لكن هذا ليس خطأ آل سعود وحدهم، وإنما العالم الاسلامي جميعه، لأن البديل الاسلامي غير موجود، وكل العالم يتعامل بغيره.. فردوا بأن المسألة تتعلق ببلادنا أكثر من غيرها، لأن الدولة ترفع شعار الاسلام وحماية الحرمين ثم تتعامل ببنوك ربوية، وتسمح للبنوك الأجنبية بالتعامل ذاته، وأن بلادنا تختلف عن بقية البلاد، وإذا كان مثل هذا الأمر مقبولاً في بلاد أخرى، فهو هنا ليس مقبولا، ونحن لا نقبل بتجاوز الشرع تحت أي ذريعة.

وأثيرت مسألة تشطيب أفراد الجماعة على الصور، فأجاب أحدهم بصراحة بأن التصوير (حرام!!) والصور التي تطرح على النقود مخالفة للشرع (حسب رؤية الوهابيين جميعهم)، ولهذا فإن إزالة المنكر واجبة، فرد عليهم العلماء بأن كلامهم صحيح وأن الصور حرام، لكن التشطيب بالحبر الأسود أمر يمس الدولة وأمنها، وفيه تجريح لأشخاص ــ اصحاب الصور ــ

ثم إن التشطيب يؤدي إلى بلبلة في المجتمع، ويدفع بآخرين إلى معارضة الدولة، فتسوء أحوال الرعية وتؤول مصالح الناس إلى الخراب والهاوية..

رد أحد أفراد الجماعة على المشايخ، بأن من واجبنا أن نشطب بالحبر على الصور، وهذا الواجب هو لمصلحة المسلمين حتى لا يعبد الناس أشخاصاً ويقدسونهم ويضعونهم بمنزلة الآلهة.. وأنه إذا كانت الدولة حريصة على أمنها، فلتلغ الصور، وكفى الله المؤمنين شر القتال!!

وهكذا لم يقنع العلماء الجماعة بهذه النقطة أيضاً..

طالت الجلسة دون أن يستطيع المشايخ من إقناع أفراد الجماعة، وحين شارفت النهاية بادرهم أحد المشايخ قائلا بأن معارضتكم للدولة فيها إساءة للدعوة، لأنها الآن تكتسح الساحة، وبعلمكم هذا سينفض الناس عنها، لأن الناس وجد فيها دعوة خير، ليس فيها سياسة، وأن الناس منذ أن عرفوا بأمركم باتوا يتهيبون من القدوم إلى بيوت "الاخوان".

وأضاف بأن الدولة فتحت عينيها، وهي لن تترك الأمور تمر بسهولة بعد الذي جرى، وأنتم تعلمون بأنها ستدس الجواسيس ليأتوها بالأخبار حفاظاً على أمنها، وعليه فإن كنتم حريصين على الدعوة، عودوا إلى ما كنتم فيه واتركوا التطرف.

عادت الأمور إلى ما كانت عليه فاتسع الانشقاق، والغريب أن المشايخ لم يفلحوا في الترقيع، لأن مطالب جهيمان واستشهاداته بالانحرافات الواضحة في المجتمع أججت مشاعر الكثيرين، فانضموا إليه، خصوصاً أولئك المتنورين من أساتذة وطلاب الجامعة الاسلامية الذين تركوا مواقعهم والتحقوا به في الصحراء، وهناك تدربوا على السلاح وتفرقوا لجميع الأنصار في المدن الأخرى من البلاد، إلى أن ثاروا عام ١٩٧٩م.

الآن، وبعد أن قضي على انتفاضة الحرم، طرح المعارضون لجهيمان والمؤيدون للدولة وآل سعود، بعض الاشكالات على تحركه فقالوا (هذه المعلومات والتي سبقتها، استقيت من أفراد مسئولين في جماعة الدعوة المحتسبة):

لما كان جهيمان مسئولاً عن قسم الرحلات التي ينظمها، كانت تعترض المشاركين في الرحلات بعض المسائل الفقهية، ولما كان المشايخ غائبين، فإن جهيمان ــ وحسب اجتهاده ــ يجيب عليها، على اعتبار أنه إذا اجتهد فأخطأ له أجر، وإذا اصاب فله أجران.. وهذا القول الذي نذكره هنا لمصادر معارضة لجهيمان من الجماعة نفسها ولا نعلم بصحتها من خطئها.. والاشكال الذي طرح هو أن جهيمان اعتبر نفسه في مقام المشايخ، واعترض عليه بانه مهما كان فهمه وعلمه لابد أن يرجع في القضايا الفقهية إلى المشايخ أنفسهم..

طبعاً هذه مسألة طارئة ــ كما يقول المعارضون ــ لكن الأهم من الاجتهاد الفقهي ــ حسب قولهم ــ هو الاجتهاد السياسي وتكفيره للدولة ولآل سعود.. والمشايخ كان من السهل عليهم إقناعه في القضايا الفقهية التي يقولون أنه خطيء باجتهاده فيها، لكنهم لا يقدرون على إقناعه بعدم معارضته للدولة، سيما وأنه اعتبر آل سعود صريحين بكفرهم وفسوقهم..

قال له العلماء أنهم لم يأتوا بكفر بواح ــ حسب الحديث الشريف ــ فيلزم طاعتهم، فأجابهم بأن كفرهم واضح كوضوح الشمس، وأنه لن ينتظر منهم أن يعلقوا يافطة ويعلنوا خروجهم عن الدين، لأنهم لن يفعلوا ذلك!

دعوهخ أن يأتي ويناقش، وأن لا يتخفى في البوادي، وأن يقنع الدولة بحجته، فأجابهم بأنه يعرف من تاريخ آل سعود أنهم يحبون الناصحين بل يقتلونهم بشبة تسكت الأرنب (الرعية!!)!، وأنه إن أتى فإن المطلوب منه أن يؤيد آل سعود أو يزجوا به في السجن، وقد كرر جوابه هذا في إحدى كراساته (الامارة والبيعة والطاعة) فقال ما نصه: (هذه القواعد الثلاث هي التي يتخذونها مع أهل العلم والدين، وهي أن توافقهم، أو تسكت عنهم، أو يقتلونك.. وهذه هي الأسباب التي حملتني على أن أواجههم، وأبين لهم الحق، لأني عرفت ما عندهم في من خالفهم ــ ويلمح جهيمان هنا للأخوان الأوائل الذين قتلهم عبد العزيز ــ، وأنهم لا يحبون الناصحين، بل يقتلونهم، وأنا لا أريد قربهم، ولا أريد السكوت عنهم وعن الحق، فلم يبق إلا الثالثة)..

قالوا له إن العمل بالخفاء والسرية هو (نفاق)، لانه إظهار شيء للناس، وإخفاء شيء آخر، فأجابهم بأن هذا ليس نفاقاً وليس جبنا، وأن الرسول هو أول من عمل بالسر ثلاث سنوات في مكة، حتى إذا قويت شوكته أعلن حربه على عقيدة الكفار..

وأوضح مضمون هذا القول في رسالة (الامارة والبيعة والطاعة) فقال ما نصه: (فافهم ولا تنخدع بحملة الفقه، وبمن يأخذ بجانب واحد من الكتاب والسنة، ويقول هذا من الجبن والخوف والذل، مع أنك تعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم اختفى في الغار لما عزموا على قتله)!!

وكرر ذات المسألة في ختام إحدى رسائله (الميزان في حياة الانسان) حيث جاء بقصيدة شعبية صاغها، يوضح فيها أن الرسول بقي فترة في الغار، يقول في القصيدة:

يـــارب ثبتنـــا بعـــد حـــادث صـــار
نقـــول بالحجـــة بغيـــر ارتعاشـــي
ويارب تنصرنا علـــى حـــزب الاشـــرار
اللـــي تحـــزبهم مـــن أجـــل المعاشـــي
تشـــبهوا بـــالكفر فـــي كـــل الأقطـــار
ويبغوا رجـــال الـــدين مثـــل الكباشـــي
هم يحسبون الدين بـــه قطـــف الأثمـــار
وملاعبـــة مـــن يلـــبس الغواشـــي
لابـــد والله نبـــدل الـــدار بالـــدار
وقـــدمنا جعفـــر نقـــل للنجاشـــي
وقدمنا الرسول أخذ وقـــت فـــي الغـــار
وفي شعب أبي طالب على الجوع عاشي
ومـــن بعـــدها لابـــدنا نشـــعل النـــار
مـــاتظهر الســـنة طيـــور الخشاشـــي

سألوه عن تحريم الوظائف الحكومية، فقال إن الوظائف الحكومية ا لتي تقوي من قبضة الحاكم الظالم كالعمل في المباحث وغيرها حرام: (إن هذا القول هو الذي كنت أقول به من قبل ويعكسه بعض الناس فيقول هو يحرم الوظائف، فعفا الله عنا وعنهم، ونرجو أن تكون عاقبتنا وإياهم كيوسف وإخوته)..

ويلاحظ هنا أن رسائل جهيمان تحوي الكثير من الردود على اتهامات السلطة وأذنابها ومؤيديها.. مع العلم أن جهيمان طلب من جماعته "اعتزال" العمل الحكومي وأورد في رسالته (دعوة الاخوان.. كيف بدأت وإلى أين تسير) مجموعة من الأحاديث النبوية التي تطالب باعتزال العمل عند الحاكم غير الشرعي والظالم، منها:

١) عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"ليأتين عليكم أمراء يقربون شرار الناس ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فمن أدرك ذلك منهم فلا يكون عريفاً ولا شرطياً ولا جابياً ولا خازناً".

رواه ابن ماجه وسنده صحيح.

٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيباً، فكان من خطبته أن قال:

"ألا إني أوشك أن أدعى فأجيب، فيليكم عمال بعدي يقولون ما يعلمون، ويعملون بما يعرفون، وطاعة أولئك طاعة، فتلبثون كذلك دهراً، ثم يليكم عمال من بعدهم يقولون ما لا يعملون، ويعملون بما لا يعرفون، فمن ناصحهم ووازرهم وشد على أعضادهم، فأولئك قد هلكوا وأهلكوا، خالطوهم بأجسادكم، وزايلوهم بأعمالكم، واشهدوا على المحسن بأنه محسن، وعلى المسيء بأنه مسيء".

(رواه الطبراني والبيهقي وهو حديث صحيح).

على اية حال، كان من الاشكالات التي واجهها جهيمان، أنه متعصب لرأيه، ولا يقبل رأي غيره حتى ولو كان ذلك واضحاً، ويستدل المعارضون بأن الشيخ بن باز حين ناقشهم أبدوا اقتناعهم ثم نكصوا على اعقابهم، لكن الحقيقة أنهم لم يقتنعوا ولم ينكصوا، ولذا ترى جهيمان يقول حول مسألة تعصبه: (نشهد الله وملائكته وعباده المؤمنين على أن نقبل الحق ممن جاء به ولو خالف آرائنا وأهواءنا وما نشأنا عليه)

"رسالة الميزان لحياة الانسان"..

ومن الاشكالات أنه بايع الملك خالد بالحكم، فلماذا يخرج على بيعته ويموت ميتة جاهلية؟، ويفرق وحدة المسلمين؟!!

أجاب جهيمان بأنه لم يبايع، وأنه حتى لو بايع، فانها بيعة قهر وجبر، ومع هذا يحق له بأن يعترض الامام الشرعي، فكيف به أن يكون ملكاً منحرفاً؟!..

ومن ضمن من أوضحه في إحدى رسائله: (إن هذا فيما إذا بايع المسلمون كلهم إماماً، فمن فارق جماعتهم ولم يبايع مات ميتة الجاهلية، أما إذا لم يكن لهم إمام، فلا ينطبق هذا الوعيد، ويدلل على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم، أرشد حذيفة عند وجود الجماعة والامام بأن يعتزل، فهل ترى أن النبي يرشد حذيفة لأن يموت ميتة جاهلية؟)..

ورغم هذا الكم الهائل من الاشكالات والاجابات المضادة، استطاع جهيمان أن يشكل خلايا، ويؤسس بيوتا للأخوان في مناطق عديدة كالاحساء والرياض والمدينة وجدة وتبوك وغيرها.. وانضم إليه عشرات من طلاب وأساتذة الجامعة الاسلامية، وكان من بين الاساتذة (سويد بن عقاب العتيبي ويحمل شهادة الماجستير، وكان حتى نهاية عام "١٤٠٣هـ" معتقلاً ــ على حد علمنا ــ، وسليمان بن اشتيوي، اعتقل ثم اطلق سراحه بعد أكثر من سنة، والشيخ المزروعي الذي اعتقل ثم أخرج من الجامعة، وكذلك انضم إليه عدد من المعيدين وعدد كبير من أبناء مدينته "ساجر" في نجد وقبيلته عتيبة، وهؤلاء يكرهون السلطة التي فتكت بأجدادهم في واقعة السبلة)..

وقد لاحظ العالم أن أفراداً من مختلف الجنسيات شاركوا في عملية الحرم وأعدموا بعدئذ أو قتلوا داخل الحرم، وهذا يدل على أن جهيمان تجاوز الطرح الاقليمي والقومي.

ومن الواضح أن الفكر التغييري الذي تبناه جهيمان ــ رغم سلفيته ــ يرجع على ارتباطه العاطفي والنسبي إلى (الاخوان) الأوائل الذين بنوا الدولة السعودية وكان نصيبهم الاعدام.. ونعود فنؤكد هنا أن الاختلاف بين جهيمان وجماعة الدعوة المحتسبة التي خرج من رحمها معارضاً لآل سعود، هو اختلاف في شيء واحد وهو معارضة الدولة السعودية فقط!، أما بقية المسائل فهو يتوافق معهم تقريباً، عداً مسألة المهدي.. ومسألة المهدي يعترف بها السلفيون جميعاً، إلا أن التخصيص الذي طرحه جهيمان هو مثار الاختلاف، وقد اعتبروا ذلك بدعة وخرافة.

هذا ما أردنا إيضاحه حول هوية الجماعة التي اعتصمت في الحرم.

(الفصل الثاني)

أهداف المعتصمين في الحرم

والآن، وبعد أن أوضحان حقيقة القائمين بالاعتصام، ننتقل إلى فقرة أخرى لنلقي مزيداً من الضوء على الأهداف الحقيقية وراء العملية.. إذ أن من الطبيعي أن عملاً ضخماً كالذي تم في الحرم، لابد وأن تكون له أهداف بحجمه..

غير أن المسئولين السعوديين يضحكون على أنفسهم قبل أن يضحكوا على الرأي العام حين ينفون أنه ليست هناك أية أهداف سياسية، أو أنه ليست هناك أهداف مطلقاً، أو أ ن الهدف فقط هو مبايعة المهدي.

لم يعلن أقطاب الأسرة الحاكمة في تصريحاتهم وبياناتهم الرسمية عن أهداف الجماعة إلا بعد (٤٨) ساعة على الأقل من وقوع الحادث، اللهم إلا إذا كان ما أشار إليه بيان الداخلية الأول حول مبايعة المهدي قصد منه كهدف.

بعد أربعة أيام قال وزير القمع السعودي: (إن الحادث أبعد ما يكون عن أي مضمون سياسي)[١].. وصرح (فهد) بأنه (ليس للجماعة أهداف ومطالب عدا المهدي المنتظر، وأن المسألة لا تعدو كونها أحلاما وكلام فاضي!!)[٢]، وسبق وزير الخارجية الجميع حين صرح بأنه (ليس لهم أية انتماءات سياسية، ولذلك لا يمكن القول أنهم موجهون من أي دولة، أو أن لهم أية ارتباطات سياسية مع دولة أخرى، كما أنه لا يمكن تصنيفهم سوى أنهم مجموعة من المهووسين.. وأن القضية لايمكن أن تحتسب بأنها سياسية)[٣].. وقال عنهم أمير الرياض سلمان، بأنهم (أشخاص اتحدوا ضمن هدف شرير ليس إلا)[٤]، وعاد وزير الداخلية مرة أخرى فقال:

---

[1] ــ جريدة الرياض ١٩٧٩/١١/٢٣م.

[2] ــ السفير ١٩٧٩/١٢/١٠م.

[3] ــ صحيفة الجزيرة السعودية ١٩٧٩/١١/٢٢م.

[4] ــ الرياض ١٩٧٩/١٢/٩م.

(إنهم لم يرفعوا أي شعار سياسي، ولم يطالبوا بقطع البترول عن الولايات المتحدة)[1]، في الوقت الذي أكدت فيه كل صحافة العالم، أن الحادث لا يمكن فصله عن السياسة، كما لايمكن تجريد العملية من الأ هداف السياسية..

غير أن نايف وإخوته ومنهم فهد، الملك الحالي أبوا إلا أن يؤكدوا على أن الثوار (قاتلوا من أجل تحقيق البيعة للمهدي وحسب)[2].. كما قال فهد..

وصرح وزير الداخلية لصحيفة (الجزيرة) بعد أكثر من أسبوعين من العملية، بأنه (ليس هناك أية مطالب أو أهداف للفئة الباغية، عدا ترويع المؤمنين الأمنين، وسفك دماء الأبرياء، وتتويج أحدهم مهدياً خروجاً على الدين الاسلامي[3]..

وبعد أكثر من خمسة أسابيع، عقد نايف مؤتمراً صحفياً بتاريخ (١٣/١/١٩٨٠)، أجاب فيه على سؤال لأحد المراسلين حول الأهداف، هل كانت احتجاجاً على علاقات آل سعود بأميركا؟، أو على الاذاعة والتلفاز؟، قال نايف (أبداً، الواقع عندما كان أفراد الطغمة الخارجة في الحرم، لم يكن هناك شيء غير ما أذيع وما سجل عنهم، وهو اعتقادهم بالمهدي! وأنهم يجب أن يقاتلوا في الحرم.. أما ما قيل عن الراديو والتلفزيون فقد وجد في بعض نشراتهم السابقة ما يقول أنهم يحرمون هذه الأشياء.. أما ما يتعلق بالبترول فلم نسمع شيئاً عنه)..

وقبل هذا التصريح بثلاثة أيام أدلى نايف في مقابلة له مع جريدة (السفير) بقوله (لقد انتظرنا حتى تمكن بعض المصلين من الخروج من الحرم وحصنا على المعلومات الأولية، وعلى مطالب المسلحين الذين ما أرادوا شيئاً من ال دولة، بل هدفوا إلى مبايعة من سموه المهدي المنتظر)[4]..

لقد بات مؤكداً لدى جميع صحف العالم ووكالات الأنباء أن هناك مطالب سياسية للجماعة، فقد أكد مراسل وكالة الأنباء الفرنسية في جدة (بأنه أصبح من المؤكد أن هناك أهدافا سياسية للمتمردين)[5].. وشككت جريدة النهار بأقوال المسئولين السعوديين فقالت (باتت النظرية الرسمية القائلة أن عملية مكة بعيدة عن أي دوافع سياسية، موضع تشكيك لدى الأوساط المطلعة في جدة)، وأضافت نقلا عن صحيفة الواشنطن بوست الأميركية (ن الهجوم المسلح على المسجد الحرام يعتبر تحديا مباشرا للحكومة السعودية ولحقها في الحكم، ومن الصعب ارتكاب خطأ أكبر من اعتبار الحادث حلقة معزولة من الهستيريا الظلامية تنتهي بعودة الأمن)[6].. ثم كررت الصحيفة مضمون هذا القول بعد مدة فقالت (إن أهداف حركة الحرم الشريف، صورت ظهور للمهدي المنتظر، ولكن الأهداف السياسية لم تغب عنها)[7]..

---

[1] ــ السفير ١٩٧٩/١١/٢٦م.

[2] ــ الوطن الكويتية ١٤٠٠/٢/٢٣هـ.

[3] ــ الجزيرة ١٩٧٩/١٢/٦م.

[4] ــ السفير ١٩٨٠/١/١٠م.

[5] ــ الرأي العام ١٩٧٩/١١/٢٨م.

[6] ــ النهار ١٩٧٩/١١/٣٠م.

[7] ــ النهار ١٩٧٩/١٢/٢٣م.

والطريف أن مصدراً سعوديا مسئولاً صرح لمجلة (نيوزويك) الأميركية (أن هدف الجماعة التي احتلت المسجد الحرام، كان بث القلاقل وعدد الاستقرار في الجزيرة العربية)[1]، وربما تصور جهابذة الحكم السعودي أن الهدف هذا لا يعتبر سياسياً أيضا!

والأكثر طرافة ما ذكرته إحدى الصحف الكويتية حول مطالب الجماعة، التي قالت أنهم (طالبوا بمنع التلفزيون وكرة القدم على أساس أن ذلك رجس من عمل الشيطان، كما طالبوا بخلع الملك، وعدم إحلال بيعته على أساس أن أهل النظام شياطين، وليس على اساس مطالب سياسية)[2]، فتبين ــ عزيزي القاريء ــ كيف أصبح هدف خلع الملك غير سياسي بنظر الصحافة المتعاطفة مع الحكم السعودي، فهل هذه الصحافة يمكن الوثوق بها؟، وأقصد الصحافة العربية التي تتعاطف في معظمها مع آل سعود.

مجلة الحوادث، التي كانت أثناء الأحداث وبقلم رئيس تحريرها السابق سليم اللوزي، تنقل بحرص وبخبث التوجهات الحكومية السعودية، هذه المجلة قالت عن الأهداف من خلال استعراض للمباديء المزعومة للجماعة كالتالي (إن أسماءهم معروفة لدى دوائر الأمن، خاصة بعدما وزعوا خلال الحج منشورات تعبر عن مبادئهم.. وهي المباديء التي تقول بالعودة إلى الماضي، وبوجوب التخلص من الحضارة الجديدة، والعمران والرفاهية، بحيث نسي المسلم المؤمن ــ حب زعمهم ــ ما أوصى به الدين.

ولقد عالجت السلطة يومها اعتراضاتهم بالفهم والمسامحة، على اعتبار أن هناك دائما فئات متعصبة، كان تعترض على سياسة الأخذ بأسباب التقدم والأشياء الحديثة، ومنه الاعتراض على إدخال التلفزيون إلى الحياة السعودية، إضافة إلى التصدي لبرنامج المداس المختلطة، ومحاولة وقف البث الاذاعي، لان هناك أصواتاً نسائية تخرج من الراديو.

ولكن اعتراضاتهم لم تكن بواسطة العنف، وإنما اتخذت اشكالا لا مسالمة، كالشكوى للأمير سلمان، أو تدبيج خطاب احتجاج للملك أو الأمير فهد والأمير نايف)..

وأضافت المجلة ــ الحوادث ــ أن أفراد الجماعة (سلفيون.. وهم فئة انبثقت خارج المملكة وضمت عدداً قليلاً من الشبان والطلاب المتزمتين، وهي تدعوة إلى الأخذ بأصول السلف، كاستخدام الحصان والجمل بدلا من السيارة والطائرة.. والعيش في الخيام بدلاً من القصور، وأكل التمر بدلا من اللحوم، والطريف أنهم أدخلوا التمور معهم إلى المسجد باعتبارها غذاءاً كاملا.. ولقد وضعوها مع الأسلحة في السيارات التي تحمل اسم شركة سعودية متعهدة لتأمين الأكل، ثم تسللوا بها إلى العنابر المخصصة لتخزين المؤونة في الطبقة السفلى)[3]..

إن ما قالته (الحوادث) يشكل في الواقع إدانة للحكم السعودي قبل غيره، فالاعتراضات قدمت للمسئولين قبل الانتفاضة، كان التلفزيون والراديو والدراسة المختلطة وغيرها جزء من أهدافها، لكنها لم تكن كلها.. والاعتراض على التلفزيون والراديو ليس بسبب عداء المعتصمين للحضارة كما زعم الاعلام السعودي

---

[1] ــ مجلة نيوزويك ١٩٧٩/١٢/١٧م.

[2] ــ صحيفة الأنباء الكويتية ١٩٧٩/١٢/١١م.

[3] ــ الحوادث ١٩٧٩/١٢/٧م.

وغيره، وإنما بسبب ما يحدثانه من فساد داخل أوساط المجتمع، وما يبثانه من مفاهيم تناقض المسلمات الاسلامية، فالاعتراض كان على الأفلام الفاسدة والأغاني الماجنة، والأفكار الغربية وغيرها.. وأي مسلم حقيقي يعترض على هذا الهدف.

أما أنهم يستخدمون الحصان بدل السيارة، ويأكلون التمر بدل اللحم، ويفضلون الخيام على المنازل، فهذا الكلام غير معقول وغير صحيح، وهو تهريج واضح.. ولا أدلك على ذلك أن الحوادث ناقضت نفسها حين قالت بأن المتمردين استخدموا سيارات شحنوا فيها التمر.. كما نسيت الحوادث ــ وقبلها ــ جريدة أحمد الجار الله (السياسة الكويتية)[1]. أن سكن المنازل لا تخالف ما سار عليه السلف، بل وحسب معلوماتنا المؤكدة، أن جهيمان تبرع بمنزل له يسكنه من أجل الدعوة.. وأما أكل اللحم فهو اختراع صحفي، فهل كان السلف الصالح لا يأكل لحماً.. أم ماذا؟، لقد اختير التمر ــ كما اعترفت الحوادث والمجلات والجرائد الأخرى ــ لأنه سهل التخزين، إضافة إلى قيمته الغذائية العالية..

وما نخلص إليه من خلال استعرضناه من أقوال المسئولين حول الأهداف، أ، السلطات السعودية استقرت على ثلاثة أمور:

١/ ليس للجماعة أية أهداف سياسية.

٢/ أن الهدف الوحيد هو مبايعة المهدي.

٣/ أن مطالبهم تتلخص في مناهضة التلفزيون والكرة والراديو.

وبمناقشة هذه الأمور الثلاثة يتضح لنا كذب وافتراء الأمراء السعوديين الحاكمين..

الأهداف السياسية:

كان الحرص الحكومي في نفي الأهداف السياسية للجماعة، واعتبارها جماعة ذات أهداف دينية مشوهة، واضحاً.. ومرد هذا الحرص هو أن النظام السعودي لا يعترف بأي معارضة سياسية، وهو يحاول دائما أن يرجع الخلاف إلى أرضية عقائدية.. فالمعارضة الوطنية التي كانت واضحة خلال الستينات ليست معارضة سياسية ــ بنظره ــ وإنما هي جماعات تنشر وباء الشيوعية والاشتراكية للقضاء على الاسلام الذي يدافع هو عنه..

فالذي قتل فيصل وهو الأمير (فيصل بن مساعد بن عبد العزيز) لم يكن هدفه سياسيا حينما مارس عملية الاغتيال، وإنما كان يهدف إلى القضاء على الاسلام، كما ذكرت السلطة في بيانها القاضي باعدامه..

والذين أعدموا في ساحات الرياض (السبعة عشر) في الستينات، لم يعدموا بحسب رأي آل سعود لأنهم استخدموا العنف ضد الحكومة، ولا لأنهم ينهجون خطاً سياسياً معاديا للنهج الأميركي الحكومي، وإنما وكما قال آل سعود ــ لأنهم أرادوا القضاء على دين محمد!

---

[1] ــ ذكرت جريدة السياسة ١٩٧٩/١١/٢٧م، أن (للمجموعة نظريات غريبة من ضمنها ان التفزيون حرام، وكذلك كل ما يرد فيه من برامج، ومثله في الحرمة الاذاعة والأغاني والسجائر، وكل أنواع الرفاهية البشرية.. وأن هم حلقات في بعض المساجد يطرحون فيها أشياء تدل على معارضة كاملة لكل أصول الدين السائدة)..

وهذا الأسلوب في التعامل مع المعارضة السياسية استخدمه آل سعود مع الأنظمة العربية المعارضة أيضاً، فقبل صلحهم مع عبد الناصر، كانوا يعتبرون الحرب السياسية معه ــ وحتى العسكرية ــ حربا بين الاسلام والكفر.. وتكررت المسألة مع ليبيا في أواخر السبعينات، وشنت السلطات السعودية حرباً إعلامياً أرجعت فيها الخلاف بين القذافي وفهد، إلى أنه خلاف بين الكفر والاسلام، بل وأوعزت السلطة إلى مشايخها لتصدير فتاوى بهذا المضمون..

ولكن.. بأي وسيلة سيخرج النظام السعودي من مأزقه، إذا كانت المعارضة السياسية إسلامية.. وتجر النظام إلى الصراع على الأرضية الدينية؟!

كل القيادات التي شاركت في عملية الحرم ــ والعديد من أفرادها هم من خريجي الجامعة الاسلامية ــ ويلقون تعاطفاً نسبياً من بعض رجال الدين، وأهدافهم لا يختلف عليها اثنان من المشايخ أنفسهم، والأوساط الشعبية المطلعة تشهد لهم باستقامتهم وإيمانهم..

فأي موقع حرج هذا الذي أوقع فيه النظام نفسه؟ هل يقول للعالم ــ وكالعادة ــ أنهم شيوعيون حمر، يريدون القضاء على الاسلام؟.. هل يقول أن هؤلاء جاؤوا لاقتلاع آل سعود من جذورهم وإعادة الحكم إلى موضعه الذي يعتقدون أنه صحيحاً؟!

هنا أخرج النظام من دفاتره القديمة عبارات يستخدمها للطواريء، كلما أملت به وعدة سياسية معارضة.. فهو لا يريد أن يعترف بأن هناك من يعارض لدرجة حمل السلاح، ولا يريد أن يقول بأن الدافع ديني ومن أجل الدين، لأنه يعتبر نفسه المدافع الأول عنه.. ولهذا ظهرت عبارات (الخوارج) (والمتطرفين) (والمهووسين) (وأعداء التقدم) ليطلقهاعليهم، وهي ذات العبارات التي أطلقها كبير آل سعود ومؤسس دولتهم الملك عبد العزيز، وها هم أبناؤه يسيرون على نهجه.

إن الشيء الذي لا يختلف عليه اثنان ممن تابع نشأة الجماعة وأفكارها، هو أنها معارضة للحكم السعودي ونهجه الفاسد في الصميم.. فهي جماعة متدينة تريد تطبيق الاسلام، وقطع دابر التغريب، والارتباط بالغرب، والقضاء على كل الأفكار والشوائب التي يبثها النظام في القاعدة الشعبية عبر مدارسه وجامعاته وإعلامه.

وأهم أمر أعلن هو عدم اعترافها بشرعية الحكم السعودي، وهذا ما نلمسه من خلال الكراسات التي كتبها جهيمان العتيبي، القائد الفعلي للجماعة، وهذه الكراسات تنضح بمعاداتها للحكم السعودي، بل إن جهيمان أوضح في بعضها أن الكثير من المشايخ المرتبطين بأذيال آل سعود، عادوهم لأنهم ضدهم.. والأكبر من هذا أن جهيمان عرض رسائله على الشيخ (عبد العزيز بن باز) وهو أكبر رجل دين في الدولة وله كلمته المسموعة، فما اعترض على نقده وأفكاره، سوى تخصيص هذا النقد في آل سعود.. فهل يحق لآل سعود ــ بعدها ــ الزعم بأن الجماعة لم تقم بحركتها من منطلق سياسي؟، وأن ليس لها أهدافاً سياسية؟!

إن هذا التصرف السعودي لا ينم إلى عن جهالة وتخبط، خاصة إذا ما عرفنا أن الجماعة وزعت كراساتها على أكبر عدد ممكن من الحجاج أثناء الحج، بل إن مثل هذه الكراسات وزعت في دول الخليج منذ زمن، كالكويت وغيرها.. هذا إضافة إلى أن نايف، وزير القمع السعودي وأجهزته، اعترفوا بأن للجماعة منشورات، وأن أجهزته حصلت على نسخ منها، فلماذا لم يوضح هو أو أي من إخوته ماذا بها؟، مع العلم

أن العديد من الصحف الخليجية نشرت فقرات مطولة منها تنم على معارضة واضحة لآل سعود.. بل إن مجلة الحوادث نشرت صورة لبعض هذه الرسائل.

ماذا يقول جهيمان في رسائله؟

إنه يقول: لا للارتباط بالغرب وموالاة النصارى.. لا للحكم السعودي لأنه لم يقم على هدي من الشرع ولا يسير حسب أوامر الشرع، وبالتالي فلا طاعة له.

في كراس (دعوة الاخوان.. كيف بدأت وإلى أين تسير؟) قال فيما قال (وبعد هذا فارقنا أهل الوظائف والمتعلقين بأذيال الحكومة، وبقينا مع الحق ولكنه غريب، إذا فنحن معه غرباء وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء".. فانك ترى أن الاخوان المتجردين للسنة حينما وصلوا إلى هذه الحالة، لم يبق لهم مناصر، لا من الحكومة، ولا من المشايخ، ولا من الجماعات الأخرى.. فإن كل صاحب باطل قد ناصبهم العداء، وأنت ترى أنهم ــ أي الاخوان ــ يتبرأون من الحكومة وتلبيسها، ومن المشايخ ومداهنتهم، ومن الجماعات المختلفة وأخطائهم، فلم يبق إلا رب العالمين..)

ويضيف:

(والذين كبرت عليهم دعوتنا وآذتهم كثيراً هم المشايخ، الذين يفتون الناس بغير دليل من الكتاب والسنة، فاذا سئلوا عن الدليل تبين للناس جهلهم وضلالهم.. ولذلك فهم أكثر من تعرض للاخوان وحذر الناس منهم، والصقوا بهم كل تهمة وكل شبهة، حتى لبسوا على عامة المسلمين.. ولا تستغرب، فقد وضعوا أحدهم مراقباً على الاخوان في الرياض حينما فتحوا بيتاً يجتمعون فيه، يعني "مباحث"، وهو الشيخ صالح بن سعد اللحيدان. الموظف بمعهد إمام الدعوة.. وساروا في معاداة الاخوان بين صاحب قصد سيء متكبر عن الانقياد للحق، وبين جاهل يستمع أقوال الناس ولا يتبين)..

وبعد أن يعدد المرحوم جهيمان مواقف المشايخ، يعود فيذكر أن الشيخ بن باز يوافقهم في أفكارهم، ولا يوافقهم في انتقاداتهم لسياسة آل سعود.. يقول: (وأنا أعلم أن العالم المتجرد للسنة قليل من العلماء (وأنا أعلم أن العالم المتجرد للسنة قليل من العلماء المشهورين بين الناس، فإن بعضهم ولو عمل بها، لا يقول بها، ولا يدعو إليها، وكنت أعلم رجلين هما اللذان يهتمان بالسنة وعندهم علم، وهما الشيخ "بديع" حفظه الله، والشيخ "عبد العزيز بن باز" عافاه الله، فليطمئن بعض إخواننا أننا قد عرضنا عليهما رسالة "رفع الالتباس" فلم يذكرا فيها شيئا، ثم قرأ بعض الاخوان "السبع الرسائل" و "نصيحة الاخوان" على الشيخ عبد العزيز بن باز، فما أنكر شيئا إلى التخصيص على هذه الدولة ــ السعودية ــ بالذات ونحو ذلك.. فلم نوافقه عليه لاعتقادنا أنه حق يزول به اللبس عن كثير من الناس)..

وفي رسالة (الامارة والبيعة والطاعة، وكشف تلبيس الحكام على طلبة العلوم والعوام) هجوم صريح على الحكم الملكي السعودي، وكيف أنه حكم مخالف للشرع، ولم يقم باختيار المسلمين ورضاهم.. فجهيمان يصفه بقوله.. (واليوم إن ما يحكم المسلمين الملك الجبري الذي ليس مبنياً على البيعة، وقد خالف شرع الله في عدة أمور منها:

أولا: أن الحكام فيه ليسوا من قريش.

ثانيا: أنهم لا يقيمون الدين، بل يهدمونه ويحاربون أهله.

ثالثا: أنهم لا يأخذون البيعة من رعيتهم بصفقة اليد وثمرة القلب وطوعه واختياره، بل بالجبر والقهر..)

ويضيف:

(فأنت تعلم أن الطاعة لا تجب إلى لمن يقودنا بكتاب الله، أما من يقود المسلمين بالأنظمة المختلفة والقوانين، ولا يأخذ من الدين إلا ما وافق هواه، فهذا لا سمع له ولا طاعة، وقد عرفت بطلان بيعته فيما تقدم، والوعيد على من خرج من الطاعة، هو على من دخل في الطاعة ثم خرج منها، فأما من لم يبايع ولم تجب عليه طاعة أصلا، فهذا لم يخرج من طاعة..

وإذا نظرت اليوم في تطبيق هذا على الواقع، رأيت أننا نعيش اليوم في الملك الجبري، الذي ليس المسلمون فيه يختارون الخليفة، وإنما هو الذي يفرض نفسه عليهم ثم يأتونه يبايعونه بيعة مجبورين عليها، ولا يترتب على عدم رضاهم بهذا الخليفة أن ينعزل.. كلا، بل الأمر جبري)..

فهل هناك أكثر صراحة من هذه الأقوال مخالفة للحكم السعودي من أساسه؟.

أو لا يعتبر رفض الحكم السعودي هدفاً سياسياً مقنعاً لأولئك الذين يفصلون بين الدين والسياسة كآل سعود؟!

وهذه فقرة أخرى اقتطفناها من كراسات المرحوم جهيمان تبين موقفه من آل سعود:

(فهؤلاء الحكام ليسوا أئمة، لأن إمامتهم للمسلمين باطلة، ومنكر يجب إنكاره، لأنهم لا يقيمون الدين، ولم يجتمع عليهم المسلمون، وإنما أصحب ملل سخروا المسلمين لمصالحهم، بل جعلوا الدين وسيلة لتحقيق مصالحهم الدنيوية، فعطلوا الجهاد، ووالوا النصارى، وجلبوا على المسلمين كل شر وفساد، نسأل الله أن يريح المسلمين منهم، ويجعل لهم من لدنه ولياً، ويجعل لهم من لدنه نصيراً)..

وهذه الفقرة الأخيرة وحدها تكفي للرد على مزاعم أمراء الأسرة السعودية الحاكمة.

وسائل الاعلام العالمية والأهداف السياسية

ذكرنا في الصفحات السابقة جانبا من أقوال الصحف والمراسلين الأجانب حول ا÷داف الجماعة التي اعتصمت في الحرم من الناحية السياسية، وها نحن ننقل فقرات أخرى مما ذكرته الوسائل الاعلامية التي هي في معظمها متعاطفة مع الحكم السعودي، والتي نشرت أكثر من مرة على صفحاتها أقوال المسئولين السعوديين، نافية وجود أي أهداف سياسية للجماعة.

* قالت جريدة الأنباء الكويتية بتاريخ "١٩٧٩/١١/٢٣م":

(ذكرت أنباء جدة أنه على الرغم من أن المجموعة المارقة لم تعرف أهدافها من خلال العملية الاجرامية، إلا أن بعض المصادر ذكرت أن هؤلاء قدموا المطالب الآتية:

قطع النفط عن الولايات المتحدة، والاعتراف بالمهدي المنتظر، ومقابلة الملك خالد والأمير فهد)..

* قالت جريدة النهار اللبنانية "١٩٧٩/١٢/١م" أن من بين مطالب الجماعة: (إلغاء الملكية، وانتخاب إمام المسلمين، والعودة إلى الحجاب الكامل للنساء، وإلغاء تعليم النساء، ومنع أجهزة الفيديو، علما أن هذه الأجهزة والأفلام التابعة لها محظورة رسميا في السعودية، وإن كانت السلطات تبدي تساهلاً في مكافحة انتشارها)[١]..

* ونقلت جريدة النهار عن مجلة نيوزويك قولها: (إن العاهل السعودي كان ينوي زيارة المسجد الحرام يوم الهجوم، لكنه أرجأ هذه الزيارة لاصابته بوعكة.. ونسب كبير محرري المجلة "أرنودو شغريف" روايته، هذه إلى مصادر الاستخبارات الأوروبية الغربية، موضحاً أن المهاجمين كانوا ينوون الاحتفاظ بالملك خالد إلى أن تتحقق مطالبهم التي هي، إقامة جمهورية إسلامية، وخفض الانتاج النفطي، والتخلي عن الروابط القائمة مع الغرب.. وذكر أن المهاجمين كانوا يتوقعون رفض مطالبهم، وفي هذه الحال كان سيحاكمون العاهل السعودي أمام محكمة ثورية)[٢]..

* ذكرت صحيفة "الغارديان" البريطانية بتاريخ "١٩٨٠/٢/٤م" مؤكدة على الأهداف السياسية: (يجب تفسير حوادث العنف في مكة على أنها تحد لسلطة العائلة المالكة وشرعيتها في ممارسة الحكم).. كما ذكرت النيوزويك الأميركية في "١٩٨٠/٢/٢١": (إن خطط المتمردين هي الاطاحة بالملك خالد والعائلة المالكة، لتأسيس حكومة إسلامية أكثر تشدداً من الحكومة الحالية)!!، وكانت النيوزويك قد قالت في وقت سابق بأن: (هناك دلائل تشير في مجملها على أن حادث مكة كان بداية لمحاولة انقلابية كادت أن تنجح)، ونقلت عن مصادر أوروبية قولها بأن: (الحادث كان جزءاً من جهود منظمة واسعة الانتشار كانت تهدف إلى إسقاط الحكومة السعودية)[٣]..

على أية حال، لقد تبين للرأي العام المحلي والعالمي، أن الاهداف السياسية لم تغب عن عملية الحرم، والتي هي في أساس أهداف دينية، إذ لا يمكن الفصل ــ بوجهة نظرنا وبوجهة نظر من قام بالعملية ــ بين الدين والسياسة..

المهدي ومبايعته

لقد حاول الاعلام السعودي أن يجعل من قضية المهدي المنتظر، القضية الرئيسية لانتفاضة الحرم، فقد كان يوجه الاذهان إلى أن مبايعة المهدي كانت الهدف الوحيد للثوار، كما أن فكرة المهدوية أصبحت الميدان الوحيد للتحليل والبحث عن وسائل الاعلام السعودي.. فكانت صحف النظام تطرح الفكرة بشكل رئيسي

---

[1] ــ أجهزة الفيديو لم تكن ممنوعة يوم قامت الانتفاضة وإلى الآن، وأشارت إحصائيات دولية، أن نسبة أجهزة الفيديو لعدد المواطنين في البلاد (السعودية) هي أعلى نسبة في العالم، وكانت جريدة الوطن الكويتية قد أشارت في عام ١٩٨٤م، إلى أن النسبة تزيد عن (٩٠٠) جهاز فيديو لكل ألف مواطن.. أما الأفلام المنتشرة فهل لا أخلاقية وجنسية في معظمها، والحكومة لا تشدد على منع دخولها.

[2] ــ جريدة النهار ١٩٧٩/١٢/١٧م.

[3] ــ نيوزويك ١٩٧٩/١٢/١٧م.

وباستمرار في صدر صفحاتها الأولى.. كما أن العلماء والخطباء المرتبطين بالسلطة ركزوا في أحاديثهم وخطبهم على هذا الموضوع بالذات، فبعضهم نفى الفكرة من أساسها واعتبرها من الخرافات، والبعض الآخر أبدى رؤى متناقضة حول من يكون المهدي؟!، وهل انه محمد بن عبد الله القحطاني الذي قالت به الجماعة أم لا؟!، وحاول الجميع ان يثبت أن المهدي ليس هو قطعاً..

والسؤال: لماذا اختارت أجهزة إعلام السلطة قضية وأكدت عليها، بينما تغافلت عن الأهداف المهمة والخطيرة الأخرى؟!

لقد أراد النظام ضرب عدة عصافير بحجر واحد:

فأولا: ليجرد عملية الحرم من أي طابع سياسي أو اجتماعي، وليضفي عليها طابعاً دينيا ذا أبعاد ضيقة..

وثانيا: ليفسح المجال لاشغال الرأي العام بقضية ثانوية عن مجمل القضايا المهمة الأخرى التي طرحتها الانتفاضة، والمتمثلة في جذورها ودوافعها السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

وثالثا: ليستثير المسلمين بطرحها، حيث أن المذاهب الاسلامية تختلف فيما بينها حول تفاصيل فكرة المهدوية، وأن تركيز الاعلام عليها، سيثير الاختلافات، ويعزل المنتفضين عن بقية المسلمين الذين لا يرون رأيهم في الموضوع.

وأيا تكن الآراء مختلفة حول فكرة "المهدوية" بين المسلمين، خصوصاً في تحديد إسم المهدي، فإن من الأمور القاطعة والمحسومة هي أن "الجماعة" تؤمن بفكرة المهدي، وتحدده في شخص محمد بن عبد الله القحطاني.. على اعتبار أنه قرشي، وأن اسمه كاسم النبي (محمد بن عبد الله)، ويبدو أيضا أن من الأمور المؤكدة هو أن، الجماعة أرادت مبايعة (المهدي) في الحرم الملكي وبالتوقيت الذي أرادوه وهو في مطلع العام الجديد من القرن الهجري الجديد.. ومن الأمور التي حسمت وأكدت هي أن الجماعة طلبت فعلاً من المصلين مبايعة المهدي كأمام لهم، وللمسلمين جميعاً.. إذ أن جهيمان وبعض القياديين في الجماعة ــ وهم قلة ــ اقتنعوا بأن القحطاني هو "المهدي" وأن الأوصاف التي ذكرتها الأحاديث المنقولة تنطبق عليه، لكن هؤلاء لم يعلنوا للعالم ولأفراد جماعتهم الذين هم في المراتب العادية أن هناك (مهدي) يجب مبايعته، وإنما دعوهم للاجتماع في الحرم، وهناك أعلن جهيمان أن هذا هو (المهدي) وقدمه الناس للتعرف عليه، موضحا الاوصاف المنطبقة عليه.

والشيء الذي يجب التأكيد عليه هنا، هو أن الجماعة لم تستخدم القوة وإجبار المصلين على المبايعة، لسبب واحد وبسيط هو أن هذا الأسلوب يخالف قناعاتهم، فإذا كان جهيمان ضد الحكم السعودي والملوك السعوديين لأنه يجيرون العامة على مبايعتهم قهراً، فالأولى به أن لا يستخدم هذا الأسلوب.. والسبب الآخر الذي يؤكد ما ذهبنا إليه، هو أن أي حاج من المصلين الذين حضروا الواقعة، لم يؤكد المزاعم السعودية حول إجبار المصلين على المبايعة، بل نفوها جملة وتفصيلاً..

والآن دعنا نستعرض هنا بعض الحقائق حول الموضوع:

أولا: إذا كانت عملية الحرك هدفها الوحيد مبايعة (المهدي) في الحرم ــ كما روجت السلطة السعودية ــ فلماذا لم يخرجوا من الحرم بعد انتهاء المبايعة؟!.. لماذا لم يخرجوا من الحرم مع أهليهم، ولماذا السلاح والرجال والمؤون؟!

ثانيا: لو كانت السلطة السعودية دقيقة في متابعتها (للجماعة) لأمكنها توقع شيء في الحرم أية لحظة.. ذلك إن احدى رسائل جهيمان خصصت لموضوع (المهدي) وخروجه (الفتن وأخبار المهدي والدجال ونزول عيسى عليه السلام وأشراط الساعة).. وهذه الرسالة تحول تصوراً كاملا لما يمكن حدوثه:

١/ فجهيمان وجماعته اندفعوا في مواجهة الحكم السعودي نظراً للانحراف الشديد في المسيرة، فضلا عن أن الحكم السعودي أبى أن يصلح الأوضاع سلما، وقد جربت الجماعة هذا الأسلوب، بالرسائل والبرقيات، والمناظرات مع المشايخ وغير ذلك..

٢/ والجماعة من جهة أخرى ترى أن الحكم السعودي غير شرعي، ويجب إزالته، خاصة وأن جهيمان يرى أن الحكم يجب أن يسلم إلى رجل من قريش، وآل سعود ليسوا كذلك، وهذا ما دعاه إلى إيجاد بديل للحكم وهو القرشي (القحطاني) الذي أعلن أنه المهدي.. هذا إضافة إلى أن جهيمان رأى أن آل سعود وملوكهم لا يجرون الأمور حسب الشرع، وأنهم أتوا على أسنة الرماح..

٣/ ورسالة جهيمان المذكورة وضعت النقاط على الحروف، فهي تصور الامر على أن (المهدي) سيخرج من مكة، ويكون القتال في الحرم بعد ان يهجم عليهم الجيش الغازي، وبعدها يخسف الله الأرض تحت أقدام الغزاة.. والطريف أنه تساءل في رسالته عن كنه هؤلاء، وأجاب الله أعلم!

أي انه ترك الأمر سراً، رغم أنه بيت النية للاعتصام في الحرم وهناك يعلن اسم (المهدي) وهناك أيضا يخسف الله بالجيش السعودي الذي يبدؤهم بالقتال..

٤/ اعتمد جهيمان على أحاديث تبين أنه في مطلع كل قرن يظهر مجدد للدين، وهذا هو سر توقيته للعملية، كما كانت فكرة المهدوية هي التي قادته إلى الاعتصام بالحرم، وليس كما ذكر أنه كان يريد إلقاء القبض على الملك هناك أو ما أشبه..

ثالثا: بغض النظر عن صحة أو خطأ قتل (المهدي) "محمد بن عبد الله القحطاني"، وبغض النظر عن ما أمله جهيمان من العملية خصوصا قضية الخسف بالجيش المعادي، فإن الأمر الذي لا يغيب عن بال المراقب، أن من أعلن أنه (المهدي) ثم تبين أن ليس كذلك كثيرون.. والقحطاني ليس أولهم.. فالاجتهادات لمختلف الفرق الاسلامية ولدت (مهديين) كثر، لن يكون آخر القحطاني، أو محمد بن عبد الله الذي أعلن نفسه مهدياً في السودان في النصف الثاني من القرن الماضي، والذي خلف جماعة كبيرة تحمل اسم الطائفة المهدية، والذين ينتمي إليهم الصادق المهدي زعيم حزب الأمة السوداني، وزعيم الطائفة أيضاً..

رابعا: إن محور عملية الحرم لم يرتكز على المطالبة بالمبايعة، رغم أنها كانت حلقة هامة فيها، فالهدف أساساً هو إسقاط النظام وفق الرؤية المذكورة (الخسف للجيش)، ومن ثم يأتي البديل للحكم وللأشخاص بعد مبايعة الناس، ويعين القحطاني الذي رشحه جهيمان ــ شرط أن ــ ترضى عنه العامة، وتبايعه بيعة كاملة بشروطها.

خامساً: كما أشرنا سابقاً أن جماعة جهيمان نشأت من رحم الجماعة السلفية، ولكنها تختلف عنها في انها معارضة للحكم السعودي، وأنها تؤمن بفكرة (المهدي) على النحو الذي طبقه جهيمان في الواقع..

والجماعة اكتسبت أفكار المعارضة من حركة (الاخوان) السلفية التي قضى عليها عبد العزيز في أواخر العشرينات الميلادية، ولكنها تختلف عنها في إضافة مسألة (المهدي).. مع العلم أن جهيمان وكثير من أتباعه ما هم إلى امتداد لأجدادهم الذين قتلوا ضمن من قتل في واقعة السبلة وغيرها والتي لم يقم بعدها للاخوان قائمة.. ولا غرابة هنا أن نجد جهيمان ــ وبعد انفصاله عن جماعة "الدعوة المحتسبة" ــ اتخذ تسمية أجداده (الاخوان) فعرف نفسه وجماعته بجماعة (الاخوان)، ودافع عن أسلافه أيما دفاع، وشن في الوقت ذاته هجوماً عنيفاً على المشايخ المرتبطين بالنظام، لأنهم زودوا آل سعود بالفتاوى التي تجيز قتلهم..

ومع هذا كله فإن أفكار الاخوان السابقين واللاحقين، هي أفكار السلفيين، مع بعض الاختلافات الهامشية والثانوية جداً.. والفرق كما ذكرنا لا يعود إلا لأمرين أساسين: الأول: قضية (المهدي) والثاني وهو الأهم: معارضة آل سعود..

حول التلفزيون والكرة ومعاداة التقدم

قدم الاعلام السعودي جماعة المعتصمين للجمهور بصورة مزرية قبيحة، ومارس تشويها متعمداً في هذا المضمار ليرسم صورة مبتذلة في أذهان المواطنين، مليئة بالتعصب والجهل والتخلف.. ومع أن كثيراً من الأقوال التي وصفت بها الجماعة ضمن هذا الاطار صحيح، إلا أن له تفسيرات تختلف عن تفسيرات السلطة السعودية والاعلام العربي المتعاطف معها.. هذا مع العلم أن هذا الموضوع لا يمثل إلا زاوية من الزوايا التي يجب أن تدرس لفهم الانتفاضة..

فتحريم السجائر، والفيديو والتلفزيون، وإسبال الثوب، وحلق اللحية، وحرمة تصوير ما له روح، والدراسة المختلطة.. هذه كلها محرمة بوجهة نظر الجماعة، وصحيح أيضا أنهم ضد الأغاني، وضد السينما، وضد خروج الأصوات النسائية من الراديو، وضد تمثيلهن في التلفزيون وظهورهن على شاشاته وغيرها..

ولكن من غير الصحيح أنهم ضد السيارة والطائرة، وضد سكن البيوت ومع العيش في الخيام، وأنهد ضد أكل اللحوم وغيرها، فهذه دعايات فارغة لا أساس لها من الصحة.

وقبل أن نبين وجهة نظر الجماعة حول هذه الامور، يجب أن نوضح بعض الحقائق التي تتعلق بالموضوع:

الأولى: ــ أن أجهزة الاعلام السعودية تعرضت في حديثها عن ما أسمته معاداة الجماعة للتقدم والوسائل الحديثة وما أشبه، ولكن بصورة عرضية سطحية، وهي بهذا تتضامن مع ما قالته الصحافة العربية التي روجت الأنباء انطلاقاً من تعاضدها مع الحكم السعودي..

الشيء المهم ذكره هنا، أن البيانات الرسمية الحكومية خلت من التعرض للجماعة حول هذه القضايا المحرمة، لسبب واضح هو ان المؤسسة الدينية في البلاد، والتي يعتمد علهيا النظام في إسباغ الشرعية عليه، تقول بهذه الأفكار وتروج لبعضها عبر الصحافة المحلية أيضا، وعليه.. فمن غير الممكن أن يهاجم النظام رسمياً هذه المحرمات لأنه يتبناها، خوفا.. أو طمعاً بتأييد المشايخ.

الثانية: أن المحرمات التي أعلنها أفراد الجماعة، مؤيدة بنصوص دينية في معظمها، وإن كان التفسير والفهم لها يختلف بين بقية المسلمين.. كما أن هذه المحرمات لم تكن الأصل في المعارضة للنظام، وإنما هي جوانب من مآخذ الجماعة على الحكم السعودي، ولم تكن هذه المحرمات أيضا إلا جانبا ثانويا من الأهداف، إذ أن الهدف الرئيسي هو اسقاط الحكم السعودي.

الثالثة: أن السلطة السعودية استخدمت ذات الاسلوب وذات التهمة مع ذات الجماعة (الاخوان) في عهد الملك عبد العزيز.. فالملك اعبتر الاخوان السابقين أنهم مغالون في الدين، وأنهم ضد التلفون، وضد والتلغراف، وضد السيارات، وضد المخترعات الحديثة فقط، ولم ينسب إلى ثورة الاخوان الاولى أنهم معادون له لأنه عميل للأجانب (الانجليز) وأنه حول الامامة إلى ملك جبري، وأنه عطل (الجهاد)!

وفي ذات التعامل مع الأهداف.. نقص، إذ أنه لا ينظر إليها كمجموع متكامل، وإنما يتناول جزءاً منها بالتعليق والتفسير المغلوط، وتقديمه للرأي العام بالصورة التي تخدم أغراضه..

وإذا كان من الصحيح أن الاخوان الأوائل كانوا ضد بعض المخترعات الحديثة، فإن السبب لا يعدو أمرين:

أولهما: أن الحكم السعودي ومشايخه هم الذين افتوا بحرمتها.

وثانيهما: أن هذه المخترعات ــ خصوصاً التلفون والسيارات الحديثة والأسلحة الجديدة المستوردة ــ تؤثر على سير المعارك، وتقوي جهاز ابن سعود ضد معارضيه من الإخوان وقد اعترف مترجم الملك بهذه الحقيقة، حينما أوضح أن الرشاشات الانجليزية الحديثة كانت السبب الأول في انتصار ابن سعود في معركة السبلة ضد الاخوان.. وفي موقع آخر من كتابه تفيد الابلاغ عن مواقع المعارضين، وقد استفاد ابن سعود منها فعلاً حينما ثار (ابن رفادة) فقضي عليه سريعاً نتيجة سهولة الاتصالات السلكية[1]..

ويكفي أن نعرف بان أتجاه العام في صفوف المنضوين تحت اللواء السعودي ــ وبدون استثناء ــ كان ضد التفون بالذات، إضافة إلى كونه ضد الانجليز والتعامل معهم.. وتذكر المصادر أن القوات السعودية التي هاجمت الطائف عام ١٩٢٤م، كان أول عمل لها بعد إسقاط الحامية العسكرية الهاشمية، هو تكسير السعودية أنه وبعد أكثر من خمسة عشر عاماً من القضاء على الاخوان، لازال مشايخ السلطة ضد الهاتف، بل إن بعضهم كان ضد السيارات حتى الأربعينات الميلادية.

وبالنسبة لجماعة الاخوان (الحالية) التي اعتصمت في الحرم، فإن افكارها واعتراضاتها والأمور التي قالت بحرمتها لا يختلف عليها مشايخ السلطة أنفسهم، ولكن الاعتراضات الاخوانية كانت مسيسة، وهذا الأمر هو الذي حدا بالمرحوم جهيمان أن يقول بأن الشيخ ابن ب از، وهو الرجل الأول في المؤسسة الدينية الحكومية، لم يعترض على الرسائل التي كتبها سوى ما خصص ضد الدولة السعودية..

فالأصل، أن الافكار المطروحة لا تتعارض مع رؤية مشايخ السلطة أنفسهم، وبالتالي فهي مقبولة في الأوساط الشعبية ومعروفة وليست مستغربة.

---

[1] ــ راجع كتاب "توحيد المملكة العربية السعودية" لمحمد المانع (مترجم الملك)، وراجع أيضاً كتاب (الاسلام والوثنية السعودية) لمؤلفه فهد القحطاني، والصادر عن منظمة الثورة الاسلامية في الجزيرة العربية.

ولهذا السبب تحاشت السلطة في بياناتها الرسمية التعرض والطعن في رؤى الاخوان تجاه القضايا المطروحة بإسم (التقدم والعمران والرفاهية).. مع العلم أن صحافته غمزت وأوحت بطرق عديدة عن أن الجماعة رجعية ومتعصبة..

والمرحوم جهيمان، لم ينتظر التشهير من الصحافة السعودية وأخواتها، لتقول أنه معاد للتقدم وما أشبه، بل أوضح ذلك في رسائله منعاً لأي التباس، وأورد الحجج التي عنده حولها..

فهو يقول متهكما على السلطة ومشايخها: (ما معنى وجود هيئة الأمر بالمعروف، والافتاء والدعوة والارشاد، والشريعة أصول الدين والدعوة؟، وما معنى وجود السينما ودور اللهو، وإدارة الفنون وغيرها؟، وما معنى الانفاق على هذه وتلك؟، أليس هذا مهزلة؟!، وإرضاء لأصحاب الشهوات، وإسكات للدعاة، وضحك على المشايخ؟!).

ويقول في موقع آخر من إحدى رسائله: (وهل ممكن إعلان الجهاد على دول الكفر، ولنا عندهم سفراء، ولهم عندنا سفراء وخبراء واستاذة؟، فلا تنخدع بزخارف المزخرفين.. كيف ندعو للاسلام والنصارى أساتذتنا!؟، وهل ممكن أن ندعو لرفع راية الجهاد وعلم النصرانية يرفرف بجانب علم التوحيد!؟، فدعونا يا قوم من المهزلة، ولا نكن مغرورين ومخدوعين إلى هذا الحد، لابد أن يكون عندنا فرقان بين الحق والباطل).. والطريف أن وزير الداخلية نفى أن تكون الجماعة المعتصمة في الحرم أن تكون لها مطالب سياسية، وان تقطع العلاقات مع أميركا، إذ ماذا يدل هذا الكلام؟!

وحول حلق اللحية وإسبال الثوب، فقد تعرض جهيمان لذلك أكثر من مرة في كراساته، يقول في إحداها (التوحيد كيف بينه القرآن ودعا إليه/ ص٣٥): (وتجد أقواماً يعلنون إبليس بأفواههم ويطيعونه بأعمالهم، ويحبون الرسول صلى الله عليه وسلم بألسنتهم ويعصونه بأفعالهم، وأقرب مثال في المصلين الذين يقولون أنهم موحدون، يتبعون داعي الله، ولا يتبعون داعي إبليس، تجد منهم من يحلق لحيته، أو قصر منها، ويسبل ثوبه، وهم يعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم قد حرم ذلك كله بقوله "اعفوا اللحى" وبقوله: "ما أسفل من الكعبين فهو في النار".. الخ)..

ومن الجدير بالذكر أن جهيمان لا يؤمن بالمدارس والجامعات الحكومية في الدراسات الدينية، ويشن حملة على الأساتذة الذين تخالف ممارساتهم وتصرفاتهم الدين الاسلامي الذي يزعمون أنهم يدرسونه للطلاب.

أما التدخين، فهو محرم لدى مشايخ السلطة قبل غيرهم، وإذا كان جهيمان قد قال بحرمته، فهو لم يضف جديداً، تماما كما هو الحال بالنسبة لحلق اللحية وإسبال الثوب.. وكذلك يصدق القول بالنسبة للتصوير، فلا زال مشايخ السلطة يحرمون التصوير إلى هذه اللحظة، بل إن الصحافة تنقل أحيانا إجابات للشيخ ابن باز حول هذا الأمر تؤكد حرمة التصوير!

أما التلفزيون والفيديو والراديو، فكان بالامكان ــ بوجهة نظر جهيمان ومشايخ السلطة ــ القبول بها، لو كان نفعها أكثر من ضررها.. ولكن تحولت هذه الأجهزة إلى أدوات حكومية لنشر الفساد.. وإذا كان جهيمان قد اعترض عليها قبل ست سنوات.. فإن الصحافيين اليوم يسطرون في الجرائد المحلية إشارات الخطر من جهاز الفيديو وتأثيره على سلوك الجيل الشبابي، الذي أصيب بالفساد حتى التلف.. خاصة وأن

السلطة تتساهل في تمرير الأفلام الماجنة والخليعة، لدرجة أنها تباع وتؤجر في عشرات الآلاف من المحلات المنتشرة اليوم في البلاد.. بل إن الحكومة ــ ومن خلال البرامج التلفزيونية والاذاعية ــ بثت الميوعة والانحلال في المجتمع، متجاوزة بذلك كل الأعراف والتقاليد المحلية، ومتجاوزة المباديء الدينية التي تحرم مثل هذه الأمور.. حتى وصل الحال أن تظهر ممثلات سعوديات على شاشة التلفزيون بدون حجاب، يقمن بأدوار يخجل المرء من ذكرها، مع العلم أن الحجاب مفروض من الناحية الرسمية!!

وبعد هذا، إذا كان جهيمان قد حرم التلفزيون فعلاً وهو ما لم يظهر في أي من رسائله، فإنه إنما يحرمه لمساوئه الكبيرة، ولو كان توجه النظام السعودي الاعلامي أخلاقياً، ويراعي الدين، ويهتم بتربية الجيل وتثقيفه، لكان قد اتخذ رأيا آخر، هذا إذا سلمنا جداً أن جهيمان أفتى بحرمته..

وأما دور السينما، فهي لم تصبح تجارية بعد، ولم تصرح لها الحكومة علنا، لكن من المعروف أن هناك عشرات ــ بل مئات ــ السينماءات منتشرة في أنحاء البلاد، وكلها بعيدة عن الرقابة الحكومية، وتنشر أفلاماً منحطة أخلاقياً، والقائمون عليها كلهم من أفراد العائلة الحاكمة، كما هو حصل في الأندية الرياضية ــ مثلا ــ.

إن محور القضية هنا، ليس في وجود جهاز التلفزيون والراديو وغيرهما، وإنما في تأثيرهما وضررهما.. أي في التوجه الحكومي.. ولهذا قالت بعض الصحف أن الجماعة تحرم الراديو لأن أصواتاً نسائية تخرج منه، وكذلك التلفزيون، كما قالت أيضا أنها ضد الأغاني، وهذا طبيعي جداً، وهو مآخذ على آل سعود وليس على جهيمان، وكذلك قل بالنسبة للدراسات المختلطة، فهذه ليست علامات تحضر حتى يدافع عنها إعلام آل سعود..

بقيت نقطة أخيرة.. إننا نعتقد بأن المآخذ الوحيد الذي يمكن أن يوجه للجماعة، هو تكبيرهم للجزئيات ووضعها في مصاف الأمور المهمة.. ووجود شيء من الانغلاق في الفكر، وإن كنا نعتقد بأن الاجواء التي نمت وترعرعت فيها الجماعة أثرت بشكل كبير في وجود هذا الأمر، وهذه الأجواء المنغلقة والحصار الذي يفرضه النظام على مصادر الفكر والثقافة، مسئول عن إيجادها النظاما لسعودي نفسه، لأن الانسان يتأثر بمحيطه، فإن كان مليئاً بالتعصب والانغلاق فلابد أن يلحق به شيء منه.. والجماعة هي وليدة مجتمعها ومتأثرة بأوضاعه، وبالتالي فإن السلبيات الموجودة فيه نالت منها شيئاً قليلاً..

كما أن أمراء الأسرة الحاكمة بتصرفاتهم الماجنة، وفسوقهم المعهود عنهم، وتجاوزهم لكل المحرمات، ولد ردة فعل غاضبة قد تصل إلى النقيض.

فبالنسبة للتصوير، وبالرغم من أن المؤسسة الدينية الحكومية في البلاد مجمعة على حرمته، مستندة على فتاوى ونصوص قد لا يعتقد بقية علماء المسلمين داخل البلاد وخارجها بها أو بانطباقها فعلياً على الموضوع، رغم هذا فإن السلطة تجري الأمور حسب مصلحتها..

ويذكر أنه في منتصف الخمسينات اصدر مفتي الديار السعودية بيانا بحرمة التصوير، وفي اليوم التالي ظهرت الصحف السعودية بدون صور على الاطلاق بأمر من الملك سعود، كما يذكر السفير العراقي المفوض في جدة أمين المميز في كتابه (المملكة العربية السعودية كما عرفتها).. وبعد أيام غير الملك سعود رأيه وطلب وضع صوره، وظهر بيان حول الأمر يبين أهمية التصوير للإسلام!!

وفي أواخر السبعينات، بل وطوال فترة السبعينات، كانت جماعة (الاخوان) تغطي صورة الملوك السعوديين الموجودة على النقود بالحبر الأسود، مما استثار آل سعود، فجاؤوا ببعض مشايخهم ليفتوا خلاف رأيهم، بأن الصور ووضعها ضروري ومحلل شرعاً!

والقضية المركزية هنا، أن تحريم الصور لازالت المؤسسة الدينية السعودية القائمة على العقيدة (الوهابية) مصرة على حرمته.. وما لم تتغير القناعات أولا، وينظر إلى تفسير النصوص بتجرد ثانيا، فإن أفكار جهيمان وأمثال جهيمان لا تشذ عن القاعدة حول قضية التصوير.

ومهما يكن من أمر، فإن من الواجب على كل باحث أن ينظر لأهداف الجماعة من كل الزوايا وأن يأخذها بمجموعها وليس بابتسارها.. فالجماعة طرحت أهدافاً دينية وسياسية لا يختلف عليها دعاة الحق، كإسقاط النظام الملكي وقطع الروابط مع الغرب، وتصفية المجتمع من السلبيات والأمراض الاجتماعية التي نتجت عن العهد الملكي السعودي الفاسد.. وما عدا هذه الأهداف فإنها أقل أهمية، ولا يجب أن تؤخذ على أنها الهدف الكلي للجماعة.

(الفصل الثالث)

الجماعة والجهات الأجنبية

تزخر الساحة العربية والعالمية بتحركات سياسية وعسكرية تقوم بها فئات وتنظيمات عديدة، غير أن من المؤسف أن الكثير من هذه التحركات وما يتبعها من مواقف لا يعبر عن قناعات هذه التنظيمات. وإنما يعبر عن رأي الأنظمة التي تدعمها.

والتحرك الذي حدث في مكة، هو تحرك محلي بالدرجة الأولى، ومسبباته وجذوره داخلية، وإن كنا نعتقد بأن التحرك الاسلامي في الجزيرة العربية لا ينفصل بأي حال من الأحوال عن موجة البعث الجديدة التي زحفت على ديار المسلمين بعد انتصار الثورة الاسلامية في إيران..

ومن جهة ثانية، لم يكن للجماعة التي اعتصمت في الحرم أي روابط مع أي نظام باعتراف آل سعود أنفسهم.. خاصة وأن جهيمان أوضح في كراساته مواقفة من حكام الدول الاسلامية ومن الغرب الصليبي..

يقول في أحدها: (كل من هذه الدول الإسلامية لها نصيب من إظهار الاسلام، ولها نصيب من موالاة الكفار، وإنما اختلفوا في اتجاهاتهم، وكلهم متفقون على محاربة الحق وأهله إذا خالف سياستهم وسياسة من يوالونهم من أعداء الاسلام)..

وفي موقع آخر يشن هجوماً على المشايخ الذين يسبغون الشرعية على الحكام الفاسدين كالحكام السعوديين، بمدحهم لهم وتحبيبهم للناس، يقول: (لو كان لإبليس دولة، لوجد علماء وخطباء شريطة أن يعطيهم الشهادة والمرتبة والمعاش، فنجدهم يتكلمون فيما لا يمس سلطانه، كما تجد علماء الدول في الزمان، كلما جاء

حاكم ذكروا ما فيه من خصال الخير ليحببوه إلى الناس، ويحببوا الناس إليه، فالمعروف ما عرفته الحكومة، والمنكر ما أنكرته، والله المستعان)[1]..

ورغم وضوح مواقف الجماعة تجاه الغرب والأنظمة الفاسدة، فانك تجد أن بعض الصحف ــ وخلافاً للمعقول ــ قالت أنها عميلة للأميركيين وإسرائيل!!، وقد حاول آل سعود في البداية أن يلصقوا العملية بجهات أجنبية، أو كما قال فهد بصفاقة ووقاحة بالغة، وبعد أكثر من شهر من وقوع العملية، أن الجماعة محرضة سوفييتيا[2]!!، ولم يشأ أن يقول بأن التحريض أميركي، لأن الأميركان أصدقاءه، وما دام يبحث عن كبش فداء ويتعمد التشويه، فليلصقها في الملاحدة الروس!!

وهنا سنبحث بشيء من التفصيل مسألة ارتباط الجماعة بالجهاد الأجنبية وكذبها، وكيف أن أقوال السعوديين مدسوسة ومبتذلة، وذلك من دراسة أمرين دارت حولهما المسألة: الأول تعدد جنسيات القائمين بالعملية، والثاني تسلح الجماعة..

تعدد الجنسيات

رغم أنه بالنسبة لجماعة الاخوان، أو بالنسبة إلينا كحركة إسلامية عقائدية، لا اعتبار لجنسية المجاهد، فالجهاد في سبيل الله ونصرة المستضعفين ومقاومة الحكام الظالمين المستبدين، فوق الجنسيات والحدود الاقليمية والعنصريات والعرقيات.. إلا أن النظام السعودي الفاسد، حاول الاستفادة من قضية تعدد الجنسيات من زاويتين:

الأولى: التركيز على أنهم غير سعوديين، أو أن السعوديين همن قلة، للأيهام بأن لا وجود للمعارضة في البلاد، أو أن وجودها لا يتعدى بضعة خوارج مهووسين.. هذا في الوقت الذي كانت فيه الحكومة تحث الخطى في القضاء بسرعة على المعتصمين لتمرير هذه الأكذوبة، لكن القتال استمر فترة طويلة من الزمن، فاضطر آل سعود أخيراً إلى الاعتراف بالأمر الواقع، وهو أن أغلب أفراد الجماعة هم من أبناء البلاد..

الثانية: الايهام بأن هناك جهات أجنبية مخربة وراء حادث الحرم، بدليل وجود جنسيات متعددة، هي بمثابة أيد مخربة، أو بالأحرى طليعة مخربة للجهات الأجنبية.. وقد انكشفت حقيقة الاكذوبة السعودية لأكثر من سبب، فالمسئولون السعوديون، وبالتحديد أمراء الأسرة الحاكمة، اختلفوا فيما بينهم حول الجنسيات، مما يعطي تشكيكاً في الرواية السعودية، ومن طرف آخر، تأخر الحسم العسكري السعودي للقضاء على ما أسماهم (بالشرذمة)، فانهارت الآمال التي بناها على الشائعات والأكاذيب، وتعرف الرأي العام على الأمور بمرور الأيام..

ومن جهة ثالثة، تبين أن كل الدول تقريباً قد تبرأ من العملية، وأن الاتهامات الجانبية فيما بينها ليست سوى ذيول للخلافات السياسية..

---

[1] ــ دعوة الاخوان كيف بدأت وإلى أين تسير ــ جهيمان بن سيف العتيبي، ص٢٣.

[2] ــ مجلة النهار العربي والدولي ١٩٧٩/١٢/٢٣م.

في اليوم الثالث للعملية، طالعتنا صحيفة الجزيرة السعودية (١٩٧٩/١١/٢٢م) بتصريح لوزير الخارجية، كان كجواب حول سؤال عن جنسيات المعتصمين، قال فيه: (إنهم ينتمون إلى عدة جنسيات، منهم السعوديون، كما أن هنالك خليطاً آخر يجري الآن تصنيفه).. ويلاحظ من التصريح أن وزير الخارجية رغم اعترافه بمشاركة المواطنين، إلا أنه لم يشأ القول بأن معظمهم من أبناء البلاد، مشيراً بطرف واضح إلى أنهم قلة، والبقية من الخارج، أو أجانب حسب الرواية السعودية.

وفي مقابلة مع أمير المدينة السابق الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز مع جريدة البلاد السعودية نشرتها في نفس اليوم الذي صدر فيه تصريح وزير الخارجية، قال: (إن الانحراف لا يعرف جنسية ولا لوناً، ولهذا فإنه ليس هناك ما يدعو للاستغراب في أن يضل هؤلاء ويقدموا على فعلهم الاجرامي.. غير أن خروج فئة من أبناء هذا البلد على دينهم يعتبر أمراً مؤسفاً حقاً)[١]..

لم يقل الأمير أن أبناء البلد خرجوا على الحكم السعودية، وإنما خرجوا على دينهم، ولم يقل بأن مواجهة الحكام الفاسدين كآل سعود واجب كل مسلم، لأن مجاهدة أعداء الله لا تخضع للون أو الجنسية، وإنما قال بأن الانحراف (أي قتال آل سعود) لا يعرف جنسية.. وهذا تبرير للأسباب التي دعت غير المواطنين لقتال آل سعود..

ومع هذا يريدنا الأمير أن لا نستغرب، لأنه يعلم أن الرأي العام الخارجي، تصور أن الحكم السعودي قوي متين، ويستند إلى دعم شعبي، فإذا بالانتفاضة تقلب هذا الرأي، ولهذا تأسف الأمير!

وأخيراً اعتراف وزير الداخلية في مؤتمره الصحفي الذي عقده بتاريخ ١٩٧٩/١٢/٤م، أي بعد اسبوعين من وقوع الحادث، بأن الغالبية من أفراد الجماعة المعتصمين هم من أبناء البلاد، لقد قال الأمير: (للأسف.. الغالبية منهم سعوديون، ومعهم جنسيات إسلامية أخرى من بلاد متعددة)[٢]..

والوضح في الأمر، قبل المؤتمر الصحفي لوزير الداخلية (١٩٧٩/١٢/٤م)، أن الاتهامات كانت تلقى جزافاً على أطراف لم تكن لها صلة بالحادث.. وقد ساعد على ترويج الاتهامات أن النظام السعودي لم يعط جوابا صادقاً وشافياً حول هوية المعتصمين.. لذا كانت الصحف العربية والأجنبية تروج الاتهامات ضد هذه الفئة أو تلك..

فأميركا التي كانت لاتزال تعيش صراعاً حاداً مع الحكومة الاسلامية الوليدة في إيران، اتهمت الشيعة بأنهم وراء العملية.. والسادات وإسرائيل اتهما الفلسطينيين والشيعة، وبعض الدول اتهمت (الاخوان المسلمين) لأنها تعيش صراعاً معهم، وقسم آخر اتهم (الزيود)، وآخرون اتهموا اليمن الجنوبي، وغيرهم اتهم إيران، أو روسيا، أو إسرائيل وأميركا!! وما كانت هذه الشائعات لتلقى رواجاً لو أن آل سعود حددوا جنسيات المعتصمين منذ البداية..

الأميركيون، الذين أعلنوا منذ اليوم الأول وقبل كل أحد عن الحادث، قالوا على لسان الناطق بإسم الخارجية الأميركية، وحسب ما ذكرته الصحف اللبنانية، (أن هذه المجموعة لم تعرف هويتها وأهدافها، وقد

---

[1] ــ صحيفة البلاد السعودية ١٩٧٩/١١/٢٢م.

[2] ــ جريدة الرياض ١٩٧٩/١٢/٥م.

تكون من المذهب الشيعي).. وانتشر الخبر في البداية على أن الشيعة هم وراء العملية بدعم من إيران، ومما ساعد على رواج هذه الإشاعة هو مسألة (المهدي المنتظر)، فبالرغم أن جميع المسلمين يعتقدون بـــ(المهدي المنتظر)، إلا أن الكثير كان يتصور أن هذا الاعتقاد يخص الشيعة وحدهم..

من جهته، روج النظام لهذه الفكرة إمعانا في التضليل، ونقلت جريدة السفير[١]، عن أحد أعضاء الوفد السعودي في تونس الذي يحضر القمة العربية قوله: أن (الآذان قد أدي على الطريقة الشيعية).. ويبدو أن هذا التصريح المغرض قد جاء قبل أن تتوضح الصورة للوفد السعودي المرافق في قمة تونس، وإذا كان ذلك صحيحاً فليس هناك أمر يبرره أو يسوغه..

وعاد النظام مرة أخرى فأكد أن المعتصمين هم من الشيعة، فقد ذكرت صحيفة (الجمهورية) المصرية، أن مصدراً سعودياً مسئولاً قال بأن: (المسلحين الذي هاجموا البيت الحرام، ينتمون إلى زمرة خارجة عن الدين الاسلامي، منشقة عن طائفة الشيعة)[٢]..

وتلقفت جريدة الفجر (الظبيانية) الخبر المختلق، فقالت عن لسان القادمين من السعودية: (أن لم يستطع لحد الآن تحديد الهوية السياسية للمسلمين المسلحين الذين هم على الأغلب من الوهابيين أو من منظمة أهل الحجاز.. غير أنهم أشاروا إلى أن المسلحين رفعوا "الآذان" على الطريقة الشيعية عقب احتلالهم للمسجد الحرام، وهذا نفي لآن يكون الجناة منا لمذهب الوهابي)! وما كانت (الفجر) بحاجة على نقل هذا الكلام من القادمين، طالما أن الصحافة العربية وعلى لسان المسئولين السعوديين قد قالوا به قبل يومين على الأقل!.. غير أن وزير الداخلية ــ وبعد أن زادت الاتهامات ضد أميركا نفسها على أنها وراء الحادث ــ نفى أن يكون لأميركا أو إيران أو أي دولة أخرى علاقة بالحادث، فقال: (إنه لم يثبت انتماء هذه المجموعة إلى إيران أو إلى أي جنسية معينة أخرى)[٣]..

وبعد أن نفى أمراء الأسرة علاقة الأنظمة بالجماعة، تحولت المسألة على (الاخوان المسلمين) وعلى (جماعة التكفير والهجرة).. صحيفة عكاظ السعودية وبعد ثلاثة أيام من إعلان نفي وزير الداخلية، اتهمت الاخوان المسلمين، وكتبت في مقال لعلي حسين شبكشي، تحت عنوان (تأملات في الحادث) آراء الحكم السعودي، فقالت: (هل الحادث ــ حادث الحرم ــ جزء من المخطط العالمي للقضاء على الدعوة الاسلامية، بأضعاف المسلمين بضرب بعضهم البعض، وبالتأثير على بعض ذوي النفوس المريضة باقناعهم بشعارات ودعوات زائف بهدف التأثير على الغير؟).. ثم يتساءل الكاتب مرة أخرى: (هل لجماعة الاخوان المسلمين ــ وقد خربت في مصر والسودان والآن في سورية ــ علاقة بمثل هذه الجماعة "التي احتلت الحرم"، بعد أن رأى القائمون عليها أن تتحول إلى جمعيات دينية ذات طابع سي لتكون أكثر انتشاراً وتغلغلاً في العقول البسيطة دون أن تدري؟)[٤].. إذن فالاخوان المسلمون وراء الحادث بنظر الاعلام السعودي والقائمين عليه!!

---

[1] ــ السفير ١٩٧٩/١١/٢٢م.

[2] ــ الجمهورية ١٩٧٩/١١/٢٢م.

[3] ــ جريدة المدينة ١٩٧٩/١١/٢٣م.

[4] ــ عكاظ ١٩٧٩/١١/٢٦م.

وتلقف أحد الجار الله، هذه المقالة ليطرح صياغة جديدة، ويكتب بما نشيت عريض على صدر صحيفته (المعتدون على الحرم من الاخوان المسلمين)[١]، وكذلك فعلت جريدة النهار التي نقلت عن الرأي العام حديث الافك وسطرت: (في الكويت تحدثت الصحف عن انتماء مهاجمي المسجد الحرام إلى فصيل من الاخوان المسلمين في مصر، يحمل اسم جماعة التكفير والهجرة، ويرفض كل مظاهر الحياة الغربية الحديثة)[٢]..

وبصريح العبارة، توضح أن آل سعود تبنوا فكرة أن الجماعة (الاخوان) لها علاقة بالاخوان المسلمين، أو بجماعة التكفير والهجرة، وهو ادعاء باطل من أساسه، وقد نشرت الصحف السعودية بعد (١١) يوماً من وقوع الحادث، وكعلامة واضحة لتبني هذا الرأي، تصريحاً للشيخ حمود العقيل، أعلن فيه (أن هذه العناصر تنتمي إلى جماعة التكفير والهجرة ي مصر، وهم طائفة من الخوارج، كما هو معلوم) (...)، وتلقفت أجهزة السادات الدعائية الفكرة، فروج لها، لأنه في حرب مع هذه الجماعة وغيرها من الجماعات الاسلامية.. فبعد إعدام عشرة من المصريين بعد أسرهم ضمن قائمة ألـــ (٦٣) شخص، نقلت الصحف العربية تصريحا لمصدر مصري مطلع قوله: (أن المصريين العشرة الذين قطعت رؤوسهم أمس في السعودية لاشتراكهم في عملية المسجد الحرام، قد يكونون أعضاء في جماعة التكفير والهجرة الاسلامية المتطرفة، وأوضح المصدر أن السلطات المصرية كانت قد طلبت من السعودية تسليمها عدداً من أعضاء هذه الجماعة، لكن السعودية رفضت الطلب)[٣].

وأخيراً، وبعد أن روج النظام هذه الحكايات الدعائية الفارغة، وبعد أن استنفذ أغراضه الدنيئة منها، قال نايف في مؤتمره الصحفي في (١٣/١/١٩٨٠): (لا علاقة بين المتمردين وجماعة التكفير والهجرة في مصر).. والسؤال لماذا لم يقل نايف هذا الكلام إلا بعد أن انتهت العملية، أي بعد شهر و ٢٤ يوم على وجه التحديد.. أليس هذا دليلا واضحا على أن الأمراء استنفذوا غرضهم التشويهي لحادثة الحرم.

أما الصحافة المصرية التي تعبر عن رأي السادات، فقد تراوحت اتهاماتها وتخبطاتها حول جهتين، الأولى: اتهام إيران أو عناصر شيعية داخلية متعاطفة معها، الثاني: اتهام الأنظمة المخالفة للسادات، ومنها روسيا واليمن الجنوبي وليبيا!!

فعلى سبيل المثال، قالت (الأهرام): (أن هناك احتمالين: أحدهما أن تكون الجماعة من أنصار الخميني، والآخر أن العملية ربما كانت بتدبير عناصر شيعية متعاطفة مع الخميني)[٤]، وقد جاء هذا الاتهام في اليوم الثالث للعملية، وبعد أكثر من شهر اتهمت صحيفة الجمهورية، واعتماداً على مصادر المخابرات الغربية، كلا من ليبيا وعدن وروسيا بالتخطيط[٥]..

---

[1] ــ الرأي العام الكويتية ٢٧/١١/١٩٧٩م.

[2] ــ النهار ٢٨/١١/١٩٧٩م.

[3] ــ النهار ١٠/١/١٩٨٠م.

[4] ــ الأهرام المصرية ٢٢/١١/١٩٧٩م.

[5] ــ الجمهورية المصرية ٢٥/١٢/١٩٧٩م.

وإسرائيل اتهمت منظمة التحرير بأنها وراء العملية، وأنها عن رأيها السابق من أن الخميني وراء العملية، رغم أنها اشركت إيران ضمن القصة المصطنعة.. وأوضحت إسرائيل أن الأسلحة جاءت من اليمن الجنوبي، وأن أفراد الجماعة تدربوا هناك في معسكرات تابعة لجورج حبش!!

أما روسيا فقد اتهمت المخابرات المركزية الأميركية على أنها وراء الحادث، جاء ذلك ضمن تعليق لوكالة (نوفوستي) الروسية، التي قالت: (أن وكالة الاستخبارات الأميركية وعملاءها هم الذين دبروا عملية المسجد ونفذوها بحسب معلومات مصادر مطلعة.. وذلك كجزء من خطة لاعداد المناخ الملائم للتدخل العسكري المباشر ضد إيران)[1]..

على العموم، أميركا اعتبرتها مؤامرة شيعية وروسية، وروسيا اعتبرتها مؤامرة أميركية، والسادات اعتبرها مؤامرة شيعية إيرانية/ ليبية/ يمنية/ روسية، وإسرائيل رأتها مؤامرة خمينية/ فلسطينية، وبعض الأنظمة قالت فيها أنهم إخوان مسلمون، أو تكفير وهجرة، أو أن السادات وراءها، وأنظمة أخرى قالت أنها صهيونية/ أميركية.. الخ، أما النظام السعودي فقد اعتبرها كل ذلك، وكان السبب الأول وراء هذه الاتهامات التي روجها كل نظام ضد معارضيه، لأنه لم يعلن عن جنسيات القائمين بالعملية إلا متأخراً جداً وبصورة غير قطعية، ولأنه نفسه وجه بعضاً من هذه الاتهامات ضد الجماعة.. آملا في تشويه سمعتها، حتى يجمع الرأي العام على معارضتها..

فمن يقف ضد أميركا يكون ضدها لأنها مؤامرة أميركية، ومن يتعاطف مع الغرب خوفاً على مصالحه أو إعجاباً بالحياة الغربية أو تأييداً لأنظمة الحكم الموالية لواشنطن أو خوفاً على ديار المسلمين من البعبع الشيوعي!!، فعليه أن يقف ضدها لأنها حركة خطيرة مدفوعة شيوعياً!!

ومن يقف مع السادات فهو ضدها لأنها ليبية أو يمنية أو سورية، ومن يقف ضد السادات فعليه أن يقف ضدها لأنها مصرية أميركية، والطائفي عليه أن يرفضها لأنها شيعية خمينية، وفي العموم على الجميع أن يعارضها لأن الجميع يتفق تقريبا على أنها مؤامرة صهيونية!!، وبالتالي لا يكاد المتتبع للأحداث أن يخرج من دوامة هذه المواقف إلا إذا كان يمتلك حسا دينيا ووعياً سياسياً يجعله يرفض هذه الترهات المعلنة..

حول السلاح والتدريب:

من الأمور المؤكدة أن الجماعة (الاخوان) استفادوا استفادة كبيرة جدا من (الحرس الوطني) في الجانب العسكري، سواء من حيث التسليح والتزود بالذخيرة من مخازن الحرس، أو من حيث التدريب على السلاح..

ذلك أن الجماعة لها مجموعات كبيرة من المؤيدين والمتعاونين داخل جهاز الحرس.. كما أن عشرات من أفراد الجماعة كانوا يعملون في وقت سابق في الجهاز، ومن ضمن هؤلاء المرحوم جهيمان نفسه الذي اشتغل في الحرس مدة ست سنوات على الأقل.. ولا شك أن الصداقات والعلاقات العشائرية ساهمت إلى حد كبير في تأمين السلاح من مخازن الحرس.. خاصة وأن بعض قياديي الجماعة كانوا يتولون مناصب عالية فيه.. هذا إضافة إلى أن السخط داخل صفوفه قد دب منذ زمن بعيد بسبب الفساد والرشاوي والانحراف

[1] ــ جريدة النهار ١٩٧٩/١١/٢٨م.

المعشعش فيه.. وكان من الطبيعي أن تتضامن مجموعات من الضباط وذوي الرتب الصغيرة وبعض الرتب العالية، مع الأهداف التي كان يبشر بها (الاخوان) ويدعون إليها.. وهي أهداف واضحة ومقبولة شرعاً وعقلاًن فضلاً عن أن ممارسات (الاخوان) وسلوكياتهم المنضبطة والتزامهم الذي عرفوا به في الأوساط الشعبية، ومعارضتهم للفساد داخل أجهزة الدولة وفي الأسرة المالكة، واضح..

والسؤال الأكثر أهمية وإلحاحاً، ليس هو من أين جاءت الجماعة بالسلاح؟، وإنما أين تم تدريب العناصر، تلك التدريبات القاسية التي كانت ثمارها صمودهم أكثر من عشرين يوماً أمام القوة العسكرية الحكومية التي تفوقها عدداً وعدة؟!

قد لا نستطيع إعطاء إجابة محددة لهذا السؤال، لكننا نستطيع التأكيد على أمر واحد، هو أن أفراد الجماعة تلقوا تدريباتهم داخل البلاد.. والاجابات المحددة قد تكون السلطة السعودية قد حصلت عليها إثر القضاء على المعتصمين، أو على الأقل حصلت على بعض المعلومات عنها..

هناك في البادية الواقعة بين المدينة ومكة والقرى التي حولهما، تدرب الاخوان.. ولأن حمل السلاح في البادية لا ينظر إليه بحساسية كما هو في المدن، أو لأنه أمر اعتيادي، فقد استطاعت الجماعة تدريب أفرادها بسرعة تامة بعيداً عن أعين السلطة.. ولا شك أن جهيمان استفاد من خبرته، وخبرات رفقائه في التدريب الذي لاحظ المراقبون أنه أفضل من تدريب السلطة لأفراد قوات الحرس الوطني نفسه، وهذا ما أثبتته المعارك التي خاضتها القوات الحكومية ضد الجماعة.

وقد يقول قائل أن إيمان الاخوان بعدالة قضيتهم، بعكس القوات الحكومية التي انخرطت من أجل المال، والتي تعاطفت مع أهداف الجماعة، عرقلت نشاط الحكومة العسكري، وقوت موقع المدافعين.. وهذا صحيح ولا خلاف عليه، لكن لا يمكن بأي شكل من الأشكال التغاضي عن كفاءة أفراد الجماعة وحسن تدريبهم.

حول التسلح يمكن وضع الأطر التالية لتصريحات وبيانات السلطة السعودية:

١/ تقول السلطة بأن الأسلحة (متوفرة) في البلاد، بمعنى أن المصدر داخلي، وأشارت إلى أن هناك (بعض) الأسلحة المهربة من الخارج.

٢/ أن الأسلحة عادية ومتنوعة ولكنها (مميتة)، على حد قول وزير الداخلية!!.. وذلك للتقليل من أهميتها.

٣/ أوحت تصريحات المسئولين إلى أن جهات خارجية مولت الجماعة بالسلاح، ثم عادت وأعلنت أن ذلك لم يثبت حتى الآن.

٤/ أغفلت تصريحات المسئولين وبيانات الداخلية الجانب المهم، وهو مكان التدريب، وهناك القليل من الاشارات إلى هذا الموضوع.. وقد أعطت السلطة الفرصة لصحافتها وللصحافة العربية والعالمية أن تتهم هذه الدولة أو تلك على أنها وراء تدريب الجماعة.

في البيان الأول لوزارة الداخلية الصادر في اليوم الثاني للعملية (١٩٧٩/١١/٢١م)، أشار إلى الأسلحة إشارة عابرة بقوله: (ومعهم بعض الأسلحة).. ولم يذكر نوع الأسلحة ومصدرها وكيف تدربت الجماعة عليها

وأين تم التدريب؟، بل اكتفى بذكر (بعض) الأسلحة للإيحاء بأن العملية محدودة وصغيرة وأن قوات القمع السعودية في طريقها للسيطرة على الموقف..

وفي اليوم التالي (١١/٢٢/ ١٩٧٩م) قال وزير الخارجية: (أن السلاح الذي يحملونه هو من نوع السلاح الخفيف المتواجد والمنتشر، ولذلك لا يمكن إعطاء هذا الحادث أي بعد أمني خاص)[١].. وملخص التصريح:

* أن السلاح من النوع الخفيف..

* أنه متواجد داخل البلاد ومنتشر،أي أن المصدر داخلي كما يوحي التصريح، الذي لم يشر إلى كيفية انتشاره وسببه.

* النتيجة التي يريد أن يخلص إليها التصريح أنه لا يجب (إعطاء الحادث أي بعد أمني خاصة) لأن الأسلحة متواجدة ومنتشرة، وبالتالي فالمسألة عادية وغير مفاجئة..

وفي اليوم الرابع للعملية (١٩٧٩/١١/٢٣م) نشرت الصحف السعودية بيانا لوزير الداخلية، نفى فيه خبر إسقاط الجماعة لطائرة هليوكبتر عسكرية تابعة للقوات المسلحة السعودية، وكانت ضمن الطائرات التي هاجمت المعتصمين في داخل الحرم، وأكد من جديد أنه (ليس في حيازة المتمردين سوى أسلحة خفيفة)..

غير أن أحد القيادات العسكرية في الجيش السعودي، قال في اليوم الثامن للعملية، أن القوات السعودية استطاعت في هذا اليوم (١٩٧٩/١١/٢٧م) تحديد نوعية الأسلحة، ولم يكن بالمقدور التعرف عليها قبل ذلك.. وهذا التصريح يوضح كيف أن تخرصات المسئولين تصبح حقائق بمجرد التصريح بها، وأنهم يجيزون لأنفسهم قول ما يريدون الاكتراث بالحقائق.. لقد قال القائد السعودي الرائد محمد النفيعي: (كان العسكر يستطيعون تحديد نوعية السلاح من نوعية رمايته، ولكن نظراً لكثرة ما أطلق النيران، واختلاط الأصوات مع بعضها البعض، ما استطعنا، ولم نستطع كذلك أن نقبض على شخص معه سلاح.. إنما النتائج في هذا اليوم، استطعنا أن نقبض عليهم بأسلحتهم ونحدد نوعية الأسلحة التي استخدموها تحديداً قاطعاً)[٢].. فالرائد العسكري يقول أنه استطاع تحديد نوعية السلاح بشكل قطعي في اليوم الثامن للعملية، بينما وزير الخارجية والداخلية، قرروا النوعيات في اليوم الثالث!

وهنا بدأت التصريحات السعودية تأخذ منحى جديداً، فمع بداية ديسمبر ظهرت التلميحات السعودية بأن هناك جهات تمويل بالأسلحة.. ترى هل اكتشف السعوديون شيئاً جديداً؟

يعتقد ذلك..

فمن الأمور شبه المؤكدة أن شحنات ضخمة من السلاح وصلت من لبنان إلى البلاد.. وأن (الاخوان) هربوا قطع سلاح كثيرة من هناك.. والمسئولون السعوديون لم يفاجأوا بقضية التهريب من الخارج، ولكنهم كانوا حريصين على معرفة ما إذا كانت هناك مجموعات سياسية أو أنظمة وراء العملية، ويبدو أن المسئولين

---

[1] ــ الجزيرة ١٩٧٩/١١/٢٢م.

[2] ــ الجزيرة السعودية ١٩٧٩/١١/٢٨م.

قد توصلوا فعلاً إلى حقيقة واحدة، هي أن السلاح وتهريبه للداخل كان مجرد عملية تجارية تحت بين طرفين، كان (الاخوان) احدهما.. ولم يستطع أمراء الأسرة الحاكمة إيجاد دليل واحد يثبت مزاعمهم وافتراءاتهم..

ففي مؤتمره الصحفي الذي عقده بتاريخ ١٩٧٩/١٢/٤م، قال وزير الداخلية ما نصه: (أن المعتدين مسلحون، كما أنهم ممولون بالسلاح)..

وبعد يومين من تاريخ عقد المؤتمر نشرت صحيفة الجزيرة السعودية (١٩٧٩/١٢/٦م) تصريحا لنايف أشار فيه إلى وجود تهريب للسلاح من الدول المجاورة: (السلاح الذي كان لدى هذه الفئة هو سلاح عادي يملكه أي مواطن سعودي.. وهناك بعض المحاولات التي قد تنجح أحياناً في تهريب بعض أنواع السلاح الخفيف عبر حدود السعودية من بعض جاراتها..) وأضاف (أن وزارة الداخلية ستصدر نظاماً يمنع حمل السلاح دون الحصول على ترخيص رسمي، وأن هذا النظام لا يعني سحب السلاح من أفراد القبائل والبدو.. إن هذا الأمر غير وارد لأي مواطن سعودي يعتبر وجود السلاح جزءاً من رجولته)..

وفي تصريح الأمير هذا بعض المغالطات ينبغي التنبه لها:

١/ بالرغم من أن السلاح منتشر، خاصة بعد انتفاضة المحرم ١٤٠٠هـ، فإن من المبالغ به أن يقول الأمير بأن سلاح الجماعة عادي يملكه أي مواطن.. فهو يريد أن يوضح بأنه ليست هناك حساسية في حمل السلاح لأي شخص كان، وأن الدولة لا تمنع ذلك.. وإنما الجديد هو استخدام السلاح ضد الحكومة.. وهذا من باب تقليل الأهمية للطرف المقابل وهم (الاخوان).. فما دام كل الناس يمتلكون السلاح، ولم ينتفض كلهم ضد الحكم السعودي، فهذا يعني أن هذه الفئة قليلة وضعيفة، ولا تحظى بتأييد شعبي داخلي.

٢/ نظام حمل السلاح الذي أعلن عنه وزير الداخلية ــ مبكراً ــ صدر في أواخر عام ١٤٠٣هـ، وقد طلبت الوزارة بموجبه أن يسجل كل حامل سلاح، إسمه ونوعية سلاحه لدى وزارة الداخلية ابتداء من ١٤٠٤/١/١هـ، وحتى نهاية السنة (١٤٠٤هـ)، وإلا فإن العقوبة وخيمة، ولكن لأن أحداً لم يراجع، فقد زادت الوزارة المدة لسنة أخرى تنتهي في نهاية عام ١٤٠٥هـ، ونعتقد بأن الوزارة لن تفلح في مسعاها..

والسبب هو أن السلاح، حمله واقتناؤه ممنوعان رسمياً، وأن معظم الأسلحة التي يمتلكها أفراد الشعب ــ إن لم نقل كلها ــ جاءت عن طريق التهريب، وليس هناك أحد مستعد أن يسلم سلاحه ويفرض الضغوط على نفسه، مع ما يتبع ذلك من تحقيقات أو سجن أو سحب السلاح كلية، بمجرد تهديد الوزارة، لأن تهديدها ومنعها له قائم بالفعل، ومنذ عشرات السنين، والذي يقرأ قول وزير الداخلية: (سيصدر قريباً نظام يمنع حمل السلاح) يتصور أن حمل السلاح كان جائزاً، ثم أصبح محرما، بينما التحريم كان ــ وكما قلنا ــ قبل عشرات السنين، حتى للبنادق العادية التي تستخدم لصيد الطيور.. بل إن الوزارة سحبت بعد الانتفاضة لعب الأسلحة النارية الخاصة بالأطفال من محلات بيع اللعب وذلك خوفاً من تطويرها إلى سلاح قاتل!

لقد كان واضحاً لأفراد الشعب أن وزارة الداخلية، بعد أن عجزت عن منع تهريب السلاح، تسعى لجمعه وتحديد مواقعه والتعرف على مهربيه بحجة وأهمية هي تنظيم استعمال السلاح..

٣/ يتزايد الشعور في الأوساط الشعبية بالحاجة إلى السلاح، خاصة منذ منتصف السبعينات، وقد تزايد هذا الشعور بعد وقوع الانتفاضة عام ١٤٠٠هـ.. وهناك أسباب عديدة تؤجج هذا الشعور المتنامي، منها ما

عبر عنه وزير الداخلية بقوله أن السلاح يعتبر جزءا من رجولة المواطن.. خصوصاً لأولئك المقيمين في البادية من أبناء القبائل.. ومنها عدم الشعور بالأمن وتقصير أجهزة الدولة في ذلك..

والأهم من كل هذا استعداد الفئات المعارضة من الجماعات الدينية والقبائل لمقاتلة النظام والعائلة المالكة الفاسدة، مما يحتم عليها أن توفر السلاح في يدها بانتظار الفرصة المواتية.

وتنقل مصادر مطلعة أن مجموع ما هرب من السلاح الخفيف إلى الداخل عام ١٤٠٣هـ، يفوق ما حصل عليه الحرس الوطني نفسه.. وإن صحت هذه التقديرات، فإن مستقبلاً مظلماً ينتظر العائلة المالكة الفاسدة.

وفهد ــ الملك السعودي الحالي ــ أشار هو الآخر إلى التمويل بالسلاح، فقال في تصريح له نشرته مجلة النهار العربي والدولي: (إن السلاح سوفياتي والتحريض كذلك)[1]، موحياً بأن روسيا وراء السلاح! وهو تصريح فظ ومستهجن ومكشوف.

وجاء نايف مرة أخرى وحدد الدول التي تم منها التهريب (اليمن الشمالي سابقاً، ثم لبنان).. ففي ندوة عقدها الوزير بتاريخ ١٩٨٠/١/٨م في جامعة الرياض (الملك سعود) قال: (إن المعتدين دخلوا الحرم بسلاح يتكون من بنادق ورشاشات تشيكية ــ وليست سوفياتية ــ الصنع، موجودة في المملكة منذ حرب اليمن عام ١٣٨٣هـ، حيث تسربت إلى البلاد عن طريق بعض القبائل، وعن طريق التهريب، وبعضها بعد حرب لبنان، كما كان لديهم أسلحة أخرى مثل المسدسات وبنادق الصيد).. وما هي غلا ثمان وأربعين ساعة حتى نشرت جريدة السفير مقابلة مع نايف، أضاف فيها إضافات حول الأسلحة، بقوله: (ويهمني أن أشير هنا أن الأسلحة التي كانت بحوزتهم هي أسلحة خفيفة، وشعب المملكة ــ وخصوصاً أهل ألبادية ــ يملكون الأسلحة الفردية، إضافة على أن الذخيرة كانت تهرب إلى داخل المملكة من لبنان إلى سورية، ومن سورية على الأردن فالعراق، ثمن يجري توزيعها بين أنحاء المملكة والخليج)، وأضاف..(وأمر التهريب والأسلحة ليس بغريب في أي حال، لقد كان مقتحمو الحرم يملكون رشاشات خفيفة وبنادق ومسدسات، ولكنهم لم يكونوا يمتلكون أي أسلحة متطورة، ولا حتى قنابل)[2]..

ولما انتهت العملية وأعدم المعتصمون في ثمان مدن من البلاد، غير وزير الداخلية رأيه حول مسألة التهريب بعد أن اكدها في أحاديثه السابقة، ففي مؤتمر صحفي عقده في (١٩٨٠/١/١٥) قال أنه (يمكن) أن يكون بعض الأسلحة مهرباً من الخارج: (بالنسبة للأسلحة فليست هناك كمية كبيرة، بل هي أسلحة موجودة في البلد، ولكنها طبعاً أسلحة مميتة، وهي رشاشات متنوعة، منها صناعة شرقية وصناعة غربية وعددها محدود، وكذلك بنادق قديمة مما يستعمل في البلد ومسدسات، وطبعاً كانوا يطلقون النار بكثافة، وكانت لديهم ذخيرة، ويمكن أن يكون بعض هذه الأسلحة مهرباً، ولكن ليس هناك مصدر يمكن أن نسميه ممولاً لهؤلاء، أو يقيم الشبهة على وجود جهة ما قد اشتركت في تسليحهم)..

---

[1] ــ النهار العربي الدولي ١٩٧٩/١٢/٢٣م.

[2] ــ السفير ١٩٨٠/١/١٠م.

فإذا كان الأمر بعد القضاء على المعتصمين وإعدامهم لم يتأكد بعد من أن جهة وراء تسليحهم، فلماذا سمح فهد وإخوته لأنفسهم بأن يقولوا بأنهم (ممولون) أو أن (الأسلحة سوفياتية والتحريض كذلك) كما قال فهد؟!

وهكذا يتبين أن الادعاءات السعودية حول ارتباط الجماعة بجهات أجنبية ما هي إلا محض افتراء، وهذا ما اعترف به آل سعود أنفسهم في تصريحاتهم المتناقضة.. وبالتالي فلا الاستفهامات حول (جنسية) المهاجمين أفادت في تمرير الأكذوبة، ولا (تسليح وتدريب) الجماعة أقنع أحداً حتى المسئولين أنفسهم..

الفصل الرابع

كيف تمت العملية؟

الاعتصام في الحرم: ألفان من المقاتلين الأشداء، يعتصمون في الحرم.. وكان بإمكانهم أن يقضوا على الأسرة الحاكمة ويفنوها عن بكرة أبيها لو أنهم هاجموا القصور، وكان بإمكانهم أيضاً احتلال مبنى الاذاعة والتلفزيون بسهولة ويسر، مما يتيح لهم شرح وجهات نظرهم للرأي العام.. بل وكان من المحتمل جداً أن يجدوا تعاطفاً شديداً من القوات المسلحة، ومن المواطنين، الأمر الذي يجعل من نجاحهم في إسقاط الحكم السعودي شبه أكيد..

معظم الناس كانوا يتصورون أن عملية إسقاط الحكم السعودي ستكون بالسلاح، سواء من الجيش أو من تنظيمات شعبية دينية، ويكون احتلال مبنى الاذاعة والتلفزيون ثم احتلال القصور الملكية وإلقاء القبض على رجال الأسرة الحاكمة.. أول الأعمال، ولم يدر بخلدهم أن تكون العملية في مكة، ومحورها بيت الله الحرام..

لقد كان ذهول الرأي العام راجعاً إلى أمرين:

الأول/ أن العملية كانت مسلحة وقوية ومنظمة وموجهة ضد الحكم السعودي، الذي كان الغرب يتصور أنه قوي متين وقائم على أساس شعبي..

والثاني/ كون العملية قد وقعت في بيت الله الحرام، وهو أقدس بقعة على وجه الأرض، ولا شك أن الأمر الثاني فاجأ العالم أكثر.. فهناك نسبة كبيرة لا يفاجئها مواجهة المواطنين للحكم السعودي، نظراً لعلمها بفساده وضعفه، ولكن موقع العملية فاجأ المجموع تقريباً، فهل هناك خطأ في الاختيار؟!

صحيفة (السفير) اللبنانية علقت على المؤتمر الصحفي لوزير الداخلية (١٩٧٩/١٢/٤م) بانطباع الرأي العام العربي والعالمي فقالت: (إن السؤال الرئيسي الذي لم يتوقع أحد الاجابة عليه من جانب وزير الداخلية السعودي، هو: ماذا كان هدف المتمردين؟.. ولماذا اختاروا المسجد الحرام، وليس الاذاعة والتلفزيون ــ على سبيل المثال ــ ؟.. وهو ما كان سيتيح لهم إمكانية التحدث إلى الشعب وشرح موقفهم، وربما دعوة الشعب إلى الثورة.. وهل كانوا يعتقدون أن احتلال المسجد وحده سيسقط نظام الحكم؟.. وأي نظام حكم ترى كانوا يناضلون من أجله؟، وهل كانت ثمة عمليات تمرد من المقرر أن تتم في مكان آخر غير مكة؟، وهل تراجع بعض الرجال دون اتمام هذه العمليات الأخرى؟)[1]..

---

1 ــ السفير ١٩٧٩/١٢/٦م.

لماذا الحرم الملكي وليس غيره قررت الجماعة الاعتصام فيه؟، وهل المسألة لا تتعدى الاعتصام، أم أن القصد كان فعلاً محاربة النظام وقتاله من هناك؟..

حسب المعلومات المتوفرة، فإن العملية كانت اعتصاماً، ومما يعزز هذه المسألة:

١/ أن المعتصمين اصطحبوا نساءهم وأطفالهم وأقرباءهم معهم داخل الحرم، مما يعني أن النية كانت متجهة أساساً للسيطرة على الحرم والبقاء فيه وإعلان مطالبهم.

٢/ إن عملية الحرم ــ والتي شدت انتباه الرأي العام ــ استحوذت على النصيب الأكبر من اهتمام الاعلام، بينما كانت في الواقع حلقة من الحلقات العديدة، وقد أغفلت الأعمال الأخرى التي وقعت خارج الحرم، والتي كانت من الناحية السياسية والعسكرية أخطر بكثير مما دار في الحرم.. بمعنى أوضح، كانت عملية الحرم جزءاً مكملاً لمجموعة من الأجزاء التي تهدف في النهاية إسقاط الحكم السعودي..

وقد بدأ للوهلة الأولى أن الجماعة استهدفت باعتصامها في الحرم كسب الشرعية الدينية منه، وذلك بإعلان مطالبهم أمام الحجاج والمصلين في الحرم، وإعلان معارضتهم للمفاسد الحكومية التي تمارسها العائلة الحاكمة.. هذا إضافة إلى طرح شخصية بديلة للحكم السعودي يقبل بها المسلمون، هذه الشخصية كانت (محمد بن عبد الله القحطاني) الذي عرف بالمهدي.

٣/ أن التخطيط للعملية يوضح وحسب ما ذكرته الصحف ووكالات الانباء ــ انه يهدف للبقاء طويلاً داخل الحرم، وقد هيأت الجماعة لنفسها كميات كبيرة من الغذاء.

ويرد على هذا القول، بالسؤال التالي: إذا كان أفراد الجماعة ينوون الاعتصام، فلماذا حملوا السلاح معهم ودخلوا به في الحرم؟!، إن الأمر يوضح وكأن الجماعة كانت تنوي فعلاً القتال داخل الحرم!

ولتوضيح المسألة نورد النقاط التالية:

أولاً: من الأمور المؤكدة أن أفراد الجماعة أدخلوا السلاح معهم إلى الحرم، إضافة إلى الذخيرة والمواد الغذائية التي أهمها التمور.

ثانياً: أن حمل السلاح يعبر عن عدم ثقة بالسلطة الحاكمة، وتشير كراسات المرحوم جهيمان إلى عدم الثقة هذه في الكثير من المواقع.. ولا شك أن أفراد الجماعة كانوا يتوقعون ــ بنسبة معينة ــ أن القوات الحكومية ستهاجمهم وتقتلهم للتغطية على مطالبهم تحت أي ذريعة.. وجاء التحسب إلى هذا الأمر أن يدافعوا عن أنفسهم بسلاح يكون متواجداً تحت أيديهم.. خاصة وأنهم كانوا يرون أنهم سيحرجون السلطة التي تدعي الاسلام، إذا ما قاتلتهم فيه..

ثالثاً: بات في حكم المؤكد أن القوات الحكومية، وبأمر أمراء الأسرة الحاكمة، هي التي بدأت بالقتال بحجة تحرير الرهائن الذين قبض عليهم، وقد تبين أن لا رهائن عند المعتصمين، وهذا ما اعترف به وزير الداخلية بعدئذ..

والقول أن المعتصمين هم الذين بدأوا القتال أمر يحتاج إلى دليل، فهم اعتصموا في الحرم وأغلقوا الأبواب واستعدوا للدفاع.. وكان بإمكان الأسرة الحاكمة تجنب القتال لو أرادت ذلك، ولكنها استقدمت قواتها

وخبراءها الأجانب، إضافة إلى دباباتها وطائراتها وهاجمتهم، فدافعوا عن أنفسهم وفقاً لقوله تعالى: **(ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه، فإن قاتلوكم فاقتلوهم)**..

كل هذا يشير إلى أن الجماعة كانت تريد تجنب القتال في الحرم، رغم أنها قامت بأعمال عسكرية في خارجه أيضاً.. ومن الطبيعي أن لا يبدأوا القتال، لأن في ذلك مخالفة واضحة للشرع، بعكس أمراء الأسرة الحاكمة، الذين عجلوا بالمواجهة العسكرية أصلاً في تغطية سريعة للأحداث والمطالب السياسية والدينية التي طرحتها الجماعة.

كيف تم الاعتصام؟

قبيل انبلاج الضوء الأول من صباح يوم الثلاثاء (١/١/١٤٠٠هـ)، كانت أعداد كثيرة من السيارات تنزل ركابها في الشارع المحيط بالمسجد الحرام، واتجه مئات من الرجاء والنساء والأطفال ــ يزيدون عن (١٠٠٠) شخص ــ نحو البيت العتيق، وهم يهتفون بنداء (الله أكبر.. الله أكبر)، ودخلوا المسجد الذي كان ممتلئاً بالمصلين والحجاج، وسيطروا على أبواب الحرم وأغلقوها، ثم سيطروا على مكبرات الصوت وإذاعة الحرم، في الوقت الذي انتهت فيه صلاة الجماعة التي تمت بإمامة أحد مشايخ السلطة وهو الشيخ محمد بن سبيل..

بعدها خطب أحد المعتصمين في المصلين (ويقال أنه جهيمان نفسه) وأعلن لهم رفضه للحكم السعودي لأنه قائم على غير هدي من الشرع، موضحاً ذلك بالأدلة الشرعية، واستنكر الفساد الأخلاقي والاجتماعي المنتشر بتساهل من الحكومة والأمراء، كما أدان عدداً من الأمراء، وشدد في هجومه على أمير مكة فواز بن عبد العزيز والذي أقيل بعد الانتفاضة، متهماً إياه بالفساد والانحراف والتجاهر بالفسق، وتساءل كيف يجوز لمثل هذا الشخص أن يتولى أقدس مقدسات المسلمين؟!

وقد أوضح الخطاب أهداف الجماعة وأفكارها ومآخذها على الملوك والأمراء السعوديين، وقد دار مجمل الخطاب حول:

١/ إنهاء الحكم الملكي السعودي، وأن لا بيعة للأمراء السعوديين لأن بيعتهم وحكمهم قائم على الجبر والقهر، وأنهم في مسلكهم لا يلتزمون بالدين بل يهدمونه.

٢/ المطالبة بقطع الروابط مع حكومات (النصارى) وخصوصاً الولايات المتحدة الأميركية، وإخراج الأجانب (النصارى) من مدرسين وأساتذة، وخبراء عسكريين، ومستشارين وجواسيس.

٣/ القضاء على الفساد والانحراف في المجتمع، والتشدد في تطبيق الأحكام الشرعية، وإدانة النظام الحاكم على إهماله لها..

وفي ختام الخطاب، قدم جهيمان، محمد بن عبد الله القحطاني، على أساس أنه "المهدي" وإمام للمسلمين، موضحاً الصفات التي تدل عليه.. وطالب المصلين التعرف عليه ومبايعته إن شاؤوا، وقد بايعه جميع أفراد الجماعة الذين قدموا من دول مختلفة، ومن مناطق مختلفة في البلاد..

بعد هذا وزعت الأسلحة التي كانت مخزنة في (قبو) المسجد، واتخذ المدافعون مواقعهم في منارات الحرم ومآذنه الضاربة الارتفاع في أجواء مكة، وذلك استعداداً لما قد تقوم به السلطات السعودية، التي وصلتها الأنباء بعد ثلاث ساعات من العملية.

كيف أدخلت الأسلحة إلى الحرم؟

في الثلاثة أيام الأولى من العملية، كانت المعلومات المتوفرة لدى رجال الصحافة والاعلام، هي أن الأسلحة أدخلت في (نعوش) لكي لا ينكشف الأمر.. ويبدو من تتبع مسار المعلومات هذه أنها أخذت من مصادر سعودية علياً.. مع ملاحظة أن الأوضاع لم تعرف بعد، فلا الهويات ولا الجنسيات، ولا العدد، ولا نوعية السلاح، كل هذا لم يكن معلوماً، فكيف اهتدت السلطة إلى ما هو أصعب من ذلك، وهو طريقة إدخال السلاح؟!

فقد نقل عن الوفد السعودي المرافق لفهد في مؤتمر القمة في تونس هذه المعلومة، وروجت على نطاق واسع في الثلاثة أيام الأولى.. وأشارت الصحافة العربية إلى: (معلومات وردت من تونس حيث يوجد ولي العهد السعودي الأمير فهد ــ قبل أن يصبح ملكاً ــ لحضور القمة العربية، أن الأسلحة أدخلت في ثلاثة نعوش، وهي مكونة من رشاشات ومسدسات)[1]..

وإذا كان ما قاله فهد أو حاشيته صحيحاً، فلماذا لم يعلن وزير الداخلية ــ وهو القريب من الأحداث ــ ذلك؟، ولماذا تجاهلته بيانات الوزارة المتكررة والكثيرة؟!

الطريف أن فهد، غير الرواية السابقة التي اخذتها عنه وكالات الأنباء والصحف، فقال بعد أن شارفت الأحداث على نهايتها ــ أو انتهت بالفعل ــ قال في مقابلة له مع جريدة (السفير) البيروتية: (حول السلاح لابد من الاشارة إلى أن كل بيت في السعودية ــ في البادية أو في الحاضرة ــ يمتلك السلاح، هذه طبيعتنا من الأصل، أما الجديد في الأمر كونهم قد دخلوا بأسلحة خبئوها في عباءاتهم، أو دفعوا مبلغاً من المال لأحد البوابين في المسجد الحرام ــ ٤٠ ألف ريال ــ فساعدهم على إدخال الذخيرة والأسلحة، هذا هو الشيء المفاجيء الذي حدث)[2]..

ويلاحظ أن قضية (النعوش) مختلقة، كما هي مسألة الرشوة (٤٠ ألف ريال) التي زعمها فهد، وهو يعلم أن المرتشين هم بطانته وأفراد أسرته، وأن أفراد الجماعة ما قاموا بما قاموا إلا من أجل القضاء على الرشوة وإضرابها..

(النعوش) لم يذكرها فهد ولم يذكرها بعدئذ أحد من المسئولين، والرشوة لم يكررها أحد، حتى نايف الذي نشرت له (السفير) مقابلة في اليوم التالي (١٩٨٠/١/١٠)، لم يتحدث فيها عن شيء من هذا القبيل، بل قال: (لقد أدخلت سيارتان إلى القبو، واحدة كانت تحمل تمراً والأخرى كانت تنقل نساءاً للمساعدة في إخفاء الذخيرة وحوالي "١٠" قطع سلاح)!!

---

1 ــ السفير ١٩٧٩/١١/٢٢م.

2 ــ السفير ١٩٨٠/١/٩م.

الآن أصبح دخول الأسلحة بالسيارات إلى القبو التابع للمسجد، فلماذا كان الحديث عن العباءات؟، وهل صحيح أن ما أدخل لا يتعدى عشر قطع سلاح، كما قال نايف؟!.. إنها نكتة لا أحد يصدقها..

نعم.. أدخلت الأسلحة إلى القبو وبالسيارات، ولكن لا أحد يعلم بالضبط عدد السيارات، ولا مقدار الذخيرة، ولا عدد قطع السلاح.. والدلائل تشير إلى أن الأسلحة استخرجت من القبو ووزعت على أفراد الجماعة، ولم يكن الأفراد يحملون السلاح أثناء دخولهم، ولربما كانت بعض المسدسات قد أدخلت مع قلة من الأفراد نظراً لصغر حجمها، ولربما أدخلت بعض الذخيرة من الأبواب.. لكن المجموع الكلي للسلاح والذخيرة قد أدخل من القبو.. وكان من السهل انكشاف الأفراد لو أن ما قاله وزير الداخلية صحيحاً أن كل فرد أدخل قطعة أو قطعتين من السلاح معه..

يقول نايف: (وقد دخل غالبية هؤلاء الخوارج إلى الحرم بقطعة أو قطعتي سلاح، مثل بندقية ومسدس، أو ما يماثلهما، مما يمكن إخفاؤه بسهولة، ودخلت الذخيرة بسيارة من مدخل مفتوح بدون حتى بوابة، ويقود إلى الأقبية، وكان ذلك قبل صلاة الفجر، إلى مكان ليس فيه أي شخص، وليست عليه حراسة، ويمكن أن تدخل هذه السيارة مع سيارات المقاول المسئول عن إصلاحات مبنى الحرم، وقد اتضح أن بعض من لهم علاقة بأبواب الحرم قد ساعدهم في تسهيل الدخول، كما وجدت بعض الذخيرة وقطع السلاح القليلة في بعض سياراتهم التي كانت موجودة قرب الحرم)[1]..

والأمر الآخر الذي لم تشر إليه تصريحات الأمراء الحاكمين يتعلق بالأوضاع خارج المسجد الحرام، فقد أكد عدد من الحجاج أن الأسلحة كانت توزع في خارج المسجد، ولدرجة أن البعض تصور أن الأسلحة التي أدخلت بعد السيطرة على المسجد الحرام، أكثر بكثير مما أدخل سابقاً، وقد يكون هذا الكلام صحيحاً، مع أن السلطات لم تشر إلى الموضوع رغم أهميته.. فقد ذكرت صحيفة (الرأي العام) الكويتية في اليوم الرابع للعملية على لسان الحجاج: (أنهم شاهدوا عدة عربات في الخارج وهي تحمل رجالاً يسلمون أسلحة وذخائر إلى المزيد من الهاجمين)[2]..

والجدير بالذكر أن الصحف الكويتية نشرت بتاريخ (١٩٧٩/١١/٢٨م) خبراً مفاده، أن السلطات السعودية الحاكمة اكتشفت مخابيء تحوي كميات كبيرة من الأسلحة في مختلف أنحاء مكة المكرمة والمدينة المنورة..

وأشارت جريدة الأهرام المصرية، والدستور الأردنية، إلى معلومات وردت من مصادر مطلعة في باريس مفادها أن: (المسلحين تزودوا بسبع سيارات نقل محملة بالأسلحة، واثنتين أخريين مملوءتين بالتمر، حتى يصمدوا في المسجد أمام أي حصار طويل) وأن المجموعة: (مزودة على ما يبدو ــ ليس فقط بالمعدات والأغذية ــ ولكن أيضاً بأقنعة واقية من الغاز)، وأن (حصول المتمردين على أقنعة واقية من الغاز ــ إذا كان صحيحاً ــ فإن له دلالات أخرى، فهو يثبت بوجه خاص، أن الذي فكر في الاعداد للهجوم جماعة مدربة عسكرياً، ومعدة إعداداً جيداً.. لأنه إذا كان من السهل الحصول على المدافع الرشاشة والمسدسات التي

---

1 ــ الأنوار اللبنانية ١٩٨٠/١/١٦م.

2 ــ الرأي العام ١٩٧٩/١١/٢٣م، وكذلك السياسية الكويتية ١٩٧٩/١١/٢٢م.

تتواجد في كل مكان، فإن أقنعة الغاز لا توجد معروضة في الأسواق، الأمر الذي يدفع إلى التفكير في أن هذه الأقنعة قد تم استيرادها برغم المراقبة المشددة التي تقوم بها السلطات السعودية في المطارات والموانيء)[1]..

والأقرب إلى التفكير من الاستيراد هو أن المهاجمين حصلوا على الأقنعة من مخازن الجيش السعودي أو الحرس الوطني، فهذه الأقنعة التي لا تتوفر إلا لدى الجيوش النظامية، والتي يستفاد منها في مواجهة الغاز المسيل للدموع، والقنابل الحارقة للأوكسجين، يمكن الحصول عليها من الداخل (من مخازن القوات المسلحة) بأسهل من تهريبها من الخارج..

ومنذ بداية الالتحام بالقوات الحكومية، خرجت وكالات الأنباء والصحف، بانطباع مفاده، أن المعتصمين ما هرون في الرمي، وأنهم مدربون تدريباً حسناً، لدرجة ان جريدة القبس الكويتية نقلت عن صحيفة نيويورك تايمز، قول مسئول سعودي كبير، أن أفراد الجماعة (مدربون على أحدث أساليب حرب العصابات)[2].. وهذا ما دعا الصحف إلى التساؤل عن الجهة التي قامت بتدريب الجماعة، مما حدا بصحيفة الدستور الأردنية أن تقول: (إن علامة الاستفهام الكبرى المرتسمة الآن في السعودية، والتي يتركز التحقيق مع المعتقلين حولها، هي: من أين حصل أفراد هذه الجماعة على الأسلحة والتدريب على استخدامها؟)[3]..

وكرر سليم اللوزي نفس التساؤل في مجلته (الحوادث) قائلاً: (والأسئلة التي يطرحها المسئولون عن الأمن في السعودية لا تتعلق بهويات هؤلاء الأشخاص، بقدر ما تتعلق بالجهة التي دربتهم، أو استخدمتهم، أو أمنت لهم السلاح)[4]..

جزء من العمليات:

أشرنا في الصفحات السابقة إلى أن عملية الحرم كانت جزءاً من العمليات التي تهدف بالنتيجة إلى إسقاط الحكم السعودي.. وقد شملت العمليات مختلف المناطق والمدن في البلاد.. كما بينت ردود الفعل السعودية على الحدث بما يفيد اتساعه وشموليته.. وهذا إضافة إلى أن المصادر المخابراتية الغربية أشارت إلى أن حادثة الحرم ما هي إلا رأس حربة لانقلاب كان على وشك القضاء على الأسرة الحاكمة.

فمجلة النيوزويك أشارت إلى العملية على أنها كانت: (عملية انقلاب كاد أن ينجح)[5].. وصحيفة اللوموند الفرنسية أشارت إلى (أن حادث مكة كان دون شك محاولة تستهدف تغيير النظام)[6]..

وفي العموم، هناك شبه اتفاق على أن حادثة الحرم لم تكن منفصلة عن الحوادث الأخرى التي وقعت في البلاد في نفس الفترة.. ومما يعزز هذا القول:

---

1 ــ الدستور والأهرام المصرية ١٩٧٩/١١/٣٠م.

2 ــ القبس ١٩٧٩/١٢/١٨م.

3 ــ الدستور ١٩٧٩/١١/٣٠م.

4 ــ الحوادث ١٩٧٩/١٢/٧م.

5 ــ نيوزويك ١٩٧٩/١٢/١٧م.

6 ــ اللوموند ١٩٧٩/١٢/٣م.

أولا: أن ردود فعل النظام على عملية الحرم كانت شاملة، فإذا كان الحادث وقع في مكة، وليس له ربط بالمناطق الأخرى، فلماذا إقفال المطارات، وتعطيل الاتصالات وفرض حظر التجول، في عدد من المدن، وغير ذلك من الاجراءات!؟..

ثـــانياً: أفادت مصادر وثيقة الاطلاع، أن السلطات السعودية اعتقلت مئات من أفراد الجماعة والمتعاطفين معهم، من الأحساء وتبوك والرياض والقصيم وغيرها، إضافة إلى مكة والمدينة وجدة والطائف.. وتدل حملة الاعتقالات المكثفة على أعمال وقعت في بعض هذه المدن، كتبوك مثلاً، وليس على اكتشاف لخلايا الجماعة وأفرادها.

ثالثاً: أفادت الحكومة والمصادر الاعلامية الغربية، أن مخابيء عديدة للسلاح اكتشفت في عدة مدن، إضافة إلى مناطق متفرقة من مكة المكرمة.. ويدل توزيع السلاح على خطة معينة لإسقاط الحكم السعودي، نفذ جزء منها، واعتور أجزاء أخرى النقص، مما سبب عدم التنفيذ.

رابعاً: لقد أعلن في الصحف عن حدوث عدة وقائع في عدة مدن في البلاد، منها مهاجمة القصور الملكية في الرياض، وأن قنبلة انفجرت في القصر الملكي، وأن أحداثاً وتوترات وقعت في اليوم الثاني للعملية في مدينة الرياض.. كما نشبت اشتباكات في الطائف بين القوات الحكومية وأفراد الجماعة، احتل بعدها مطار الجوية.. وأفادت مصادر أخرى أن الجماعة حاولت السيطرة على إذاعة القرآن الكريم واحتلال قصر الإمارة في مكة.. إضافة إلى التحرك الذي وقع في قاعدة تبوك والذي كان بمثابة تمرد، وقد نقل شاهد عيان كان من بين المعتقلين بتهمة الانتماء للجماعة أنه نقل مع مئات من الشباب الملتحين من تبوك إلى جدة، ويعتقد أنهم كانوا جنوداً وضباطاً من أفراد القاعدة التي وقع فيها التمرد.. الخ.

خامساً: اعترفت السلطات السعودية بأن محاولة فاشلة للسيطرة على المسجد النبوي في المدينة المنورة قد وقعت في ذات اليوم (١٩٧٩/١١/٢٠م)، قام بها أفراد من الجماعة.

سادساً: وتناقلت وكالات الأنباء خبراً مفاده أن الجماعة كانت تتوقع وجود الملك في الحرم، وأنها كانت ستلقي القبض عليه.. وإن كان هذا الخبر مشكوك فيه..

القبض على الملك خالد:

لا يعلم حتى الآن من الذي روج للخبر الذي يقول بالقاء القبض على الملك خالد داخل الحرم.. رغم تصورنا أن المسألة مفتعلة من الأساس.. وهنا لا بأس بالإشارة إلى بعض الملاحظات حول هذه النقطة بالذات:

الأولى: أن الجماعة كان يمكن لها أن تصل إلى الملك نفسه، دون أن يكون هناك تخبط في التوقيت في أن يكون الملك حاضراً في الحرم أم لا، وفي مكان غير الحرم.

ولو أنها كانت تخطط للوصول إليه وقتله، ولو أن العملية كانت تهدف مجرد قتل الملك، فإن من الأمور شبه المؤكدة أن الجماعة كان بإمكانها الوصول إليه عبر طرق مختلفة.

الثانية: ليس من عادة الملك أو الأمراء الحضور إلى المسجد الحرام فجراً، فهم قد تعودوا على الحضور نهاراً، ثم تخرج القوات الحكومية الحجاج لا فساح المجال لهم، ولكي تأخذ أجهزة التصوير السينمائية دورتها على أصحاب اللحى و (العقل)!، مع ملاحظة أن الأمراء والملك قليلاً ما يحضرون.. ثم إن الملك يوم وقوع الحادث كان نائماً في الرياض، ولا نعتقد أن حسابات الجماعة كانت بمثل هذه السذاجة.. بيد أن التصور المنطقي أن الاعلام الموالي للحكم السعودي أراد أن يوضح للرأي العام بأن الملوك والأمراء السعوديين ملازمون للحرم ويشتغلون بالصلاة فيه على الدوام، وهو ما لا يفعله أي منهم في الواقع.

الثالثة: أن من بين الأمور التي ساعدت على ترويج مثل هذا الخبر، هو وجود رؤوس الحكم الأقوياء خارج البلاد، فولي العهد السابق ــ فهد ــ كان يحضر مؤتمر القمة العربية في تونس أثناء وقوع الحادثة، وولي العهد الحالي ــ عبد الله ــ ورئيس الحرس الوطني، كان يقضي اجازته السنوية في مصيفة المفضل (كازابلانكا)!، أما الملك خالد فهو ضعيف لا دور له ــ من الناحية العملية ــ، الأمر الذي أعطى الانطباع لدى المتابعين أنه بالقاء القبض على الملك خالد سينتهي كل شيء، ومن ثم جاءت صياغة الخبر بالطريقة المعلومة، وأضاف مروجو الخبر أن الملك أصيب بوعكة منعته من الحضور إلى المسجد الحرام، فأفسدت خطة المهاجمين.

وأخيراً، فرغم أن مسألة إلقاء القبض على الملك قد تكون محتملة ومخطط لها من بين الأهداف، إلا أن الشكوك في الأمر لازالت قوية، وتمنع الأخذ بها.. خاصة وأن الأمراء الحاكمين ــ وبعد أن اتضح أن مسير الرواية لا يخدمهم ــ نفوها بكلمات وتجاهلوها، حتى أن نايف ــ وزير القمع ــ وبعد شهر ونصف من الحادث، أي بعد انتهائه قال مجيباً على سؤال طرحته جريدة السفير عليه يتعلق بخطف الملك: (هذه أول مرة أسمع فيها مثل هذا الكلام، لكن هذا غير صحيح بكل الأحوال)[1]، فتصور ــ صديقي القاريء ــ أن العالم يتناقل الخبر، وينتشر كالنار في الهشيم مدة لا تقل عن شهر، وتنشره وكالات الأنباء والصحف العربية والأجنبية، ثم يأتي الوزير الأمير ليقول بأنه ــ ولأول مرة ــ يسمع فيها أن هناك أمراً يتعلق باختطاف الملك!.

الفصل الخامس

الأمراء الرهائن!

لم يكن هناك رهائن..

هذه خلاصة الموضوع الذي كثر اللغط حوله.. وهذه الحقيقة جاءت في آخر قائمة الاعترافات السعودية..

هل كانت هناك رهائن بيد المعتصمين؟..

ليس هناك رهائن سوى الأمراء الحاكمون أنفسهم، فقد كانوا طيلة أيام العملية يعيشون حياة أشبه ما تكون بحياة الرهائن، وسوى ذلك.. لم يكن إلا خيال محض..

---

1 ــ السفير ١٠/١/١٩٨٠م.

الأمر الحاكمون هم الرهائن الوحيدون.. الاعلام حاصرهم، وجهيمان كشفهم على حقيقتهم، وأبان للعالم ضعفهم.. وتصريحاتهم خرجت عن إطار المعقول، وكانت مليئة بالكذب.. لم يستطيعوا إقناع العالم بالروايات المتعددة والمتناقضة التي يخترعونها كل يوم..

والعمل العسكري المرافق للتمرد الواسع، جعلهم يخافون على حياتهم، وكان الكثير يتصور أن أيامهم معدودات.. الجيش والحرس خذلهم والأميركان ــ أصدقائهم ــ هم أول من أنبأ العالم عن العملية، وكانوا في طليعة المروجين للأخبار والتكهنات التي جاءت في معظمها خلاف الروايات الحكومية.. والاعلام الحكومي كان مقصراً.. والاجراءات التي اتخذت كانت فجة، وجاءت بعكس النتائج المتوخاة..

والسؤال.. من الذي اخترع بدعة (الرهائن)؟.. ولماذا؟

البدعة كانت صناعة سعودية حكومية (١٠٠%)، وهي من اخطر البدع التي اطلقها آل سعود إبان الحادثة الخطيرة، لأن الهدف الأساسي منها كان ــ في البداية ــ هو تأمين المظلة الشرعية لاستخدام السلاح والحسم العسكري ضد المعتصمين في الحرم، فما دام هناك رهائن، وما دامت حكومة (حامي الحرمين) مسئولة عن أرواح الناس، فإن السبيل الذي تسلكه سيكون شرعياً إذا ما اتخذت أي إجراءات قمعية، وبدأت بقتال أفراد الجماعة، من أجل تأمين إطلاق سراح الرهائن..

وبعد أن تأخر الحسم العسكري، أراد الأمراء الحاكمون، أن يجعلوا من قضية الرهائن ــ المصطنعة ــ المشجب الذي يعلقون عليه سواءتهم وضعفهم.. فتأخير الحسم كما ادعى آل سعود، كان بسبب وجود رهائن، وأنهم كانوا حريصين على أرواحهم، مما استدعى مراعاة بعض الأمور التي أدت بالنتيجة إلى تأخر الحسم العسكري.

في البيان الأول لوزارة الداخلية، يتوضح أن هناك نية سعودية مبيتة لمهاجمة المعتصمين، بحجة إطلاق سراح الرهائن، وقد ألمح البيان إلى وجود رهائن بقوله: (وقد قامت السلطات المختصة باتخاذ كافة التدابير للسيطرة على الموقف، وبناءاً على فتوى من العلماء جميعاً، اتخذت الاجراءات لحماية أرواح المسلمين المتواجدين بالمسجد الحرام)[1].. ولا شك أن القاريء يلاحظ من صياغة البيان أن التدابير السعودية ما هي إلا الاعداد للهجوم العسكري قبل محاولة فض الخلاف مع الجماعة (سلماً)، لأن آل سعود تعودوا على حل الأمور بمنطق السيف والعنف..

ومن جهة أخرى يلاحظ أن هناك إضفاءاً شرعياً على التدابير العسكرية، منها: (فتوى العلماء جميعاً)، رغم أنه لم توجد حتى ذلك الحين أي فتوى من العلماء جميعهم أو قليلهم، ومنها: (حماية أرواح المسلمين) وهي حجة واهية، تبين أن آل سعود هم وراء الاشاعة القائلة بوجود رهائن بين المعتصمين.

والسؤال الذي ما فتيء يتكرر: ألم يكن بمقدور آل سعود التأني في مهاجمة الحرم بالدبابات والطائرات؟.. ألم يكن بمقدورهم فرض الحصار على المسجد من بعيد حتى ينتهي زاد وذخيرة المعتصمين؟.. ربما يقول آل سعود أنهم كانوا في موقف المدافع عن أرواح الناس.. ولكن تبين بعدئذ أن لا وجود لأي رهينة، فلماذا بدأوا بالقتال؟!.. إذ ليس من المعقول أن يقاتل أفراد الجماعة عدواً غير متواجد على أرض المعركة وقريباً من

---

1 ــ بيان وزارة الداخلية الصادر بتاريخ ١٩٧٩/١١/٢١م.

المسجد الحرام.. ولو لم تكن القوات السعودية متواجدة للقتال، ماذا عسى ان تفعل الجماعة؟.. المتوقع أنها ستنتظر وتنتظر إلى أن ينتهي الزاد ثم تخرج، أو تفضي الأمور إلى حلول أخرى قد تكون عسكرية ولكن ليس في الحرم..

لكن آل سعود أبوا إلا القتال، وجهزوا قائمة من الذرائع، بعضها فتاوى (جاءت متأخرة)، وبعضها إشاعات عن وجود رهائن، وكل ذلك أملا في إنهاء الموقف وحسمه بالسرعة التي تطمس أخبار المعتصمين وهوياتهم وأهدافهم..

والجماعة أكدت مراراً أنها لا تنوي القتال في الحرم، وأنها حملت السلاح لتدافع عن نفسها، وقد اعترف نايف بعد انتهاء العملية أن أفراد الجماعة قالوا: بأنهم لم يقصدوا القتال في الحرم: (وقد قالوا أنهم ما قصدوا أن يقاتلوا، ولكنهم حملوا السلاح دفاعاً عن أنفسهم، لكن التحقيق أثبت كذب ادعاءاتهم هذه، والحقيقة أنهم قالوا لمن معهم: اذهبوا إلى هناك وقاتلوا وأطلقوا النار، لأن البيعة لن تتم بمجرد هز الرؤوس، بل باستعمال الرشاشات)[1]..

هذا ما قاله نايف.. وإننا من جانبنا لم نعهد أن أفراد الجماعة يقولون كذباً، فهم متشددون حتى في المستحبات، فكيف بهم يفعلون المحرمات الصريحة الواضحة؟!.. ولكن الكذب كما تبين للقاريء هو ديدن آل سعود، الذين يكذبون، ويكذبون، ويكذبون، من أجل أن يصدقهم الناس..

إن مسألة (كذب) ادعاءات الجماعة حول أنهم (ما قصدوا أن يقاتلوا، ولكنهم حملوا السلاح دفاعاً عن أنفسهم) لا تحتاج إلى تحقيق حتى يثبت كذبها من عدمه.. فمن الذي جاءهم في الحرم وقاتلهم فيه؟!، ومن الذي دك الحرم ومآذنه بالمدافع والطائرات؟!، ولو أن الجماعة كانت تقصد فعلاً القتال، لاختارت مكاناً آخر غير الحرم.. فقد كان بإمكانها مهاجمة ثكنات عسكرية، أو غير ذلك.. وفوق ذلك، كان من الممكن أن يؤخذ قول نايف على جانب من محمل الجد، لو أنه أثبت بأن الرهائن كانوا موجودين وقتلوهم، أو أن البيعة كانت تحت وطأة السلاح.. أو لو أن نايف أثبت أن هناك قتالاً قد تم قبل وصول القوات الحكومية وابتدائها بالقتال.. أما أن يهاجموا ويقتلوا ويؤسر بعضهم، ثم يقول بأن التحقيق أثبت أن حملهم للسلاح ليس من أجل الدفاع عن النفس!!

والآن لنعد إلى ما قاله المسئولون السعوديون حول الرهائن المزعومين..

في اليوم التالي للعملية ذكرت صحيفة (القبس) الكويتية على لسان أحد أعضاء الوفد السعودي في تونس، ويعتقد أنه (فهد) نفسه، بأن (اختطاف الرهائن هو من تدبير المرتزقة)[2].. وفي نفس اليوم الثاني للعملية قال وزير الخارجية: (ويوم أمس ــ أي في يوم العملية ١٩٧٩/١١/٢٠م ــ تمت السيطرة على الموقف وفق إجراءات الحكومة التي قررتها سلفاً، حيث خرج المصلون بطريقة رتبتها وزارة الداخلية، ولم يبق إلا في حدود ثلاثين شخصاً يجري الآن تأمين سلامتهم)[3].. ويلاحظ أن وزير الخارجية حاول القول

---

1 ــ السفير ١٩٨٠/١/٢٠م.

2 ــ القبس ١٩٧٩/١١/٢١م.

3 ــ الرياض ١٩٧٩/١١/٢٢م.

بطريقة "ما" أنه لا وجود لرهائن كثيرين، إذ أن من المتوقع أن رد الفعل الاسلامي سيكون شديداً، وسيثير زوبعة خارجية لن تكون محصلتها في صالح الحكم السعودي، وسيتساءل المسلمون عن مصير أهاليهم الحجاج، وعن التقصير السعودي في الحفاظ على أرواحهم..

المسألة الثانية التي تؤخذ على التصريح، هو القول بأن المصلين خرجوا من الحرم وفق ترتيبات أعدتها وزارة الداخلية (سلفاً) وفي اليوم الأول من العملية.. وفي هذا إيحاء بكفاءة الأجهزة السعودية وحرصها على أرواح الحجاج والمصلين، مع أن الوقائع كلها تشير إلى أن المصلين خرجوا قبل وبعد وصول القوات الحكومية بسهولة ويسر، ودون تعرض من أفراد الجماعة، وبدون أي مساعدة حكومية مهما قل شأنها، وقد كذبت تصريحات الحجاج الذين كانوا متواجدين في الحرم ادعاءات وزير الخارجية هذه..

والمسألة الثالثة التي تؤخذ على التصريح، هو أن الوزير حدد عدد الرهائن الموجودين بثلاثين شخصاً، ولا ندري من أين جاء بالرقم المفتعل هذا؟.. خاصة وأن المسئولين السعوديين ناقضوه أكثر من مرة، إضافة إلى أن المسئولين انفسهم لم يكونوا حتى تاريخ التصريح يعرفون هوية الثائرين ولا عددهم، فكيف عرف عدد الرهائن!؟

والمسألة الرابعة التي تبطل ادعاء آل سعود حول الرهائن، هو عدد الرهائن أنفسهم، إذ لو أن المعتصمين قرروا الاحتفاظ برهائن، لكان بإمكانهم أسر ما لا يقل عن عشرة آلاف شخص وحشرهم في الأقبية، وهذا الرقم هو أقل من (عشر) المصلين المتواجدين آنذاك في الحرم.. فلماذا قرر المعتصمون الاحتفاظ بثلاثين رهينة ــ كما يدعي آل سعود ــ؟!.

وفي ذات اليوم الذي نشر فيه تصريح الوزير ــ الآنف الذكر ــ نشرت إحدى الصحف اللبنانية خبراً نقل عن مسؤول سعودي في تونس قوله: (إن المهاجمين كانوا لا يزالون يحتفظون حتى ساعة متأخرة من ليل أمس ــ ١٩٧٩/١١/٢١م ــ بنحو مائة رهينة)[١].. بعدها عزف وزير الداخلية على أرواح الأبرياء قائلاً: (من منطلق الحرص على أرواح الأبرياء الذين لا يزالون متواجدين داخل بيت الله الحرام، فإن قيادة قوى الأمن تحاول قدر الامكان تجنب أي عمل قد يؤدي إلى الاضرار بالمسلمين)[٢].. والطريف أن راديو الرياض ناقض أقوال مسئولية، فأعلن في اليوم الثاني (١٩٧٩/١١/٢١م) أن المسجد الحرام قد أخلي من الحجاج والمصلين، أي أن الرهائن حرروا.. لكن وزير الاعلام قال في اليوم التالي (١٩٧٩/١١/٢٢م) ان الرهائن لازالوا موجودين، وكرر قول وزير الداخلية من أن: (جهة الأمن المختصة كانت حريصة أن تعالج هذا الموضوع بكل حكمة، وبكل تحسب لأرواح الأبرياء الذين لا ذنب لهم في هذه القضية).

وعاد التخبط مرة أخرى حول مصير الرهائن، فقد صرح مصدر سعودي في نفس اليوم الذي صرح فيه وزير الاعلام، بكلام قال فيه أن الرهائن حرروا جميعاً وأطلق سراحهم..

في اليوم التالي (١٩٧٩/١١/٢٣م) نشرت الصحف الكويتية خبراً مفاده (أنه تم تحرير الرهائن الذين كانوا في المسجد الحرام).. وبعد ثلاثة أيام، قالت صحيفة المدينة السعودية: (قام رجال الأمن بإخراج جميع

---

1 ــ النهار ١٩٧٩/١١/٢٢.

2 ــ الجزيرة السعودية ١٩٧٩/١١/٢٢م.

الرهائن المحتجزين)[1].. غير أن المسئولين السعوديين لم يثبتوا على قول، وكذلك صحافتهم، فراحوا يعزفون من جديد على وتر الرهائن، فصحيفة تقول (حرروا) وأخرى تقول: (يوجد رهائن)، وثالثة تنفي، ورابعة تؤكد.. الخ.. والعجيب أن المسئولين السعوديين لم يستقروا على رأي حتى بعد انتهاء الأحداث وإعدام الوجبة الأولى من الأسرى.. فهل يفسر هذا بغير الأكاذيب؟، وأن الرهائن كانوا محض اختلاق؟.

بقيت نقطة أخرى حول القضية، فقد أشارت بعض الصحف نقلاً عن وكالات الأنباء: (أن عائلة الشيخ أحمد زكي يماني، وزير البترول والثروة المعدنية السعودي "السابق"، هي من بين الرهائن الذين احتجزهم المسلحون داخل الحرم، وأن هذا هو احد الأسباب التي منعت الحكومة السعودية من اقتحام مناطق يحتلها المسلحون داخل المسجد، وعلم أن عائلات عدد من المسئولين السعوديين الآخرين هي أيضاً داخل المسجد، لكن لم يكن في وسع هذه الأنباء تحديد هويات هذه العائلات)[2]..

إن هذا الخبر هو أيضاً من ضمن الافتراءات والأكاذيب، وقد يكون شبيهاً في أوجه معينة مع مسألة تواجد الملك خالد في الحرم يوم وقوع العملية.. فعائلات المسئولين لا تزور المسجد، لا فجراً ولا ليلاً أو نهاراً، فالحرم ليس مكانهم.. مكانهم الحقيقي هو القصور العامرة بالفجور، وترددهم ليس على المساجد وإنما على مصايف العالم في (نيس أو هاواي أو ماربيا أو لندن) أو غيرها، فهذه الأماكن تشهد بوجود عوائل المسئولين السعوديين وفي مقدمة قائمتهم عوائل الأسرة الحاكمة، شهوراً عديدة كل عام..

ولعل إقحام عائلة اليماني في الواجهة، ترجع إلى تخوف غربي على مصيره ومصير عائلته، لأنه رجلهم القوي، وسندهم والمدافع عن مصالحهم.. وربما تصورت الأجهزة الغربية، أن الجماعة ــ وبحكم كونها شديدة العداء للغرب ــ ستضرب أهم رؤوس المدافعين عنه، وفي مقدمتهم اليماني، صديق الغرب الحميم.. أو أنها كانت تريد الاستفادة من الحديث في تلميع الوجوه المتغربة، بإبرازها في مقدمة القائمة التي تريد الجماعة القضاء عليها.. وما دامت الجماعة ــ حسب التعريفات السعودية ــ (خارجة عن الدين، ومهووسة، ومرتزقة، ورجعية متحجرة، ومتطرفة، ومنحرفة، وشاذة، وطغمة فاسدة، وفئة مارقة وضالة ومجرمة..) فإن الطرف المقابل وهم آل سعود، واليماني وغيره من المسئولين، عكس ذلك، وأن اليماني سيكون حاوياً لكل الأوصاف الحسنة والخيرة!!

وما نخلص إليه هنا في قضية الرهائن هو:

* أن المسئولين السعوديين ناقضوا بعضهم البعض، حول وجود (رهائن)، وحول عددهم.. الأمر الذي يثبت كذب الادعاء الحكومي.

* أن المسألة كان يراد منها التشنيع وترويج الاتهامات بالباطل ضد أفراد الجماعة.

* أن الهدف من خلق الاشاعة، كسب شرعية لاقتحام الحرم عسكرياً، وإقناع العلماء بإصدار فتوى تجيز ذلك.. إضافة إلى تعليل ضعف الأجهزة العسكرية وتأخرها في الحسم بحجة وجود رهائن.

---

1 ــ المدينة ١٩٧٩/١١/٢٦م.

2 ــ الأنوار اللبنانية نقلا عن وكالة رويتر للأنباء ١٩٧٩/١١/٢٢م.

* أن تصريحات المسئولين لم تتطرق إلى الكيفية التي تم بها تحرير (الرهائن) المزعومين؟، فإذا كانت القوات العسكرية لم تستطع أن تأسر معتصماً واحداً إلا في اليوم الثامن من العملية، فكيف استطاعت تحرير مالا يقل عن مائة ألف حاج في اليوم الأول؟!

* إن متابعة متأنية للتحرك العسكري السعودي وهجومه المتكرر لاحتلال الحرم، يثبت بأن الحكم السعودي لم يكن مهتماً بأرواح من أسماهم بالأبرياء، بل إن أجهزة المخابرات أكدت بأن من قتل من المصلين، إنما تم على أيدي القوات السعودية نفسها.. وقد كرر معهد (شيلوح/ ديان) الصهيوني للدراسات الاستراتيجية هذه الحقيقة.

* كشف الحجاج أنفسهم أنهم لم يلاقوا أي ضغط من أفراد الجماعة، بل أنها ساعدت على إخراجهم بفتح بوابات الحرم..

وأخيراً اعترف الحكم السعودي نفسه بأن مسألة الرهائن لم تكن واقعية..

ماذا قال الحجاج؟

لو كان هناك رهائن حررتهم وزارة الداخلية، كما ادعى آل سعود، لكان الاعلام السعودي أول المستفيدين منهم، ولأجرى عشرات ــ بل مئات ــ المقابلات معهم، ليوضحوا للعالم بأسره كيفية ارتهانهم، وسوء معاملة (الاخوان) لهم.. وهذا بحد ذاته (صيد) سمين، يغري أجهزة الاعلام السعودية، التي كانت تبحث عن أي شيء ضد الجماعة لتشويه صورتها، ولما عجزت لجأت إلى وسيلة الضعيف، وهي كيل السباب والشتائم التي لا تليق بذوي الخلق الكريم..

ترى هل عجزت أجهزة الاعلام السعودية عن (اصطياد) رهينة واحدة تقدمها للعالم، وتؤكد مزاعمها؟!.. وكيف استطاعت معظم الصحف العربية والأجنبية إجراء لقاءات مع بعض الحجاج المتواجدين داخل الحرم، أثبتوا عكس ما قالته السلطة، بينما أجهزة السلطة وصحافتها وأبواقها الدعائية الأخرى لم تستطع أن تفعل ما فعلته الصحف الأخرى، رغم وقوع الحدث في داخل البلاد؟!

إن هذا الأمر غريب، أن تكون هناك مزاعم تحتاج إلى تأكيد، وأن تكون هناك أدلة متوفرة، ثم لا يستخدمها الحكم السعودي.. هذا ليس من عادة آل سعود، ولا من طباعهم، فلو أنهم وجدوا رهينة واحدة، لأقاموا الدنيا ولم يقعدوها..

والآن، هذه نماذج مما قاله الحجاج:

١/ أجرت جريدة (السفير) مقابلة مع ثلاثة من الحجاج اللبنانيين، قال اثنان منهم، وهما من رجال الدين: (إن المسلحين لم يتعرضوا للمصلين بالأذي سوى أنهم أغلقوا أبواب الحرم، ومنعوا الناس من الخروج، وعند صلاة الضحى، بعد السابعة صباحاً، فتحت بعض الأبواب، وراح الناس يخرجون، وكنا بينهم.. وأن الكثيرين خرجوا قبل ذلك من فتحات قائمة في الجدار الخارجي للحرم على ارتفاع بسيط، من دون أن يمنعهم أحد)..

أما الثالث ــ وهو مدرس ــ فقد قال: (لم يكن المسلحون يمنعون الناس من الخروج)، واستطرد قائلاً: (كان معي جالون من ماء زمزم، وقد تركته في الداخل، وعند خروجي اكتشفت أن اثنين من رفاقي مازالا

في الداخل فعدت للبحث عنهما، وقد وجدت أحدهما وخرجنا سوياً من الحرم على أمل أن نجد الآخر خارجاً، لكننا لم نجده.. عدت إلى باحة الحرم مرة أخرى فوجدت جالون الماء مازال في مكانه، وبعد أن تجولت قليلاً بحثاً عن صاحبي، افتقدت جالون الماء، عندها ذهبت إلى البئر ومعي جالون صغير فارغ قصدت أن أملأه.. هناك كان أحد المسلحين، قلت له: أرجوك املأ لي هذا الوعاء من ماء زمزم، وما تريد من نقود أعطيك. أجابني: ما قيمة الفلوس بعد الآن؟، ثم ملأ لي الجالون ماءاً وهو يبتسم مرحاً.. وبعد الساعة الثانية عشر ظهراً خرجت من المسجد الحرام للمرة الأخيرة)[١]..

٢/ أشارت صحيفة مغربية (المحرر) أثناء لقائها مع حاج مغربي، كان أحد شهود واقعة الحرم إلى قوله: إن أحد أفراد الجماعة خطب في الناس بواسطة الميكروفون و: (خير جموع المصلين بين الاستمرار في تأدية الصلاة أو مغادرة المسجد)، وقال أنه هو نفسه غادر المسجد بعد أن انتهى من أداء صلاة الفجر..

الجدير بالذكر أن مصادر سعودية روجت خبراً مفاده أن إمام الحرم (الحكومي) الشيخ محمد بن سبيل هو من بين الرهائن، ثم عادت وقالت أنه قتل برصاصهم.. لكنه خرج ضمن من خرجوا وأدلى بأقواله للمسئولين السعوديين، ونشرت له الصحف المحلية قوله: (وقد خرجت مجموعة كبيرة خلال الربع الساعة الأولى بعد أن فتحت الأبواب)، وأن (المسلمين لم يتمكنوا بعد ذلك من مغادرة المسجد الحرام إلا متسللين)[٢]..

ومثل هذه الشهادات هي التي حدت بجريدة "النهار" أن تقول في ذات اليوم الذي نشر فيه تصريح إمام الحرم: (نقطة أخرى باتت واضحة، هي أن المتسللين لم يأخذوا رهائن بالمعنى الدقيق للكلمة، بدليل أنهم سمحوا لمن يريد من الحجاج بمغادرة المسجد، وتركوا الخيار للمؤمنين في متابعة صلاتهم)[٣].. وهو الذي حدا بصحيفة مصرية أن تقول: (إن هناك شيئاً أصبح مؤكداً، هو عدم وجود رهائن محتجزين)[٤].. وهو الذي دعا (النهار) للتأكيد في اليوم التالي: (إن المهاجمين لم يحتجزوا رهائن، ولمن يطلقوا النار على أي من المصلين)[٥]..

لكن ولي العهد السابق ــ والملك الحالي ــ والذي يعتبر فعلاً من مهندسي سياسة الكذب السعودية، هذا الفهد يأتي بعد أن نشرت الصحف قناعاتها قبل شهرين، يأتي وبدون حياء، وبعد أن علم لدى القاصي والداني أن لا وجود للرهائن، ويقول لمجلة الأسبوع العربي، أن (المحافظة على أرواح الأبرياء داخل الحرم الشريف، كانت من بين الأسباب التي جعلت من عملية القضاء على المعتصمين أن تستغرق وقتاً طويلاً)[٦]..

---

1 ــ السفير ١٩٧٩/١١/٢٩م.

2 ــ البلاد السعودية ١٩٧٩/١١/٢٤م.

3 ــ النهار ١٩٧٩/١١/٢٤م.

4 ــ الجمهورية المصرية ١٩٧٩/١١/٢٤م.

5 ــ النهار ١٩٧٩/١١/٢٥م.

6 ــ مجلة الأسبوع العربي عدد ١٠٥٨، ١٩٨٠/١/٢١م.

ولو أن فهد يمتلك ذرة من الحياة لما ناقض ما قاله شقيقه وزير الدفاع قبل ثلاثة أيام من نشر مقابلته في (الأسبوع العربي).. لقد سأل (سليم اللوزي) رئيس تحرير (الحوادث) وزير الدفاع: قلتم أن المسلحين كانوا يحتجزون رهائن، ثم ثبت أن لا رهائن..

أجاب سلطان: لم نقل رهائن، كان هناك ٢٦ حاجاً بقوا في الأقبية حتى آخر لحظة، ولذلك سميناهم "المسلمين الأبرياء"[١].. فتأمل كم هو كذب الأمراء السعوديين فج ومفضوح!؟.. واعلم ــ عزيزي القاريء ــ أن آل سعود باعترافهم الهامشي هذا بأن لا وجود للرهائن، ما كانوا ليقولوا به إلا بعد أن فضحهم من أسماهم وزير الدفاع بـــ (المسلمين الأبرياء)..

وهكذا يتبين أن الرهائن الوحيدين طوال مدة الحادثة، ما هم إلا الأمراء السعوديون أنفسهم!

الفصل السادس

إستنفار لحماية العرش

لقد كان وقع انتفاضة الحرم على الأسرة السعودية شديداً، فزعزعت كيانها الهش، ونشرت الخوف والرعب في قلوب مسئوليها، وأوقعتهم في مأزق لم يستطيعوا اجتيازه، حيث كان التردد والقلق والحيرة ظاهرة بوضوح على مجمل تصرفاتهم وسلوكياتهم، حتى أنهم ما كانوا يعرفون كيف يتصرفون.. وماذا يقولون.. وكيف يبررون للعالم ما حدث بحيث يصدقهم!؟..

وقد قامت السلطة إثر اتضاح حجم العملية، بالعديد من الاجراءات التي تتخذ لأول مرة في تاريخ البلاد، وهي تبين في مجملها حجم الخطر الواقع على الأسرة الحاكمة وجديته.. وتشكل الاجراءات بمجموعها عملية استنفار ضخمة من أجل حماية العرش السعودي الفاسد الذي يكاد أن ينهار.. وكان من أبرز هذه الاجراءات ما يلي: ــ

١/ في اليوم الأول للحادث، أصدرت السلطات أوامر بتجريد أسلحة أفراد الشرطة والجيش النظامي من الذخيرة، وأمرت بغلق العنابر. وحول هذا الحادث علق أحد رؤساء الشرطة في جدة قائلاً: (فلو أن جملة من اللصوص وبأيديهم السكاكين دخلوا علينا لولينا هاربين)[٢]..

وقد عزت مصادر مطلعة مسألة تجريد الأسلحة من ذخيرتها تحسباً من أن يكون للجماعة امتدادات تنظيمية داخل الجهاز العسكري، أو أن تكون الشرطة والجيش تعد أن العملية مشتركة لاسقاط الحكم السعودي، أو لأن الحكومة خشيت أن تستغل عناصر في الجيش واقع البلبلة والتخبط في جهاز الحكم السعودي، فتقوم بانقلاب عسكري وتستولي على السلطة..

---

1 ــ الحوادث ١٩٨٠/١/١٨م.

2 ــ دير شبيغل الألمانية ١٩٧٩/١٢/٢٣م.

٢/ حدث استنفار (إعلامي) لأجل التغطية على الأحداث، والغريب أن الاذاعة السعودية قطعت برامجها، وراحت تذيع المارشات العسكرية، والأناشيد العسكرية الحماسية، وكأن النظام دخل معركة كبرى مع الصهاينة وليس مع (شرذمة لا يتعدى عددها أصابع اليد الواحدة) كما قال وزير الداخلية[١].

٣/ شددت الحراسة على الوزارات والمنشآت الحكومية الهامة، إضافة إلى القصور الملكية والأميرية، وبعض السفارات، وأهمها سفارة أميركا في جدة، ولوحظ أن ثلاثة جنود بدلاً من جندي واحد كانوا يتولون حراسة السفارة الأميركية من الخارج، إضافة إلى عربة مدرعة تقف قريباً منها، وقد وضعت بعض العربات المدرعة بالقرب من كل الوزارات والقصور الهامة.

٤/ وضع الجيش والحرس الوطني في حالة التأهب القصوى، واستدعى الضباط الكبار من بيوتهم أو من مصايفهم، وألغيت جميع الاجازات.. وقد شملت حالة التأهب قوات الأمن الداخلي وأجهزة الاستخبارات.. وحتى الجنود الذين لم يستطيعوا الذهاب إلى معسكراتهم بسبب حظر التجول، فإن السيارات العسكرية كانت تأخذهم من منازلهم.. ومن جهة أخرى أوكلت مهام الأمن الداخلي للحرس الوطني بصورة مطلقة، وقد حشدت أعداد كبيرة من مشاته ومدرعاته على مداخل المدن الرئيسية وعند الوزارات، وقامت دورياته بالتجول في الأحياء طوال الوقت.. والأكثر من ذلك أعطيت للحرس أوامر بمحاصرة بعض الثكنات العسكرية التابعة للجيش خوفاً من انقلابه.. وحول هذا الموضوع كتبت (أخبار اليوم):

(ذكر أحد القادمين إلى بيروت من المملكة العربية السعودية، أن "٥٨" ألفاً من القوات السعودية و "٣٥" ألفاً من الحرس الوطني، قد وضعوا في حالة تأهب للمرة الأولى منذ اغتيال الملك فيصل عام ١٩٧٥م، وقال أن جميع الاجازات قد ألغيت في الجيش والقوات الجوية، وأن قوات الحرس الوطني تسيطر تماماً على الأمن في جميع المدن الكبرى بالمملكة، وتقوم هذه القوات بحراسة المباني الحكومية، وأعضاء الأسرة الحاكمة وقصورهم، وتجوب دوريات الحرس شوارع المدن ليلاً ونهاراً)[٢]..

٥/ فرض حظر التجول في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف، وفي ذات الوقت كان حظر التجول ساري المفعول في مدن وقرى المنطقة الشرقية إثر انتفاضتها العارمة التي رافقت أحداث مكة، وقد نفى وزير الاعلام السابق (محمد عبده يماني) خبر الحظر، بعد أن شاع وانتشر داخل البلاد وخارجها على النحو الذي نشرته الصحف: (إن السلطات السعودية فرضت حظر التجول في المدينة المنورة والطائف، بالاضافة إلى مكة) [٣].

٦/ شددت السلطات الرقابة على المطبوعات والرسائل البريدية في مختلف انحاء البلاد، وذلك خشية توزيع منشورات مضادة، ومنع تسرب أي أنباء إلى الجمهور، خلاف ما تروجه الوسائل الاعلامية. ويضاف إلى ذلك أن السلطة توقعت أن تكتشف بعض الخبايا والأسرار عن الجماعة، فلجأت إلى مثل هذه الوسائل القذرة.

---

1 ــ قال وزير الداخلية في ندوة عقدت له مع طلاب جامعة الرياض (الملك سعود) في ١٩٨٠/١/٨م، أن عدد أفراد الجماعة لا يزيد عن (أصابع اليد الواحدة)!!.

2 ــ أخبار اليوم ١٩٧٩/١١/٢٤م.

3 ــ الأهرام ١٩٧٩/١١/٢٥م.

٧/ أغلقت المطارات والحدود البرية والبحرية، وصدرت أوامر وزارة الخارجية السعودية لكل سفاراتها بمنع إعطاء أية سمة (تأشيرة) دخول للبلاد، ولأي شخص كان.

فبالنسبة للمطارات، أصدر وزير الدفاع أمراً بإغلاقها أمام الطائرات القادمة، وأجلت الطائرات المغادرة خوفاً من أن يهرب أفراد الجماعة.. وقد نفى الوزير (سلطان) أن يكون أحد قد أصدر أمراً بإقفال المطارات، وإنما توقفت تلقائياً، وهذا كلام غير منطقي وغير عقلاني، لقد قال: (لم يصدر قرار بإقفال المطارات.. لقد توقفت حركة الطيران من باب الاحتراز.. لم يكن التوقف بقرار، وتقديري أنه كان هناك خوف من أن يهرب أحد من المنتمين إلى الخوارج)[١]، وفي نفس الوقت نشرت مجلة الحوادث في ذات العدد الذي خرج فيه تصريح سلطان، نشرت اجابتين مغايرتين احدهما لعبد الله ــ ولي العهد الحالي ــ، والأخرى لنايف وزير الداخلية، فالأول أجاب قائلاً: (على حد علمي لم تغلق المطارات)!!.. وقال الثاني: (لم يصدر قرار من وزارة الداخلية أوامر من هذا النوع)..

وبعد فتح المطارات ثانية: (شددت عمليات التفتيش بالنسبة للقادمين والمغادرين، وقد لوحظ أن الآلات الالكترونية والأجهزة التلفزيونية الموجودة في المطار لهذا الغرض قد تضاعف عددها)[٢].

أما بالنسبة للحدود البرية، فقد منعت الشاحنات من الدخول، وأرجعت السلطات الركاب المسافرين من الدول الأخرى، ووضعت السيارات الدورية في مجال الخدمة (٢٤) ساعة ليلا ونهاراً.. كل ذلك من أجل منع تهريب سلاح، ومنع دخول أفراد قد يشاركون المعتصمين في قتالهم، وكذلك قطع أية احتمالات لهرب أي من أفراد الجماعة.. ولا شك أن هاجس السلاح كان الأقوى، وهو الأمر الذي أكدته الصحافة على وجه خاص، فقد أشارت مجلة (الأسبوع العربي)[٣] إلى ذلك بقولها: (فرض المزيد من الاجراءات الأمنية المشددة على طول حدود السعودية البرية والبحرية، لمنع تهريب الأسلحة).

الجدير بالذكر أن حواجز عسكرية قد ظهرت فور وقوع الحادث على معظم الطرقات الهامة والرئيسية، وكان هناك عسكريون يدققون في الهويات وفق قوائم يحملونها، كما قطعت الطرق الرئيسية المؤدية إلى مكة، خاصة بين مكة وجدة، ووجد الحجاج صعوبة في مغادرة المدينة المقدسة بسبب الاجراءات الأمنية المشددة، بل إن السلطات اعتقلت عدداً كبيراً من الحجاج للاشتباه بأنهم من ضمن المتعاطفين والمؤيدين للجماعة.

٨/ طردت السلطات السعودية أعداداً ضخمة من المسلمين والعرب، وخاصة من الباكستانيين والايرانيين خلال الأسبوعين الأولين.. وقد استخدمت السلطات لهذا الغرض (٢٦) طائرة بينها عشر طائرات (جامبوجت ٧٤٧) لنقل المطرودين إلى بلادهم، كما تم اعتماد قسائم هجرة جديدة للخارج بالنسبة للأجانب، وخاصة من العرب[٤]..

٩/ منذ الساعات الأولى للحادثة قطعت وزارة البرق والبريد والهاتف الاتصالات الهاتفية الخارجية، وقد أشارت وكالات الأنباء إلى القطع في اليوم التالي للعملية دون أن تعلم الأسباب، لأن الحادثة كانت خافية حتى

---

1 ــ الحوادث ١٨/١/١٩٨٠م.

2 ــ السفير ١٤/١٢/١٩٧٩م.

3 ــ مجلة الأسبوع العربي العدد ١٠٥٨، ٢١/١/١٩٨٠م.

4 ــ السفير ١٤/١٢/١٩٧٩م.

ذلك الحين.. جريدة النهار أكدت القطع اعتماداً على أفادات الصحافيين ووكالات الأنباء في الدول الخليجية، وصحيفة اللوموند قالت في اليوم الثالث بأن وزارة الخارجية الأميركية أكدت بأن جميع الاتصالات قد انقطعت مع المملكة السعودية.

من جهتها ذكرت صحيفة (السفير) أن فهداً حاول الاتصال بجدة من تونس، ولكنه لم يستطع، مما جعل الوفد السعودي يصر على العودة عاجلاً[1].. ومع أن الخبر بات في حكم المؤكد، إلا أن وزير البرق والهاتف (علوي درويش كيال) استشاط غضبا للأنباء التي أكدت قطع الاتصالات، فأراد الكذب كما يفعل أسياده الأمراء، ولذا طالعنا بتصريح نشرته صحيفة الجزيرة السعودية في اليوم السادس للعملية، يقول فيه: (لا صحة للانباء التي دستها الوكالات العالمية حول قطع الاتصالات الدولية بين المملكة والعالم الخارجي، وان هذه الاتصالات مازالت مقطوعة حتى الآن.. ان حقيقة ما حدث في الواقع ما هو إلا خلل فني طارئ عادي وقع يوم الثلاثاء الماضي، واستمر قرابة أربع ساعات حيث تم اصلاحه فورا وعاد الأمور إلى حالتها الطبيعية) وأضاف الوزير: (ان كل ما ذكرته هذه الوكالات لا يرتكز على اساس من الصحة، وان عملها هذا نوع من الدس الرخيص)[2]..

وابى الأمراء الحاكمون إلا أن يثبتوا بأن كلام وزيرهم هو الدس الرخيص بعينه، فالأمير عبد الله، ولي العهد الحالي، اعترف بقطع الاتصالات وقال: (كان قطع التلفونات خطأ)، وسلطان علل الخطأ بقوله: (اما التليفونات فقد اوقفت لفترة ساعات، لأننا لم نكن نعرف شيئاً عن طبيعة الحركة المسلحة في الحرم، فلما عرفنا عاد كل شيء إلى طبيعته)، أما نايف فقال ان الاتصالات قطعت لمدة يوم كامل وليس ساعات وقدم تعليلاً ساذجاً بقوله ان التليفونات (قطعت من باب الاحتراز، لقد خشينا من نقل الأحداث على غير حقيقتها. ولكن لم نلبث ان اكتشفنا ان الذين يريدون اختلاق القصص لا يهتمون كثيراً بوجود تليفونات ام عدم وجودها، فاعدناها مع اذاعة البيان الأول الذي صدر بعد ٢٤ ساعة من وقوع الحادث)[3]!!

إذن قطعت الاتصالات خوفاً وليس بسبب عطل فني، وان وكالات الانباء لم تتعمد الدس الرخيص كما قال وزير البرق والهاتف، وانما هو الذي مارس الدس والكذب..

١٠/ تعطلت الدراسة في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، وكلية الشريعة بمكة المكرمة، لأن العديد من أفراد الجماعة كانوا من بين المشاركين في عملية الاعتصام، أو من الداعمين الذين قدموا لهم شتى المساعدات.

١١/ قطع الأمير عبد الله بن عبد العزيز رئيس الحرس الوطني عطلته الاستجمامية في المغرب وعاد سريعاً إلى البلاد، ووصلها بعد صلاة المغرب في اليوم الثاني للعملية (١٩٧٩/١١/٢١) وفور وصوله استقبل السفير الأمريكي السابق (جون وست).. أما فهد فقد خشي العودة من تونس إلى البلاد في ظروف تكتنفها الغموض وفضل البقاء آمنا في تونس ريثما تنجلي حقيقة الأمور.. وقد لاحظ المراقبون الصحفيون المتواجدون في تونس آنذاك، الوجوم الشديد الذي ارتسم على وجه فهد، ولوحظ ولأول مرة أن فهد يدخن

---

1 ــ السفير المصدر السابق.

2 ــ الجزيرة ١٩٧٩/١١/٢٥م.

3 ــ الحوادث ١٩٨٠/١/١٨م.

امام آلات التصوير بشراهة وعلى المكشوف، رغم ان التدخين من المحرمات الكبيرة عند علماء النظام الحاكم نفسه!!

وقد كانت مشاركة فهد في المؤتمر ضعيفة بعد سماعه أنباء العملية، حتى كادت ان تتلاشى، مما تسبب في تعطيل مشاريع قرارات من البحث لعدم امكانية مشاركة الوفد السعودي فيها. ونشير هنا إلى (مشروع قرار) بشأن جنوب لبنان الذي كان الوفد اللبناني يريد طرحه بدعم من السعودية، إلا أنه لم يحصل ذلك.

من جهة أخرى ألغى فهد زيارته التي كان ينوي القيام بها إلى لندن والمقررة في (١٩٧٩/١٢/٣م) للمشاركة في المؤتمر الدولي للقدس والذي نظمه المجلس الاسلامي في بريطانيا، وأخطر فهد المجلس بأنه لن يستطيع مغادرة البلاد بسبب أحداث مكة[1].. وقد بقي فهد منذ عودته للبلاد في نهاية اليوم الثالث للعملية في مكة يراقب سير العمليات العسكرية وتطوراتها..

١٢/ تشدد أمراء الأسرة الحاكمة أكثر من ذي قبل في منح (سمة) الدخول للصحفيين ومراسلي وكالات الأنباء.. ففور وقوع الحادثة تدفق الصحفيون والمراسلون بالعشرات على أبواب السفارات السعودية في الخارج طالبين سمات دخول لتغطية الحدث، وكان معظمهم على يقين بأنه لن يحصل على أي شيء.. فالسلطة السعودية وفي الأوقات العادية ترفض منح (السمة) إلا لمن اوجد ترتيبا معيناً مع وزارة الاعلام ليأتي ويشاهد ما يريد آل سعود له أن يشاهد، وليخرج بعدئذ ويكتب في صحيفته ما يريده آل سعود.. وهذا لا يحدث إلا مع الصحافيين التابعين لصحف معروفة بولائها وارتباطها المالي مع آل سعود.. هذا في الأوقات العادية ولصحف موالية من رأسها لقدمها، فكيف سيكون الأمر بالنسبة للصحف المستقلة ــ ان وجدت ــ ؟!

بل ان الصحف السعودية ذاتها لم يسمح لأفرادها بتغطية الأحداث، أو حتى الاقتراب من المسجد الحرام، وكان على الصحف ان تكتب ما تمليه وزارة الداخلية من بيانات فقط!!

اما بالنسبة للصحف الأخرى، حتى ولو كانت متعاطفة، خاصة في فترة وقوع الأحداث، فإنها لم يسمح للعاملين فيها بدخول البلاد، فضلاً عن الاقتراب من الحرم او الاتصال بالمعتصمين.. ولذا رجع جميع الصحافيين من السفارات السعودية بخفي حنين، ولا نعلم ان صحفياً واحداً سمح له بدخول البلاد أثناء الأحداث، إلا بعد انتهائها (كما حدث لسليم اللوزي رئيس الحوادث ــ ورئيس تحرير صحيفة السفير) وكلاهما خرجا بنتيجتين مختلفتين، فاللوزي كتب مؤيداً لآل سعود كعادته، والآخر اعطى انطباعا بحياده ــ على الأقل ــ.

وحول سمات الدخول أوضح احد محرري صحيفة (الايكونوميست) البريطانية الأمر بقوله: (ان حكومة العربية السعودية لم تكن كريمة ابدا فيما يتعلق بمنح سمة الدخول للمراسلين، وقد أصبحت اكثر تشدداً بهذا الصدد منذ وقوع حوادث العنف في الشهر الماضي "نوفمبر" بمكة. وقد عرف الآن الكثير عن الذين شاركوا

---

1 ــ السفير ١٩٧٩/١٢/٢م.

في الهجوم على المسجد الحرام، وكان الحدث أخطر ما وقع في المملكة منذ حدوث محاولة الانقلاب التي قامت بها القوة الجوية قبل عشر سنوات)[1].

١٣/ اصدر وزير الدفاع (سلطان آل سعود) أمراً بإغلاق مصنع السلاح والذخيرة في (الخرج)، وكذلك جميع مصانع المتفجرات التي تستخدم في الانشاءات، أو تلك التي يستخدمها عمال النفط لاستكشاف مواقعه.. وكان التخوف الرئيسي أن تكون هذه المصانع هي الممولة للجماعة بالسلاح وغيره. وبهذا الصدد تناقلت وسائل الاعلام العربية خبر اغلاق مصنع للمتفجرات تابع لشركة سويدية في مدينة (جدة)، ففي اليوم الرابع من الحادثة (١٩٧٩/١١/٢٣م) أعلن ناطق بإسم شركة (نوبيل نيترو) صاحبة المصنع قوله: (ان سلطات المملكة العربية السعودية اغلقت مصنعاً تابعاً للشركة في جدة، بسبب الاستيلاء على المسجد الحرام في مكة) و (ان المصنع الذي ينتج متفجرات لاستخدامها في الأعمال الهندسية المدنية قد أغلق يوم الأربعاء الماضي، أي بعد يوم واحد من اقتحام مسلحين للمسجد، ويقوم جنود بحراسة المصنع منذ ذلك الحين)[2]..

١٤/ منذ اليوم الأول للحادث شنت قوات الأمن الحكومية، حملة اعتقالات واسعة جداً، شملت معظم المعارضين للحكم السعودي، والذين اطلق سراحهم قبل سنوات، كما اعتقلت السلطات مئات الأفراد الملتحين على اعتبار انهم ضمن أفراد الجماعة.

وتركزت حملة الاعتقالات في المدينة المنورة وجدة وساجر (مسقط رأس جهيمان) وكذلك في الاحساء والرياض ومكة المكرمة وتبوك[3].. واعترف الأمراء الحاكمون بفعلتهم الدنيئة هذه، فقد قال فواز أمير مكة (آنذاك) بقوله: (تم القاء القبض عليهم في أطراف مكة المكرمة وبعض مدن المملكة، وقد اعترفوا اعترافاً كاملاً بأنهم جزء من هذه الزمرة الضالة، ونحن مستمرون في تعقب هذه العناصر الخارجة)[4].. وأوضح وزير الداخلية في مقابلة له مع صحيفة السفير[5]، كيف ان الاعتقالات طالت المشتبه بهم، وهم كثيرون، بمعنى ان الاعتقالات كانت عشوائية لا يقرها قانون او دين، يقول نايف: (اما الاعتقالات التي جرت في الأيام الأولى للحادث فقد طالت المشتبه بهم والذين قد تكون لهم علاقة بالمهاجمين، وبعد التحقيقات اطلقنا سراح الأبرياء، واكتفينا بالمذنبين والذين نعرفهم من قبل وعددهم محدود جداً ولا يتعدى ١٠٠ شخص. هذا طبعاً غير الذين قبض عليهم داخل الحرم)..

وأفادت مصادر مطلعة كانت من بين المعتقلين، ان مالا يقل عن سبعة آلاف شخص قد اعتقلوا في المنطقة الغربية والشمالية (جدة، الطائف، مكة، المدينة، تبوك، حقل).. وقد ضاقت السجون السعودية بهؤلاء، لدرجة ان ساحات السجون وإلى الأبواب كانت مملوءة بالمعتقلين، اما العنابر والزنزانات الفردية والجماعية فقد حشر فيها أكثر من أربعة اضعاف عددها..

---

1 ــ الايكونوميست ١٩٧٩/١٢/١٥م.

2 ــ الأنوار اللبنانية ١٩٧٩/١١/٢٤م.

3 ــ نقل شاهد عيان، كان من بين المعتقلين انه اعتقل مع مئات من الأفراد الملتحين.

4 ــ صحيفة البلاد السعودية ــ ١٩٧٩/١٢/٨م. في مدينة تبوك، وارسلوا إلى جدة، ثم إلى مكة المكرمة.

5 ــ السفير ١٩٨٠/١/١٠م.

وبعد أكثر من شهر على وقوع الحادث، بدأت وزارة الداخلية بتصنيف المعتقلين (وكثير منهم من الحجاج) إلى ثلاثة أصناف:

الأول: ويتضمن الاشخاص الذين ثبت من خلال التحقيق ان لاذنب لهم، وهم الذين التقطوا من المساجد، او الذين كانوا متواجدين في موقع الحادث، او الذين التقطوا من الشوارع اعتباطاً.. وهذا القسم بقي في سجون (جدة) ــ الحديث هنا ما يزال عن سجناء المنطقة الغربية والشمالية فقط ــ لأكثر من عام، حيث تأكد آل سعود تماماً ان كل شيء قد انتهى وان هؤلاء لا دخل لهم بالحادث.

الثاني: ويتضمن الافراد المشتبه بهم، الذين لهم علاقة نسبية أو قبلية مع أفراد الجماعة، وكذلك المعتقلين السابقين الذي يحتمل بنسبة (٥٠%) إن لهم ارتباطاً بالجماعة، حتى وان لم يشاركوا في العملية. وأفراد هذا القسم توزعوا بين سجن (العدل) بمكة المكرمة، وهو بالمناسبة من أسوأ سجون آل سعود، واحد سجون الطائف، وبقي قسم منهم في جدة.

الثالث: وهم الذين ساهموا في الحادثة، وقد فصلوا عن غيرهم في السجون، وعوملوا معاملة خاصة (تليق!!) بحالهم، ولم يفرق السعوديون بين أفراد هذا القسم من ناحية المعاملة، حتى الجرحى منهم الذي جيء بهم من الحرم الشريف.

وفي منطقة الاحساء، اعتقل آل سعود مالا يقل عن (٢٠٠) شخص من أفراد الجماعة الذين لم يشاركوا في العملية، ونقل قسم منهم إلى سجون (الرياض)، وقد التقى عديدون من هؤلاء بالمعتقلين من الاحساء والمدن التابعة للمنطقة الشرقية الذين كانوا قد تظاهروا ضد آل سعود في ذات الفترة (محرم ١٤٠٠هـ)..

أما سجون الرياض فقد شملت أكثر من ألفي شخص، معظمهم من المتعاطفين مع اهداف الجماعة، وقد فتح آل سعود سجون مؤقتة لأعداد غفيرة من أبناء مدينة (ساجر) التي ينتمي اليها جهيمان وقبيلته (عتيبة)..

أما حالة السجناء ومعاملتهم فهي قاسية وشديدة لا يعرف مداها إلا الله واولئك الذين ذاقوا مرارتها من المعتقلين.. وهنا لا يسعنا الحديث عن هذا الأمر بالتفصيل، ولكن معلومات وردت لمحرر هذه السطور من أحد المعتقلين في تبوك أولاً، ثم جدة ثانيا، ثم مكة ثالثاً، ثم هرب من سجن جدة مع عدد من المعتقلين بعد أن أعيد إليه مرة أخرى، وصف الحالة بمرارتها وقسوتها، وأفاد بأن المعتقلين عذبوا حتى الموت، وأنه كان يسمع أصواتهم وأناتهم حتى آخر لحظة، وان الاطفال الذين اعتقلوا مع اهاليهم توفي العديد منهم في سجن (العدل!) بمكة.. وأضاف بأن السلطة تنقل يومياً عدداً من القتلى داخل السجون لتدفنهم خارجه.

من جهة أخرى قال هذا المعتقل بأن الجلاوزة عصبوا عينيه مدة تزيد على الشهرين لم ير النور خلالها.. وقد استخدمت السلطة سياسة التجويع، فكان المعتقل يمضي أكثر من أسبوع بدون طعام أو ماء.. وكذلك بالنسبة للمرافق، فقد حبس المعتقلون لمدة ثلاثة أيام، ولم تلمس اجسادهم قطرة ماء مدة اعتقالهم.. ولكن بعد أكثر من شهرين من وقوع الحادثة سمح لهم باستخدام المرافق مرة كل يوم.

وأضاف بأن الكلام داخل الزنزانات الانفرادية، والعنابر ممنوع، وحتى تلاوة القرآن، حيث كان أفراد الجماعة يقرأون القرآن ويؤذنون للصلاة دون علم بوقتها، وكان الجلاوزة يأتون المتكلم فيشبعونه ضرباً ورفساً ولكماً.

وعن نوعية وسائل التعذيب، قال بأن استخدام الصعق بالكهرباء يتكرر دائماً مع المعتقلين، وكذلك تنكيس المعتقل، حيث تربط رجلاه في السقف ويترك جسمه يتدلى إلى الأرض، وان أفراداً ماتوا بسبب اهمالهم اكثر من يومين، هذا اضافة إلى الضرب بالعصا، والسب والشتم، وقلع الأظافر، واطفاء السجائر في مناطق حساسة من جسم المعتقل، واستخدام شفرات حادة لتجريح المعتقل واسالة دمه، وغيرها من الوسائل اللاانسانية.. ونتمنى ان نتمكن في المستقبل من اظهار هذه الوسائل الخبيثة في كراس يحوي تفاصيل هذا الاجرام السعودي معتمدين على أقوال هذا المعتقل وغيره ممن وصلتنا اخبارهم.

١٥/ ومن بين الاجراءات الفورية التي اتخذها آل سعود بعد الحادثة مباشرة، اخلاء المناطق المحيطة بالحرم من السكان، تمهيداً لعمل عسكري ضد المعتصمين.. ففي اليوم الثاني للعملية صرح مصدر سعودي في تونس بأن: (السلطات السعودية قامت باخلاء المناطق المحيطة بالحرم من السكان، وتوجهت اعداد كبيرة من قوات الأمن الداخلي وطوقت منطقة المسجد والميادين المحيطة به)[1].

غير أن آل سعود سرعان مانفوا هذه المقولة، فقالت صحيفة الجزيرة السعودية (١٩٧٩/١١/٢٧): (كذب المواطنون هنا ما تردد عن فرض حظر التجول او اخلاء المنازل والدور القريبة من الحرم المكي واكدوا للجزيرة ان هذه الشائعات لااساس لها من الصحة، ولم يطلب منهم اخلاء منازلهم).. وكالعادة يفهم الناس من النفي السعودي (اثبات) لما يناقضه! فالنفي يعني ــ غالباً ــ صحة الخبر.

هذه لمحة سريعة عن التدابير التي اتخذها آل سعود لمواجهة الانتفاضة في الحرم، وهي كما يتوضح أكبر استنفار حدث طوال عهد آل سعود منذ بداية الثلاثينات من هذا القرن الميلادي.

أما تفاصيل الهجوم السعودي الذي رافق هذه الاجراءات، فهو ما سنبحثه في موضوعنا القادم.

---

1 ــ السفير ١٩٧٩/١١/٢٢م.

الفصل السابع

آل سعود يدكُّون الحرم

بعد أقل من أربع وعشرين ساعة من وقوع حادثة الحرم، بدأ السعوديون عملهم العسكري ضد المعتصمين، مستخدمين كافة الأسلحة المتوفرة لديهم (ثقيلة ومتوسطة وخفيفة) إضافة إلى سلاح الطيران في المعركة.

ولم يكن السبب في تأخر وصول القوات السعودية إلى الحرم يرجع إلى أن آل سعود، أرادوا حل المسألة سلمياً، والاستجابة للمعتصمين بالاجتماع مع مسؤولين منهم يفاوضونهم بشأن الاشكالات والمطالب الشرعية التي اعلنها المعتصمون.. وإنما كان التأخير ــ رغم كونه قصيراً ــ يرجع إلى الاستعداد المكثف في تجهيز القوات، وتطويق ذيول الحادث، وتهيئة الرأي العام بصياغة بيانات باهتة لا تكشف عن حقيقة الأمر.. إضافة إلى ان الأسرة الحاكمة أرادت أن تسترد انفاسها وتناقش الأساليب الكفيلة بإنهاء المشكلة قبل أن يسمع بها العالم، فاتخذت وسائل أولية كان من بينها، اغلاق المطارات، وقطع الاتصالات الخارجية، وتجريد أفراد الجيش من السلاح وغيرها مما ذكرناه في الصفحات السابقة.

مبررات الهجوم السعودي

أشار البيان الأول لوزارة الداخلية، الذي صدر صبيحة اليوم التالي للعملية (١٩٧٩/١١/٢١م) إلى أن السلطات قد قامت (بإتخاذ كافة التدابير للسيطرة على الموقف، وبناء على فتوى من العلماء جميعاً، واتخذت الاجراءات لحماية أرواح المسلمين المتواجدين بالمسجد الحرام)..

وهذا المقطع يشير إلى تبريرين رئيسيين للهجوم الذي بدأت به القوات الحكومية قبل صدور البيان، وهما:

١/ فتوى العلماء "جميعاً"!!!

٢/ حماية أرواح المسلمين المتواجدين بالحرم!

ونريد هنا أن نناقش مسألة (فتوى العلماء "جميعاً!") هذه!، اما حماية أرواح المسلمين، فقد اوضحنا بما فيه الكفاية ان احداً منهم لم يتعرض لأذى وان جميعهم خرجوا من الحرم بدون اكراه، وانه لا توجد أية رهائن بيد المعتصمين على الاطلاق، وهو ما اعترف به آل سعود بعد حين.

أما الفتوى من "جميع!!" العلماء، فهي مفتعلة، إذ لم تكن هناك أية فتوى بهذا الخصوص، وما قاله البيان لا يعدو في كونه افتراءاً واضحاً.. ومما يعزز هذا القول ويؤكده التالي:

١/ ان السلطات السعودية لم تظهر أي فتوى للعالم، ولم تنشر الصحافة السعودية هذه الفتوى المزعومة، رغم حاجة آل سعود إليها..

٢/ ان الاجراءات الحكومية سبقت الفتوى بأيام، فالصحافة اعلنت في اليوم السادس للعملية مضمونها ونصها الحرفي، بينما العمل العسكري بدأ ــ كما تقول مصادر موثقة ــ بعد غروب شمس اليوم الأول ١٩٧٩/١١/٢٠م.. أي بعد أقل من ١٢ ساعة من وقوع الحادث.. والحكومة نفسها اعلنت انها بدأت العمل

العسكري في اليوم التالي.. بينما وزارة الداخلية أعلنت أن قوات الأمن رتبت اخراج المصلين من الحرم في اليوم الأول.. ولأن كل المصلين ــ تقريباً ــ خرجوا بعد صلاة الظهر، فهذا يدل على ان القوات الحكومية كانت متواجدة منذ الساعات الأولى للحادث، وتقول مصادر مطلعة ان هذه القوات جاءت بعد اقل من ساعتين من وقوعه. مع ملاحظة ان المصلين خرجوا بعد ان فتح افراد من جماعة الاخوان بعض الابواب وبترتيب منهم، وليس بترتيب من وزارة الداخلية.

٣/ ان امراء الاسرة الحاكمة فوجئوا بما حدث، وكان رد فعلهم الفوري هو ارسال قواتهم واتخاذ الاجراءات التي تقطع ذيول الحادث والتي أشرنا اليها آنفاً.. ولم يكن يدر بخلدهم انهم بحاجة إلى فتوى أو ما أشبه، فالمهم ان يقضوا على المعارضين وبأي وسيلة، والفتوى ــ ان كانوا بحاجة اليها ــ تأتي تباعاً، وبعض وعاظ السلاطين مستعدون لتقديمها في أي وقت، سواء قبل الهجوم أو بعده.. وعلى أية حال كان رد فعل المسؤولين الأولي سريعاً بدون فتوى.

٤/ لو أننا اخذنا كلمة (جميعاً) التي وضعها البيان السعودي الأول إلى جانب كلمتي (فتوى العلماء)، لكفانا برهاناً يبطل المزاعم السعودية.. فالبيان حرص على أن يقول (العلماء جميعاً)، ولم يقل (العلماء) ويسكت، مما أثار الريب والشك، لأن العلماء (جميعاً!!) لا يقل عددهم عن (١٠٠٠٠) رجل. ولأن هذا العدد موزع على كل انحاء البلاد، ولان هؤلاء العلماء لا تربطهم مؤسسة حكومية واحدة، فبعضهم تابع لوزارة الأوقاف، وبعضهم لدار الدعوة والافتاء، وبعضهم مستقلون، وبعضهم معارضون، وكثير منهم يعتقدون بمذهب غير مذهب الدولة الرسمي، وهكذا.. فكيف.. يصح القول أن جميع العلماء افتوا؟! وكيف استطاع آل سعود أن يجمعوهم في فترة قصيرة لا تزيد بأي حال من الأحوال عن ٢٤ ساعة، خاصة وأن البيان الذي أشار إلى فتوى (العلماء جميعاً!) صدر في صباح اليوم التالي (١٩٧٩/١١/٢١م) ولأن العملية وقعت في صباح اليوم السابق فإن الفترة الموجودة ٢٤ ساعة فقط، ولابد أن يكون العلماء المزعومون، اجتمعوا في هذا الوقت وابلغوا بالحادث كل في موقعه او جيء بكل منهم من مدينته، ووقعوا على فتوى مزعومة لم يظهر لها أثر قبل أن يعلم كل الناس بالحادث، وقبل ان تعلن الدولة رسميا بالأمر في اليوم التالي!!

إذن فإن القوات الحكومية العسكرية، قامت بمهمتها قبل استصدار الفتوى، وما كان آل سعود بحاجة إليها لأنهم كانوا يتوقعون بأن القضاء على المعتصمين سيستغرق فترة قصيرة يمكن خلالها لفلفة الأمور وتغطيتها إعلامياً.. لكن الخبر انتشر من خلال الاذاعات في مساء ذلك اليوم، والسعوديون قدروا ان الأمر سيستغرق بضعة أيام ــ على الأكثر ــ فكانوا بحاجة إلى فتوى تجيز لهم عملهم الجبان بمهاجمة بيت الله الحرم في الشهر الحرام وفي البلد الحرام، خلال الفترة المتبقية.

الحل السلمي!

صحيح أن جماعة جهيمان دخلت الحرم بالسلاح واعتصمت فيه، لكنهم لم يكونوا ينوون القتال، وإنما كان ذلك احتياطاً منهم، وقد اعترف وزير الداخلية بالأمر، وذكر أن أفراد الجماعة: (قالوا انهم ما قصدوا أن

يقاتلوا ولكنهم حملوا السلاح دفاعاً عن أنفسهم)[1].. وعليه فإن آل سعود يتحملون مسؤولية هتك حرمة الحرم ودكه بالمدافع والطائرات والدبابات، لانهم لم يبدوا أية رغبة أو تحمس في حل الأمور سلمياً، وكل ما فعلوه ان طلبوا من أفراد الجماعة أن يقدموا استسلاماً ذليلاً اليهم، ليفعلوا بهم الافاعيل، كما فعلوا بأسلافهم.

وبالطبع لم يقبل المعتصمون الاستسلام، وطالبوا ــ حسب ما ذكرت بعض وكالات الأنباء ــ بالتفاوض مع الملك أو ولي عهده (كان ولي العهد آنذاك فهد)، إلا أن نايف وسلطان، وبعد مداولات واتصالات بفهد في تونس، وعبد الله في قصره العامر بالفجور في كازبلانكا، قررا رفض الطلب واصرا على الاستسلام بسرعة، وإلا فإن القوات العسكرية جاهزة.

ولقد أشار الحجاج والمتواجدون على مقربة من الحرم، ان القوات السعودية والفرق الأمن استخدمت مكبرات الصوت في إبلاغ المعتصمين بوجوب الاستسلام والقاء السلاح، وهو المطلب الوحيد الذي كرروه!

وهناك مسألة اخرى، فإذا كان آل سعود لا يريدون الاستجابة لمطالب أفراد الجماعة ــ التي يتفق جميع المسلمين عليها، أو على معظمها ــ فقد كان هناك حل آخر، وهو محاصرتهم فترة من الزمن، لينفذ ما عندهم من طعام وماء، وحتى يتسنى للمفاوضات ان تأخذ مجراها باتجاه السلم.. غير ان فهد ولي العهد آنذاك والملك الحالي، اعطى أوامره المباشرة من تونس لاقتحام الحرم بالدبابات، مع العلم ان الملك خالد كان متواجداً في البلاد، ولكنه ضعيف فلم يؤخذ رأيه بضرورة التأني قبل الاقتحام.. وقد اجيب طلب فهد بالاقتحام ــ حسب الرواية السعودية ــ في يوم الأربعاء الموافق ١٩٧٩/١١/٢١م، وبدأت القوات السعودية بمهمتها. وقد أكدت العديد من الصحف ووكالات الأنباء، الخبر القائل بأن فهد هو الذي أصدر الأوامر، منها ما قالته صحيفة القبس الكويتية[2] في اليوم الثاني: (ان الامير فهد بن عبد العزيز الموجود حالياً في تونس لحضور مؤتمر القمة، اصدر أوامره إلى قوات الأمن السعودي باقتحام المسجد الحرام في مكة).. ومن المهم ان نوضح هنا، ان الصحيفة نشرت الخبر نقلاً عن وكالة الانباء الفرنسية، في صباح ١٩٧٩/١١/٢١م)، وهو اليوم الذي قالت الحكومة السعودية أنها بدأت فيه العمل العسكري، مما يوضح ان وكالات الأنباء وصلها خبر الاقتحام قبل الوقت الذي حدده آل سعود (صباح الأربعاء ــ ١٩٧٩/١١/٢١). وهذا يعني ان الاقتحام كان قبل الصباح، أي في مساء ١٩٧٩/١١/٢٠م على الأقل، وهو ما ذكرناه قبل صفحات.

فتوى العلماء

أصدر العلماء فتوى في يوم ١٩٧٩/١١/٢٤م، أي في يوم الخامس للعملية، ونشرتها الصحف السعودية في اليوم السادس.. لكن الغريب في الأمر أن الفتوى صيغت على أنها صادرة في اليوم الأول، وقد وقع عليها ثلاثون عالماً، والتفسير الوحيد لهذا التضارب بالتاريخ، يرجع إلى ان الملك خالد اجتمع مع عدد من العلماء المتواجدين في الرياض بعد وقوع الحادثة، ووضعهم في صورة ما جرى حسب التصور الحكومي، وقدم لهم معلومات عن رهائن وقتل للمصلين والحجاج وغيرها من المغالطات، فلم يصدروا فتوى كتابية لأن مجموع

---

1 ــ السفير ١٩٨٠/١/٢٠م.

2 ــ القبس ١٩٧٩/١١/٢١م.. واللوموند الفرنسية ١٩٧٩/١١/٢٢م.

هيئة كبار العلماء غير موجودين وان من غير المعقول ان تصدر بتوقيع رجل أو رجلين أو ثلاثة، فلما تواجدوا واجتمعوا في ١٩٧٩/١١/٢٤م، أقنعهم آل سعود بكتابة الفتوى على اساس انها صادرة في اليوم الأول، منعاً لإحراج آل سعود الذين اتخذوا اجراءات عسكرية سبقت فتواهم بأيام.. وهكذا صدرت الفتوى بتاريخ ١٩٧٩/١١/٢٤م، ونشرت بتاريخ ١٩٧٩/١١/٢٥م، على أساس أنها حررت بتاريخ ١٩٧٩/١١/٢٠م!! وهذا هو نصها:

(بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبيه محمد وعلى آله وصحبه، وبعد: ففي يوم الثلاثاء اليوم الأول من شهر محرم عام اربعمائة وألف من الهجرة، دعانا نحن الموقعين ادناه، جلالة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود، لدى جلالته في مكتبه في المعذر، واخبرنا ان جماعة في فجر هذا اليوم بعد صلاة الفجر مباشرة، دخلوا في المسجد الحرام مسلحين، واغلقوا أبواب الحرم، وجعلوا عليها حراساً مسلحين، وأعلنوا طلب البيعة لمن سموه المهدي، وبدأوا مبايعته، ومنعوا الناس من الخروج من الحرم، وقاتلوا من مانعهم، وأطلقوا النار على اناس داخل المسجد وخارجه، وقتلوا بعض رجال الدولة، واصابوا غيرهم، وانهم لا يزالون يطلقون النار على الناس والمسجد، واستفتانا في شأنهم وما يعمل معهم، فأفتيناه ان الواجب دعوتهم إلى الاستسلام، ووضع السلاح، فإن فعلوا قبل منهم وسجنوا حتى ينظر في أمرهم شرعاً، وان امتنعوا وجب اتخاذ كافة الوسائل للقبض عليهم ولو ادى إلى قتالهم، وقتل من لم يحصل القبض عليه منهم ويستسلم إلا بذلك، لقول الله تعالى: "ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه، فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين". ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من أتاكم وأمركم جميع يريد ان يفرق جماعتكم ويشق عصاكم فاضربوا عنقه"، رواه مسلم.. والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، ونسأل الله أن يعلي كلمته، وينصر دينه، وان يخذل من أراد للإسلام والمسلمين بسوء، وان يشغله بنفسه، انه سميع مجيب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم)..

ولنا هنا ان نبين عدة امور:

الأول: ان الفتوى لم تكن من (جميع!!) العلماء، كما أشار بيان وزارة الداخلية الأول، وانما من (٣٠) عالماً فقط، وهناك عشرات غيرهم لم يوقعوا على الفتوى، اما لأنهم معارضون لآل سعود، أو لأنهم معارضون لنص الفتوى، أو لأن آل سعود لم يستدعوهم للتوقيع!

ويلاحظ ان جميع الموقعين يعملون ضمن مؤسسات تابعة للدولة، رغم اننا نعتقد بأن عدداً منهم متعاطفون مع جماعة جهيمان، الأمر الذي كشف عنه فهد واخوه نايف..

الثاني: ان الفتوى اصدرت على أساس ان المعلومات التي قدمها الملك خالد واخوته صحيحة، ولما كانت المعلومات هي من جهة طرف الخصم، وليس لها أساس من الصحة، فإن الفتوى المترتبة عليها باطلة.. ولو ان رجال الدين اوضحوا بأن فتواهم قائمة على معلومات موثقة وصحيحة ومن طرف غير آل سعود لكنا نقبل بها.. لكن آل سعود لم يسمحوا لهم بالاقتراب من الحرم، ولم يعطوهم فرصة مناقشة المزاعم السعودية والتأكد منها، لأنها واردة من خصم لا دين له ولا أخلاق، فكيف يحق للقاضي ان يصدر حكمه وفتواه بناء على معلومات قدمها احد المتخاصمين؟! وهل تأكد الموقعون من أن أفراد الجماعة اطلقوا النار

على أناس داخل المسجد وخارجه، وانهم قاتلوا من مانعهم بشأن بيعة المهدي، بل كيف عرف العلماء انهم لا يزالون يطلقون النار على الناس والمسجد؟!

انه لشيء مضحك ان يطلق أفراد الجماعة النار على الناس اعتباطاً هكذا، وانه لأمر مدهش ان تتضمن الفتوى ان أفراد الجماعة يطلقون النار على (المسجد)!!، فهل أصبح المسجد هدفاً لرصاص الجماعة التي تحتمي به وتلتجيء إليه.. فتصور أخي القاريء ان كل فرد من أفراد الجماعة وجه سلاحه إلى زاوية أو عمود أو سقف من زوايا وأعمدة وأسقف المسجد!!.. الا يدعو هذا إلى السخرية..

الجدير بالذكر، ان مجموعة من المواطنين وجهت سؤالاً إلى عدد من العلماء الموقعين على الفتوى، ولفتت انتباههم إلى خطأ المعلومات التي استقوها من آل سعود، والتي ثبت خطؤها واعترف آل سعود بذلك، مما يعني ان الفتوى قامت على أساس غير صحيح، فأجابوهم اجابات مختلفة، كانت احداها، قول احدهم: ان الفتوى صيغت لتوضح ان المعلومات جاءت من الملك، وانه مسؤول عن خطئها وصحتها، اما الفتوى فهي تعني انه إذا كانت هذه المعلومات التي قالها الملك لهم صحيحة ففتواهم في محلها، اما إذا كانت خاطئة فالفتوى ليس هذا موقعها.. فرد المواطنون بأن الفتوى لا توضح الجزء الأخير من الاجابة، فقال بما معناه، ان العلماء لا يستطيعون التوضيح أكثر وأبلغهم بأن عدداً من العلماء استاؤوا من تصريحات الأمير فهد ونايف، لأنهما قدما للصحافة معلومات تخالف المعلومات التي قدمها الملك لهم!!

الثالث: توضح صياغة الفتوى أمرين، أولهما: ان ضغطاً حكومياً مورس بحق الموقعين، وثانيهما: انها لم ترض آل سعود تماماً.. ومما يدلل على ذلك حذر العلماء في بعض الجوانب منها:

* ان الفتوى نسبت كل المعلومات إلى الملك خالد، مما يعني أنه واخوته الأمراء كانوا يريدون من العلماء اصدار شيء يؤيدهم قبل أن تنقشع الغيوم وتظهر الأسرار، ويتضح التخبط في اعطاء المعلومات من جانب الحكومة.. بمعنى ان المعلومات التي قدمت كان هدفها ادانة الطرف المقابل بأية وسيلة، وليس بهدف ابداء رأي من أجل حل المشكلة.

* أن الفتوى لم تفتح الباب على مصراعيه أمام آل سعود لاقتحام الحرم، رغم ان الملك قال لهم بأن الجماعة هم الذين بدأوا بالقتال، بل طالبوا بدعوتهم للاستسلام بصورة تحفظ للحرم قدسيته، بل وعرضوا على الملك ان يقوموا بوساطة رفضها أمامهم.. وأشارت جريدة الوطن الكويتية في اليوم الثالث للعملية ــ أي قبل صدور الفتوى بيومين ــ (ان علماء الاسلام في المملكة قد نصحوا بتجنب سفك الدماء داخل الحرم المكي)[1] وبالطبع كانت النصيحة موجهة أساساً لأركان الحكم السعودي، وليس لاولئك المحاصرين داخل الحرم.

* يبدو ان آل سعود ضغطوا على العلماء لتبيان ان المعتصمين خارجون عن الدين (خوارج) وانه يجوز قتالهم لأمرين، أولاً: لأنهم بدأوا القتال داخل الحرم، وثانياً: لأنهم خارجون على طاعة أولي الأمر.. وإذا كان العلماء قد سلموا بالأمر الأول على مضض وبناء على معلومات الملك، فإنهم تحفظوا عن تسميتهم

---

1 ــ الوطن ١٩٧٩/١١/٢٢م.

بالخوارج، لذا جاؤوا بالحديث: (من اتاكم وأمركم جميع يريد أن يفرق جماعتكم، ويشق عصاكم فاضربوا عنقه).. هذا مع العلم ان بيعة آل سعود باطلة وان أمر المسلمين لم يجتمع عليهم..

* أشارت الفتوى إلى محاكمة أفراد الجماعة (شرعا) في حال استسلامهم، حيث جاء قولهم: (فإن فعلوا قبل منهم وسجنوا حتى ينظر في أمرهم شرعاً).. وكان التأكيد على المحاكمة الشرعية أمر مهم، فالعلماء يعلمون هوية الجماعة، ويعلمون انها لا تقر المحاكم غير الشرعية التي تأخذ بها جميع أجهزة الدولة، والتي تستند على قوانين وضعية، لذا قالوا (شرعاً) وفي هذا القول رغم قسوته شيء من التعاطف مع أهداف الاخوان رغم عدم اقرارهم واتفاقهم على الوسيلة التي يلزم بها الاصلاح. وكان بإمكانهم القول (محاكمتهم) بدون الحاجة إلى ذكر لفظة (شرعاً) التي تعني ان هناك احكاماً غير شرعية، وان وزارة الداخلية يلزم عليها ان تترك للعلماء محاكمتهم وليس لها أن تقر الحكم الذي تريده، وهو (الاعدام) لحامل السلاح بوجه الدولة!

واشتعل القتال

بمجرد ان وصلت الأوامر ببدء الهجوم من مقر فهد في تونس، قام وزير الداخلية بإبلاغ وزير الدفاع الذي كان متواجداً في مكة عند الحرم يستحث قواته على الهجوم، بالأوامر التي كان ينتظرها.

غير ان وزير الدفاع عجز لساعات عديدة من اقناع جنوده بخوض المعارك داخل الحرم.. ويذكر (Robert Lacy) الذي أمضى خمس سنوات في السعودية، تعلم خلالها اللغة العربية، وكتب كتاباً عن البلاد بإسم (The kingdom ــ المملكة) كان خلاصة المعلومات التي حصل عليها من خلال مقابلاته العديدة لمئات الأمراء المسؤولين.. يقول هذا الكاتب، ان الأمير سلطان خطب في الجنود حاثاً إياهم على القتال دفاعاً عن الاسلام والوطن! لكنهم لم يستجيبوا، لأن القتال في الحرم أمر لا يقبله إلا من لا دين له ولا شرف. فغضب سلطان من هذا العصيان الصريح للأوامر العسكرية، خصوصاً ان العلماء لم يصدروا فتوى تجيز القتال حتى ذلك الحين، مع العلم ان التربية العسكرية لأفراد القوات المسلحة لا يدخل فيها أي اعتبار لشرعية القتال وضرورة اجازة العلماء له، وانما المهم فقط اطاعة أوامر القيادة السياسة فحسب..

بعد هذا جاء الأمراء بعدد من وعاظ السلاطين الذين كانوا متواجدين في مكة لإقناع الجنود بما عجز سلطان اقناعهم به، غير ان الجنود اصروا على ان يصدر الشيخ بن باز فتوى بذلك وهو مالم يكن متوفراً حينها.. وعادت الأمور إلى التوتر ووصل الأمر إلى تمرد بعض أفواج الجنود على كل الأوامر العسكرية، ولم يستجيبوا لطلب قياداتهم إلا على مرتبة منهم..

وهنا قام سلطان خطيباً مرة ثانية وثالثة، فامتدح الجنود واخلاصهم لدينهم ومليكهم ووطنهم!! وأشار بيده إلى المسجد الحرام المحاصر، وقال ان هذا اقدس مكان على وجه الأرض، وهو محتل من (الخوارج) المعادين للإسلام.. ثم رمى بغترته إلى الأرض وصاح: إذا لم تقاتلوا انتم دفاعاً عن بيت الله فمن الذي يدافع عنه، هل آتي بالجنود الباكستانيين ليقاتلوا عنكم؟! وختم خطابه بأن ابدى ثقته مرة أخرى بولاء المقاتلين الجنود وانهم سيقاتلون..

ما ان انتهى من خطابه حتى صاح عدد من الضباط الكبار معلنين استعدادهم لخوض المعارك، وآلت الأمور إلى عمل حاسم وسريع.. فالذين لا يقاتلون يرسلون إلى السجون والمعتقلات، والراغبين في نيل (الشهادة!!) يتقدمون.. وهكذا جاء الحل بعد حين، رغم العقبات الشديدة.

وبالفعل رفض مئات من الجنود خوض المعارك فأرسلوا إلى سجون جدة ومكة بعد تجريدهم من أسلحتهم.. وكانت هذه هي العقبة الأولى أمام آل سعود في بدئهم بقتال (الاخوان) المعتصمين في الحرم..

تقدم الجنود السعوديون من المسجد الحرام في باديء الأمر، واطلقوا النار على أفراد الجماعة المتحصنين في المنائر والسطوح، تتقدمهم المدرعات التي تشكل درعاً واقياً لهم من الرصاص القادم من الأعلى.. غير ان هذه المدرعات لم تستطع التقدم كثيراً و توقفت عند أبواب الحرم، وهنا خرج الجنود محاولين فتح الأبواب، وكأنهم في نزهة سريعة، غير أن أفراد الجماعة افنوهم عن اخرهم بعد ان ظهروا امامهم بلباسهم العسكري.

تلك كانت البداية..

التقدم نحو الحرم مكلف بشرياً.. وفتح الأبواب عمل ضخم لا يستطيع الجنود القيام به حتى ولو وصلوا اليها..

استمر تبادل اطلاق النار بين الجانبين إلى ما قبل وقت الظهر في يوم الأربعاء ١٩٧٩/١١/٢١م.. القوات الحكومية تطلق النار من الأزقة المحيطة بالحرم أو من وراء المدرعات والدبابات الرابضة قباله، والاخوان يردون على المدافع الرشاشة الحكومية بأسلحتهم الخفيفة التي كرر آل سعود مراراً بأن المعتصمين لا يملكون سواها.

المشكلة التالية التي واجهت آل سعود هي سياسية واعلامية بالدرجة الأولى، فهم اعطوا انطباعاً لدى الرأي العام الداخلي والخارجي، بأن المعتصمين (قلة)، فبيان وزارة الداخلية الأول الذي صدر في اليوم الأول لبدء المعارك (١٩٧٩/١١/٢١م) وصف أفراد الجماعة بأنهم (زمرة) للتقليل من شأنهم.. وهذا يعني ان هذه الزمرة سيقضى عليها سريعاً، خلال ساعات أو أيام قلائل.. لكن ذلك لم يحدث.. فالنظام كان حريصاً على هيبته، فلم يشأ القول بأن عدد المعتصمين كبير وانهم ليسوا (شرذمة) أو (زمرة)، لأنه ان فعل، فذلك يعني بأنه يعترف بوجود معارضة كبيرة للنظام والأسرة الحاكمة، ويكسر جدار الخوف امام فئات الشعب للالتحاق بالمعارضين.

وعليه فقد اصر النظام وعلى وصفه بأنهم (شرذمة) و (وزمرة) و (طغمة)، حتى لا يكاد يخلو تصريح أو بيان حكومي إلا وذكر هذه الصفات!

غير ان هذه الصفات اوقعتهم في مأزق، فقلة عدد أفراد المجموعة، تستوجب ان يكون الحسم سريعاً، وإلا فسر الأمر بأحد هذين التفسيرين: اما ان هناك ضعف في القوات الحكومية العسكرية الأمر الذي يجعلها تتباطيء في الحسم العسكري، وأما ان عدد المعارضين كبير وموقعهم قوي، وتسليحهم جيد، وتدريبهم حسن.

من جهة أخرى كان هناك خطأ في الحسابات العسكرية السعودية، وهذا الخطأ يرجع إلى الجهل وسوء التقدير، إذ لم يكن لآل سعود علم بالعدد الحقيقي للمعتصمين ولا بكفاءتهم وخبرتهم القتالية، رغم انهم قدموا معلومات متناقضة للصحافة تتعلق بعددهم..

عدد المعتصمين

من حق النظام ان يضع تقديرات ويعلنها للناس، شرط ان يذكر انها تقديرات للعدد فحسب.. لكن ليس من حقه ان يعلن ارقاماً نهائية ينفيها كل ساعة، لأن ذلك استخفاف وضحك على الرأي العام وتكون عاقبته ان احداً لا يصدق الروايات السعودية التي تناقض بعضها بعضاً..

في بيان وزارة الداخلية الأول حرص وزير القمع (نايف) ان لا يشير إلى العدد، وهذه عادة آل سعود، فهم لا يحبون ان يطلعوا احداً على حجم المعارضين لهم، واكتفى البيان بتقليل اهمية (الاخوان) بقوله انهم (زمرة)! وان السلطة اتخذت كافة الاجراءات لانهائها.. لكن احد اعضاء الوفد السعودي في تونس اعطى رقماً لصحيفة الأنوار اللبنانية (١٩٧٩/١١/٢١م) قال فيه ان العدد (٣٠) شخصاً.. فقد كتبت الصحيفة: (تبلغ الوفد السعودي إلى مؤتمر القمة خلال اتصال هاتفي مع المسؤولين في الرياض، ان رجال الشرطة في مكة المكرمة فرقوا "٣٠" شخصاً من المتطرفين حاولوا التظاهر. وقد القي القبض على أربعة اشخاص من هؤلاء بعد العثور على أسلحة معهم. وكان المتطرفون يرددون الهتافات بظهور المهدي المنتظر قبل ان يفرقهم رجال الشرطة)!

البيان السعودي لم يذكر رقماً، ومسؤول سعودي يقول ان عددهم (٣٠) شخصاً وثم تأتي اذاعة مونتكارلو، وفي ذات اليوم (١٩٧٩/١١/٢١م) لتقول على لسان مسؤول سعودي لم تذكر اسمه بأن عدد "المتمردين" كان بين (٢٠٠ ــ ٣٠٠) مسلح.. بينما ذكرت جريدة الأخبار المصرية ان عددهم أكثر من (٢٠٠) شخص، اما وزارة الخارجية الأميركية فإنها أعلنت في مساء (١٩٧٩/١١/٢٠م) ان عددهم يتراوح بين (٦٠ ــ ١٠٠) شخص[١].

هذه الأرقام ــ عدا الأخير منها ــ اعلنت في اليوم الثاني للعملية.

وكما تناقضت أقوال المسؤولين السعوديين بشأن العدد، فإن الصحافة العربية والأجنبية وضعت تقديرات مغايرة أخرى..

وفي اليوم الثالث (١٩٧٩/١١/٢٢م) قال وزير الخارجية سعود الفيصل لصحيفة الجزيرة السعودية ان (المعلومات التي توفرت لنا ان عددهم في الداخل كان لا يتجاوز المئتي شخص)[٢]..

اما جريدة الأنباء الكويتية[٣] فإنها قالت استنادا إلى ما ذكره احد الحجاج المصريين: (انه كان هناك عدة مئات من المهاجمين وربما كانوا الفا).. وعادت (الأنوار) لتنفي ما قالته بشأن ال (٣٠) متظاهراً في اليوم

---

1 ــ النهار ١٩٧٩/١١/٢١م.

2 ــ الجزيرة ١٩٧٩/١١/٢٢م.

3 ــ الأنباء الكويتية ١٩٧٩/١١/٢٢م.

السابق، فتقول: (ان الانباء والمعلومات الواردة من الرياض تفيد ان عددهم حوالي ٦٠٠ شخص). في حين ذكرت الاهرام تقدير احد الحجاج المصريين بأن العدد يصل إلى حوالي (١٠٠٠) شخص[١]، بينما اوصلت الهدف الكويتية (١٩٧٩/١١/٢٢م) الرقم إلى (٤٠٠٠) شخص.

وفي اليوم الرابع، نفى وزير الداخلية الأنباء التي ذكرت ان العدد يزيد عن مئتي شخص، إلا ان امام المسجد الحرام الشيخ محمد بن سبيل الذي زعمت السلطات السعودية انه قتل على يد أفراد الجماعة، اعطى رقما مغايرا لما قاله وزير الداخلية، فقال في اليوم الخامس ان العدد يتراوح بين (٣٠٠ ــ ٤٠٠) شخص[٢]، في حين أكد وزير النفي (الاعلام) محمد عبده يماني ان العدد يقل عن مائتين[٣].. وذكرت (الرأي العام) بأن العدد (كان حوالي مئتي شخص في بداية العملية، ثم أخذ في التزايد بصفة مطردة ووصل إلى قرابة ألف شخص)[٤]، فهل جاء التزايد اعتباطاً أو انه اكتشاف جديد!!، أم أن مجموعات من الحرس انضمت إلى المقاتلين كما أكدت ذلك أخبار المطلعين؟! ونقلت وكالة (رويتر) للأنباء عن دبلوماسيين في جدة (ان عدد المحاصرين في المسجد الحرام يبلغ عدة مئات)[٥]، وهكذا تجاوزت اخبار الصحف والمطلعين أرقام الحكومة الرسمية، بل ان الصحف السعودية نفسها ذكرت ارقاماً اكبر مما ذكره آل سعود أنفسهم!

وفي اليوم السابع للعملية قالت (الأنباء) الكويتية (١٩٧٩/١١/٢٦م) ان شهود عيان قالوا: (ان المسلحين كانوا حوالي ثمانمائة)، وفي اليوم الثامن صرح أحد مرافقي وزير الخزانة الأميركي (وليم ميللر) الذي كان في زيارة لجدة بأنه (جمع معلومات من مصادر مختلفة تفيد بأن عدد المسلحين يتراوح بين "٢٠٠ ــ ١٠٠٠" شخص)[٦].

وفي اليوم التاسع اعطى احد قيادات الجيش الرائد محمد النفيعي رقماً آخر وزاد عن الـــ (٢٠٠) شخص التي زعم وزير الداخلية انهم اقل منها.. فقال: (تحدد حسب الاستطلاع الأولي بأن عدد تلك الفئة الباغية يتراوح من "٢٠٠ ــ ٥٠٠" فرد)[٧].. هذا في اليوم التاسع والاستطلاع مازال أولياً!!، مع ان أمراء الأسرة الحاكمة صمتوا بضعة ايام ولم يتحدثوا عن أرقام جديدة كتلك التي اعطوها بشكل قاطع في وقت سابق.

والأمر المضحك ان مصدراً سعودياً خالف رقم الرائد النفيعي وقدم الرقم السابق (٢٠٠) شخص.. ومتى؟، في ذات اليوم الذي نشر فيه تصريح الرائد!!. تقول الرأي العام عن المصدر السعودي: (ان عدد المتمردين يبلغ حوالي "٢٠٠" مسلح تسليحاً جيداً)[٨].

---

1 ــ الاهرام ١٩٧٩/١١/٢٢م.

2 ــ البلاد ١٩٧٩/١١/٢٤م.

3 ــ الدستور الأردنية ١٩٧٩/١١/٢٤م.

4 ــ الرأي العام ١٩٧٩/١١/٢٤م.

5 ــ السفير ١٩٧٩/١١/٢٤م.

6 ــ الجمهورية المصرية ١٩٧٩/١١/٢٧م.

7 ــ الرياض ١٩٧٩/١١/٢٨م.

8 ــ الرأي العام ١٩٧٩/١١/٢٨م.

في الوقت الذي ذكرت فيه النهار اللبنانية (١٩٧٩/١١/٢٨م) عن صحيفة الفايننشال تايمز قولها، ان مصادر مؤكدة في جدة قالت: (انهم ليسوا حفنة من الرجال كما زعمت السلطات السعودية).

وفي الثلاثين من نوفمبر ١٩٧٩م، الموافق لليوم الحادي عشر من وقوع حادثة الحرم، قالت (النهار) ان عدد أفراد الجماعة نحو (١٠٠٠) شخص[١].. مع العلم ان الحكومة السعودية روجت انباء تفيد بأن المستسلمين من (الزمرة والشرذمة!!) وصل إلى (٣٠٠) شخص على الأقل حتى اليوم الحادي عشر.. في حين أكدت وكالة الأنباء الفرنسية ان (مئات) لازالوا موجودين في أقبية الحرم، ونسبت (الاهرام) القاهرية إلى الوكالة قولها: "انه لايزال هناك في دهاليز المسجد، مئات من الرجال يقاتلون، ورجال يموتون، ورجال تفيض دموعهم، ربما من الغاز المسيل للدموع، وربما من شدة الغضب واليأس"[٢].

وأخيراً، اعترف وزير الداخلية بأن أفراد المجموعة أكثر من مائتين، ولكنه اعتراف مشروط، فقد قال في مؤتمر له بتاريخ (١٩٧٩/١٢/٤م) بأنهم أكثر (قليلاً!!)، أي أكثر بالعشرات فقط، ومع هذا لم يذكر الرقم بالتحديد، وفوق ذاك عاد مرة أخرى وأكد انهم لم يزيدوا عن مائتين.

ففي مؤتمره الصحفي بتاريخ (١٩٧٩/١٢/٤م) قال: (المعلومات التي لدينا تقول ان عددهم حوالي مئتي شخص، ولكن الذي لمسناه انهم أكثر قليلاً)، ولم يذكر رقم القليل هذا رغم ان الحادث انتهى!!.. والمضحك انه ناقض نفسه بعد شهر من تصريحه هذا، فقال في ندوة له مع طلاب جامعة الرياض (الملك سعود): (ان عدد المسلحين لم يكن يزيد عن مئتي شخص)، بل وصلت به الصفاقة وقلة الحياء إلى أن يقول في ذات الندوة ان عددهم (لا يزيد عن أصابع اليد الواحدة)!!.

من كل هذا يتبين ان المسؤولين السعوديين لم يكونوا وقت وقوع الحادث يعرفون الأرقام حقيقة، ولو عرفوها لما قالوها، ورغم ان المعارك بينت لهم ان عدد المعتصمين كبير، ولكنهم يريدون تقليص العدد حفظاً لهيبتهم.. ولذا استمروا في اعطاء أرقام قليلة مضللة تتناسب مع قول (فئة، وشرذمة، وزمرة).

والآن لنعد إلى المعارك التي وقعت في الحرم، فالحسابات السعودية التي بنتها العائلة المالكة ابان الهجوم كانت قاصرة، مما الحق اضراراً فادحة بالقوات الحكومية، ومما زاد الطين بلة، حالة التخبط في القوات وعدم انسجامها، إضافة إلى الخبرات العسكرية المحدودة التي فرضت خططاً عسكرية اودت بحياة المئات من العسكريين.

بعد افناء الفوج الأول الذي تدعمه المدرعات خارج الحرم، عرف القادة العسكريون عدة أمور اهمها: ان عدد المعتصمين كبير، وان خبراتهم القتالية جيدة، وان عملاً عسكرياً تقليديا لن يفك أبواب الحرم ويسهل أمر دخول القوات.

استدعى وزير الدفاع طائرات الهيلوكبتر المقاتلة بعد ظهر الأربعاء (١٩٧٩/١١/٢١م) لتشارك في عملية عسكرية ذات اتجاهين، آملاً بحسم سريع:

---

1 ــ النهار ١٩٧٩/١١/٣٠م.

2 ــ الاهرام ١٩٧٩/١١/٣٠م.

الاتجاه الأول/ ان تتقدم الدبابات لتفتح الطريق أمام الجنود، وذلك بدك سور الحرم المطهر بالقذائف في مناطق معينة، وان تقتحم عدداً من بوابات المسجد عنوة، والتي هي مغلقة باحكام في وجه القوات الحكومية.

الاتجاه الثاني/ ان تقوم طائرات الهيلوكبتر بالتحليق فوق المسجد الحرام، وتصفي المدافعين الذين على سطحه، وان تقوم قدر الامكان بتعطيل واشغال المتواجدين في المنائر، ريثما تنزل الطائرات المظليين، ويتخذون مواقعهم داخل المسجد، بعد تصفية المتواجدين داخل باحة الحرم، ولينضم هؤلاء بعدئذ للجنود الذين سيتدفقون من سور وبوابات الحرم..

وكانت النتيجة ان الاتجاه الأول نجح جزئياً بعد مضي ساعات طويلة، رغم انها كانت عملية مثبطة لعزائم الجنود، الذين تصوروا قبل مجيئهم إلى الحرم انهم لن يخوضوا هكذا معارك وبالأسلحة الثقيلة تكون ساحتها بيت الله الحرام.. وقد وردت أخبار خاصة ان (١٣) شخصاً اعدموا (ميدانيا) بسبب رفضهم توجيه قذائف دباباتهم نحو سور وبوابات الحرم.. إضافة إلى ان زوبعة مثيرة حدثت في صفوف الحرس الوطني، حيث شعر مجموعة كبيرة من فلوله انهم يخوضون حرباً غير مشرفة وليس لها أي مبرر، خاصة وان المسجد الحرام سيكون خراباً ودماراً.

اما الاتجاه الثاني، فإنه كان مقامرة بكل معنى الكلمة، فإنزال المظليين دون تحسب لمواقع النيران ادى إلى مقتل معظم (أو كل) المشاركين فور هبوطهم الى الأرض، بل ان عدداً منهم قتلوا قبل ان يصلوا إلى الأرض[١].

هنا تنبهت القيادة العسكرية إلى أن المهمة الأولى ينبغي ان تكون استخدام الغازات المسيلة للدموع لإرباك المعتصمين.. لكنها وجدت ان مخزونها من القنابل المسيلة للدموع قليل او معدوم لا يفي بالغرض، سيما وأن أفراد الحرس الوطني المتواجدين في المنطقة الشرقية (وعددهم عشرون الفاً) لمواجهة المتظاهرين هناك، قد سلموا كميات من هذه القنابل.. مما دعا القوات الحكومية الى الاستعانة بالسفارة الأميركية بجدة لتزويدها بها[٢].. والجدير بالذكر ان السفارة الأميركية ــ في جدة وغيرها من البلدان ــ تمتلك عادة كميات من الأسلحة الخفيفة والقنابل السامة والمسيلة للدموع تحسباً لأي هجوم طاريء.

من جهة أخرى، اشارت وكالات الأنباء في اليوم التالي لبدء الهجوم العسكري السعودي، أي في (١٩٧٩/١١/٢٢م) إلى الخسائر الفادحة التي تكبدتها القوات السعودية على وجه الخصوص، وأشارت بعد أيام إلى الطريقة التي تمت بها عملية اقتحام المسجد الشريف.

فقد ذكرت الحجاج: (ان المدفعية السعودية قد دكت أسوار الصحن لتسمح للقوات الخاصة بالتسرب من خلال الثغرات للداخل، كما اخذت الدبابات استحكاماتها حول الصحن في الساعة السادسة من مساء الأربعاء (١٩٧٩/١١/٢١م)، وأخذت تطلق قذائف انذار، بينما كانت طائرات القوة الجوية تطير على ارتفاع منخفض جداً فوق المدينة)[٣].. والمخجل ان احد وعاظ السلاطين حمد الله على فعلة آل سعود بالحرم، حيث قال احدهم: (استطاعت القوات والحمد لله "!!" بواسطة مدفعيتها ان تفتح بعض أبواب الحرم من بعيد، وان تدخل معها الدبابات

---

1 ــ Anthony Cordesman, The gulf and the Search for strategic stability, P234.

2 ــ المصدر السابق.

3 ــ اللوموند ١٩٧٩/١١/٢٤م.

التي نزلت في المسجد حتى وصلت المطاف[1]، وان تطلق النار من الداخل على هؤلاء المجرمين)[2]. وقالت جريدة (الأنباء) الكويتية نقلاً عن شاهد عيان: (ان قوات الأمن السعودية حطمت أربع صوامع من الحرم الشريف خلال الهجوم الذي شنته على محتلي المسجد.. وان قوات الأمن السعودية ربما تكون قد الحقت بعض الاضرار بأبواب المسجد)[3].. وقالت صحيفة كويتية أخرى[4]: (ان معركة ضارية دارت في الجناح الغربي من المسجد، ادت إلى اشعال النار فيه، وإلى سقوط عشرات القتلى والجرحى).

وحول القتلى اشارت وكالات الأنباء إلى اعداد غفيرة منهم منذ الأيام الأولى للهجوم السعودي، فبعد يوم واحد أي في (١٩٧٩/١١/٢٢م)، قالت صحيفة السفير، ان مصدراً سعودياً ذكر بأن (معركة قصيرة بالسلاح الاتوماتيكي بين المسلحين والحرس الوطني السعودي قد وقعت وسقط خلالها عدد كبير من القتلى)[5]، في حين ذكر مصدر سعودي آخر لجريدة الاهرام المصرية[6]: (ان مائتي شخص من المسلحين قد لقوا مصرعهم اثناء الاشتباكات التي جرت بينهم وبين القوات السعودية).. وكانت صحيفة الهدف قد ذكرت في (١٩٧٩/١١/٢٢م) بأن ما يزيد على (٦٠٠) شخص قتلوا أثناء معارك اليوم الأول (١٩٧٩/١١/٢١م).. كما سبق للاهرام[7] ان نسبت إلى مواطنين قولهم: (ان عدداً كبيراً من طائرات النقل في السعودية من طراز هيركوليز ــ ١٣٠ الأميركية قد شوهدت وهي تقلع وتهبط من مطار جدة منذ يوم الثلاثاء ١٩٧٩/١١/٢٠م، ويعتقد ان الطائرات تقوم بنقل الجرحى إلى جدة بعد ان اكتظت مستشفيات مكة بالجرحى).. وبعد أيام قالت الاهرام بتاريخ (١٩٧٩/١١/٢٧م) نقلاً عن وكالة يونايتدبرس ان (عدد القتلى والجرحى الذين سقطوا اثناء المعارك التي جرت أمس الأول يبلغ المئات). وقالت (الرأي العام) نقلاً عن مصادر دبلوماسية: (ان الاصابات كانت جسيمة في الجانبين وان المستشفى العسكري في جدة قد وضع في حالة استنفار لاستقبال الجرحى من مكة)[8].

ومع ان القوات الحكومية كانت حتى آخر اليوم الأول لم تستطع فعل شيء كبير سوى اختراق سور الحرم ودك الصوامع والأبواب رغم الخسائر الكبيرة، إلا أن اعلام آل سعود انهى المعركة لصالح آل سعود اعلامياً، فقد صدر بيان حكومي في آخر اليوم الأول لبدء الهجوم السعودي، (١٩٧٩/١١/٢١م) جاء فيه: (ان العملية ستنتهي قريباً).. مما يوحي بأن كل شيء انتهى، وما هي إلا ساعات فقط!!، وهذا كذب وافتراء

---

1 ــ أي على بعد امتار لا تزيد عن العشرة من الكعبة المشرفة!!.

2 ــ جريدة الرياض السعودية ١٩٧٩/١٢/٤م.

3 ــ الأنباء الكويتية ١٩٧٩/١١/٢٧م.

4 ــ الرأي العام ١٩٧٩/١١/٢٦م.

5 ــ السفير ١٩٧٩/١١/٢٢م.

6 ــ الاهرام ١٩٧٩/١١/٢٥م.

7 ــ الاهرام ١٩٧٩/١١/٢٤م.

8 ــ الرأي العام ١٩٧٩/١١/٢٥م.

وتغطية على الفشل الحكومي الذريع.. وفي صباح يوم (١٩٧٩/١١/٢١م) نشرت الصحف السعودية تصريحاً كاذباً لوزير الداخلية قال فيه (ان قوات الأمن سيطرت على الموقف داخل الحرم)!.

ومن الأمور التي اتضح كذبها ان الاذاعة السعودية اذاعت في الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم الأربعاء (١٩٧٩/١١/٢١م) اذان العصر، وقالت انه اذيع من المسجد الحرام، بينما القوات السعودية لم تستطع حتى ذلك الحين من اختراق سور الحرم!.. وفي نفس اليوم (١٩٧٩/١١/٢١م) اتصل الملك خالد برئيس الباكستان وطمأنه بأنه (قد تمت السيطرة تماماً على الموقف في مكة)[١]. الجدير بالذكر ان وكالة الأنباء الباكستانية اشارت إلى الاتصال الهاتفي بين خالد وضياء الحق.. في حين عللت أوساط مطلعة سبب هذا الاتصال، بأن الحكومة السعودية طلبت قوات خاصة باكستانية لمساعدة القوات الحكومية في الهجوم على المسجد الحرام، خاصة بعد أن حدث تمرد وتذمر داخل القوات المسلحة وبالأخص الحرس الوطني.

وكانت مصادر غربية[٢] قد أشارت إلى أن النظام السعودي عزل ضباط الوحدات الآلية في الحرس الوطني والذين كانوا يحيطون بالحرم، وعين ضباطاً من الجيش، الأمر الذي سبب في امتناع بعض قوات الحرس من تلقي الأوامر من هؤلاء الضباط الجدد الذين لا يعرفون اسلوب توجيه أفراد الحرس، بسبب اختلاف طبيعة الأوامر بين وحدات الحرس والجيش، وغياب الثقة بينهما.

وفي هذه الأثناء أفادت مصادر محلية ان مالا يقل عن ألف جندي من الحرس قد انضموا عملياً إلى جماعة جهيمان، وقاتلوا معه حفاظاً على البيت الحرام.

من جهة أخرى، وفي يوم الخميس (١٩٧٩/١١/٢٢م) أجرت الاذاعة السعودية مقابلة مع وزير الاعلام قال فيها: (انه يأمل انتهاء دراما احتلال المسجد الحرام في مكة خلال الساعات القليلة القادمة)..

في حين نشرت جريدة الرياض[٣] في ذات اليوم تصريحات لمصدر مسؤول جاء فيه: (بات من المؤكد ان تتمكن قوات الأمن من انهاء حادثة الحرم خلال الساعات القليلة القادمة).. ولعل وزير الاعلام اعتمد في آماله على تصريح المسؤول هذا، الذي (يؤكد!!) ان الساعات القادمة ستنهي المسألة، التي استمرت ليس ساعات فحسب بل اسبوعين كاملين!

غير ان وزير الداخلية شعر بأن القوات الحكومية لن تستطيع ان تنهي الأمور خلال ساعات فبدأ يسوق التبرير تلو الآخر، ليغطي على الفشل الحكومي ويحفظ لقوات آل سعود هيبتها، فقال في تصريح نشرته الصحف السعودية[٤]: (انه بالرغم من سيطرة قوات الأمن على الموقف داخل المسجد الحرام، وبالرغم من سهولة اقتحام الأماكن التي يتحصن فيها أفراد تلك الزمرة الخارجة على الدين داخل المسجد، إلا أنه من منطلق الحرص على أرواح الأبرياء الذين لا يزالون متواجدين داخل بيت الله الحرام، ومراعاة لحرمة

---

1 ــ اللواء اللبنانية ١٩٧٩/١١/٢٢م.

2 ــ الرياض ١٩٧٩/١١/٢٢م.

3 ــ الرياض ١٩٧٩/١١/٢٢م.

4 ــ الحوادث ١٩٨٠/١/١٨م.

المسجد الحرام التي اهدرها اولئك المجرمون، فإن قيادة قوى الأمن تحاول قد الإمكان تجنب أي عمل قد يؤدي إلى الاضرار بالمسلمين)!!.

لقد اوضحنا في صفحات سابقة ان قضية الرهائن كانت مفتعلة لتحقيق أمرين: **الأول:** تبرير الهجوم العسكري ضد الاخوان في الحرم، والثاني: تحول القضية إلى تبرير ضعف الحسم العسكري الحكومي وضعف القوة العسكرية السعودية.. وبينا ان المسألة ملفقة واعترف آل سعود بتلفيقها حين أكدوا بأن الرهائن غير موجودين، وأوردنا اعتراف وزير الدفاع حول المسألة حين سأله اللوزي رئيس تحرير الحوادث: (قلتم ان المسلحين كانوا يحتجزون رهائن ثم ثبت ان لا رهائن، فأجاب الوزير: لم نقل رهائن. كان هناك ٢٦ حاجاً بقوا في الأقبية حتى آخر لحظة ولذلك سميناهم المسلمين الأبرياء[١].

وها هو وزير الداخلية يبرر عجزه بالقول (حرصاً على المسلمين الأبرياء) أي ان هناك رهائن.. وقد ذكر ذلك صراحة في عشرات بل مئات التصريحات.. ويهمنا ان نؤكد بأن الذي قتل الحجاج المصلين أو ما أسماهم وزير الدفاع بـــ (المسلمين الأبرياء)، هم آل سعود، وهذه حقيقة اكدتها مراكز البحوث الغربية، والصحف والوكالات. وحين اقتحم آل سعود الحرم، لم يكن يهمهم أرواح أحد، حتى أرواح جنودهم، انما يهمهم ان يحفظوا عرشهم المهتز.

اما الحفاظ على المسجد الحرام، فهو كلام مستهجن، فآل سعود يأتون بدباباتهم وطائراتهم ومدافعهم ويقصفون الحرم، ويدمرون صوامعه وبواباته، ويشبون النار في زواياه، ويطيحوا بالمآذن جراء القصف، ومع هذا يدعون الحرص على المسجد، فاي حرص هذا، والصحافة السعودية تحمد الله على ان قوات الأمن استطاعت ان تدمر الأبواب بواسطة الدبابات وتقف في المطاف وتطلق القذائف على المعتصمين؟!

وفي هذه الأثناء كانت المعارك على أشدها داخل المسجد، وقد وصفت وكالات الأنباء نقلاً عن دبلوماسيين في جدة، ان خسائر القوات الحكومية تقدر بالمئات وان القوات الحكومية عاجزة (حتى اليوم الخامس العملية) عن السيطرة على المسجد.. في حين ان آل سعود يزعمون انهم سيطروا عليه وانه لم يبق من (الشرذمة!) إلا (شرذمة!).. بل ويؤكدون انهم أسروا أكثر من (٢٠٠) شخص من المعتصمين، بينما لم يعترفوا في وقت سابق بأن عدد أفراد الجماعة يزيد عن مائتين بأي حال من الأحوال.. والطريف ان الرائد النفيعي مسؤول الاعلام اثناء العملية، قال بأن القوات الحكومية لم تأسر احداً حتى اليوم الثامن للعملية (١٩٧٩/١١/٢٧م) في حين ان آل سعود اسروا المئات قبل هذا التاريخ بأيام!! فوزير الاعلام يصرح في اليوم الثالث للعملية (١٩٧٩/١١/٢٢م) بأنه (قد قبض على معظم الأفراد ولله الحمد)[٢].. ويؤكد: (الآن نستطيع ان نقول ان الأمور لله الحمد في سبيلها إلى الانتهاء. والآن لم تبق من هذه الشرذمة إلا اعداد قليلة.. وان الأمور تحت السيطرة تماماً) مع انه قال انها ستنتهي خلال ساعات! ويضيف التبرير المعتاد حول عدم الحسم السريع بأن: (المجموعة الخارجة عن الدين الاسلامي، وهي تحت سيطرة جهاز الأمن، كان من

---

1 ــ الرياض ١٩٧٩/١١/٢٣م.

2 ــ المصدر السابق.

الممكن ضربها بقوة في أية لحظة من اللحظات، ولكن جهات الأمن المختصة، كانت حريصة على ان تعالج هذا الموضوع بكل حكمة وبكل تحسب لأرواح المسلمين الأبرياء المتواجدين داخل المسجد الحرام، الذين لا ذنب لهم ولا حول في هذه القضية، وفي هذه الفتنة التي أصابت المسلمين)[1].

وفي يوم (١٩٧٩/١١/٢٣م) اعلنت جميع الصحف السعودية ان قوات الأمن (ألقت القبض على معظم أفراد المجموعة الخارجة عن الدين)!..

وفي ذات اليوم وردت أنباء عن ان القتال لا زال يدور في باحة المسجد والمآذن، وان المعتصمين تمكنوا من الصمود رغم هجوم طائرات الهليوكبتر، التي أسقطوا منها اثنتين، وقالت وكالات الأنباء ان المعتصمين تحصنوا في المنارتين الشرقية والغربية من المسجد، مع العلم ان وكالات الأنباء قالت بأن الحكومة السعودية ستنهي العملية خلال عدة ساعات قادمة!، فيما الساعات تتحول إلى أيام بقدرة قادرة!

فبعد يوم كامل أي في (١٩٧٩/١١/٢٤م) عاد حديث الصحف حول: (توقع السلطات السعودية ان تنتهي العملية خلال الساعات القليلة القادمة)[2].. في حين لم يذكر المسؤولون السعوديون شيئاً عن اخبار المعارك، وانما تحدث اليماني ــ وزير الاعلام ــ عن (ان القوات السعودية تقوم الآن بتعقب فلول الزمرة الباغية)[3]، فالمسألة اذن ليست مسألة ساعات، وان العملية صعبة للغاية لن يفيدها قول حماسي يختصر الأيام والأسابيع في ساعات معدودة!

وفي اليوم الخامس من وقوع الحادث (١٩٧٩/١١/٢٤م)، ذكرت الصحف العربية نقلاً عن وكالة يونايتدبرس ان وزير الاعلام أصدر بياناً في الرابع والعشرين من نوفمبر أعلن فيه سيطرة قوات الأمن كاملاً على المسجد، ووعد بأن يصدر وزير الداخلية بياناً بعد اتمام القبض عليهم، أي ان العملية لم تنته، والظريف انه بعد (١٢) ساعة من اعلان بيانه الأول عاد فقال كلاماً آخر وهو ان (الارهابيين ستتم محاصرتهم خلال الساعات القادمة)! وهكذا تخبط وزير الاعلام ــ النفي ــ كما يتخبط الأمراء والصحافة، لأن الكذب حبله قصير، خاصة وان كل مسؤول يصدر البيان حسب هواه، فهذا يعلن نهاية العملية خلال الساعات، وآخر يقول ان محاصرتهم ستتم خلال ساعات، وثالث يؤكد ان العملية انتهت.. الخ.. بل ان الصحف السعودية وقعت في هذا التخبط كل يوم، فهي كل يوم تبشر بانتهاء العملية ثم ما تلبث ان تكذب ما تكتبه لانها تنقل أقوال المسؤولين المتناقضة كل يوم.. حتى ان جريدة الشرق الأوسط نشرت في (١٩٧٩/١١/٢٤م) خبر (تمكن قوات الأمن من فرض سيطرتها الكاملة يوم الجمعة ١٩٧٩/١١/٢٣م، وشلت حركة الشرذمة "!!" الباغية، وهي تقوم بمطاردة بعض الفلول لاعتقالها)، وقد نشرت هذا القول تحت عنوان مثير (انتهت عملية التطهير والعقاب سيكون صارماً)!، فهل انتهى كل شيء حقاً؟!

وفي اليوم السادس (١٩٧٩/١١/٢٥م) انهت جريدة الرياض المعارك بفوز القوات الحكومية على الورق!!، فقالت تحت عنوان (حادثة الحرم في مراحلها النهائية) مايلي: (أصبحت جريمة الاعتداء الآثم على

---

1 ــ الانباء الكويتية ١٩٧٩/١١/٢٤م.

2 ــ الاهرام ١٩٧٩/١١/٢٤م.

3 ــ الرياض ١٩٧٩/١١/٢٥م.

الحرم الشريف في مراحلها النهائية، ولم يتبق سوى عملية تنظيف وتطهير الحرم الشريف، ومن المتوقع ان يصدر اليوم بيان يوضح الخطوات الحكيمة التي تم خلالها معالجة الموقف والاسلوب الذي اتبع للقبض على العصابة المارقة)[1]. ولا ندري ماذا قصدت الجريدة من تنظيف وتطهير الحرم، هل إزالة الاوساخ والجثث، أم ازالة المعتصمين الذين لازالوا حتى ذلك الحين يقفون سداً منيعاً أمام تدفق القوات الحكومية؟!

الطريف ان وزارة الاعلام اعلنت في ذات الوقت (١٩٧٩/١١/٢٥م) عن انتهاء الحادث رسمياً، فقال في بيان أذيع: (نحمد الله ان مكننا من انهاء المشكلة التي خلقتها المجموعة الخارجة عن الدين في المسجد الحرام، والطريقة التي حنقت بها دماء المسلمين، واضطرت المارقين على الاستسلام لقوى الأمن مع الحفاظ على حرمة المسجد الحرام وقدسيته. نحمد الله فقد كان ذلك فضلا من الله سبحانه وتعالى على هذا البلد، وعلى قيادته وشعبه، فقد اثبتت قيادتنا الحكيمة انها قادرة على مواجهة مثل هذه الأمور بحكمة وقدرة وفعالية، تحفظ لهذا البلد استمرارية امنه واستقراره في ظل الشريعة السمحاء التي نعتز بها جميعاً، وبالانتماء اليها ونجعلها دستورنا ومنهاج حياتنا. وان العملية الآثمة قد انتهت بفضل الله ثم بفضل الجهود الخيرة التي بذلتها قوات الأمن، والوعي الكامل الذي أبداه المواطنون)..

إذن استسلم المعتصمون، وانتهت العملية والمشكلة، وحفظ آل سعود حرمة المسجد الحرام وقدسيته.. رغم انهم انزلوا دباباتهم ومصفحاتهم فيه وهدموا أركانه واشعلوا في ربوعه النار!!.. وكل ذلك بفضل من الله على آل سعود الذين يمثلون القيادة الحكيمة!

الجدير بالذكر ان الاعلام السعودي سرب للصحافة ووكالات الأنباء خبر انتهاء المشكلة، إلا أن بعض الصحف خافت من أخذ قول الاعلام السعودي بحرفيته، لأنها ادركت أن العملية لم تنته.. فجريدة الأنباء الكويتية، نقلت عن مصادر سياسية سعودية رسمية: (أن الوضع في المسجد الحرام هو تحت السيطرة الكاملة للقوات السعودية، وأن قضية إخلاء المسجد من بقايا فلول الأشرار هي قضية ساعات فقط)[2]، بينما أحمد الجار الله صاحب جريدة السياسة نقل ما سربه الاعلام السعودي بحرفيته، فاتصل بجريدته من الرياض، لتكتب تحت عنوان بارز: (انتهت أبشع جريمة في التاريخ الاسلامي.. وبدأ التحقيق).. وإذا كان هناك من جريمة حقاً، فهي جريمة آل سعود الذين استباحوا حرمة بيت الله ودنسوه وقتلوا المؤمنين فيه..

وقالت السياسة تحت العنوان المذكور: (يمكن القول بأن عملية المسجد الحرام قد انتهت تماماً في الساعة الخامسة من بعد الظهر يوم أمس السبت (١٩٧٩/١١/٢٤م)، وتحققت السيطرة الكاملة على الموقف بشكل نهائي، وفق الترتيبات التي وضعتها الحكومة السعودية، والتي هي الحفاظ على مبنى المسجد واعتقال الأشخاص الذين قاموا بالعملية أحياءاً قدر الامكان)[3]..

شيء طريف حقاً.. أن تستورد السياسة مثل هذه الأخبار، خاصة وأنها حددت الوقت بالساعات أيضاً، وهو ما لم تفعله الصحف السعودية، وما لم يذكره بيان وزارة الاعلام نفسه.. والدليل على ان هذا التوقيت

---

1 ــ الأنباء ١٩٧٩/١١/٢٥م.

2 ــ السياسة ١٩٧٩/١١/٢٥م.

3 ــ المدينة ١٩٧٩/١١/٢٦م.

صحيح بالساعات والتاريخ، هو أن الصحف السعودية، لم تشر إلى بيان وزارة الاعلام في اليوم التالي (١٩٧٩/١١/٢٦م).. لأنها لم تشأ أن تضع أخبار المعارك وتصريحات الأمراء الكبار التي تفيد باستمرارها، إلى جانب بيان وزارة النفي، بصورته القاطعة التي تحدث بها عن نهاية العملية.. مع هذا لم تخل أقوال الصحف من التناقضات فيما بينها، بل إن الصحيفة الواحدة تناقض نفسها في ذات الوقت وفي نفس العدد.. فجريدة المدينة قالت بأن الحادثة انتهت يوم الأحد (١٩٧٩/١١/٢٥م) وأنه (تم القبض على البقية الباقية من المجرمين حيث استسلم آخر عدد منهم، وهناك فرق تقوم بتمشيط البدروم على الفور، وتم اعتقال المهدي المزعوم محمد بن عبد الله والقبض على والدته وزوجته وإخوانه).. وأضافت (ومن جهة أخرى قام رجال الأمن بإخراج جميع الرهائن المحتجزين من اليوم الأول داخل المسجد الحرام)[1].. وهذا القول لا يخلو من مغالطات مفضوحة:

أولاً: إذا كانت العملية قد انتهت واستسلم آخر عدد منهم، فلماذا التمشيط للبدروم؟!.. وكان بإمكان الصحيفة أن تنتظر ربع ساعة ــ لو كان خبرها هذا عاجلاً ــ لتتأكد أن التمشيط حصل وأن من اعتقلوا هم كل ما تبقى من المجموعة.. مع هذا نشرت الصحيفة في نفس اليوم تصريحاً لنائب وزير الداخلية أحمد بن عبد العزيز قال فيه: (إن الفتنة تعتبر في حكم المنتهية) [2].. أي أنها لم تنته بعد، خلاف ما قاله بيان وزارة الاعلام السابق..

ثانياً: زعمت الصحيفة أنه تم إلقاء القبض على (المهدي المزعوم!) محمد بن عبد الله، ولم تذكر تكملة الاسم وهو القحطاني لأمر في نفس يعقوب، لأن وزير الداخلية اعتبره (تركيا!!).. مع العلم ان مصير القحطاني لم يعلن عنه إلا بعد انتهاء الحادث، وقالت (الداخلية) أنه قتل ونشرت صورته!!.. فكيف تم إلقاء القبض عليه إذن؟!

ثالثاً: قالت ان قوى الأمن أخرجوا جميع الرهائن، ولكن لم يكن هناك رهائن.. وإنما (٢٦) حاجاً، سماهم وزير الدفاع بالمسلمين الأبرياء بقوا حتى آخر لحظة من العملية، أي حتى تاريخ ١٥ محرم ١٤٠٠هـ، الموافق ١٩٧٩/١٢/٤م، بينما الصحيفة قالت أن إخراجهم تم يوم (١٩٧٩/١١/٢٥م) أي قبل (٩) أيام من انتهاء الحادث!!

أما جريدة الرياض[3]، فقد دمجت بين الانتهاء والتطهير، وهما أمران لا يجتمعان فما دام هناك (تطهير) أو (تمشيط).. لا فرق، فإن العملية لم تنته، وإلا لمن التطهير والتمشيط؟!.. تقول الرياض: (تواصل قوات الأمن عمليات تطهير المسجد الحرام من آثار حادث الفئة الباغية التي اعتدت على قدسيته، كما تقوم في نفس الوقت بعمل التنظيفات اللازمة استعداداً لاستقبال جموع المصلين، وقد استقبل المسلمون والمواطنون انتهاء الحادثة بسعادة بالغة)!

وظهرت (السعادة البالغة!!) في ذات اليوم (١٩٧٩/١١/٢٦م)..

---

1 ــ الرياض ١٩٧٩/١١/٢٦م.

2 ــ الشرق الأوسط ١٩٧٩/١١/٢٧م.

3 ــ الجزيرة ١٩٧٩/١١/٢٧م.

حين أصدر وزير الاعلام بياناً تبريرياً أوضح فيه أن العملية لم تنته.. فبعد أن كرر المقولة الزائفة بحرص آل سعود على حرمة البيت المقدس من التدمير، وحرصهم على أرواح الرهائن المزعومين، أضاف اليماني: (وهذه العملية جعلت عملية اقتحام المسجد، وعملية القضاء أو القبض على هذه الفئة عملية صعبة، خصوصاً بسبب وضع المسجد الحرام)، ولا يعني قول الوزير وضع المسجد الحرام من الناحية الدينية والقدسية، وإنما وضعه من ناحية حجمه وكثرة أعمدته وتحصن المعتصمين الشديد في رحابه.. ويكمل قائلاً: (والذين يعرفون المسجد الحرام يعرفون أنه عبارة عن قلعة محصنة بمناراتها التي تمركزوا فيها.. وتمركزت مجموعات وأفراد من هذه الفئة أيضاً في طبقات المسجد المختلفة ومن خلال الشرفات، بحيث أصبحت عملية اقتحام المسجد في غاية الصعوبة)، إذن ما الذي دعا الوزير أن يقول في وقت سابق، بأن قوات الأمن قادرة على سحق المجموعة في أي لحظة من اللحظات؟.. ولماذا يكذب كل يوم بأن العملية انتهت أو أنها ستنتهي خلال ساعات؟!!

وظهر التخبط الاعلامي السعودي على أشده في اليوم التالي (١٩٧٩/١١/٢٧م)، فالصحف نشرت تبريرات الوزير حول سبب تأخر الحسم السريع، ولكنها نشرت أيضاً خبر انتهاء العملية باستهجان وغباء!.. فجريدة الشرق الأوسط قالت عن مصادر رسمية: (أن المسجد الحرام سيفتح أمام المصلين بعد الانتهاء من تنظيفه وغسله.. وأن مسئولاً سعودياً قال إثر استسلام آخر فلول العصابة "إن من واجبنا أن نبقى في مواقعنا أكثر حرصاً واهتماماً"..)[1]، في حين قالت صحيفة الجزيرة تحت عنوان (أمس كانت الرياض في فرحتين) تحدثت فيه عن زيارة أميري الكويت والبحرين للرياض، فقالت: (جاءا ليجددا العهد، ويطمئنا عن قرب، ويهنئا بانتهاء المحنة.. لقد كانت الرياض في فرحتين، فرحة القضاء على طغمة الفساد والإفساد التي عاثت فساداً وشراً، واختارت المسجد الحرام لتعلن فسادها وشرها على الأمة، وفرحة لقاء الأشقاء يتبادلون المشورة، ويتناقشون في خير الرعية)!

فالعملية هنا انتهت.. بعكس ما قال وزير الاعلام الذي لا يكذب!

إلا أن هذه الصحف أبت إلا أن تكذب نفسها في اليوم التالي (١٩٧٩/١١/٢٨م)، فنشرت مقابلة مع الرائد النفيعي، أكد فيها أن العملية لم تنته، رغم زعمه باستسلام أعداد كبيرة من الجماعة.

وعادت الصحف بعد (٢٤) ساعة، لتعلن أن الحادث انتهى من جديد!، وأن تطهير المسجد انتهى، بل إن جريدة الرياض[2]، أكدت أن المواطنين يطوفون بالكعبة، وأن الكعبة لم يصبها أي ضرر.. وهي بهذا تنفي الأنباء التي تحدثت عن إصابة مبنى الكعبة المشرفة بعدة قذائف من الدبابات، وأن أركاناً منها تهدمت على يد القوات الحكومية!، وفي ختام حديث الجريدة قالت: (ولم يتبق إلا نفر قليل لازال يختبيء تحت الأقبية الأرضية، في حين تواصل قوات الأمن تضييق الخناق عليها، ويتوقع أن تستسلم بين لحظة وأخرى).. وهي بهذا القول تنسف كل المزاعم التي ذكرتها قبل أسطر.

---

1 ــ الرياض ١٩٧٩/١١/٢٩م.

2 ــ السفير ١٩٧٩/١١/٢٩م.

ونسبت (الرأي العام) للتلفزيون السعودي قوله: (إن الحمائم عادت ترفرف على الحرم في أمان، ويتوقع أن يعود فتح المسجد أمام المصلين والطائفين والساعين إبتداءاً من اليوم "١٩٧٩/١١/٢٩م"..).. غير أن جريدة السفير شككت في انتهاء الحادث بقولها: (استمرت أمس، لليوم التاسع على التوالي، عملية احتلال المسجد الحرام في مكة، دون أن يصدر من السلطات السعودية ما يشير إلى المرحلة التي وصلت إليها الحملة)[١].

وفي يوم (١٩٧٩/١١/٣٠م) نشرت الصحف السعودية خبر، قيام أمير مكة السابق (فواز) وأخوه وزير الداخلية (نايف) بجولة ميدانية دعائية في الحرم، لتأكيد خبر انتهاء الحادث وإلقاء القبض على المعتصمين، وقالت الصحف بأن عدداً غفيراً من المواطنين أدوا صلاة الظهر جماعة في الحرم، كدليل على أن البيت المقدس قد طهر وانتهى أمره.. إلا أن الصحف لم تنس أن تقول في نفس اليوم أن (الفئة الباغية قد حوصرت في الخلاوي والسراديب السفلية) على حد قول جريدة الرياض في (١٩٧٩/١١/٣٠م).. بمعنى أن المشكل لايزال قائماً ينتظر الحسم، وهكذا كان اليوم التالي (١٩٧٩/١٢/١م).. فالصحف تتحدث عن (استمرار التضييق على الفئة الباغية وتطارد فلولها)!!

الجدير بالذكر أنه بانتهاء شهر نوفمبر، تشددت الصحافة ووسائل الاعلام العربية والأجنبية ــ بل والمحلية أيضاً ــ في الحديث عن شدة المعارك وهولها وخسائر القوات الحكومية الكبيرة فيها، رغم الأساليب البشعة التي قام بها آل سعود في سبيل إفناء المعتصمين..

فاليماني ــ وزير الاعلام آنئذ ــ تحدث عن قوة الجماعة مبرراً تأخير الحسم بالآتي: (إن هؤلاء المتمردين في غابة كثيفة من الأعمدة بصورة لا مثيل لها، ويجيدون الاصابة ويحددونها في أجسام العسكريين، مما جعل بعض هذه القوات تخلع الملابس العسكرية للتمويه).. وكانت القوات الحكومية قد قطعت الكهرباء والماء عن المعتصمين، وألقت عليهم القنابل السامة والحارقة للأوكسجين، بل وأحرقت الاطارات ودفعت بها إلي الأقبية، لكن ذلك لم يفل من عزم المدافعين، الذين كانوا يرتدون أقنعة واقية من الغازات[٢]، وقد تحدثت جريدة الشرق الأوسط السعودية (١٩٧٩/١٢/١م) على لسان مصدر سعودي بالقول: (إن قيادة قوى الأمن تحاول استخدام وسائل عدة لإخراج من بقي من أفراد هذه الجماعة في الطبقة السفلية، وإحدى هذه الوسائل حرق إطارات السيارات عند مداخل الغرف لجعل الحياة فيها لا تطاق.. إضافة إلى ضخ المياه إلى داخل الغرف، وهي طريقة تعلق عليها قوى الأمن آمالاً كبيرة لأسر البقية الباقية)..

لقد ضخ الماء الملوث بكميات هائلة داخل الأقبية، حتى أصبحت كأحواض السباحة.. مما أدى إلى غرق بعض أفراد الجماعة.. غير أن الصحافة السعودية زعمت أن الغرق قد تم (بفعل رباني إلهي) حين طفحت بئر زمزم فأغرقت مجموعة من العصابة!.. تقول جريدة المدينة[٣]: (خلال الساعات الأخيرة لتصفية الفئة الباغية من يوم أمس "١٩٧٩/١٢/٥م" من قبل رجال الأمن، وأثناء اقتحامهم للخلاوي التي كان المجرمون

---

1 ــ مجلة الوطن العربي ــ العدد ١٤٧.

2 ــ المدينة ١٩٧٩/١٢/٦م.

3 ــ هذا الكلام يوضح ان القوات السعودية لم تستطع السيطرة على باحة الحرم حتى اليوم السادس من وقوع الحادث، وهذا يكشف كم هو كذب أمراء آل سعود، الذين أعلنوا من اليوم الثاني انهم انهوا العملية تماماً وإلى الأبد!!.

يختبئون بها، كانت إرادة الله تقف سنداً مع رجالنا الذين كانوا يدافعون عن بيته الحرام، حيث شوهدت بئر زمزم وهي تطفح بمائها لتغرق سبعة أشخاص من الفئة الخارجة كانوا في القبو الملاصق لبئر زمزم.. وهكذا ينتقم الله من البغاة الطغاة)!

من جهة ثانية ذكرت جريدة السفير اللبنانية عن مصادر سعودية: (أن الحكومة انتهجت سياسة تجويع المسلحين) من أجل القضاء عليهم أحياء، ونشرت جريدة الرياض بتاريخ (١٩٧٩/١٢/٤م) وصف أحد مشايخ السلطة (حمود العقيل) نقلاً عن شاهد عيان للمعارك بقوله: (ومهما وصفت ووصف غيري هول المعركة وضراوتها، فإن القاريء لا يستطيع تصور معشار ما حصل من هؤلاء المجرمين، ولعله يبين بعض الشيء ما حدثني به أحد كبار القضاة في محكمة التمييز بمكة المكرمة، من أنه مرّ حول المسجد الحرام من جميع الجهات على سيارته ــ لأنه يحمل تصريحاً بذلك من الجهات المسئولة ــ فكادت أن تصرعه روائح الجثث المتكدسة في المطاف والمسعى وفي جميع أروقة المسجد.. والتي لم يتمكن المدافعون عن بيت الله من إزالتها وإبعادها، وذلك في يوم الأحد ١٤٠٠/١/٦هـ، أو الاثنين بعده وهذا هو غالب الظن)[١].. وكذلك (ما ذكره لي بعض من تمكن من رؤية وسط المسجد من فوق الجبال المحيطة به، من أن المطاف مليء بالقتلى لا سيما بين المقام والحجر الأسود.. والمعركة عنيفة وضارية، ولكي يتصور القاريء اللبيب بعضها، يجب عليه أن يعرف أن المسجد ــ على سعته وعظمته ــ تحول إلى قلعة تحصن بها هؤلاء الظالمون الفاسقون، وأصبح المسجد كله مصدراً للرصاص المنهمر على عباد الله المسلمين من فوق المآذن الشاهقة، ومن النوافذ والزوايا، ومن جميع الجهات، وأن الحرب ضروس مستعصية، وبدا لبعض الناس أن دخول القوات المسلحة مستحيل)..

ويذكر "باتريك سيل" المعروف باطلاعه على شؤون سوريا.. (يبدو أن عملية تصفية المهاجمين داخل المسجد الحرام كانت أكثر دموية مما أذيع، إذ يقدر عدد القتلى بألفين!!.. منهم "١٥٠٠" من رجال الجيش والحرس الوطني السعودي)[٢].

وبعد أيام من انتهاء الحادث، برر سليم اللوزي تأخر الحسم السعودي وإصابات الجنود السعوديين الكثيرة بقوله: (وقد أخبرني أحد الأمراء من أولاد الملك عبد العزيز، أن المسئولين في المملكة فوجئوا ــ مثلي وأكثر ــ فوجئوا بالعملية، وفوجئوا بحجمها، كما اكتشفوا أنهم لم يكونوا يعرفون جغرافية المسجد، ولم يكونوا يعرفون أن هناك أقبية وسراديب وخلاوي بالحجم والمواصفات التي ظهرت، وأن هناك أسرة يأوي إليها المتعبدون والمعتكفون والنساك، لم يكونوا يعرفون شيئاً كثيراً عن هذا العالم الذي كانت تحت الأرض، ولذلك عندما وقعت الحادثة، كانت تنقصهم المعرفة الكاملة لأرض المعركة، وعلى العكس.. كانت جماعة جهيمان قد درسوا المواقع، واكتشفوا خباياها، وقدروا إمكانية المقاومة فيها)[٣].

---

1 ــ السفير ١٩٨٠/٢/١م.

2 ــ الحوادث ١٩٨٠/١/٨م.

3 ــ الرياض ١٩٧٩/١٢/٤م.

والغريب أن أمراء آل سعود، وبعد أن كثرت الاصابات في جنودهم، وراح العالم يتحدث عنها، بدأوا بالعزف على وتر الشهادة (!!) والتغني بها، لتقليل وقع الخسائر وفداحتها.. فوزير الداخلية يقول: (إن الانسان مصيره الموت، طال به الزمن أو قصر، ولكن الذي يموت هذه الميتة الشريفة هو المحظوظ دنيا وآخرة)[1].. وتحدث فهد (الملك الحالي) عن الشهادة فقال: (إنه يتمنى أن يستشهد في سبيل الله والدفاع عن بيته، لنيل مرضاة رب العزة والجلالة!)[2].

وتحدث عبد الله (ولي العهد الحالي) عن الشهادة فقال: (إنه لفخر أن يموت الانسان دفاعاً عن عقيدته السمحاء وأرض الله الطاهرة)!!، في حين قال مشعل (وزير الدفاع السابق).. بعد ان راج خبر قتله.. (لو كان استشهادي في سبيل الدفاع عن بيت الله الحرام، فإن ذلك أقصى ما أتمناه.. لأن في ذلك شرف لي، وإن روحي ودمي فداء لله، ثم لمليكي جلالة الملك خالد، وسمو ولي عهده الأمير فهد، وسمو النائب الثاني الأمير عبد الله)[3]، ولقد فاتتهم (الشهادة!) لأنها لم تكن صفقة أو رشوة أو سرقة من الخزينة!!

على أية حال مضى يوم (١٩٧٩/١٢/١م) والصحافة تتحدث عن (التضييق المستمر) على الجماعة التي زعم آل سعود أنها تستسلم، أو هي في الطريق.. وأن المسجد الحرام تواصل فيه الأجهزة الحكومية العمل (لتهيئته للمصلين)[4]، بمعنى ان الحديث عن افتتاحه وانتهاء تطهيره وصلاة المواطنين فيه منذ يوم (١٩٧٩/١١/٢٩م) ما هو إلاّ كذب محض.. وافتراء رخيص، يؤكده آل سعود يومياً في تصريحاتهم.

ومر يوم (١٩٧٩/١٢/٢م) وهو اليوم الثالث عشر دون أن تحسم المعارك، ومضى يوم (١٩٧٩/١٢/٣م) والصحافة تتحدث عن (تطهير الحرم وتهيئته للمصلين).. وفي يوم (١٩٧٩/١٢/٤م) الموافق (١٤٠٠/١/١٥هـ) أعلن وزير الداخلية ــ وللمرة الأخيرة ــ انتهاء المعارك وإلقاء القبض على البقية الباقية من المعتصمين.. فقد أصدر الوزير بياناً نشرته الصحف السعودية في نفس اليوم، جاء فيه ما نصه: (أنه تم بعون من الله وتوفيقه في الساعة الواحدة والنصف من صباح هذا اليوم الثلاثاء الموافق ١٤٠٠/١/١٥هـ تطهير قبو المسجد الحرام من جميع أفراد الطغمة الفاسدة الخارجة عن الدين الاسلامي، ممن كانوا فيه، حيث أسر بعضهم وقتل البعض الآخر، وسوف يصدر بيان إلحاقي بالتفاصيل كاملة في وقت لاحق إن شاء الله)..

ومع أن الساعات تحولت إلى أسبوعين كاملين، فإن فهد ــ المعروف بكذبه الشنيع ــ صرح بعد أيام: (بأن عملية تطهير المسجد الحرام في تقدير العسكريين من الخارج تحتاج إلى شهرين، وتطهير الأقبية إلى ثلاثة أشهر، ولكنها تمت في وقت قياسي!)[5]، وهذا تبرير سخيف لا يستحق التوقف عنده، لأن العالم كله شهد العجز والتخبط السعودي على حقيقته.. ولولا دعم القوات الأجنبية للقوات السعودية، ولولا قيادة الخبراء الغربيين الكفرة للمعارك في بيت الله ضد المعتصمين فيه من المؤمنين، لما تمكن آل سعود من إنهاء العملية..

---

1 ــ المدينة ١٩٧٩/١٢/٢م.

2 ــ البلاد ١٩٧٩/١١/٢٤م.

3 ــ البلاد ١٩٧٩/١١/٢٤م.

4 ــ الرياض ١٩٧٩/١٢/١م.

5 ــ الجزيرة ١٩٧٩/١٢/١٠م.

الفصل الثامن

أسرار التدخل الأجنبي

الدعم الفرنسي:

على أثر تولي الأمير تركي الفيصل رئاسة المديرية الخاصة للإستخبارات في البلاد، بدأت العلاقة بين هذه المديرية، وبين هيئة الاستخبارات الفرنسية في النمو، وكان ذلك في سبتمبر١٩٧٧م. وقد ظهرت حقيقة هذه العلاقة الوثيقة للعيان أثناء انتفاضة الحرم في نوفمبر ١٩٧٩م، حينما اعتصم الثوار المسلمون في الحرم المكي الشريف، مطالبين بإسقاط الحكم السعودي القائم على الفساد..

وكان قلق السعوديين من ذلك الحادث عظيماً، إذ أنه أظهر حقيقة حاول الأمراء إخفاءها بشتى الوسائل، وهي وجود آلاف قطع السلاح في أيدي الشعب، ووجود آلاف المعارضين للنظام الذين يستمدون قوتهم من التجمع الديني في المناطق المقدسة، التي تزعم الأسرة السعودية دائماً أنها موالية لها.

في بداية العملية، أرسلت المخابرات الفرنسية خبيرها في شؤون مكافحة الثورات (كلنل جيليد) على رأس فرقة من القوة الضاربة للدرك الوطني الفرنسي (GING). والمدربة على مكافحة ما يسمونه بـــ (العمليات الإرهابية)، حيث كانت مهمة هذه الفرقة تقديم النصائح فيما يتعلق بتنسيق عمليات القوات السعودية التي تحاصر المعتصمين في الحرم المكي.

لم يؤثر وجود المستشارين الفرنسيين في وضع القوات السعودية كثيراً، فهذه القوات ــ رغم تسليحها المتقدم ــ تفتقد إلى التدريب الجيد، والتجربة العملية.. لذلك طلب الملك خالد شخصياً من الرئيس الفرنسي آنذاك (فاليري جيسكار ديستان)، إرسال مجموعة أخرى من الـــ (GING) لتدريب القوات السعودية وقيادتها لانتشال الأسرة الحاكمة من محنتها..

وحسب معلومات مجلة (لوبوان) الفرنسية، فإن الحكومة الفرنسية، أرسلت خمسة خبراء آخرين في ٢٣/ نوفمبر/ ١٩٧٩م لهذا الغرض.. وشيئاً فشيئاً أصبح لدى القوات السعودية قدرة كافية للقيام بهجوم نهائي قاده المستشارون الفرنسيون، وأدى إلى تحطيم المقاومة داخل المسجد الحرام، وإعادة السيطرة عليه في الأيام الأولى من شهر ديسمبر ١٩٧٩م.

وعلى إثر ذلك، اتسعت رقعة العلاقات بين أجهزة الأمن السعودية، وبين المخابرات الفرنسية.. ومما زاد هذه العلاقات عمقاً ووثوقاً الصداقة التي تطورت بين الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية، وبين (ألكسندر مارنشيل) قائد المخابرات الفرنسية آنئذ، حسب ما أكدته معلومات مجلة (لوبوان).

ومنذ ذلك الحين وحتى الآن، يزداد عدد المستشارين الفرنسيين العاملين في وزارة الداخلية السعودية وجهاز المخابرات، وقد شكلت لجنة سعودية فرنسية مشتركة في المجال الأمني، تضم مجموعة من كبار موظفي الحكومتين، كان من بينهم (جاك بيير ريتش) من وزارة الداخلية الفرنسية، و (جاك سولير) قائد البوليس الوطني الفرنسي.. وتضم من الجانب السعودي الفريق أول عبد الله آل الشيخ مدير الأمن العام، والفريق أول محمد هلال قائد القوات الخاصة.

الجدير بالذكر أن الحكومة السعودية نفت مشاركة أية جهة أجنبية في قمع المعتصمين داخل المسجد الحرام.. وبعد نشر مجلة (لوبوان) تفاصيل المساعدة الفرنسية بتاريخ ١٩٨٠/١/٢٨م، استاء فهد وحكومته من ذلك، وأوكل لسفارته في باريس أن ترد على مجلة (لوبوان) بالقول: (إن أي قوة أجنبية لم تشترك في الاقتحام الذي قامت به القوات السعودية).. و(أن المنطقة التي فيها مكة وبالتالي المسجد الحرام لا يمكن تدنيسها، إذ أن الدخول إلى الأماكن المقدسة غير مسموح به إلا للمسلمين)[١]..

ولكن متى كان آل سعود يراعون حرمة للأماكن المقدسة، وهم الذين اقتحموا البيت الحرام بالدبابات ورجموه بالصواريخ، وألقوا عليه القنابل من الطائرات؟!.. إن آل سعود لا يهمهم تدنيس بيت الله بتواجد المسيحيين فيه، وإنما يهمهم حفظ ملكهم العقيم، الذي من أجله يقتلون الناس ويدنسون الأماكن المقدسة، ويهتكون الحرمات.

من جهة ثانية، ذكرت وكالة أنباء الشرق الأوسط المصرية: (أن الرئيس فاليري جيسكار ديستان، أوفد مبعوثاً خاصاً على مستوى عال إلى الرياض لتهدئة السلطات السعودية التي تشعر بالاستياء نتيجة نشر أنباء عن تدخل قوات فرنسية خارجية لانهاء عملية المسجد الحرام) [٢]..

دعم المخابرات الأميركية وألالمانية

يشير تقرير نشرته صحيفة الواشنطن بوست ــ الوثيقة الصلة بالإدارة الأميركية ــ إلى أن الحكومة السعودية طلبت مساعدة (هيئة التدريب العسكري الأمريكي) و (قوات سلاح الهندسة للجيش الأمريكي)، فور قيام انتفاضة الحرم الشريف. وطوال الفترة التي استغرقتها عملية قمع الانتفاضة، كان المسؤولون السعوديون على اتصال مستمر بالخبراء الأميركيين في مجال الأمن!

ونقلت مجلة (مكافحة الجاسوسية) الأميركية في عددها الصادر في يوليو ١٩٨١م، عن مصدر موثوق، أن شركة فينل (Venil) وهي مؤسسة للخدمات الأمنية الخاصة على ارتباط بالمخابرات المركزية الأميركية (C.I.A)، قدمت خدمات مباشرة ومهمة لقوات الحرس الوطني فيما يتعلق بتنفيذ العمليات الخاصة، وأن هذه الخدمات أثرت تأثيراً واضحاً في قمع الانتفاضة.

وتضيف المجلة، بأن المحاولات الكثيرة التي بذلتها القوات السعودية للسيطرة على المسجد الحرام واجهت فشلا ذريعاً، رغم كونها مجهزة بالسلاح المتطور مثل صواريخ تاو (TOW)، مما دعا الأمراء السعوديين إلى وضع ثقتهم الكاملة في حلفائهم الأميركيين والفرنسيين.. ومن هذه النقطة توسعت أعمال شركة فينل.

فبعد قمع الانتفاضة بدأت الحكومة السعودية في دراسة برنامج أمني موسع يأخذ في الاعتبار المساعدة الفنية والبشرية التي ستقدمها الدول الحليفة.. وعلى هذا الأساس وقع وزير الداخلية مجموعة عقود تبلغ قيمتها الأولية ١٥٩ مليون دولار مع عدة شركات أجنبية، كان حصة (فينل) فيها بمثابة حصة الأسد.. ويشتمل

---

1 ــ البلاد ١٩٧٩/١١/٢٤م.

2 ــ البلاد ١٩٧٩/١١/٢٤م.

البرنامج الأمني على إنشاء قوات خاصة لمكافحة العمل الثوري (الارهاب بتعبير الحكام)، كما قررت الحكومة شراء عدد من طائرات الهليوكبتر المتقدمة لدعم حركة البوليس في المدن، وكذلك أنواعاً مختلفة من التجهيزات البوليسية، مثل المقطورات المصفحة لقيادة العمليات والاتصالات قرب مواقع التمرد والاشتباكات المحتملة، وأنظمة إليكترونية لأمن المنشآت، وأنظمة اتصال متطورة.

وبابتداء عام ١٩٨٠م تزايد ــ وبشكل ملحوظ ــ عدد الخبراء الأميركيين في مجال الأمن والتجسس، والذين كان معظمهم قد أمضى مدة سابقة في خدمة (C.I.A). وقد انضم هؤلاء الخبراء إلى (ريموند كلوز) الذي كان منذ عام ١٩٧٧م يعمل كمستشار أول لمديرية الاستخبارات السعودية.. وكلوز هذا هو أحد رؤساء الـ (C.I.A) السابقين، وقد تكفل بإعادة بناء جهاز المخابرات السعودي مستفيداً من خبراته السابقة كرئيس لفروع المخابرات المركزية الأميركية الاقليمية في لبنان، ومصر، والباكستان.

أما عن دور الألمان، فقد وردت معلومات في فبراير ١٩٨٠م تناقلتها الصحافة الأميركية، من بينها صحيفة (Philadilfia Incuerer) تقول: أن مساعدات ألمانية غربية عاجلة عرضت على المسئولين السعوديين لانهاء الانتفاضة، وأن نخبة من مدربي فرقة مكافحة الارهاب الألمانية المعروفة بإسم (G.C.G.9) أرسلت بناءاً على طلب فهد إلى الرياض، لمساعدة السعوديين في تنفيذ مهمات وصفتها الصحيفة بأنها عاجلة عند الأزمات..

ومنذ سنوات تبين لدى السعوديين أن الفرقة الألمانية (G.C.G.9) هي من أقوى الفرق في العالم على الاطلاق، في مجال تنفيذ المهمات المستعجلة الخاصة بمكافحة (الارهاب).. وعلى هذا الأساس، وردت ــ وترد ــ أنباء غربية متواترة أن الرياض وثقت علاقتها بالمسئولين الألمان للاستفادة من هذه الفرقة في مجال تدعيم أمن الحكم السعودي، وذلك بتدريب القوات الخاصة السعودية.. ومن الأمور المؤكدة أن الفرقة الألمانية بعثت بعشرات من المدربين ممن يتقنون اللغة العربية لتنفذ مهماتهم..

دعم الأردن

ذكر مراسل صحيفة (اللوفيغارو) الفرنسية في عمان، جورج ستوكلين، أن القوات الأردنية التي أرسلت بناء على طلب الحكومة السعودية، هي التي (قادت عمليات الابادة في الأماكن المقدسة)[١] وقد سبق لصحيفة (السفير) البيروتية[٢]، أن نشرت في الأيام الأولى لحادثة الحرم، نقلاً عن وكالة أنباء ألمانيا الغربية: (أن السعودية استعانت بقوات مظلية أردنية، وأن وحدات من هذه القوات وصلت إلى السعودية فعلاً).. ثم نشرت الصحيفة بعد أسبوعين تقريباً تفاصيل الدعم الأردني، فقالت: (أن بلدة الشونة الشمالية في غور الأردن شيعت في يوم السبت ١٨ محرم ١٤٠٠هـ، الجندي عمر تركي الخالدي المشرقي، الذي قتل أثناء الهجمات التي شنت على محتلي المسجد الحرام بمكة، والتي شارك فيها جنود من الجيش الأردني.. وذكرت المصادر أن خسائر القوة الأردنية التي شاركت القوات السعودية في مواجهة المسلحين الذين اعتصموا بالمسجد الحرام قد

---

1 ــ الرياض ١٩٧٩/١٢/١م.

2 ــ الجزيرة ١٩٧٩/١٢/١٠م.

بلغت حوالي خمسين فرداً ما بين قتيل وجريح، وأن جميع هؤلاء قد نقلوا إلى الأردن بواسطة الطائرات العسكرية.. وأكدت المصادر ذاتها، أن القوة الأردنية التي أرسلت كنجدات لتدعيم القوات السعودية في قتال المسلحين المعتصمين بالحرم المكي، هي كتيبة الصاعقة "٩١" التي يبلغ عدد أفرادها ٣٠٠ رجل، بقيادة الضابط تحسين شقتم، الشركسي الأصل)[١].

والمهم في الأمر أن الحكومة الأردنية لم تنف هذه الأخبار، بعكس المسئولين السعوديين الذين أصبحت مهمتهم النفي.. فقد نفى وزير الاعلام ما نشرته السفير معتبراً الخبر: (مختلق من أساسه، ولا أساس له من الصحة إطلاقاً)[٢]..

هذه بعض الاشارات القليلة التي تؤكد على مشاركة القوات الأجنبية إلى جانب آل سعود في القضاء على انتفاضة الحرم.. وهي على أية حال إشارات قليلة، فالأجزاء السرية وفصولها لا يعلم بها أحد سوى آل سعود والحكومات المساعدة لهم، وسيأتي يوم تتبين فيه الصورة على حقيقتها بشكل أشمل وأوسع..

الفصل التاسع

الخسائر البشرية

حاولت الحكومة أن لا تعلن عن أي خسائر من جانبها للرأي العام.. بينما أعلنت ــ وقبل انتهاء القتال وإنهاء التمرد ــ عن مئات القتلى والجرحى والأسرى في صفوف أفراد الجماعة المعتصمين.. وذلك لإظهار قوة وبراعة القوات السعودية المهاجمة!

لكن مثل هذه الأرقام المعلنة عن خسائر (الاخوان) أوقع آل سعود في مأزق.. فالأرقام الكبيرة من القتلى والجرحى والأسرى تعطي للرأي العام شعوراً مؤكداً بأن عدد ما تسميهم الحكومة بالخوارج والشراذم كبير جداً، ولذلك جاءت أرقام الخسائر كبيرة!

فإذا كان الأمير نايف يؤكد ــ وحتى بعد انهاء الحادث ــ بأن عدد (المتمردين) لا يزيد عن المائتين، فلماذا إذن أعلن المسئولون في تصريحاتهم أن قتلى ما يسموهم بـــ (المعتدين) بلغ ستمائة شخص، كما ورد في أحد التصريحات؟!

ومن جهة ثانية أوضحت أرقام الخسائر أن خسائر القوات الحكومية أن يكون قليلاً، فإذا كان عدد قتلى أفراد الجماعة (٦٠٠) شخص، فإن قتلى القوات الحكومية لن يكون بأقل من هذا الرقم بأي حال من الأحوال..

على أننا قد نفهم من أرقام الحكومة الكبيرة التي أعلنت أنها خسائر (الاخوان) أنها كانت تمهد الرأي العام المحلي لتقبل ما ستعلنه الحكومة عن الخسائر في قواتها.. فهي حين تضخم الرقم فإنما من أجل أن تجعله أكثر قليلاً أو كثيراً من خسائرها.

---

1 ــ صحيفة النهار ١٩٨٠/١/٢٩م.

2 ــ المصدر السابق ١٩٨٠/٢/٥م.

الآن وقد انتهى الحادث.. بدأ الناس يتساءلون أكثر، بل ويلحون في السؤال عن حجم الخسائر.. فإذا كانت السلطة قد أخرت إعلان الأرقام المتعلقة بالضحايا أثناء سير المعارك بحجة أو بأخرى، فإن من غير المقبول أو غير المنطقي أن تستمر في التكتم عنها..

والمسألة الثانية المتعلقة بهذا الأمر، هي أن الأرقام المتوقع إعلانها يجب أن تكون حاسمة وقاطعة لا تزيد أو تنقص بين يوم وآخر، أو بين تصريح وآخر، أو بين ما يعلنه مسؤول حكومي وآخر.. سيما وأن المعركة انتهت، وما على الدولة إلا أن تحصي وتعلن العدد..

صحيح انها ستتلاعب بالأرقام، ولكنها ستؤخذ على أساس أنها أرقام حكومية قد يكون بها خطأ، وهذا الخطأ لن يكتشفه إلا القليل، إلا إذا أعلن ما يغايره ويعارضه..

والذي حدث هو ليس فقط أن الأمراء السعوديين تلاعبوا بالأرقام، فهذه مسألة ربما لا ينتبه لها المواطنون العاديون، ولكنهم أثبتوا أن أرقامهم مضللة، فكل مسؤول يعطي رقماً غير الذي اعطاه سلفه، بل إن المسؤول نفسه يبدل في الأرقام بين الفينة والأخرى ويناقض نفسه بنفسه.. وهنا لا يشفع الرأي العام لمثل هؤلاء على هذا التلاعب، لأن المعارك انتهت، وليس هناك أي عذر لاخفاء الحقائق.

الأمير نايف وزير الداخلية، عقد بعد انتهاء العملية في الرابع من ديسمبر ١٩٧٩م، مؤتمراً صحفياً، أعلن فيه: (أن عدد ضحايا حادث الاعتداء على الحرم المكي هو "٦٠" شهيداً من القوات المسلحة، و "٢٠٠" مصاب)، واعتبر الأمير هذه الخسائر كبيرة حين أكمل مبرراً: (لأن المعتدين كانوا يطلقون الرصاص بكثافة، كما أن عدد القتلى من المعتدين حوالي "٧٥" والأسرى "١٧٠"). ولم يشر الأمير إلى الجرحى من أفراد الجماعة، ولا إلى القتلى في صفوف الحجاج والمصلين..

وبعد ستة أيام أعلن نايف نفسه: (أن عدد الاصابات بين المصلين بلغ ٢٦ قتيلاً، بينهم ثلاث نساء، إضافة إلى تسعة أشخاص لم تعرف هوياتهم، و "١٠٩" جرحى)[١]..

وجاء دور وزير الدفاع سلطان بعد أكثر من شهر ليقول: (لقد استشهد حوالي ٢٤ ضابطاً من أصل ٢٨ إصابة)[٢].. وأكمل بأن عدد قتلى (الاخوان) وصل إلى (١٠٧) قتيل، بزيادة قدرها (٣٢) قتيلاً.. وذلك لأن آل سعود اكتشفوا (١٥) جثة أثناء (تطهير!!!) الأقبية.. واضاف سلطان، بأن (٢٧) شخصاً من الجماعة توفوا متأثرين بإصاباتهم.. وبذا يكون الرقم النهائي لقتلى الاخوان (١٠٧) يضاف إليها (٦٣) شخص أعدموا في الساحات العامة في عدة مدن، ليصل إلى (١٧٠)..

وكان وزير الداخلية قد سبق أخاه وزير الدفاع بتسعة أيام، فأعلن أرقاماً أخرى مخالفة لما أعلنه هو في مؤتمره الصحفي الذي عقده في (١٩٧٩/١٢/٢٤م)، حيث اعترف بأن خسائر القوات الحكومية ليس (٦٠) شخصاً، وإنما (١٢٧)، أي أكثر من ضعف العدد السابق، بينهم (١٢) ضابطاً، و (١١٥) ضابط صف وجندي..

---

1 ــ اللوفيغارو ١٩٧٩/١٢/١٨م.

2 ــ السفير ١٩٧٩/١١/٢٥م.

والجرحى في القوات المسلحة، قال نايف أن عددهم (٢٠٠) شخص، ثم زاد العدد ليصل إلى (٤٥١) جريحاً بينهم (٤٩) ضابطاً[1].

وفي نفس التاريخ (١٩٨٠/١/٩م) وهو اليوم الذي أعطى فيه تصريحاته السابقة الذكر، وهو نفس اليوم الذي طلب منه إعدام (٦٣) شخص من (الأسرى)، قال: (لقد خففت عقوبة القتل إلى السجن لمدد مختلفة على تسعة عشر شخصاً، وبلغ عدد النساء والصبيان "٢٣" وأفرج عن "٣٨" شخصاً لم يثبت اشتراكهم).

والخلاصة التي نستنتجها من كل هذا القول:

* أن عدد الأسرى الذي أعلن أنه (١٧٠) شخصاً، ليس صحيحاً، بل هو أكثر من ذلك بكثير..

فإذا كان عدد المعدومين من الأسرة ٦٣ شخصاً..

وإذا كان عدد النساء والصبيان من الأسرى ٢٣ شخصاً..

وإذا كان عدد الذين أفرج عنهم من الأسرى ٣٨ شخصاً..

وإذا كان عدد الذين خففت عقوبتهم إلى السجن من الأسرى ١٩ شخصاً..

وإذا كان عدد الذين توفوا من الأسرى ٢٧ شخصاً..

فإن مجموع كل هذا يساوي ١٧٠ شخصاً بالتمام والكمال..

فهل هؤلاء هم كل الأسرى؟

كلا..

بدليل أن الملك خالد حين طلب من نايف إعدام ٦٣ شخصاً، بناءاً على أمر وجهه إليه بتاريخ ١٩٨٠/١/٩م، جاءت فقرة تدل على أن هناك أسرى آخرون غير ما ذكر حتى الآن.. حيث جاء في أمر الملك: (أما الذين لم يكن جرمهم كجرم هؤلاء ــ أي جرم الثلاثة والستين المطلوب اعدامهم ــ، وإنما كان لهم مشاركة في مساعدة هؤلاء المجرمين بتموينهم وتوزيع الذخيرة والأسلحة عليهم، أو حراسة الأبواب لهم، هؤلاء لن يكون جزاؤهم القتل، وإنما سيكون جزاؤهم السجن، وسنبلغكم بتحديد مدة السجن لكل واحد منهم في وقت لاحق، بعد تقرير العقوبة على كل واحد حسب جرمه.

أما النساء اللاتي شاركن في مساعدة هذه الفئة الفاسدة بالخدمة وتقديم الماء والطعام أو توزيع الأسلحة والذخيرة، فتسجن كل واحدة منهم سنتين.. وأما الصبيان الذين شاركوا في الجريمة ولم يبلغوا الحلم، فيدخلوا في دار الرعاية لاستصلاحهم وتعليمهم..)..

وهذا المقطع يوضح أن هناك أسرى كثيرون غير هؤلاء الذين أجملنا عددهم فوصل (١٧٠)، ولكن عددهم جميعاً غير معلوم، ولا شك أن الرقم الاضافي سيكون بالعشرات.. إن لم يكن بالمئات..

* ما أفصح عنه النظام بشأن عدد قتلى المجموع، من القوات الحكومية والاخوان، والحجاج، (٣٢٣) شخصاً.. على أساس أن عدد قتلى الاخوان (١٧٠)، وعدد قتلى القوات الحكومية (١٢٧)، وعدد قتلى الحجاج (٢٦)..

---

1 ــ السفير ١٩٧٩/١٢/٩م.

* أما عن عدد الجرحى، فحسب روايات النظام، يبلغون (٥٦٠) شخصاً، على أساس أن جرحى القوات الحكومية (٤٥١)، وعدد جرحى الحجاج (١٠٩)، بينما لم يذكر النظام أرقام جرحى الاخوان، ربما على اعتبار أنهم أسرى.

إذن عدد القتلى (٣٢٣)، والجرحى (٥٦٠) حتى آخر تصريحات آل سعود بتاريخ ١٩٨٠/١/١٨م..

ولكن بعد ثمانية أيام.. أي بتاريخ ١٩٨٠/١/٢٦م، قال فهد في مقابلة له مع إحدى الصحف اللبنانية، أن عدد القتلى من الطرفين (في حدود الـــ "٦٠٠" شخص)[١]. وإذا حذفنا من الـــ (٣٢٣) عدد قتلى الحجاج (٢٦) شخصاً، فتكون الزيادة التي أضافها فهد (٣٠٣) قتيل.. أي أكثر من ضعف الرقم المعلن!!.. فمن الصادق!؟.. نايف؟.. أم فهد؟.. أم سلطان؟.. أم أنهم جميعاً من الكاذبين؟، وأن الأرقام الحقيقية أكبر من الـــ (٦٠٠) بكثير؟!

لقد جاءت الأرقام الحكومية مخيبة لتوقعات المواطنين، الذين سمعوا وقرأوا أشياء كثيرة عن المعارك وأهوالها، فلم يصدقوا ما أعلن، من أباطيل وأضاليل.. ولو راجعنا كل ما قالته وكالات الأنباء والصحف، وما قاله الحجاج والشهود العيان للحادثة، وأحصينا الأرقام التي نشرت يوماً بيوم، لوصلت الأرقام بالآلاف.. ولا بأس هنا أن نشير إلى بعض الأرقام التي ذكرتها الصحف ووكالات الأنباء أثناء الحادثة وبعدها..

* في اليوم الثالث من الاعتصام، الموافق لليوم الثاني من بدء الهجوم السعودي على الحرم (١٩٧٩/١١/٢٢م)، تحدثت صحيفة الهدف الكويتية عن عمليات يوم الأربعاء ١٩٧٩/١١/٢١م فقالت: إن أكثر من ستمائة شخص قد قتلوا.. بينما أعلن دبلوماسي سعودي في باريس: (أن عشرات الأشخاص قد قتلوا في عملية اقتحام المسجد الحرام)[٢].

وقالت صحيفة "السفير" نقلاً عن مصدر سعودي بأن معارك يوم الأربعاء: (سقط خلالها عدد كبير من القتلى)[٣].

* ذكر حاجان مصريان قدما من مكة إلى القاهرة مساء الخميس ١٩٧٩/١١/٢٢م، أن قرابة ٢٠٠ شخص من الحرس ومن جموع المصلين قد لقوا مصرعهم.. في حين قالت الأهرام[٤]، نقلاً عن مصدر سعودي بعد ثلاثة أيام من بدء المعارك: (أن مائتي شخص من المسلحين لقوا مصرعهم).. وقد سبق للأهرام أن قالت قبل يوم واحد من نشرها الخبر السابق، أي في (١٩٧٩/١١/٢٤م): (ذكر السعوديون الذين يقيمون قرب المطار في جدة، أن عدداً كبيراً من طائرات النقل في السعودية من طراز هيركوليز ــ ١٣٠ الأميركية، شوهدت وهي تقلع وتهبط من مطار جدة منذ يوم الثلاثاء الماضي "١٩٧٩/١١/٢٠م"، ويعتقد أن الطائرات تقوم بنقل الجرحى إلى جدة، بعد أن اكتظت مستشفيات مكة بالجرحى).

---

1 ــ الجزيرة السعودية ١٩٧٩/١٢/١٠م.

2 ــ الصحف السعودية ١٩٧٩/١٢/١١م.

3 ــ الحوادث ١٩٨٠/١/١٨م.

4 ــ تصريح وزير الداخلية بتاريخ ١٩٨٠/١/٩م.

* وفي اليوم الثامن للعملية الموافق (١٩٧٩/١١/٢٧م) قالت الأهرام نقلاً عن وكالة (يونايتد برس) أن: (عدد القتلى والجرحى الذين سقطوا أثناء المعارك التي جرت أمس الأول ــ الأحد، ١٩٧٩/١١/٢٥م ــ بين القوات المسلحة والمسلحين يبلغ المئات)..

* وبعد انتهاء المعارك بأكثر من أسبوعين، قالت صحيفة نيويورك تايمز أن مسئولاً سعودياً: (اعترف بوجود خسائر في الأرواح أكبر بكثير من تلك التي أعلن عنها)[١]. بعدها جاءت مجلة (لوبوان) الفرنسية لتصفع الأرقام الرسمية وتضع تقديراتها هي، فقالت أن عدد القتلى خمسة آلاف[٢]..

* وما كانت مجلة (لوبوان) لتضع تقديراتها، لولا معرفتها التامة أن الأرقام الرسمية مخادعة ومضللة..

* وشككت صحيفة الأوبزيرفر البريطانية هي أيضاً في الأرقام الحكومية، حين ذكرت أن: (عدد القتلى يقدر بألفين، منهم ١٥٠٠ من رجال الجيش والحرس والوطني السعودي)[٣].. بعدها بثلاثة أيام علقت صحيفة الغارديان البريطانية حول الخسائر مبدية شكوكها في الأرقام الرسمية، فقالت: (تكبدت القوات السعودية المنتصرة خسائر فادحة في الأرواح، حت بالقيات إلى الأرقام الرسمية)[٤].

إن الأرقام الحقيقية غير معروفة، لكن مصادر مقربة من الأجهزة الرسمية أفادت بأن عدد القتلى حوالي (٢٦٠٠) قتيل، منهم (٤٥٠) من أفراد جماعة الاخوان، وأن عدد الجرحى قارب (٤٠٠٠) شخص، غالبيتهم من القوات الحكومية..

الفصل العاشر

حفل الاعدام

قبل أن تنهي قوات السلطة القضاء على الاخوان، كان النظام والأمراء الحاكمون قد أصدروا قراراتهم بإعدام كل أسير.. قبل أن يحاكم!.. بل قبل أن يقبض عليه!!.. وهذا ما تشهد عليه أقوال المسئولين السعوديين، وتصريحات بعض رجال الدين المرتبطين بهم..

فبعد إلقاء القبض على البقية الباقية من المعتصمين المنهكين، اقتيدوا بلا شفقة إلى أحد سجون (مكة)، ثم رحلوا بعد ساعات إلى سجن في جدة، مع حراسة مشددة.. ثم بدأت عمليات التحقيق الموسعة مع (الأسرى) وما رافقها من تعذيب وحشي شديد، ظهرت بعض آثاره على شاشات التلفزيون السعودي، الذي عرض فيلماً مختصراً عن الحادث بعد إلقاء القبض على الاخوان.. وقد أحدث عرض ذلك الفيلم اشمئزاز المواطنين لتلك المعاملة القاسية، خاصة حينما جاء رجال السلطة لتقديم الماء للثوار العطشى، حيث كانوا يسحبون الكأس من الأسير بمجرد أن يضع شفتيه على الكأس، مع سيل من السباب والشتائم وشد الشعر.. كما رأى المواطنون آثار التعذيب والارهاق والدماء والحروق بادية على أجسادهم النحيلة.. وبرغم هذا التعذيب الهمجي، كانت

---

1 ــ البيرق ١٩٨٠/١/٢٦م.

2 ــ الجمهورية القاهرية ١٩٧٩/١١/٢٢م.

3 ــ السفير ١٩٧٩/١١/٢٢م.

4 ــ الأهرام ١٩٧٩/١١/٢٥م.

قلوب الاخوان عامرة بالثقة والايمان والسكينة، وهذا ما حدا بجريدة (الفاينانشيال تايمز) اللندنية أن تقول بأن المتمردين كانوا ينتظرون الاعدام وهم متماسكون، ولا يبدو عليهم أي أثر للخوف والوجل[1].. وحتى (سليم اللوزي) رئيس تحرير (الحوادث) والموالي للسعوديين اعترف بشيء من التعذيب حينما قال: (وكانوا يتمتمون بالصلاة والدعاء، كلما تعرضوا للشتم واللطم وجر شعر الرأس)[2].

وبعد التحقيق، أعدم النظام (١٨٠) شخصاً من الأسرى سراً وبدون إعلان.. بل وبدون محاكمة، وذلك بتاريخ ١٩٨٠/١/٥م، كما ذكر ذلك أحد السجناء الذين قضوا عاماً كاملاً في السجن بتهمة الانتماء لمجموعة المرحوم (جهيمان)..

ولأن الاعدام تقرر.. وبدون محاكمة، فقد أعدم (٦٣) شخصاً بتاريخ ١٩٨٠/١/٩م، بناءاً على أمر الملك لوزير داخليته، وقد قسم الـــ (٦٣) ليعدموا في ثمان مدن.. لإرهاب المواطنين، لأن إعدامهم بحد السيف.. تم في الساحات العامة.

وقبل شهر من الاعدام ظهرت تصريحات المسؤولين أن نيتهم تتجه لإعدام الأسرى قبل التحري والمحاكمة، وما التأجيل إلا من أجل (التحقيق) وليس (المحاكمة)!

فصحيفة الدستور الأردنية تذكر بتاريخ ١٩٧٩/١٢/١٠م، أي قبل شهر من الاعدام، أن وزير الدفاع السعودي سلطان بن عبد العزيز قال: (أنه طبقاً للقرآن الكريم، سوف تقتطع رؤوسهم جميعاً، بغض النظر عن جنسياتهم).

مع أن رجال الدين حين أصدروا فتواهم بعد أيام من وقوع الحادث (١٩٧٩/١١/٢٥م) طلبوا من الملك محاكمتهم شرعاً، لأن هناك محاكمات وزارة الداخلية غير الشرعية، وعدد من المحاكم الأخرى التابعة للوزارات التي تقوم على قوانين وأنظمة مستوردة، لكن المحاكمة الشرعية لم تظهر أبداً.. فرغم أن المواطنين توقعوا أن يصدر حكم بإعدام بعض المعتقلين الأسرى، ويوقع عليه عدد من رجال الدين الموالين للحكم ـــ وهذا أسوأ ما توقع ـــ.. لكن المفاجأة ظهرت حين أصدر حكم الاعدام بناءاً على أوامر ملكية، وليس وفق القضاء والمحاكمة الشرعية..

فقد قدم وزير الداخلية مقترحات بشأن عقوبة الاعدام وغيرها إلى الملك.. فوافق عليها الملك وأصدر أمراً ملكياً بتنفيذها، وذلك بتاريخ ١٩٨٠/١/٩م.. ومما جاء في الأمر:

(.. فقد اطلعنا على ما رفعتموه لنا من الاعترافات التي أدلى بها المجرمون الذين اعتدوا على الحرم، وأدخلوا فيه السلاح والذخيرة، وأغلقوا أبوابه على المسلمين الذين أدوا فيه صلاة الفجر في اليوم الأول من شهر محرم المنصرم عام ١٤٠٠ هجرية، وقد روعوا المسلمين في الحرم الذي جعله الله آمناً، والبيت الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً، وسفكوا الدماء المحرمة، وأزهقوا الأرواح البريئة بغير ذنب، وأجبروا الناس في الحرم على مبايعة أحد أفراد الفئة الضالة المفسدة زاعمين أنه المهدي، وهددوا من لم يستجب بالسلاح..

---

1 ـــ السفير ١٩٧٩/١٢/٢١م.

2 ـــ لوبوان ١٩٨٠/١/٢٨م.

واستناداً على فتوى من أصحاب الفضيلة العلماء[1].. ولأن هيئة كبار العلماء قد أصدروا في دورة مجلسهم الخامسة عشر بياناً استنكروا فيه هذه الجريمة الخطيرة[2].. وهذا البيان يحتم علينا معاقبتهم عقوبة تزجر عن الفساد، ونرضي بها ربنا سبحانه، ولأننا تلقينا الفتاوى التي تبين جزاء هؤلاء، منها ما هو مشافهة من عدد من العلماء.. ومنها ما هو محرر من عدد آخر من كبار العلماء، وفيها قولهم عن هؤلاء المفسدين ما نصه: "نفيدكم سلمكم الله ان هؤلاء لهم حكم المحاربين الذين قال الله فيهم:

"إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم"..

ثم أمر الملك أخاه وزير داخليته: (وعلى هذا فاعتمدوا قتل الأشخاص الموضحة أسماؤهم بالبيان المرفق.. أما الذين لم يكن جرمهم كجرم هؤلاء، وإنما كان لهم مشاركة في مساعدة هؤلاء المجرمين بتموينهم وتوزيع الذخيرة والأسلحة عليهم أو حراسة الأبواب لهم، هؤلاء لن يكون جزاؤهم القتل، وإنما سيكون جزاؤهم السجن، وسنبلغكم بتحديد مدة السجن لكل واحد منهم في وقت لاحق، بعد تقرير العقوبة على كل واحد حسب جرمه.. أما النساء اللاتي شاركن في مساعدة هذه الفئة الفاسدة بالخدمة وتقديم الماء والطعام أو توزيع الأسلحة والذخيرة، فتسجن كل واحدة منهن سنتين.. وأما الصبيان الذين شاركوا في الجريمة ولم يبلغوا الحلم، فيدخلوا في دار الرعاية لاستصلاحهم وتعليمهم حتى يكونوا أعضاء صالحين في مجتمعهم الاسلامي)!!.

إن هذه العقوبات ليست شرعية مطلقاً، والفتاوى والبيانات التي استند اليها مريبة.. ففتوى العلماء الصادرة في اليوم السادس للأحداث ــ ١٩٧٩/١١/٢٥م ــ لا يمكن الاستناد عليها في إطلاق حكم الاعدام، لأنها لم تصدر عن محاكمة، وتخلو من أي أمر به إعدام، بل ورد فيها مسألة المحاكمة الشرعية، كما أنها صدرت لاعطاء رأي في موضوع القتال داخل الحرم، وليس لاعطاء حكم في المعتصمين.. وبيان هيئة كبار العلماء صدر قبل اسبوع من إطلاق الحكم، وليس في إشارة إلى إعدام المعتصمين، لأن الموقعين ليسوا الجهة التي تولت المحاكمة أو التحقيق.. ويقول الملك أنه تلقى فتاوي تبين جزاء المعتصمين مشافهة من بعض العلماء، فكيف يؤخذ برأي هؤلاء في موضوع حساس كهذا بالتليفون ودون محاكمة!؟.. ثم من هم هؤلاء العلماء الذين زعم الملك بأنهم أعطوا حكمهم بالاعدام مشافهة أو مراسلة؟!.. ثم لماذا لم يدع الحكم السعودي الأمر لرجال الدين حتى يقرروا من يعدم ومن يسجن؟، فهذه مهمة القضاة الشرعيين، وليست مهمة الملوك والأمراء المعادين للدين..

لماذا لم يحاكمهم الشيخ بن باز مثلاً؟.. ولماذا لم تفسح السلطة المجال للعلماء الذين يثق بهم الناس؟.. فمن الأمور المؤكدة أنه لو تم محاكمة المعتصمين وفق محكمة شرعية، لتحول آل سعود إلى مجرمين.. ولهذا خشي فهد وإخوته من تسليم أمر محاكمتهم لرجال الدين، ويقال أن الملك خالد كان يريد محاكمتهم أمام السلطات الدينية، لكن فهد وإخوته تجاوزوا رغبة الملك!، لخوفهم من أن تأتي الأحكام وفق مالا يشتهون،

---

1 ــ السفير ١٩٨٠/٢/١م.

2 ــ الغارديان ١٩٨٠/٢/٤م.

ولعلمهم أن عدداً من رجال الدين الكبار يتعاطفون معهم، وإذا جرت المحاكمة، ستتوضح الحقائق وتظهر الخفايا المتعلقة بأسرار المعارك، كمسألة الرهائن.. ومن بدأ بالقتال.. والتورط الأجنبي.. وغير ذلك.. وحينها سيثبت للعلماء أن فهد وإخوته هم الذين يجب محاكمتهم..

ولا شك ان السديريين السبعة كانوا ــ ولازالوا ــ يكرهون رجال الدين، ويعلمون مقدار تعاطف العلماء مع الاخوان، ولا أدلك على ذلك تصريحاتهم..

فوزير الداخلية ضاق ذرعاً بدفاع رجال الدين الذين كانوا يطالبون في فترات سابقة بإطلاق سراح أفراد الجماعة، فقال في ندوة مع طلبة جامعة الرياض (الملك سعود): (إن المعتدين كانوا معروفين لدى أجهزة الأمن، وقد سبق أن وقفوا وقبض عليهم، ولكن المشكلة أنهم كانوا يتسترون وراء الدين، ويتصرفون بإسم الاجتهاد والإرشاد، وخدعوا الكثير من الناس.. إننا كمسئولين كنا عندما نوقف أحداً منهم، نجد "من يقول" أن ليس وراءهم أي شيء)[1].. ولكن من هم الذين يدافعون ويقولون ليس وراءهم شيئاً؟!

يجيب نايف على ذلك باللف والدوران، بأن هناك من يكلفهم دون أن يذكر اسم رجال الدين: (إن تحركات المجموعة التي قامت بالحادث لم تكن خافية على أجهزة الأمن أبداً، والدليل أن من بين المهاجمين من كان مقبوضاً عليه قبل الحادث وأفرج عنهم نتيجة تعهدات اعطاها، أو اعطاها من كفله)[2]..

بيد أن ولي العهد آنذاك "فهد" ــ وهو من أشد المعادين لرجال الدين وللحركة الاسلامية ــ أجاب بدون لبس، وذلك في نفس اليوم الذي نشر فيه تصريح نايف السابق، فقال: (وللأمانة أذكر أننا قد اتخذنا في بعض الأحيان إجراءات ضدهم في السابق، لكن رجال الدين ــ وهم كثيرون عندنا ــ كانوا يتدخلون للإفراج عنهم)[3]، ثم أضاف حول المحاكمات بأن التعاطف الشعبي هو بمثابة استفتاء لاعدام المعتصمين: (لقد كان رد الفعل الشعبي بمثابة استفتاء.. لقد تحرك الجميع بما فيهم رجال الدين الذين لا سلطة لنا عليهم، فأصدروا فتاوى، بل إن بعض من كان مع الخوارج ــ أي من رجال الدين ــ وبعض من ساعدهم في البداية بحسن نية، ولاعتقادهم أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، انفضوا عنهم)[4].

وسأل سليم اللوزي، نايف: (يروى أنكم حاولتم القبض على السيد جهيمان العتيبي فلم تستطيعوا الامساك به؟).. أجاب: (قبضنا عليه من قبل، وتدخل بعض رجال الدين فأفرجنا عنه وعن رفاقه)[5]..

وبغض النظر عن صحة قول نايف بأنه قبض على المرحوم جهيمان أم لا، فإن من الواضح من أقوال آل سعود أنهم متذمرون من رجال الدين الذين يدافعون عن الجماعة.. وقد قال اللوزي صراحة: (الذي

---

1 ــ الرأي العام ١٩٧٩/١٢/٩م.

2 ــ الحوادث ١٩٨٠/١/٨م.

3 ــ ربما يقصد الفتوى التي صدرت بتاريخ ١٩٧٩/١١/٢٥م، وهي فتوى تخلو من الأمر بالاعدام، لأنها صدرت أساساً كاجازة للحكم السعودي في قتال المعتصمين.. وقد أوضحنا خلفياتها في موقع سابق من الكتاب.

4 ــ نشرت الصحف السعودية البيان بتاريخ ١٩٨٠/١/٣م، ووقعه ١٦ شخصاً من المشايخ، وتضمن سبع تهم للاخوان، إلا أن هذا البيان ليس محاكمة، وليس به أية إشارة إلى أنهم يطالبون بإعدام أفراد الجماعة، خاصة وأنه لم تتم محاكمتهم..

5 ــ اليوم ١٩٨٠/١/٩م.

استطعت أن ألتقطه من أفواه الناس في مكة، أن حركة جهيمان ليست جديدة، بل كانت معروفة وترجع إلى ما قبل خمس سنوات، لقد كان جهيمان يتردد على الجامعة الاسلامية، وكانت له اتصالات ومناقشات وصولات مع الشيخ عبد العزيز بن باز، وهو أحد أشهر علماء الدين الاسلامي في السعودية.. كفيف البصر.. يشغل مركز الافتاء في المملكة، والذي لم يقرأ منشورات جهيمان استنتج بأن الشيخ بن باز كان يؤيد دعوة جهيمان.. أما الحقيقة فهي أن قائد دعوة الاخوان قد هاجم الشيخ في كتابه..)[1]..

لقد أوضحنا أوجه الاختلاف في الرأي بين جهيمان والمشايخ، وأكدنا بأن أفكار جهيمان واجتهاداته الدينية لا تتعارض مع رؤى المشايخ في شيء، سوى في قضية المهدي، الذي يؤمن بوجوده المشايخ، إلا أنهم يتفقون مع جهيمان في "التخصيص"..

أما الخلاف الرئيسي فكان محوره سياسياً، ويدور حول فساد الدولة وضرورة محاربة الحكام لأنهم فسقة ومنحرفون.. ومع أن المشايخ يعترفون بالفساد، إلا أنهم لا يؤمنون بأسلوب العمل المناهض للدولة.. وهذا يدعونا إلى التأكيد بأن الشيخ بن باز لا يختلف مع جهيمان إلا فيما ذكر، وكان دائم المعين له ولجماعته، ويطالب بإستمرار بإطلاق سراح الأفراد المعتقلين..

وجهيمان من جهته لم يهاجم الشيخ بن باز، بل إنه قال في إحدى كراساته، أن العالمين بالسنة قليلون ومنهم الشيخ بن باز، الذي عرض جهيمان عليه رسائله فلم يعترض عليها إلا في تخصيص هجومه على دولة آل سعود..

وأفضل ما يوضح أوجه الخلاف ما ذكره جهيمان نفسه في كراسة (الامارة والبيعة والطاعة ــ وكشف تلبيس الحكام على طلبة العلم والعوام)، والتي ربما استقى منها اللوزي أن جهيمان ضد الشيخ، بينما هي غير ذلك..

يقول جهيمان في كراسته موجهاً كلامه للمشايخ جميعاً: (هل قمتم بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وهو أن تشهدوا على المحسن أنه محسن، وعلى المسيء بأنه مسيء؟.. فالشهادة ظاهرة وليست مختفية في القلب، فهل ــ يوماً من الأيام ــ قلت أيها الموظف[2] للرئيس أو الأمير، أو الوزير، أو الملك: أنت مسيء في هذا العمل المخالف للشرع؟. وهل نهيتم بنهي النبي صلى الله عليه وسلم، بعدم العمل شرطياً أو أميراً أو جابياً، أو خازناً عند أمير يقرب أشرار الناس، ويؤخر الصلاة عن مواقيتها.. أم لا؟، وهل عملتم بما جاء في الحديث التاسع من المجاهدة باليد واللسان والقلب؟.

الواقع أنكم بخلاف هذا الكلام، ولا سيما من كان من أهل العلم.. فبأسباب معصيته في الشد على اعضادهم، اغتر به من يقتدي به من عامة المسلمين.. وإلا فوالله لو أن المرشدين ــ كما زعموا ــ في دار الافتاء والحرس والجيش وغير ذلك، بينوا تحريم هذه الأعمال عند أولئك الأمراء الذين لم يستقيموا.. لا في العلم.. ولا في العمل، ما تركوهم ليلة واحدة ــ وهم تحت أيديهم ــ في أحسن المساكن، وأفخم المراكب، ولكن الله المستعان. وبهذا ترى صدق النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: "فأولئك قد هلكوا وأهلكوا"...)..

---

1 ــ المصدر السابق.

2 ــ السفير ١٩٨٠/١/٩م.

وبعد أن يشن جهيمان على من يسميهم بـــ "علماء الشهادات!" يضيف:

(وقد رأينا الحكام ــ السعوديين ــ حينما ننصحهم أنهم يحتجون علينا بالشيخ عبد العزيز بن باز وأمثاله، فنقول: المعروف عن الشيخ حفظه الله وعافاه مما هو فيه، أن إنكاره غالباً إنما هو جواب عن السؤال إذا سئل.. أما أن يبادر إلى إنكار المنكر، فذاك لو أنهم ــ أي آل سعود ــ أبقوا مكانته عالماً يعلم الناس الخير، لكن إنما هو الآن موظف إداري، ويخدعونه بـــ "أبونا".. و"والدنا".. و"شيخنا"، وغير ذلك من إطراء المنافقين، وإنما يأخذون منه ومن علمه ما وافق أهواءهم، فإذا خالفهم بالحق لم يتحرجوا في مخالفته ورد الحق، وهو يعلم ذلك جيداً، نسأل الله أن يزيدنا وإياه بصيرة، ونحن نعلم أنهم إنما جعلوا في مثل هذه المنزلة الشيخ ابن باز وأمثاله ممن يثق الناس بدينهم وعملهم، اختاروهم من غير المبصرين، لئلا يروا كثيراً من المنكرات، وإذا لاقوهم ــ أي إذا لاقى آل سعود هؤلاء ــ تدهنوا بالطيب، وقبلوا جباههم، وداهنوا معهم ونافقوا، حتى يزيلوا ما في أنفسهم إن كان قد وصل إليهم شيء من أخبارهم السيئة، ولكن هذه من مداخل الشيطان التي يدخل بها على من يقتدي الناس به من علماء المسلمين، ليضلوا ويضلوا)..

ومرة أخرى يوضح جهيمان ــ وبدقة ــ سر خلافه مع الشيخ بن باز فيقول: (لقد عالجت ــ موضوع الاخوان ــ وأحوالهم مع المجتمع ومشايخ الشهادات والمراتب ومشايخ المجتمعات.. فحينما أراد الاخوان طلب العلم نظروا فعرفوا أن طلب العلم الشرعي، لا يدرك في هذه المدارس والمعاهد والكليات والجامعات، فنظروا وإذا بالسنة قد اعتني بها من حيث ثبوتها، وكتب الشروح لا تكاد تجد فيها غموضاً، والقرآن قد فسره أهل العلم قبلنا، بما جاء تفسيره في السنة وفي لغة العرب، وأرادوا الدراسة يد العلماء، فنظروا من يجدونه عالماً بالكتاب والسنة، متجرداً لا يرده عن الفتوى بالحق رغبة أو رهبة، فنظرنا في طلبة العلم في "القصيم" فوجدناهم قراءاً وليسوا بعلماء، وينصرون المذهب وما عليه أهل المذهب، ويجهلون من خالف ذلك ولو كان على سنة.. وأما في السنة فلا يتورعون أن يرشدوا الناس بالأحاديث الضعيفة والمكذوبة، فما رأيناهم زادوا الناس إلا قولاً على الله بلا علم.

ثم نظرنا في الشيخ عبد العزيز بن باز، فوجدناه رجلاً عنده علم بالسنة ولكن لا يشنع على من خالفها، ويذكر مخالفات الدولة في كثير من المسائل، ولكن كثيراً ما يعتذر عنها ويدعو لهم ــ أي آل سعود ــ.. وإذا ذكر عند الشيخ من يخالف السنة، قال في بعض الأحيان لا بأس، وأكبر ما جعلنا ننفر منه تعلقه بهذه الدولة ــ السعودية ــ الملبسة، حتى رأينا أثر ذلك عليه عافاه الله مما هو فيه)..

فالخلاف الرئيسي إذن هو حول موقف الشيخ بن باز من آل سعود، والاخوان يقرونه في علمه وفهمه، وهو يقرهم على صوابهم، سوى تخصيص هجومهم على الدولة.. ولذا ترى جهيمان يكتب في نفس الرسالة أن ابن باز لم يعترض على رسائله، سوى في تخصيص الدولة.. يقول:

(وبعد هذا فارقنا أهل الوظائف، والمتعلقين بأذيال الحكومة، وبقينا مع الحق، ولكنه غريب، إذا فنحن معه غرباء، وإنما نستبشر بهذا الحديث: "بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء".. فإنك ترى الاخوان المتجردين للسنة حينما وصلوا إلى هذه الحالة لم يبق لهم مناصر، لا من الحكومة، ولا من المشايخ، ولا من الجماعات الأخرى، فإن كل صاحب باطل قد ناصبهم العداء، وأنت ترى أنهم ــ أي

الاخوان ــ يتبرأون من الحكومة وتلبيسها، ومن المشايخ ومداهنتهم، ومن الجماعات المختلفة وأخطائهم، فلم يبق إلا رب العالمين..

والذين كبرت عليهم دعوتنا وآذتهم كثيراً هم المشايخ، الذين يفتون الناس بغير دليل من الكتاب والسنة، فإذا سئلوا عن الدليل، تبين للناس جهلهم وضلالهم.. ولذلك فهم أكثر من تعرض للإخوان وحذر الناس منهم، وألصقوا بهم كل تهمة، ولك شبهة، حتى لبسوا على عامة المسلمين.. ولا تستغرب، فقد وضعوا أحدهم مراقباً على الاخوان في الرياض، حينما فتحوا بيتاً يجتمعون فيه.. يعني "مباحث".. وهو الشيخ صالح بن سعد اللحيدان، الموظف بمعهد إمام الدعوة. وساروا في معاداة الاخوان، بين صاحب قصد سيء متكبر عن الانقياد للحق.. وبين جاهل يستمع أقوال الناس ولا يتبين..

وأنا أعلم، أن العالم المتجرد للسنة قليل من العلماء المشهورين بين الناس، فإن بعضهم ولو عمل بها لا يقول بها ولا يدعو إليها، وكنت أعلم رجلين هم اللذان يهتمان بالسنة، وعندهما علم، وهما الشيخ بديع ــ حفظه الله ــ، والشيخ عبد العزيز بن باز ــ عافاه الله ــ. فليطمئن بعض إخواننا أننا قد عرضنا عليهما رسالة "رفع الالتباس" فلم ينكرا فيها شيئاً، ثم قرأ بعض الاخوان "السبع الرسائل" و "نصيحة الاخوان" على الشيخ عبد العزيز بن باز، فما أنكر شيئاً.. إلا التخصيص على هذه الدولة ــ السعودية ــ بالذات، ونحو ذلك.. فلم نوافقه عليه، لاعتقادنا أنه حق يزول به اللبس عن كثير من الناس)..

من هذه المقتطفات يتبين أمران:

الأول: أن الاخوان كانوا شديدين في تقريعهم لرجال الدين المتقاعسين الذين يبيعون دنياهم بآخرتهم، والذين يعيشون على أموال الحكام مقابل سكوتهم وخضوعهم.

والثاني: أن الاخوان يقدرون الشيخ بن باز في علمه وفهمه، ولكنهم يخالفونه سياسته تجاه الدولة.

والجدير ذكره هنا، أن المرحوم جهيمان كان يتوقع من بعض المشايخ أنهم سيفتون بقتله، بل أنهم أفتوا بالقتل قبل أن يقوم بعمله في الحرم، لذا ليس غريباً أن تجد الدولة والأمراء السعوديون، فئة من العلماء ورجال الدين من يؤازرها ويؤازرهم.. يقول جهيمان عنهم أنهم كانوا يقولون: (هؤلاء خوارج، فقاتلوهم، فإن عند الله أجراً لمن قتلهم) ويضيف: (وخيرهم، الذي يقول: هؤلاء يريدون الحق، ولكن أخطأوا طريقه)..

مع كل هذا، ومهما تكن أسباب الخلاف، فإن عدداً من المشايخ وعلى رأسهم الشيخ بن باز، وقفوا إلى جانب جهيمان قبل حادثة الحرم، وخففوا من وطأة التعذيب والملاحقة التي يشنها آل سعود ضدهم.. وحتى بعد الحادثة، وقعت صدامات مع الأمراء بشأن الفتاوى التي لم يوقع كل العلماء الكبار عليها، أو التي صاغوها بأسلوب لم يقبل آل سعود به.. ولذا وقف عدد من العلماء ضد إعدام أفراد الجماعة، وامتعضوا من أساليب المحاكمات غير الشرعية.. مع أن هؤلاء العلماء لا يوافقون جهيمان في قيامه الأخير بالحرم، ولكنهم يجدون في أهدافه أهدافاً لهم، خاصة وأنهم يرون المفاسد تنتشر، وإهمال الدين ورجاله يزداد من قبل الحكام..

وأخيراً.. ووفق الشرع السعودي!.. هوت سيوف الجلادين في ثمان مدن، لتحصد رقاب (٦٣) شخصاً، وذلك صباح يوم الأربعاء الموافق ١٩٨٠/١/٩م.. فكانت هذه الاعدامات العلنية (أكبر عملية إعدام في تاريخ البلاد)[1] ــ راجع أسماءهم في آخر الكتاب ــ.

---

1 ــ المصدر السابق..

الفصل الحادي عشر

ردود الفعل تجاه الحادثة

يمكننا تقسيم رد الفعل تجاه الحادثة إلى قسمين.. الأول: ويتعلق بموقف الدول والحكومات، والثاني موقف الشعوب الذي كان على أية حال ضعيفاً..

فبالنسبة لموقف الحكومات، يمكننا القول أنه لم يبق أية نظام إلا وأدان العملية وذلك ليس من منطلق مبدئي والحرص على الحرم الشريف وما أشبه، وانما لأجل مصلحة سياسية خاصة وأن كل نظام حاول الصاق التهمة بجهات يعاديها..

ولنبدأ هنا بتوضيح المواقف:

موقف حكومات الخليج:

لقد صدمت انظمة الخليج بما حدث في الحرم، ذلك ان السعودية تعتبر (الجارة الكبرى) أو (الشقيقة الكبرى) كما يسمونها.. كانت بالنسبة لهم الملاذ الأخير بعد سقوط شاه ايران.. وكانت بالنسبة لهم ــ كما للغربيين ــ واحة الأمن والاستقرار، وذات النفوذ القوي الذي بإمكانه حماية مشيخات الخليج الأخرى..

ولكن.. لشدما أصابت أنظمة الخليج الدهشة، حينما وجدوا (الجارة الكبرى) غير قادرة على حماية نفسها، وغير قادرة على تثبيت امنها الداخلي وفكيف بقدرتها على حماية الآخرين؟!

وقد عبر مسؤول خليجي كبير لمجلة نيوزويك الأمريكية عن خيبة الأمل هذه بقوله: (أن العملية ترينا كم هو هش النظام السعودي ــ وأضاف ــ أن أحداث الحرم قد كشفت مدى التدهور الأمني في السعودية)[1].

لقد تملك الفزع حكام الخليج فور سماعهم بوقوع حادث الحرم، فأرسلوا برقيات التأييد للحكم السعودي، والتنديد بما أسموه (المجرمين) الذين دنسوا الحرم الشريف!!.. ولما تأخر الحسم السعودي بضعة أيام، وهم يسمعون ان الحسم في ساعات ــ حسب بيانات وزارة الداخلية السعودية ــ شدوا الرحال إلى الرياض ليطلعوا على الوضع عن قرب، لأن سقوط الرأس السعودي، يستتبع ــ بالتأكيد ــ سقوط رؤوسهم أنفسهم..

فزار أمير الكويت جابر الأحمد الصباح، وأمير البحرين لاشيخ عيسى بن خليفة، والشيخ راشد أمير دبي، إضافة إلى الوزراء على مختلف المستويات.. زار هؤلاء جميعاً قلعتهم المهزوزه (الرياض) ليعرفوا إلى أي احد يكمن الخطر، وهل وصلت السكين إلى حد العظم أم لا؟!

وبالطبع ــ وكما هو عادة آل سعود ــ لم يطلعوا مشايخ الخليج على حقيقة الوضع، رغم تلهفهم.. إذ لم يشأ آل سعود إلا أن يعطوا صورة خيالية عن الوضع (المستقر!!) و (الآمن!!) حتى لا يفقد الحلفاء الصغار ثقتهم فيهم.. ولكن أنى للوضع المصطنع ان يقدم صورة حقيقية؟!

---

1 ــ نيوزويك ٣/٣/١٩٨٠م.

فإذا كان تخبط اعلام آل سعود، وتخبط التصريحات الحكومية، وتخبط الاجراءات العسكرية، قد اكتشفتها الصحف العربية والأجنبية، مؤكدة ان رجال الأسرة المالكة السعودية في وضع غير مستقر ومشوش جداً.. فكيف بحكام الخليج؟!

ورغم ان بعض الصحف الخليجية، حاولت ان تحيّر زيارة امراء الخليج للرياض، على انها نصر للحكم السعودي، إلا أن الحقيقة هي ان الرياض بحاجة إلى تعاطف ورثاء في تلك الأزمة التي لم يشهد آل سعود لها مثيلاً.. وكانت جريدة السياسة الكويتية العميلة للحكم السعودي، قد صورت الزيارة على هذا النحو، فكتبت بالمانشيت العريض (مبايعة شاملة للملك خالد).. وقالت: (في القناعة ان توافد قيادات العالم الاسلامي على المملكة، وسيل البرقيات من الداخل والخارج، تعتبر بمثابة مبايعة جديدة لجلالة الملك خالد بن عبد العزيز)[1]!!

أما الصحافة الخليجية، فحالتها لا تختلف كثيراً عن حال الصحف السعودية، فقد قيدت هذه الصحف بأخذ المواقف الرسمية السعودية.. لكن لم يكن بالإمكان ان يهتم مسئولو صحف الخليج بنشر مواقف الحكم السعودي.. لان له كل يوم موقف، وله في كل يوم أكثر من تصريح متناقض.. ومع هذا حاولت هذه الصحف قدر الامكان الالتزام بالخط الرسمي القاضي بالترويج لكل ما يصدر عن الحكم السعودي ونشر التنديدات والاتهامات ضد جماعة المرحوم جهيمان.

على أن من المهم التأكيد هنا، على هاجس الأمن الذي يشغل بال الحكام الخليجيين، خاصة وأن الاحداث دلت على أن هناك امتدادات لجماعة الاخوان داخل دول الخليج الأخرى.. ولذا المحت جريدة (الوطن) الكويتية إلى هذا الهاجس بقولها: (ان الملك خالد بن عبد العزيز ابلغ زعماء المنطقة ان للفئة التي قامت بعملية المسجد قواعد في دول الخليج) وأكملت: (ان الاتفاق بين قادة دول المنطقة قد تم على ضوء تبادل المعلومات والوثائق الأمنية، حتى يصار إلى تأمين الاستقرار في جميع دول المنطقة)[2].

أما أحمد الجار الله، فقد ذكرت جريدته حول هذا الهم الأمني المشترك: (ان الرؤية المتداولة تقول بأن للمجموعة التي قامت بالعملية، امتدادات وارتباطات مع مجموعات أخرى في بعض دول الخليج وهي مشابهة بدرجة او بأخرى لمجموعة "التكفير والهجرة" ان لم تكن بدرجة أشد).. واضافت السياسة[3] متحدثة عن كيفية التعاون بين الأنظمة الخليجية لقمع التحركات الدينية، وذلك بعد الصدمة التي تلقاها النظام السعودي من بروز معارضة دينية منبثقة من مؤسساته الرسمية فقالت: (وينتظر ان يجري مسح جديد شامل لكل الحركات والمؤسسات الدينية في شبه الجزيرة والخليج، خصوصاً التي ساهمت في اعداد هؤلاء وتربيتهم على هذه النشأة غير المنسجمة مع النظرة الحقيقية لأصول الدين)!!

بمعنى ان هناك مراجعة شاملة لكل المؤسسات الدينية الحكومية، لدراسة سبب بروز هذه التحركات المعارضة للحكام.. والهدف بالطبع تعليم الناقمين على هذه المؤسسات (أصول الدين) على الطريقة

---

1 ــ السياسة الكويتية ١٩٧٩/١١/٢٧م.

2 ــ الوطن الكويتية ١٩٧٩/١١/٢٧م.

3 ــ السياسة ١٩٧٩/١١/٢٧م.

الحكومية!!، وانه لمن العار ان يتحدث عن الاسلام امثال هؤلاء اللقطاء الذين همهم شهواتهم واهواؤهم وميولهم الرخيصة!.

وبالفعل فقد زادت الرقابة السعودية ــ مثلاً ــ على كل المؤسسات الدينية ونشرت المئات من الجواسيس وعلى مختلف المستويات في صفوف رواد المؤسسات الدينية، استباقاً لأي حادث.. والجدير بالذكر أن وزير الأوقاف السعودي احمد عبد الوهاب عبد الواسع، قد اجتمع في بداية الثمانينات بالمسؤولين عن المنظمة العالمية للشباب المسلم، ووبخهم على عدم قدرتهم في استيعاب الشباب الذين بدأت ميولهم نحو التطرف الديني كما يقول، رغم عشرات الملايين من الدولارات التي تنفق سنوياً للتضليل.. كما وبخهم على عدم تجاوبهم مع الأوامر القاضية بطرد كل ذوي الميول المتطرفة!!.

ونقلت جريدة النهار البيروتية عن الصحف الكويتية: (ان السلطات السعودية ابلغت دول المنطقة، بأن الجماعة التي ينتمي اليها "مندسوا" المسجد الحرام، لها امتدادات في كل عواصم الخليج، وان نتائج التحقيقات الجارية في شأن أحداث مكة ستنقل إلى كل الحكومات في منطقة الخليج التي ستقوم بدورها بدراسة مفصلة لكل الجماعات الدينية العاملة في الخليج)[1]!!

وأكدت مجلة (اليقظة) الكويتية مرة أخرى ان لجماعة الاخوان (التي اتهمت بالاعتداء على المسجد الحرام انصاراً ومؤيدين في معظم بلدان المنطقة)[2].. وهذا دليل كاف على وجود تأييد شعبي للعملية، وان كانت هناك ملاحظات تجعل من التأييد المطلق أمراً صعباً.

من هنا بدأت النغمة (الأمنية) تتكرر على السنة المسؤولين في الخليج، والكل يغني (الأمن والاستقرار، وخطط مواجهة التطرف الديني).. فهذا وزير الخارجية البحريني يقول: (ان المصلحة العامة تدعو زعماء دول الخليج إلى التشاور بين بعضهم البعض حول خططهم بشأن الأمن والاستقرار)[3].. وقال وزير الداخلية السعودي: (ان التطرف الديني، يقود المنطقة إلى صراعات خطيرة، تقلل من كفاءة مواجهة الأمة العربية في حربها مع اسرائيل)[4]!.. وسؤالنا للأمير الذكي، عن سر عدم كفاءة آل سعود وبقية الحكام العرب قبال اسرائيل يوم لم يكن هناك ما يدعيه من تطرف ديني؟!.

أما وزير الداخلية الكويتي فقال: (ان شعوب المنطقة مطالبة في الوقت الحالي بالالتحام مع القيادة الابوية لتفويت الفرصة على الصهاينة من كسب الجولة في حادثة الحرم الاجرامية) [5]!.. إذن حادثة الحرم تفيد الصهاينة، وهي من صنعهم، وان الحل الوحيد لا يتم إلا بالتمسك بالزعامات الفاسدة التي جرت على المنطقة وشعوبها الويلات والنكسات!.

---

1 ــ النهار البيروتية ١٩٧٩/١١/٢٨م.

2 ــ اليقظة ١٩٧٩/١١/٣٠م.

3 ــ الجزيرة السعودية ١٩٧٩/١٢/٣م.

4 ــ الرياض ١٩٧٩/١٢/٥م.

5 ــ الانباء الكويتية ١٩٧٩/١٢/٥م.

وأخيراً تراجع النظام عن مقولة (امتداد جماعة جهيمان إلى دول الخليج الأخرى) بعد ان وجد في هذه المادة انها تخدم المعارضة له، وتصورها انها قوية.. فقال وزير الداخلية السعودي: (ليس في وسعه بعد، تأكيد انباء بأن المجموعة المسلحة تشكل جزءاً من شبكة منظمة لها فروع في عدد آخر من دول الخليج. وان التحقيقات لاتزال في مراحلها الأولى، وليس لدينا أي تأكيد بعد لمثل هذه الأنباء)[1].. مع العلم ان السلطات السعودية اعلنت اعتقالها لمواطن كويتي، قالت ان له ضلع في حادثة الحرم، كما ان الصحف الكويتية (١٤٠٠/١/٤هـ) نقلت عن مصدر كويتي مسؤول: (ان شخصين كويتيين اعتقلا لجهرهما بتأييد الانتفاضة والاعتصام في الحرم، وتم ذلك علنا بعد صلاة يوم الجمعة الموافق للثالث من المحرم).. فهل كان النظام وازلامه لا يقرأون الصحف، أو ان مثل هذه الأخبار لا تهمهم، ام ان التجاهل هو المطلوب؟!.

ومع هذا اعترف فهد وان كان متأخراً جداً، لجريدة السفير[2] بأن هناك كويتيون وباكستانيون وغيرهم، قال هذا من باب السخرية والاستهزاء بالجماعة وأفرادها: (ولكنهم بمجملهم جماعة محدودة الذهن والتفكير، استولت عليها المشاعر الدينية، واتى من باكستان ومن بعض البلدان من يدفع الأمور بطريقة ساذجة جداً، فكان ما كان).. ووالله ان الساذج من يعتقد بأن أفراد الجماعة سذج ومحدودي الذهن والتفكير. ثم يكمل فهد مناقضاً حديثه، بأن ليس للجماعة امتدادات في الخارج، ولا في الداخل أي في المجتمع أو الجيش!! وهل هناك عاقل يصدق هذا؟ او ان لماذا كان عدد أعضاء الجماعة المشاركين يزيدون على الألف، ولماذا شملت الاعتقالات جنسيات عديدة، وكيف لا يكون لهم امتداد داخلي وفصائل من الحرس الوطني قد دعمتهم وساندتهم بل ان مظاهرات انطلقت في جدة في يوم السبت (١٤٠٠/١١/٢٤هـ) تؤيدهم، وقد شارك في المظاهرات عشرة آلاف شخص كما اعترفت بذلك الاذاعة السعودية في ١٤٠٠/١١/٢٤هـ!!. افلا يعني كل هذا ان هناك امتدادات وتنظيم وان المسألة لم تكن ساذجة كسذاجة حديث فهد الذي قال مخاطباً رئيس تحرير السفير: (صدقني حتى الآن لم يظهر لنا أي بعد خارجي للحادث، ربما ظهر في المستقبل، لكن لم يتضح لهذه اللحظة ان لما حدث اعماق في الداخل، لا في المجتمع ولا في الجيش ولا أعماق في الخارج.. اقول لغاية الآن، ويمكن ان نكتشف أي جديد غداً او بعد غد او في المستقبل)[3].

ثم يعاود فهد الحديث مجدداً نافياً ما قاله آنفاً (!!): (وقد ثبت لنا ان الكتب كانت تطبع في الكويت بعدما صادرنا اعداداً كبيرة منها.. إذا فهي لم تصدر ولم تطبع في المملكة.. وهذا الذي اسمه جهيمان هو مثل أي واحد منهم، رجل ساذج عادي إلى درجة متناهية لا يستطيع ولا يحسن التعبير لا من الناحية اللغوية ولا من ناحية التفكير حتى يستطيع ان يكتب كتبا ويسجلها، ويجيب احاديث نبوية.. وانه لا يفهم منك إذا ما تحدثت معه.. بالتأكيد فقد استغل من ناس آخرين، ربما إلى الآن لم يعرفوا[4]، وقد يكونون في الكويت أو في أي

---

1 ــ صحيفة الرأي الأردنية ١٩٧٩/١٢/٩م.

2 ــ السفير ١٩٨٠/١/٩م.

3 ــ المصدر السابق.

4 ــ غريب حقاً ما يقوله آل سعود.. فهم قد أكدوا مراراً بعد اتهامات عديدة بإرتباط الجماعات بجهات أجنبية، اكدوا بعدئذ انها لا علاقة لها بأي جهة. وها هو فهد يحن للكذب والتلفيق، فيؤكد ويقول (بالتأكيد فقد استغل من ناس آخرين). اما

مكان آخر، لا نعرف ولكن هناك أربعة من الكويتيين من ضمن المقبوض عليهم، وهناك شخص جاء من الكويت في اللحظة نفسها حين دخل المسلحون الحرم ومعه كتاب مرسل من الكويت يهنيء بظهور المهدي، ويبدي مرسلوه اسفهم لعدم تمكنهم من المجيء للتهنئة والمبايعة)[1].. وكل هذا يعني ان هناك امتدادات خارجية وداخلية للمجموعة التي اعتصمت في الحرم المكي الشريف.. اما التشكيك في ان جهيمان لا يحسن التعبير ولايفهم ما يقال له وانه ساذج إلى درجة متناهية وانه لا يستطيع ان يؤلف كتبا ثبت لكل الناس انه كتبها بخط يده.. ان يقال كل هذا من فهد ــ رأس النظام السعودي ــ فذلك مدعاة للرثاء والسخرية، لأن احداً لا يصدق القول هذا في شخصية اثبتت براعتها العسكرية والتنظيمية والدينية.. ولم يبق لفهد إلا أن يقول ان جهيمان شخص مجنون او وهمي او ما أشبه!.

هذا موقف دول الخليج ولكن ماذا عن البعث العراقي؟ الذي كان يعيش مخاضاً اليما بعد انتصار الثورة في ايران وانعكاس الحالة الاسلامية على الداخل العراقي.. هذا البعث الكافر الذي قال قبل سقوط الشاه بأيام، وعلى لسان الطاغية (صدام حسين) ان: (الشاه باق باق)!! كان لايزال في صدمته التي سببها سقوط الشاه، وكان لايزال يرتب أوراقه لايقاع الفتنة في مناطق ايران (خوزستان وكردستان وغيرها).. وحينها وقع حادث الحرم فأرسل الرئيس العراقي برقية تعاطف مع آل سعود تندد بما اسماه (العمل الاجرامي) وذرف الرئيس دموع التماسيح على (الاسلام) متناسيا اجرامه بقتل خيرة علماء المسلمين من الشيعة والسنة، كالشيخ عبد العزيز البدري والشيخ عارف البصري ثم اعدم فيما بعد الشهيد محمد باقر الصدر..

وشنت اذاعة البعث العراقي حملات هجومية عنيفة، وكالت السباب والشتائم ضد (المتطرفين) و (الغوغاء) وعملاء الاستعمار والامبريالية!!.. مع العلم ان اعلام البعث مشهود له في كل المواقع انه بذيء للغاية..

وسر الموقف العراقي هذا يرجع إلى أن العلاقات السعودية العراقية، طرأ عليها تحسن كبير بعد سقوط الشاه، إذ توافقت الميول السعودية البعثية هذه المرة للعمل سوية ضد الثورة الاسلامية وقطع دابر تأثيراتها.. لذا اعتبر بعث العراق حادثة الحرم قضيته الرئيسية مثلما هي قضية آل سعود لأن الأحداث الدينية تؤثر على كل دول المنطقة بدون استثناء خاصة وان حزب البعث كان ينتظر من آل سعود العم المادي والسياسي ليبدأ حالة التصعيد مع ايران وقصف المدن الحدودية، ليتوجها فيما بعد بالغاء اتفاقية الجزائر (١٩٧٥م) من طرف واحد واعلان الحرب ضد ايران!

وهنا، لا يشذ بعث العراق عن قاعدة الأمن والهموم الأمنية، وقد ضحى هذا الحزب اللعين بكل مواقفه التي رفعها ضد ما كان يسميه ب ــ (الرجعية العربية) وفي مقدمتها السعودية، بل انه جمد نشاط البعثيين السعوديين الذين يتلقون الدعم منه دائماً واعتبرهم ضحية التقارب العراقي السعودي.

غير ان موقف قابوس عمان، له بعض الخصوصية وان لم يشذ ــ هو الآخر عن القاعدة ــ فيما يتعلق بحادثة الحرم.. فعمان في تلك الأثناء (أي وقت وقوع الحادثة ١٩٧٩م) كانت تعيش صراعاً سياسياً مع اليمن

دليله، فــ (ربما)!! وربما هذه تكفي لا تكون افضل تأكيد.. يقول: (ربما إلى الآن لم يعرفوا)!! إذن لماذا أكدت ايها الذكي ارتباطهم؟!

1 ــ السفير ١٩٨٠/١/٩م.

الجنوبي الذي يدعم ثوار ظفار بالمال والسلاح والاعلام، وبالتالي فإن قابوس ــ ومن منطلق الهم الأمني ــ اراد ان يتهم اليمن الجنوبي ومن وراءه الاتحاد السوفيتي تماماً مثلما أشارت الدوائر الغربية واسرائيل التي اعلنت ان لليمن ضلعاً في الحادث.. والنتيجة التي أرادها قابوس هي أن يتدخل الغرب لحمايته واعلن عن استعداده لفتح قواعد عسكرية للأمريكيين..

فما خلصت اليه صحيفة (الغارديان البريطانية[1] من الموقف العماني كان كالتالي: (ان النظرية المفضلة لدى السلطات العمانية تدعي ان روسيا استخدمت اليمن الجنوبي لامداد أسلحة إلى لفيف من المتدينين المتعصبين بغية اسقاط حكم آل سعود، ومن ثم تمكين اليمن الجنوبي من التقدم لانقاذ الاماكن المقدسة)!

ان هذا كلام غير منطقي ولكن انى يكون للحكام منطق.. فهذه (النظرية) بل هذا الافتراء لا يصدقه قابوس نفسه ولا حتى حكومته او الغربيين انفسهم المدافعون عنه.. فمتى كانت روسيا او اليمن الجنوبي تدعم المتدينيين؟.. ان روسيا الد اعداء الاسلام وهي تعاني من كون أكثر من (١٢%) من سكانها من المسلمين الذين بدأوا بالتململ في اعقاب الثورة الاسلامية.. والروس يعلمون ان الموجة الدينية لا تخدمهم داخلياً أو خارجياً ولذا نراهم اليوم يتحالفون مع الغربيين ــ مخابراتياً ــ لمحاربة (التطرف!!) الديني.

وقد سبق لوكالة أنباء الشرق الأوسط (١٩٨٠/١/٢م) ان كررت هذا الاتهام والافتراء اعتماداً على المصادر العمانية ثم ما لبثت في (١٩٨٠/١/٦م) ان اعلنت بأنه (لمجابهة الوجود السوفياتي فإن سلطنة عمان قد رحبت بأعطاء تسهيلات للتواجد العسكري الأمريكي في المنطقة)..

هذه هي مواقف حكام الخليج من حادثة الحرم، ويلاحظ عليها انها تنبع من مصدر واحد، انه الأمن الذي تزعزع، وخطر التحركات الدينية والثورة الاسلامية على مجمل الأنظمة الكارتونية في الخليج والجزيرة العربية.

مواقف الدول العربية الأخرى:

يمكننا إيراد هذه المواقف على النحو التالي:

أــ موقف الملك حسين:

بعث الملك الأردني برقيتين إلى الملك خالد، الأولى بعد وقوع الحادثة، يندد فيها بجماعة الاخوان، واصفاً إياهم بالإجرام، ومعلنا عن تضامنه مع الحكم السعودي واستعداده للمساعدة. والثانية ارسلها بعد انتهاء الحادثة مهنئاً فيها رموز النظام بالنجاح الباهر الذي حققته القوات السعودية ضد أعداء الاسلام!!

ومما جاء في برقيته الثانية التي ارسلها بتاريخ ١٩٧٩/١٢/٤م: (وكأني بالجهات الأجنبية قد تبينت ان قوة الأمة في دينها الذي وحدها فخططت وبدأت تعمل على غزوها من موطن قوتها)[2].. والملك يقصد هنا ان هناك جهات أجنبية ــ لم يسمها ــ استفادت من الشعور الديني لدى أفراد جماعة الاخوان لضرب

---

1 ــ الغارديان ١٩٨٠/٢/٤م.

2 ــ صحيفة الرأي الأردنية ١٩٧٩/١٢/٥م.

الاسلام.. وهذا القول ينطبق على آل سعود قبل غيرهم، فهم الذين يجيرون الشعور الديني لدى المسلمين خدمة لأهدافهم الرخيصة ولأهداف أسيادهم الكبار.. ثم ان الملك الأردني هو آخر من يحق له الحديث عن الجهات الأجنبية وهو الذي لايزال حتى الآن يتقاضى راتباً من المخابرات الأمريكية!.. وللدلالة على هذا، فقد ذكرت وكالة اسيوشيتدبرس (١٩٧٧/٣/٢٨م) وصفا لـــ (وليم كولبي) المدير السابق لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية بشأن الأموال التي قدمتها الوكالة لبعض زعماء الدول الأجنبية أو للمجموعات السياسية الأجنبية، وصفها بأنها مساعدة من الولايات المتحدة الأمريكية لحلفائها لتمكنهم من تنفيذ المهام الملقاة على عاتقهم..

وقالت وكالة أسيوشيتدبرس نقلاً عن مصادر أمريكية (أن الملك حسين كان بين الذين تقاضوا هذه الأموال طيلة السنوات العشرين)!

لكن هذا الملك العميل ــ الذي فقد الحياء ــ لم يشأ أن ينفي الموضوع بل اعترف بأنه يستلم المال من المخابرات الأمريكية يبد أنه التف حول الموضوع بقوله: (انها كانت تصرف على اجهزنة الأمن والمخابرات في بلده).. وقد جاء اعترافه هذا في مقابلة مع التلفزيون الفرنسي في يوم الأحد ١٩٧٧/٤/٣م وشخص بمثل هذا الملك لا يحق له أن يتحدث عن ارتباط الجماعات الدينية بالجهات الأجنبية، لأن المرتبط هو الملك الاردني وزملاؤه في العمالة آل سعود!

ولا يخفى ان الموقف الاردني تجاوز حدود الدعم الأدبي والمعنوي والسياسي والاعلامي، بل تعداه إلى الدعم العسكري لقمع انتفاضة الحرم، حيث أرسل قوات كوماندوس خاصة، للاشتراك مع الفرنسيين في قيادة المعارك مع الجيش السعودي ضد المعتصمين في الحرم، كما توضح ذلك في صفحات سابقة.

ب ــ موقف مصر ورئيسها:

حين وقع حادث الحرم كان السادات في حالة استياء من الحكام السعوديين ابان محنته وتركه وحيداً ومقاطعاً ــ وان كانت المقاطعة هامشية ــ بعد توقيعه اتفاقية كامب ديفيد.. كان الخلاف السعودي الساداتي يدور حول موقف آل سعود من الصلح مع الصهاينة.. فبعد أن استشار السادات آل سعود حول زيارته للقدس وأخذ السادات الضوء الأخضر منهم ــ وهو ما اعترف به بعدئذ ــ وجد آل سعود ان الرأي العام العربي لابد وان يطيح بأنظمة الاستبداد التي تؤيد السادات ولهذا تخلوا عنه كما تخلى عنه صديقه الحسن الثاني الذي رتب اللقاءات المصرية الصهيونية قبل الزيارة خاصة تلك الاتصالات التي تمت بين حسن التهامي وموشي دايان في الأراضي المغربية. وكان التراجع السعودي عن دعم السادات ــ وان كان قد جاء متأخراً وباردا ــ سببه الخوف من الغضب الشعبي المتصاعد ضد الزيارة، وقد هدد السادات بكشف المستور عن آل سعود في خطاباته العديدة التي تعرض لهم فيها.. ولكن حجة آل سعود تتلخص كما قال مسئول سعودي: (لقد وافقنا ان يهدي السادات قميصه، ولكنه سلم بيغن البنطلون ايضاً)!! بمعنى اننا لسنا ضد الصلح ولكن السادات قدم تنازلات كبيرة!! وهذه حجة ضعيفة وان كان لها شيء من المصداقية..

ولما وقع حادث الحرم لم يعلق السادات على الحادث إلى ان انتهى وفجر قنبلة في خطابه التهكمي ضد آل سعود مبينا انه لا يريد ان يطعن اصدقاءه في الظهر ولهذا صمت وبين السادات ان العائلة السعودية هي

التي تحتاجه لمواجهة المخاطر إلى آخر كلام الغرور الساداتي!!.. ومما جاء في خطاب السادات الذي القاه بتاريخ ١٩٨٠/١/٢٨م ونشرته الصحف المصرية في اليوم التالي:

(يأتي حادث بسيط، قد يكون بسيطاً في مظهره، ولكن معناه خطير. هذا الحادث يوم ان وقع ما وقع في المسجد الحرام في مكة، كما يعلم العالم كله عمل سياسي. فقد استنكرنا.. شجبنا وسنشجب أي عمل. لكن الموضوع لم يكن "مهدي منتظر".. لا.. الموضوع هو موضوع الحكم في السعودية، ونحن لم ننتهزها فرصة لكي نطعن السعودية، كان ممكنا ان أذيع البيان أو البيانات التي كان يرددها اولئك الذين احتلوا الحرم من الداخل عن السعودية، والحكم في السعودية والفساد وكل ما قالوه بالمايكروفونات من داخل المسجد وكان بيصل هنا اليوم بيومه كان بيصل للعالم كله.. لا.. لم ننتهزها فرصة لنطعن السعودية من الخلف لأن أقدس مقدساتنا كان بينتهك.. نقف ونسيب كل ده إلى ان يعود المسجد الحرام صرحاً امنا كما اراده الله سبحانه وتعالى. ولكن الآن علينا ان نقول الحقيقة وان نواجه الحقيقة. السعودية والعائلة السعودية في محنة.. والله هذا يمين اقوله امامكم كممثلين للشعب لاحقد لي ولا هدف لي ابداً، ولا شيء ابدا، ولو انني لم ارفض ارتباط لعمل معين توسط فيه كارتر لحكيته. لكني ارتبطت والكلمة عندي هي الشرف وهي القدسية. ارجو ان لا تنقل العيلة السعودية محنتها الى الخليج وإلى الأمة العربية.. لأنه احنا لاحقد لنا على أحد، لا على العيلة السعودية ولا على أحد، وانما حين يقع التسيب نشوف كيف يعملون، وكيف يستطيعون ان يواجهوا من غير مصر)!!

اما الصحف المصرية، فإنها وبوحي من النظام المصري الحاكم راحت تبحث عن كبش فداء فمن يكون ذلك الكبش؟!

بالطبع لن يكون الكبش الولايات المتحدة او اسرائيل (الصديقة!!).. وانما ايران الخميني التي نفت الشاه صديق السادات المقبور، وكذلك الاتحاد السوفياتي واليمن الجنوبي، لانهما الطرف الآخر المقابل للرأسمالية الغربية..

فمجلة آخر ساعة المصرية أوحت بأن عناصر ايرانية هي وراء العملية حين قالت: (ان السلطات السعودية اكتشفت خلال موسم الحج محاولة قام بها انصار الزعيم الايراني لتوزيع منشورات للدعاية له في المدينة المنورة، ومكة المكرمة وعلى جبل عرفات)[١].. وفي اليوم التالي كانت الاهرام صريحة في الاتهام حين قالت: (ان هناك احتمالين: احدهما ان تكون هذه الجماعة من انصار الخميني، فأرادت الانتقام من عدم موافقة النظام السعودي على طلب ايران ادراج النزاع الأمريكي الايراني، والاشتراك كمراقب في مؤتمر تونس.. والاخر ان العملية ربما تكون بتدبير عناصر شيعية متعاطفة مع الخميني)[٢].. غير ان الحقيقة التي ظهرت والتي اكدتها الصحف الأجنبية والعربية، هي غير ذلك لذا تقول صحيفة اللوموند بعد تقصي وتفحص: (في باريس صرحت لنا عدة شخصيات عربية مقربة من الحكام السعوديين: ان عملية مكة لم تطبخ من قبل أيد أجنبية في الخارج أو من قبل الشيعة، بل من قبل سعوديين من السنة، وانها كانت فعلاً موجهة ضد الحكام الوهابيين القائمين على رأس السلطة)[٣].

---

1 ــ وكالة أنباء الشرق الأوسط ١٩٧٩/١١/٢١م.

2 ــ الاهرام ١٩٧٩/١١/٢٢م.

3 ــ اللوموند ١٩٧٩/١٢/٣,٢م.

والأسوء مما قالته الاهرام، ماذكرته صحيفة الجمهورية (١٩٧٩/١٢/٢٥م) أي بعد انتهاء حادثة الحرم بثلاثة أسابيع، ان احداث مكة وطهران هي تخطيط سوفياتي وان ليبيا وعدن وراء الاضطرابات التي تقع في الشرق الأوسط!!

على ان من المهم التأكيد هنا بأن بعض الجهات المعارضة لأنور السادات حاولت ان تلصق به تهمة انه كان وراء الحادث الذي وقع في الحرم.. وترد صحيفة اللوموند على هذا الاحتمال بالتالي:

(إذا تصورنا ان الأجهزة الأمنية المصرية، المشهور عنها انها كثيرة التواجد في شبه الجزيرة العربية استطاعت بشكل أو بآخر ان تشجع مرتكبي عملية التدنيس حتى يلقنوا البلاط السعودي درساً لأنه تخلى عن الرئيس المصري منذ صلحه مع اسرائيل فإن ذلك يحتاج إلى القيام بخطوة كبيرة لا أحد في مصر مستعد ان يقوم بها على الاطلاق خاصة في هذا الوقت. فالواقع ان القاهرة ليست ذات مصلحة ــ على الاطلاق ــ في اضعاف نظام تشكل محافظته الكاملة ومسيره في فلك امريكا ضمانة لها اكثر بكثير من أي نظام ثوري معاد لأمريكا يقوم في السعودية.. ومن هذه النقطة فإن مصر مستمرة في تغذية املها بمصالحة مع السعودية، حتى انها باركت قيام وفد وساطة بين البلدين، كان على رأسه السيد ايرمان ايلتس سفير الولايات المتحدة السابق في القاهرة)[1].

ان من مصلحة النظام المصري وقبلها مصلحة امريكا ان لا يسقط النظام السعودي حتى وان كان موقف هذا النظام قد تراجع في دعمه للسادات بشكل جزئي.. ولذا لا يصح الطعن في ظهر آل سعود ــ بمنطق السادات ــ لأنه وعد كارتر بذلك ووعد السادات للأجانب من أجل مصالحهم له شرف وقدسية عنده!!

ج ــ موقف الملك الحسن:

في يوم (١٩٧٩/١١/٢٢م) اصدرت الخارجية المغربية بيان استنكار لحادثة الحرم ودبج البيان المديح للملك خالد واصفاً اياه بخادم الحرمين والحكيم في معالجة القضايا الحساسة التي نشأت بسبب وقوع الحادثة.. وفي الختام جدد البيان موقف المغرب (حكومة وشعباً) مع الحكم السعودي من أجل (تطهير البيت الحرام من الفئة الخارجة)!! وهذا الموقف اتخذته كل الدول العربية الأخرى ومعظم الدول الاسلامية.

وتفيد أنباء خاصة بأن الملك الحسن بعث وزير داخليته إلى الرياض بصورة سرية للاطلاع على الموقف وتقدير الاحتياجات السعودية الأمنية والعسكرية وعرض خدمات الملك الحسن ــ غير المحدودة ــ من أجل انهاء الحادث بأسرع وقت.. وقد كانت زيارة وزير الداخلية المغربي قد تمت في تاريخ الخامس والعشرين من نوفمبر إلا أنه لم يستقبل في مطار جدة لأن كل الأمراء كانوا مشغولين (حتى الاذقان) بمتابعة الحادثة عن قرب، ولم يقابل الوزير إلا في اليوم التالي بما سبب له استياءاً شديداً.. كما انه لم يطلع على الأوضاع لأن السعوديين حساسون تجاه المسألة واكتفوا بالتطمين ان الأوضاع هادئة وتسير على ما يرام!.. ولما أبدى الوزير خدمات مليكه المغربي، شكره ولي العهد (فهد آنذاك) وقال بأن القوات الحكومية قادرة على

---

1 ــ اللوموند ١٩٧٩/١١/٢٣م.

انهاء الموضوع دونما حاجة إلى ان يتكلف الملك الحسن بإرسال المساعدات.. الجدير بالذكر ان القوات الفرنسية دخلت إلى ساحة الميدان قبل اجراء هذا الحديث!!

د ــ موقف النظام التونسي:

قبل وقوع حادثة الحرم كانت امام النظام التونسي مشكلتان، الأولى ما حدث في قفصه من تسلل ومواجهة مع النظام التونسي الأمر الذي استتبع ان يطلب هذا النظام الهش معونة الاسطولين الأمريكي والفرنسي لمواجهة خمسين متسللاً حسب أرقام النظام نفسه! والثانية هي مواجهة التيار الاسلامي في تونس المتمثل في حركة الاتجاه الاسلامي إذ قام النظام بغلق مجلة المعرفة ثم وضع قيادات الحركة في السجون..

وفور الاعلان عن مجريات الحادثة، أصدر النظام التونسي بياناً من خارجيته وكان ولي العهد آنذاك ــ فهد ــ في تونس يحضر مؤتمر القمة، وقد لاحظ المسؤولون التونسيون الحالة النفسية السيئة لفهد فحاولوا تطمينه ولكن دون جدوى بل ان نصائح كثيرة قدمت لفهد من أجل ان يتأخر في تونس حتى لا يصاب بالأذى في سفره لأن المطارات كانت لفترة ما مغلقة وكانت مهددة من ناحية الأمن والظروف في مجملها كانت غامضة لا أحد يستطيع ان يقطع بما تؤول إليه. وقد قبل فهد باقتراح التأخير خوفاً على حياته.

وفي ذات الوقت كان الاعلام التونسي مسخراً للنيل من الحركات الاسلامية بشكل عام وبدون تحديد متهمة اياها بأنها أساس البلاء والمشاكل والتطرف اينما وجد ومؤكدين ان حكومة بورقيبة كانت ذكية في تعرضها لهذا التيار المتطرف في تونس نفسها!!

وحين زار بورقيبة الابن (جوان) بعض دول الخليج من بينها قطر بعد انتهاء حادثة الحرم وذلك لجمع المعونات من أجل انقاذ اقتصاد تونس المنهار، في تلك الأثناء اجرت معه صحيفة الراية القطرية مقابلة نشرتها صحيفة النهار البيروتية[1] حاول فيها (جوان) المتغرب ان يبكي او يغني ــ لافرق ــ على ليلاه مستفيدا من حادثة الحرم في ضرب الاتجاه الاسلامي في تونس ضمن معزوفة غير متناسقة فقال: (ان قوات الأمن التونسية اعتقلت مجموعة من المسلمين المتطرفين اليساريين. وان المجموعة مرتبطة بالمتعصبين الدينيين الذين احتلوا المسجد الحرام في الشهر الماضي وان هذه المجموعة ظهرت في تونس قبل عامين وكانت تطلق على نفسها اسم الاخوان وتتجاوز في حديثها وسلوكها اليومي حدود المطلوب من المسلم وتغالي في اطروحاتها الدينية. وان المتطرفين الذين عبؤوا لخدمة الشيوعية والحركات اليسارية الأخرى قد أثاروا اضطرابات في تونس بعد الهجوم على المسجد الحرام وان ثمة هناك صحيفة تحمل هذا الاتجاه دعت لخلق الاضطرابات في الدولة ورافق ذلك نشر صورة الخميني في صدر صفحتها الأولى ــ وكان يقصد بذلك مجلة المعرفة ــ.

وهكذا تجد كل نظام يدين حادثة الحرم ثم يجير المسألة ضد اعدائه الداخليين!!

---

1 ــ النهار ١٩٧٩/١٢/٢١م.

هـ ــ موقف الحكم اللبناني:

ويمكن اجماله بموقف كميل شمعون وحزب الكتائب اللذين هما يشكلان حجر الأساس للنظام اللبناني الماروني الصليبي.. وموقف هذين الطرفين من ناحية العداء للحلول السورية، جعلهما يلصقان بالحكم السوري التهمة.

وخير ما يعبر عن موقف الكتائب، ما ذكرته جريدة السفير[١]: (لفت المراقبون الاهتمام الخاص الذي يوليه حزب الكتائب عبر اجهزة اعلامه للاحداث السعودية، والهم الاساسي لاذاعة الكتائب وجريدة العمل، هو التأكيد على أن ما جرى ويجري في مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف وجدة وغيرها من انحاء المملكة ليس انتفاضة شعبية داخلية بل هي مؤامرة تشارك في تنفيذها عدة دول).. ويبدو انه ليس في جعبة الكتائب من عدة الدول هذه سوى سوريا!!

اما كميل شمعون فقد قال بصراحة لصحيفة الأنوار اللبنانية[٢] وفي اليوم التالي للحادث: (..... كل ما أستطيع قوله ان هذه العملية جرى الاعداد لها من خمسة أو ستة شهور وكانت لدي كل الوثائق والمعلومات التي توضحها نقل الأسلحة ومصادرها وتكشف عن هوية المتهمين بهذه العملية).. أما المصدر فقال شمعون: (ان الأراضي السورية هي المصدر الرئيسي لها ــ واضاف ــ منذ ان وصلتنا هذه المعلومات في حينه ارسلناها إلى المسؤولين السعوديين عبر سفارتهم في لبنان مع كل الايضاحات بهذا الصدد)!!

لقد كانت لهجة شمعون الصليبي هذه لهجة واثقة، وقد كان هدفه مما قال استعراض ما قدمه من خدمات لآل سعود، محاولاً استثارة آل سعود ضد سوريا، غير ان فهد (ولي العهد آنذاك) خيب ظن شمعون فقال في مقابلة له مع (الحوادث)[٣]: (لم اسمع بهذه الرواية إلا مؤخراً والسفير السعودي كان متغيباً عن بيروت في الفترة التي يشير اليها شمعون. اما تهريب السلاح فأنا لا استبعد ان تكون هناك عملية تهريب من هذا النوع).. ولكن حين تصل التضحية والخيار بين العلاقات مع سوريا او مع شمعون فإن الضحية سيكون شمعون ــ على الأقل على المستوى الاعلامي ــ لذا انبه فهد ووبخه بالقول: (انما الذي يؤسف له، هو الحملة الصحفية الخارجة عن نطاق المعقول، والتي لاتمت للحقيقة بصلة، والمليئة بتفصيلات وتحليلات لا تصدر إلا عن أعداء كارهين حاقدين على المملكة، نشرتها اخيراً جريدة "الأحرار" التي يصدرها حزب شمعون. فبدلاً من ان يحاول شمعون انتقاد المملكة لأنها لم تشأ الانسياق وراء الاتهامات التي وجهها ضد بعض الدول العربية بتهريب السلاح إلى المملكة.. اليس الأفضل وله وللأحرار ان يصلحوا انفسهم أولا ويكفوا عن مشاركة اسرائيل والصهيونية في الحملة الظالمة المفترية التي تشن على المملكة)[٤].

ان ما يهمنا هنا هو التقريع للصليبي شمعون صديق فهد والأسرة السعودية المالكة.. اما ان هناك حملة ظالمة حاقدة ضد (المملكة) فهو كلام في كلام.. افلا يكفي ان كل دول العالم غربيها وشرقيها وعربيها

---

1 ــ ١٩٧٩/١٢/١م.

2 ــ الأنوار ١٩٧٩/١١/٢٢م.

3 ــ الحوادث ١٩٨٠/١/١١م.

4 ــ المصدر السابق.

واعجميها وقف مع آل سعود؟! نعم كانت هناك تحليلات لا تتفق مع وجهة النظر الرسمية السعودية والسبب لأن وجهة نظر آل سعود متخبطة لاتقف عن حد فهي في تغير كل يوم بل كل ساعة.. وهذا ما أفقد الاعلام السعودي مصداقيته.. ثم ان النظام لم يكتف بهذا بل عتم على الحقائق وقطع مصادر الأخبار الأخرى مما أطلق العنان لسراح التكهنات والتوقعات والتحليلات المنطقية وغير المنطقية وهذا ما سماه فهد واخوته بـــ (الحملة الظالمة ضد المملكة) أي ضد مملكة آل سعود، بل آل سعود انفسهم.

موقف الولايات المتحدة الأمريكية:

ان مجمل الموقف الأمريكي من حادثة الحرم ملفت للنظر فالحادث وقع في دولة حليفة تعهد كارتر بحماية النظام السعودي الحاكم فيها من الأخطار الداخلية والخارجية، كما تعهد أسلافه، وكان يعتبر امن السعودية جزء من الأمن الأمريكي القومي.

ومن جهة ثانية، كان توقيت وقوع حادثة الحرم في ظل ظروف الصراع المتصاعد بين ايران، الثورة المنتصرة، وبين أمريكا التي هددت اكثر من مرة بالاعتداء عليها والنيل منها مما زاد من الاشاعات التي تقول بأن أمريكا كانت وراء العملية لاهانة المسلمين مما تسبب في مهاجمة السفارة الأمريكية في اسلام آباد واحراق المركز الثقافي البريطاني وبنك (امريكان اكسبرس) هناك.. اضافة إلى تعرض البعثات الأمريكية في لاهور وكراتشي لهجوم المسلمين الغاضبين، وخرجت مظاهرات قوية وهي تهتف (يسقط كارتر الكلب) و (تسقط الصهيونية) و(تسقط أمريكا) كما قتل أمريكيان في خضم هذه الأحداث.

ثم ان امريكا كانت أول من أعلن عن وقوع حادثة الحرم، قبل اعلان النظام السعودي مما سبب استياءاً عاماً لدى آل سعود بسبب هذا التصرف وبقي الأمراء يذكرون هذا الموقف حتى بعد انتهاء الحادث بشيء من المرارة!!

والغريب ان الناطق بلسان وزارة الخارجية الامريكية (هودنغ كارتر) اعلن عن الحادث قبل اعلان النظام السعودي نفسه، حيث قال: (ان هذه المجموعة ــ التي قامت بالعملية ــ لم تعرف هويتها واهدافها).. إلا ان هذا لم يقعد الأمريكيين عن الاستفادة من العملية ضد خصومهم واعدائهم الشيعة الايرانيين لذا أكمل هودنغ كارتر قائلاً: (وقد تكون من المذهب الشيعي)[1].

وعليه ــ وقبل ان تتضح الحقائق ــ ردت ايران في (١٩٧٩/١١/٢١م) التهمة ضد امريكا: (ان هناك ايد مجرمة تريد بذر الخلاف والتفرقة بين المسلمين وليس مستبعداً ان يكون هذا العمل من تدبير الامبريالية الأمريكية).. فما كان من هودنغ كارتر إلا أن رد: (من الواضح ان العملية التي وقعت في مكة تلك المدينة الاسلامية المقدسة كانت من تدبير عناصر اسلامية)[2].

وفي اليوم التالي (١٩٧٩/١١/٢٢م) اصدرت الخارجية الأمريكية بياناً تتباكى فيه على ما حدث معربة عن اسفها ومؤكدة (تعاطف الولايات المتحدة مع المسلمين عامة والشعب السعودي خاصة) و(اننا نأسف

---

1 ــ النهار ١٩٧٩/١١/٢١م.

2 ــ صدر هذا القول من الناطق بإسم الخارجية الأمريكية في ١٩٧٩/١١/٢١م.

لانتهاك اقدس دين من أكبر اديان العالم.. وان الولايات المتحدة حكومة وشعباً تشارك المسلمين كافة، وشعب العربية السعودية خاصة جزعهم ازاء هذه الفعلة النكراء)[1].

وفي ذات اليوم أيضاً (١٩٧٩/١١/٢٢م) اكد سايروس فانس وزير الخارجية الأمريكي: (استنكار بلاده لحادث اقتحام المسجد الحرام بمكة واسفها من جراء هذا الفعل المشين الذي دنس اقدس مكان لإحدى ديانات العالم الرئيسية)..

لقد جاءت هذه التأكيدات الأمريكية لتبرأ ساحة الولايات المتحدة من التهمة ولئلا تستثير سخط المسلمين المتأجج ضدها.. اما انها اسفت لوقوع الحادث في الحرم فإنها لن تأسف على الاسلام بأي حال وانما اسفها الحقيقي في ان حلفائها آل سعود هم الذين يعانون من وقع ما حدث ضدهم شخصياً!

ورغم الامتعاض السعودي من الموقف الأمريكي الذي أعلن عن وقوع الحادث قبل اعلان آل سعود عنه فإنهم وبدفع أمريكي دافعوا عن امريكا بأنها ليست لها أي علاقة بالحادث.. لذا تجد وزير الداخلية السعودية يصرح لوكالة الأنباء السعودية حول دور امريكا في الحادث بـــ (ان ذلك ليس له أساس من الصحة)[2].

موقف الاتحاد السوفياتي:

لقد تأخر اعلان الموقف الروسي مدة اسبوع كامل تقريباً وحينما بدأت اتهامات الغرب والدول السائرة في نهجه لتوجيه الاتهام إليه لم يفوت الروس الفرصة للنيل منهم متهماً امريكا وبالتحديد وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بأنها وراء الحادث!! جاء هذا في تعليق لوكالة نوفوستي السوفياتي الحكومية على الأحداث حيث قالت: (ليس مصادفة ان تكون وزارة الخارجية الأمريكية هي المصدر الأول الذي تولى اعلان نبأ استيلاء مجموعة مسلحة على أحد جوامع مكة واحتجازها فيه عدداً من الرهائن وان هذه المجموعة قد تكون من المذهب الشيعي)..

ليس بغير ذي دلالة ان تنفذ هذه العملية وتعلن الخارجية الأمريكية عنها بعد بضع ساعات من افتتاح مؤتمر القمة العربي العاشر في تونس ان وكالة الاستخبارات الأمريكية وعملاءها هم الذين دبروا عملية المسجد ونفذوها بحسب معلومات مصادر مطلعة وذلك كجزء من خطة لاعداد المناخ الملائم للتدخل العسكري المباشر ضد ايران ونضال شعبها. انه مما لا شك فيه ان الاستخبارات المركزية الأمريكية ارادت من وراء عملية المسجد الوصول إلى أهداف متعددة ترتبط كلها بالموقف الأمريكي من ايران وما يمكن ان يستتبع ذلك ردود فعل عربية.. والولايات المتحدة تدرك جيداً ان الموقف العربي من أي عمل عدواني تقوم به ضد ايران، سيكون له تأثير كبير على مجمل سياستها في الشرق الأوسط وعلى ظروف العمل العدواني ذاته فطريق العدوان ضد ايران يمر في المياه والأجواء العربية كذلك في القواعد الأمريكية على الأراضي

---

1 ــ السفير ١٩٧٩/١١/٢٣م.

2 ــ صحيفة عكاظ السعودية ١٩٧٩/١١/٢٣م.

العربية. لذلك كان لابد من استقراء الموقف العربي والتأثير فيه قبل الاعتماد النهائي لأية خطة في مواجهة ايران. وفي هذا الاطار في التحديد كانت عملية المسجد الحرام)[1].

ان أرخص شيء عند الدول هو الاتهام والاتهام المضاد وكل ذلك حفاظاً على المصالح.. فمادام كل نظام وكل جهة تتهم فلماذا لايصطاد الروس في الماء العكر اعتماداً على (مصادر مطلعة)!!.. هذه المصادر لا يعلم الروس انفسهم ماهي!.. ويبدو واضحاً مقدار التملق السوفياتي لإيران من خلال سطور البيان لأن الروس كانوا يتوقعون ان تكون ايران التفاحة الناضجة التي ستقع في احضانهم ولكن خابت ظنونهم فيما بعد واصبحوا من الد اعداء ايران ــ كما هم الأمريكان ــ وراحوا يدعمون صدام بالسلاح والمال جنباً إلى جنب مع دول الغرب!

وبعد اتهام السوفيات للمخابرات الأمريكية كان لابد للأمريكيين وآل سعود ان يردوا التهمة ويوجهوها ضد السوفيات!!

فهذه صحيفة نيويورك تايمز تقول كلاماً منسوباً لمصدر سعودي مسؤول نصه: (اعتقد ان الحادث هو تدبير جهة عالمية ربما كانت الاتحاد السوفياتي لنسف الاستقرار في السعودية وانا لا استبعد ان يكون قد تم تدريب هؤلاء في عدن عاصمة اليمن الجنوبية، فهم مدربون على أحدث أساليب حرب العصابات).. وأضافت الصحيفة من عندها: (ان هذه المعلومات التي ادلى بها المسؤول السعودي تتوافق تماماً مع المعلومات التي حصلت عليها المخابرات الأمريكية عن الحادث)[2].

أما فهد (الملك السعودي الحالي) ذو العقل والروح الأمريكية فإنه راح يدافع أيضاً عن أمريكا وقال لزائريه (ان الاتحاد السوفياتي قد تورط في الحادث بحيث ان جميع الأسلحة التي تم الاستيلاء عليها من المهاجمين كانت قادمة من هناك)[3].. لاشك ان فهد قطع الشك باليقين!!، فالأمر عنده مفروغ منه بأن السوفيات متورطون ولم يقل (ربما) أو (قد يكون) كلا فهو أحرص من الأمريكيين على لصق التهمة بالملحدين!! أعداء أمريكا الصديقة!!، والأهم من هذا ان فهد لم يقل بأن الأسلحة من صنع سوفياتي بعضها أو كلها، بل أكد بلفظه (قادمة)، ان الأسلحة جميعها هربت من هناك.. مع ان أغلب السلاح كان أمريكيا ومن مخازن الجيش السعودي!!

موقف الكيان الصهيوني:

تعددت روايات الكيان الصهيوني بشأن حادثة الحرم ولم تثبت على واحدة منها.. ففي أول تعليق رسمي صهيوني ذكرت وكالة اسوشيتدبرس[4] للأنباء ان ناطقاً اسرائيلياً قال: (ان المعلومات المتوفرة تشير بأن المسلحين ليسوا من السعوديين وانهم حجاج ولهم علاقة بصورة غير مباشرة) ثم أضافت اذاعة اسرائيل

---

1 ــ النهار اللبنانية ١٩٧٩/١١/٢٨م.

2 ــ صحيفة القبس الكويتية ١٩٧٩/١٢/١٨م.

3 ــ الرأي العام ١٩٧٩/١٢/٢٠م.

4 ــ وكالة اسوشيتدبرس ١٩٧٩/١١/٢١م.

بصورة متهكمة ساخرة: (لم تكد وكالات الأنباء تعلن عن حادث احتلال المسجد الحرام في مكة المكرمة حتى راحت بعض أجهزة الاعلام العربية تتسابق في الزعم بأن الصهيونية تقف وراء الحادث)[1]!

ثم مالبثت اذاعة الصهاينة ان اتهمت منظمة التحرير (وهي عقدة اسرائيل) بأنها وراء الحادث فقالت: (ان لجنة التحقيق التي كان الملك خالد قد أمر بتشكيلها برئاسة ولي عهده "فهد" لبحث موضوع الاعتداء على المسجد الحرام، توصلت إلى أدلة جديدة حول اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية في عملية تهريب الأسلحة من سوريا ولبنان إلى داخل السعودية عن طريق اليمن الجنوبي)[2]، وكان من الأفضل للإذاعة ان تضيف جملة (مروراً بالجزائر وليبيا)!! واضافت الاذاعة قائلة: (ان اللجنة تقوم بالتحقيق في قيام المخربين بقيادة "جورج حبش" الموجود حالياً في اليمن الجنوبي، بالتدخل المباشر في عملية الاعتداء على المسجد الحرام بمكة المكرمة). واكملت: (وكان زعيم المسلحين المدعو محمد بن عبد الله الذي جرح في رجله اعترف عند القاء القبض عليه بأنه تلقى وجماعته التدريب العسكري في احدى قواعد المخربين باليمن الجنوبي، وان الأسلحة التي استخدموها قد مرت من اليمن الجنوبي إلى السعودية)[3].. مع ان السلطات السعودية اعلنت ان محمد بن عبد الله القحطاني قتل وبالتالي لم يحقق معه.

ولما وصلت درجة الاستهلاك الاعلامي مداها غيرت اذاعة الصهاينة اللهجة فقالت في ١٩٧٩/١١/٢٩م: (طبقاً للمعلومات التي وصلت من اقطار الخليج وشبه الجزيرة العربية بأنه كان من ضمن المجموعة التي هجمت على بيت الله الحرام قبل أيام أفراد ايرانيون وباكستانيون ومن ضمنهم أيضاً أفراد من منظمة الحجاز في السعودية. كما أشارت المعلومات بأن سبب الهجوم كان من أجل الاطاحة بنظام الحكم في السعودية. كما تفيد المعلومات بأن قائد المجموعة هو سني متطرف).. غير ان التحقيقات لم تثبت فيما بعد اشتراك أي فرد من الايرانيين وانه ليس هناك شيئاً اسمه (منظمة الحجاز)!

ومن المهم هنا ان نشير إلى قلق الصهاينة من حادثة الحرم لأنهم ينظرون إلى تصاعد المد الديني او مايسمونه (التطرف الديني!) خطراً على أمن اسرائيل كما ان النظام السعودي المعتدل والموالي للغرب هو افضل الف مرة من أي نظام ديني ثوري، وقد توضح القلق الصهيوني هذا حينما زار وزير الدفاع الصهيوني آنذاك (عزرا وايزمن) واشنطن والتقى بـــ (هارولد براون) وزير الدفاع الأمريكي، و(فانس) وزير الخارجية ليناقش معهما (قضية هامة، وهي قضية الاستقرار في العربية السعودية.. اذ تشير التقارير الواردة إلى واشنطن بأن اسرائيل تشعر ـــ الآن ـــ بأن النظام السعودي معرض لخطر الانهيار) على حد تعبير صحيفة (ديلي تلغراف) البريطانية[4].. ولذا لا يمكن القول بأن اسرائيل رحبت بما حدث في مكة فضلاً عن انها شاركت او قامت بالعملية، لان سقوط النظام السعودي ليس في مصلحتها بأي حال من الأحوال!

---

1 ـــ اذاعة الكيان الصهيوني في ١٩٧٩/١١/٢٣م.

2 ـــ المصدر السابق ١٩٧٩/١١/٢٧م.

3 ـــ المصدر السابق.

4 ـــ ديلي تلغراف ١٩٧٩/١٢/٢٧م.

الأمر المهم الآخر هو ان اتهامات اسرائيل وصحافتها لمنظمة التحرير والدول التي اصطلح عليها انها ضمن جبهة الرفض قد وجدت اصداء لها في الغرب ورددتها بشدة بعد ان اطلق الصهاينة اشاعاتهم.. فقد ذكرت جريدة (الأنباء) الكويتية نقلاً عن صحيفة (واشنطن ستار) الأمريكية قولها: (ان المسلمين الذين اعتدوا على المسجد الحرام في مكة المكرمة تلقوا تدريباتهم في معسكر تابع للفدائين في اليمن الجنوبية ويستدل من تحقيقات أولية مع المسلحين الذين أسروا من قبل القوات السعودية ان المعتدين على المسجد الحرام تلقوا تدريباتهم في نفس المعسكر الذي يتدرب فيه أفراد الجبهة الشعبية التي يتزعمها جورج حبش)[1].

كما نقلت جريدة الجمهورية (الساداتية) عن صحيفة (الأوبزيرفر) البريطانية ان هناك: (علاقة لجورج حبش زعيم الجبهة الشعبية لتحرير فسطين بحادث الاعتداء على الحرم المكي خلال شهر نوفمبر الماضي).. وقالت (الأوبزيرفر) نقلا عن مصادر عربية علياً (ان أحد الجوانب العديدة والغامضة في الوقت نفسه، التي تؤكد هذه العلاقة هو مصدر الأسلحة الأتوماتيكية الحديثة التي استخدمها حوالي "٧٠٠٠" من المتمردين في حصارهم للحرم المكي الشريف)[2].. فهل هذا التوافق صدفة ام ان الهموم التقت عند خط مشترك؟!

الموقف الأوروبي:

لقد تميز موقف فرنسا عن موقف بقية الدول لأن الأولى شاركت عسكرياً في قيادة العمليات ضد جماعة الاخوان وقد صدر عن المشرف على العمليات الفرنسي والمسمى (باريل) كتاباً شرح فيه ابعاد التدخل وضم كتابه[3] مجموعة من الصور لأفراد القوات الخاصة التي يشرف عليها وهم يعتمرون الكوفية والعقال!

ان مما لا شك فيه هو ان الحكومات الأوروبية نظرت إلى أحداث الحرم بشيء من الفزع خوفاً على تدفق النفط وسقوط حليف يشكل عموداً رئيسياً من أعمدة استقرار المنطقة الاسلامية لصالحهم.. لذا ابدت المانيا وبريطانيا استعدادهما للمشاركة في أية عمليات عسكرية لقمع الانتفاضة وراحت الصحف الأوروبية تنذر بالبعبع الاسلامي (المتطرف!!) الذي يهدد منطقة الشرق الأوسط.

والخلاصة هي ان كل دول العالم اتفقت على ادانة العملية واتهمت غيرها من الأعداء او المنافسين بأنهم وراءها وهذا يدلل على ان كل ماقالوه افتراء وكذب وخداع.

الموقف الشعبي:

ابتداءاً يجب ان نثبت هنا ان الموقف الشعبي الداخلي والاسلامي صدم صدمة شديدة تجاه ما حدث.. بسبب رئيسي واحد هو ان الواقعة كانت في بيت الله الحرام، اقدس المقدسات الاسلامية.. وقد تكون الحادثة مدهشة وصادمة للغربيين ايضاً إلا أن نظرتهم السياسية هي المقياس فهم لايهتمون ان وقع الحادث في مسجد (أي مسجد) او مكان مقدس مهما تكن قدسيته وانما كان همهم ومتابعتهم لحجم المعارضة للحكم السعودي الحليف..

---

1 ــ الأنباء الكويتية ١٩٧٩/١٢/٨م.

2 ــ الجمهورية ١٩٨٠/١/٢٨م.

3 ــ اسم الكتاب هو (Messeion Especial).

ومن المنطقي جداً ان تستثار حفيظة المسلمين خاصة وان الاعلام السعودي روج ماشاء من التهم الرخيصة ضد جماعة الاخوان واصفاً اياهم بالزندقة والخوارج والطغمة الشريرة الفاسدة وغير ذلك من التهم.. وإذا ماتابع المسلمون ردود الأفعال الدولية والاقليمية والتحليلات المنطقية وغير المنطقية وفي غياب المعلومات الصادقة والغموض الاعلامي وتشويش الرؤى.. إذا ما تابع المسلمون كل ذلك والأجهزة الاعلامية السعودية تتحدث عن (رهائن) و (دماء) و(دمار المسجد الحرام) وغير ذلك.. في ظل هذه الأوضاع سيكون الحكم قاسياً ضد الاخوان..

فرغم اعتقادنا ان هناك اخطاء معينة على صعيد الاستراتيجية والتكتيك قد شابت عملية الحرم ومع ان الدخول المسلح إلى الحرم له سابقة تاريخية حينما دخله عبد الله بن الزبير فراراً من جيش الحجاج بن يوسف الثقفي مما أدى إلى محاصرة المسجد ورميه بالمنجنيق.. ورغم ان السلطات السعودية هي التي ابتدأت بالقتال ودمرت صوامع المسجد وقصفت المآذن واستقدمت الخبراء النصارى وازهقت العديد من أرواح الحجاج..

رغم هذا كله.. فإننا يجب ان نعلم بأن السلطات السعودية هي المسؤول الأول عن نشأة الحدث وهي المسؤول الأول عن نتائجه كما ان الأسرة المالكة لا تراعي حرمة للمسجد الحرام لأنها عملياً نفذت مبدأ كون الحرم ــ كغيره من الأراضي ــ خاضع لسيطرة السلاح بحيث لم يكن هناك أمان فيه لمن لا يتبع اهواءها، ولم تكن الأسرة بحاجة في اقتحام الحرم إلى ذريعة لانها تنتهكه كل يوم وتدخل جنودها في فضاء الكعبة عند المسعى والمطاف وتضع شرطتها بأسلحتهم وعصيهم عند الحجر الأسود.. ولو افترضنا ان الجماعة اخطأت بدخولها إلى الحرم فلماذا تنتقد ذلك الأسرة الحاكمة طالما انها دخلت هي الأخرى بالدبابات والمدافع والطائرات؟ فمن يكون المنتهك الأكبر في مثل هذا العمل؟!

وبسبب الاعلام السعودي الفاسد ونصيره الاعلام الأجنبي وبسبب عزف آل سعود على وتر (تدنيس الحرم) رغم انهم أكبر المدنسين والمنتهكين له.. وقف الرأي العام الاسلامي ــ في مجمله ــ موقفاً يميل إلى الجانب السعودي بشكل كبير.. إلا أن هذا لم يمنع ان يجد القائمون بالعملية من يتعاطف معهم في الداخل والخارج..

١/ ففي الداخل كان للجماعة امتداداتهم ومؤيديهم في مختلف المناطق، وكان لهم اعوان في الجامعات ومن رجال الدين كما كان لهم مؤيدون في صفوف الجيش والحرس الوطين الذي ساعدهم أما بالاشتراك معهم أو بالامتناع عن مقابلتهم لدرجة ان عمليات عسكرية واسعة النطاق قد وقعت في المدينة المنورة داخل معسكرات الجيش مما استدعى محاصرة هذه المعسكرات بواسطة قوات خاصة من الحرس الوطني وهدد الجنود بأنهم سيقتلون رمياً بالرصاص ان هم خرجوا من عنابرهم إلى ساحة المعسكر.. وقد أصيب بالفعل عدد من الجنود والضباط وسقط عدد آخر منهم قتلى بالرصاص.

٢/ وفي منطقة عسير العسكرية كان يتوقع وصول امدادات بواسطة طائرات كانت مرابطة في قاعدة خميس مشيط العسكرية الجوية لذلك أمرت الأسرة المالكة بإسقاط كل طائرة قادمة من الجنوب متجهة إلى مكة، وقد سبب ذلك في اسقاط طائرة باكستانية مدنية من طراز بوينج (٧٠٧) في حادثة شهيرة فوق جبال الطائف بواسطة المدفعية الحكومية المضادة للطائرات وكان عدد الضحايا (١٥٦) راكباً وقد وقعت العملية بتاريخ ١٩٧٩/١١/٢٦م.

٣/ وعبر الموقف الشعبي الداخلي عن الحادثة بأن خرجت مظاهرة عفوية ضد آل سعود في مدينة جدة قدر عددها بعشرة آلاف شخص.. وهذا التعبير يعتبر أقوى دليل على وجود المتعاطفين الذين وصل بهم الحد إلى الخروج في مظاهرة قد تكلف حياتهم في بلد يحكمه الاستبداد السعودي.

فقد ذكرت الأنباء ان المظاهرة ضمت عشرة آلاف شخص انطلقت في مدينة جدة بتاريخ ١٩٧٩/١١/٢٤م منددة بالاعتقالات السعودية التي جرت بعد الاعلان عن حادث الحرم واعلنت عن تعاطفها مع جماعة المرحوم جهيمان، لكن السلطات السعودية مالبثت ان فرقتها واعتقلت قوات القمع ما استطاعت من الأفراد..

والطريف هنا ان الاذاعة السعودية (اذاعة الرياض) اذاعت خبر وقوع التظاهرة وجيرتها على أساس انها قامت تأييداً للحكم السعودي ثم تضيف الاذاعة بفخر!! (ان التظاهرة تمت دون ان يقع أي حادث عنف خلالها). وبعد ذلك سارع وزير النفي السعودي (محمد عبده يماني) إلى ان ينفي الخبر جملة وتفصيلا بعد ان تبين بطلان مزاعم آل سعود وقالت الصحف السعودية[١]: (نفي معالي وزير الاعلام الدكتور محمد عبده يماني تظاهر عشرة آلاف شخص في جدة أمس الأول احتجاجاً على اقتحام المسجد الحرام وقال معاليه: ان هذا الخبر لا أساس له من الصحة)! فطالما انه لا أساس له من الصحة فلماذا قامت اذاعته بتأكيده واثباته؟! أليس هذا دليلاً على بطلان كلام اليماني، إلا يثبت هذا للمرة الألف ان الاعلام السعودي اعلام مفتري كاذب ومخادع؟!

٤/ لقد تعاون اهالي مكة مع ثوار الحرم لدرجة ان مجلة (دير شبيغل) الألمانية نقلت على لسان ضابط سعودي كبير قوله: (ان اهالي مكة كانوا ينتظرون تلك اللحظات الحاسمة ليثوروا ضد حكم آل سعود المكروهين)[٢].. وقالت المجلة ــ آنفة الذكر ــ موضحة كيف ان أفراد الجيش يتعاطفون مع الثوار ان (قائد قاعدة الرياض الجوية قال: أنني اعلم بأن ضابطاً شجاعاً سيحتل موقعي قسراً، وذلك أثر انقلاب.. ورغم ذلك فإني لن ادع جنودي يقتلون من أجل أمراء مرتشين وفاسقين)[٣].

٥/ وتعاطفت الحركات السياسية في البلاد مع الحادثة وحاولت قدر الامكان شرح أهداف عملية الحرم للرأي العام كما أصدرت بيانات واتصلت بوكالات الأنباء والصحف حتى ان المناضل ناصر السعيد سافر إلى بيروت لهذا الغرض إلا ان يد الخيانة السعودية اختطفته بواسطة رئيس مخابرات فتح السابق (أبو الزعيم) وذلك بتاريخ (١٩٧٩/١٢/١٧م) ولا يعلم مصيره حتى الآن.

٦/ وفي الكويت كان هناك تعاطف وهو ما أوضحناه في سرد مجمل ردود الفعل حيث اعلن عدد من الشباب تأييدهم لجهيمان وللعملية بل والأكثر من هذا القى الاستاذ اسماعيل الشطي رئيس تحرير مجلة المجتمع الكويتية محاضرة اعدها الاتحاد الوطني لطلبة الكويت قال فيها: (لا نود ان ندخل في سيل الشماتة

---

1 ــ الصحف السعودية ١٩٧٩/١١/٢٦م.. وانظر السفير ١٤٠٠/١/٦هـ.

2 ــ دير شبيغل ١٩٧٩/١٢/١٠م.

3 ــ المصدر السابق.

كما عمل البعض الذين اتهموا مقتحمي الحرم بالجنون والخوارج وغيرها لأن من قال ذلك يتحمل دماءهم امام الله)[1].

وقد حدث تعاطف لدى الكثير من المثقفين والمتدينين في أقطار الجزيرة العربية وفي مصر، خاصة وان اجراءات اقتحام القوات السعودية للحرم وقصفه بالمدافع والطائرات والدبابات، قد أثارت الكثير من المسلمين، وان لم تظهر ردات فعلهم بشكل جماعي، او تظهر في اعمدة الصحف ووسائل الاعلام التي يمتلكها اعداء الاسلام!

ويكفي ان قطاعاً كبيراً من المواطنين وغير المواطنين حمل الحكومة السعودية مسؤولية ما جرى في مكة لدرجة ان مجلة نيوزويك قالت بالحرف الواحد: (اما مثقفو العربية السعودية فإنهم يشدون بقوة في الاتجاه المعاكس ويتهمون النظام بأكمله محملينه مسؤولية العملية. وقد قام مؤخراً فريق من طلبة جامعة الرياض ــ الملك سعود ــ بنقد وزير التخطيط المتعب حول الثغرات الموجودة في برنامج التحديث. كما انهم وجهوا النقد للأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية حول العمل الأخرق الذي قامت به السلطات في مكة)[2].

الفصل الثاني عشر

نتائج الانتفاضة

لقد أفرزت انتفاضة الحرم ومارافقها من تظاهرات قرب حقول النفط في مدن وقرى المنطقة الشرقية من البلاد، نتائج ايجابية كثيرة ساعدت وستساعد على تنمية الحركة المعارضة (الاسلامية منها بشكل خاص) مقابل الحكم السعودي الباغي، كما كشفت النظام السعودي على حقيقته امام العالم.. ومن أهم نتائج هذه الانتفاضة ما يلي: ــ

(أولاً)

الاعتراف بمسببات الانتفاضة:

لقد صنع النظام السعودي لنفسه هالة لا أحد يستطيع ان يقترب منها وكان يجد نفسه (معصوماً) عن الخطأ، وقد عزز هذه الهالة الانفاق المالي الضخم على وسائل الاعلام من أجل تلميع رجال الأسرة المالكة الذين لايحبون ان تسلط الأضواء على اخطائهم وفضائحهم ومشاكلهم وتجاوزاتهم.. ولذا كان النظام يغلف نفسه بأكثر من رداء، فمن رداء الدين إلى رداء النفط، إلى رداء الصخب الاعلامي والمديح لئلا يكون الأمراء موضع حديث للعامة ولذا تراهم يعلنون التدين والاسلام ويحاولون قدر الامكان ان يبدوا انفسهم

---

1 ــ صحيفة الوطن ١٩٧٩/١٢/٢م.

2 ــ مجلة نيوزويك ١٩٨٠/٣/٣م.

بوسيلة لا تأخذ عليهم أية ممسك يدينهم.. وفي الوقت ذاته وبصورة مغايرة ينزوون في قصورهم ويتمتعون بملذاتهم الحسية الرخيصة ويمارسون كل المحرمات في السر..

ومن جانب آخر حاول رجال الأسرة المالكة تركيز فكرة ان ما يفعلونه هو الصحيح فسياستهم الاعلامية صحيحة ونهجهم المبتذل في عرض الاسلام هو الصحيح وسياستهم النفطية والداخلية والخارجية والتنموية ليس عليها أي شبهات.. وبالتالي فكل شيء على مايرام!!

لكن الانتفاضة في الحرم والمنطقة الشرقية طرحت تساؤلاً عن مسببات الثورة؟

واجاب رؤوس النظام بأن هدف المعتصمين لا يعدو (كلام فاضي) كما قال (فهد)! واحياناً يتحدثون عن اهداف المعتصمين بأنها (لسفك الدماء) و(وترويع الآمنين) و(مبايعة المهدي المزعوم)!!.

ويعاد السؤال مرة أخرى: لماذا أراد هؤلاء ان يسفكوا الدماء ويروعوا الآمنين كما قال الأمراء؟! وهل هؤلاء تستهويهم مناظر الدماء والخراب، لأجل الدماء والخراب؟، فقاموا بما قاموا به؟!

لقد أوضحنا ان رؤوس النظام حاولوا جاهدين ان يجردوا عملية الحرم من اهدافها الدينية والسياسية وحصرها في عدة جمل طابعها الشتم والسخرية ليس إلا.. ولم يجيبوا على مسببات الانتفاضة بل لم يتطرقوا اليها من قريب أو بعيد.. لأن كشف الأهداف يستتبعها بالضرورة كشف المسببات وكشف المسببات يستتبعه النقد اللاذع وتعريض صورة آل سعود التي رسموها بريشة النفط في مخيلة الرأي العام المحلي والعالمي.. وهذا لايمكن ان يفصح به آل سعود خاصة في ظروف هجوم قوات السلطة على الحرم وقبل ان تنهي الحادث..

وبعد النهاية المأساوية التي نتجت في مكة المكرمة بدأ آل سعود يتحدثون عما يسمونه (النقد الذاتي).. وفي الواقع انهم لم ينتقدوا انفسهم كمسبب رئيسي للفساد والمشاكل كما حملوا موظفيهم الصغار بعض قصورهم وضعفهم.

أ/ الاعتراف بفساد الأسرة المالكة:

قبل وقوع حادثة الحرم حذر الغربيون ان الأسرة المالكة السعودية تسير على خطى شاه ايران (المقبور) من حيث الفساد، ان لم يكن فساد آل سعود أكبر بكثير من فساد الشاه وحاشيته.. وقد توقع الغربيون انه إذا ما استمر الفساد على حاله، فإن اضطرابات سياسية واجتماعية لابد وأن تحدث في العربية السعودية بشكل قد يؤدي إلى نهاية حكم العائلة المالكة..

فقبل ثمانية أشهر تقريباً من وقوع الحادثة حذرت مجلة التايم من تكرار آل سعود لتجربة الشاه وقالت: (أن السعودية تحتذي مساراً فاسداً مشابها للمسار الايراني مما سيولد أخيراً استياءاً اجتماعياً).. وأضافت المجلة حديثاً للسفير الأمريكي الأسبق في جدة (ايكنز) أوردته في سياق الاستشهاد بما قالت حيث حذر السفير من مغبة المخاطر التي تنتج عن الفساد السعودي واقترح بأن ترسل الإدارة الأمريكية تحذيراً للحكام السعوديين: (ان أكثر الجهود أهمية هو السيطرة على مظاهر الفساد لأنها كبيرة جداً فيجب قطع أجور الوسطاء الاستثنائية، وهم وسطاء يتعاملون بالرشوة ويمكنك ان تشير لهم بالبنان لأن هذا الموضوع هو محور حديث الناس قاطبة ولأن ظاهرة الفساد هذه ستسبب اضطرابات اجتماعية، ثم طالب ايكنز (بضرورة

ارسال مبعوث أمريكي لتحذير الملك خالد أو ولي العهد الأمير فهد من مغبة الفساد)[1].. ان هذا التحذير يبعث على الأسى حقاً.. فإذا كان الأمريكيون والغربيون اساتذة الفساد واساطين الانحراف تضايقوا من الفساد السعودي فإننا نتساءل عن حكايات (تطبيق الاسلام) و (خدمة الحرمين الشريفين) و (حماة الكعبة) الذين ينصحهم المفسدون بالكف عن الفساد!

ويبدو ان آل سعود لم يستفيدوا من النصيحة الأمريكية ربما لأنهم غير قادرين على تغيير سلوكياتهم الرخيصة لأنهم شبوا وشابوا عليها ولذا لم تتأخر الانتفاضة سوى أشهر قليلة حتى جاءتهم كالطوفان..

وكانت اللوموند الفرنسية من أوائل الصحف التي أشارت إلى أن فساد العائلة المالكة وتبذيرها للأموال كان من مسببات الانتفاضة.. فقد نسبت الصحيفة إلى شخصيات عربية مقربة من آل سعود قولهم: (ان هؤلاء ــ المعتصمين في الحرم ــ قد يكونون تأثروا من تدهور اخلاق العائلة المالكة ومن تبذير العائدات النفطية)[2].. وهذا صحيح بشكل قاطع لأن جهيمان نفسه خطب في المسجد الحرام في صبيحة ١٩٧٩/١١/٢٠م متعرضاً لفساد آل سعود خاصة (فواز) الذي كان أميراً لمكة وتساءل جهيمان بأنه كيف يحق لمثل هذا العربيد ان يكون أميراً على الديار المقدسة.

وقد سبق لصحيفة اللوموند ان اشارت إلى فساد آل سعود وكيف انهم لايحترمون احكام القرآن رغم زعمهم انهم يطبقونه فقالت: (والواقع وبحجة احترام الشعور القومي والديني للشعوب العربية والمسلمة فإن غالبية النظم القائمة تزعم انها تطبق المفاهيم القرآنية بشكل تام. لكن موقف الحكام يتعارض ويتضاد غالباً مع القواعد التي يرون الأكثرية تحترمها. واليكم بعض الأمثلة: ففي العربية السعودية لا توجد دور سينما إلا أن الأمراء يستأجرون بأسعار خيالية الأفلام التي تصنع في باريس ولندن ونيويورك ليشاهدوها في حدائقهم أو قصورهم بينما يسكب الويسكي والشمبانيا امواجاً، في حين ان مواطنا عادياً يقبض عليه وهو يشرب كحولاً يعاقب بما ينص عليه الكتاب الكريم ــ القرآن ــ من عقوبات. وهناك وجهاء واغنياء يسافرون إلى القاهرة والعواصم الأوروبية ــ منذ أن دمرت بيروت بسبب الحرب الأهلية ــ حتى يحصلوا على عاهرات، أو ينطلقوا بجنون في مضمار العاب القمار المحرمة في الشريعة القرآنية)[3].

واعترف الملك خالد لزواره بالفساد، وقال ان الله عاقبهم بانتفاضة الحرم[4]: (ربما كان رد الفعل حول موضوع الفساد من جانب الملك خالد، الأكثر تحسساً وإشارة إليه. وقد تكلم بصفة الحارس الأمين للعتبات المقدسة وعبر عن شعور بأن العربية السعودية قد عوقبت بسبب ارتكابها خطأ).. لا، ليس العربية السعودي هي التي ارتكبت الخطأ، بل العائلة المالكة الفاسدة والمفسدة، فكان الحدث عقاباً لها، وسوف يتلوه العقاب الأكبر في الدنيا باجتثاث جذورها، وفي الآخرة لها عذاب اليم.

---

1 ــ مجلة التايم ١٩٧٩/٣/١٢م.

2 ــ اللوموند ١٩٧٩/١٢/٢,٣م.

3 ــ المصدر السابق ١٩٧٩/١١/٢٦م.

4 ــ صحيفة الفايننشال تايمز ١٩٧٩/١٢/٧م.

ومن جهته اعترف (فهد) بفساد عائلته، وان الناس يعرفون بأنها فاسدة، جاء ذلك في مقابلة له مع رئيس تحرير صحيفة السفير البيروتية[1]، حيث قال: (ان الكثير يصوروننا على أننا دولة أمراء وبس، والحقيقة ان أي أمير لايستطيع ان يأمر بصرف قرش واحد من خزينة الدولة، او من أي مجال آخر، لكن هذه الشائعات رسخت في الأذهان عنا. ان عائلتنا كبيرة كما تعرفون، وهي تتكون من حوالي أربعة آلاف شخص، بل لعلهم أكثر.. أي انها قبيلة بحالها، ولا يمكن ان يكون ابناء العائلة جميعاً من مستوى واحد).. جاء هذا ضمن الحديث عن مسببات اشتعال الانتفاضة وغضب الجمهور من آل سعود.

بعد هذا قال رئيس التحرير معقباً: (لكن من الضروري الاعتراف أنه نشأ ولفترة طويلة إدغام كامل بين الأسرة والمملكة، أي الدولة)!، فأضطر فهد إلى ان يعترف (هذا صحيح).. فما كان من رئيس التحرير (طلال سلمان) إلا ان قال: (أي ان الأمراء أو بعضهم كان يتصرف وكأن المملكة ملكه الشخصي؟)!.. وهنا لم يشأ فهد ان يعترف كاملاً، فقال ان ذلك كان يحدث في الماضي، بينما الحقائق تؤكد انهم (أي آل سعود) في الماضي والحاضر والمستقبل، وسواء كان قبل الانتفاضة او بعدها، وجاء هذا من الملك أو ولي عهده أو من الأمراء الصغار، تؤكد الحقائق انهم يعتبرون البلاد والعباد والثروات ملكهم الشخصي، بحيث لا يحق لأحد مناقشتهم.. لقد قال فهد: (لعل ــ لاحظ كلمة لعل!! ــ هذا كان قائماً في السابق، ولعل الصورة بقيت ثابتة في أذهان الناس عنا، وافترضوا ان الأمير يستطيع ان يفعل ما يريد، بغير ان يتعرض لأي حساب. لكن الحقيقة ان الأمير لايستطيع ان يفعل ما يريده، والله ما يصنع مثل ما يريد. وأقول لكم أكثر، ان اكثرنا كعائلة، لا يتمتع بواحد في المائة مما يتمتع به الكثير الكثير من المواطنين لا من ناحية السكن ولا من ناحية المعيشة. انظروا إلى بيتي ــ يقصد قصري ــ هذا هل يوجد أي شيء غير عادي. ان بعض طبقات المواطنين تعيش في بحبوحة من العيش أكثر ــ بما لايقاس ــ من الأمراء. لكن من الصعب تغيير الصورة الثابتة)[2].

كلام كله كذب ودجل وحلف بالله على الباطل فهل هناك عاقل يصدق ان العائلة المالكة لا تتمتع بواحد في المائة مما يتمتع به الشعب المنهوب حتى النهاية؟! ولماذا لا يستطيع فهد ان يغير صورة عائلته المنطبعة في أذهان الناس؟! أليس لأن هذه العائلة لاتزال في غيها وفسادها وانحطاطها؟! وهل يحق لفهد ان يتألم ويتأفف من المواطنين لأنهم يحملون صورة عن عدم نزاهة عائلته وهو رأسها الفاسد الذي شهدت له مواخير الغرب وكازينوهات القمار بالريادة والسبق؟! اليس من الأصلح له ان يصلح نفسه أولا ثم يصلح عائلته حتى لا ترتسم صور سيئة عن الأمراء الفاسدين؟.

ومرة أخرى يعترف فهد لصديقة سليم اللوزي بالفساد.. فقد تجرأ هذا الخادم الوفي على سيده كما تجرأت الصحف الأخرى فأخذ يسأل عن أشياء ما كان أحد من الصحفيين يجرؤ على طرحها لولا وقوع انتفاضة الحرم فأسقطت هيبة النظام ورموزه الأمراء من اعين الأصدقاء قبل الأعداء. وها هو فهد هنا يعترف للوزي بفساد اسرته، في مقابلة نشرتها مجلة الحوادث بتاريخ ١٩٨٠/١/١١م على النحو التالي: يسأل

---

1 ــ السفير ١٩٨٠/١/١٠م.

2 ــ المصدر السابق.

سليم اللوزي (فهد) قائلاً: (الا ترون يا صاحب السمو ان مشاركة الأمراء والوزراء والمسؤولين وأولادهم في مناقصات الدولة يخلق مناخاً مضراً بسمعة الدولة في الداخل والخارج؟ هل تنوون عمل شيء في هذا الموضوع؟).

فهد: (أفراد العائلة المالكة في السعودية ليسوا مائة أو مائتين بل بضعة آلاف وبالتالي فليس في الامكان ان يكونوا كلهم موظفين في الدولة او مسؤولين فيها.. فهل يمكن منع الذين خارج السلطة من تعاطي التجارة الحرة؟ اما الذين داخل المسؤولية والسلطة فلا يحق لهم ممارسة أي عمل تجاري. وهذا ينطبق على الأمراء كما ينطبق على الوزراء).

سليم اللوزي: (ولكن الذي يجري مختلف عن هذه الروح.. لقد قرأت في جريدة "ام القرى" "الجريدة الرسمية للدولة السعودية" عن تأليف شركة اعضاؤها مجموعة من أولاد بعض الوزراء والطريف ان بعضهم لم يتجاوز التاسعة من عمره وهذا يعني ان الشركة سيديرها الآباء بإسم الأبناء، الا يعتبر هذا استغلالاً للنفوذ؟).

فهد: (تنبهت لهذه الواقعة في "أم القرى" وسنعالج هذا الموضوع فلا يجوز بأي حال من الأحوال ان يحدث مثل هذا الاحتيال على القوانين. المشاكل كثيرة من هذا النوع. وكلما تعرضنا لمشكلة منها سنمنعها ونمنع أي شخص يريد استغلال السلطة بواسطة قريب او ابن.

لقد سمحنا في الماضي للمسؤولين بالمساهمة في الشركات على أن لا يكونوا في مركز رئيس شركة، في موقع يستطيع استغلاله سلطاته. كلما نريد تحقيقه هو خلق جو في البلاد تتعادل فيه الفرص بين الناس، واي خلل في هذه المعادلة، واي محاولة لاستغلال النفوذ والسلطة سنتصدى لها بقوة القوانين).

سليم اللوزي: (والسفه ياسيدي.. السفه في استعمال المال، وهذره على الملذات السخيفة، والتبذير الجاهل الأحمق.. هل سمعت بالمسؤول السعودي في مؤسسة "بترومين" الي استأجر طائرة دعا اليها اصدقاءه وزوجاتهم لقضاء عيد رأس السنة في باريس، وهل سمعت عن ذلك المسؤول السابق الذي فعل نفس الشيء ولكن الدعوة كانت إلى لندن)؟!.

فهد: (سمعت، وآلمني ما سمعت هذا النوع من السفه اصبح ظاهرة مرضية لابد من معالجتها. وأنا أفكر في وضع تعليمات تلصق بجوازات سفر السعوديين تذكرهم عندما يخرجون من المملكة إلى انهم ينتمون إلى بلد مسلم له تقاليده وله مكانته وله سمعته، وان عليهم واجب صيانتها ولن نكتفي بالتعليمات والتوصيات، بل سنقيم رقابة على هذا النوع من السفه والخروج على المألوف. لقد سمعت ان بعض من الاثرياء يظهر في الملاهي في باريس ولندن ويغرق المغنين والراقصات بأوراق النقد.. هل هذا شيء يمكن السكوت عليه؟ المال سلاح، على من يقتنيه ان يحسن استعماله لا ان يعبث به ويجرح سمعته وسمعة بلده واهله).

وإذا نسينا كل هذا فإننا لا ننسى يا فهد ما قالته صحيفة (الغارديان) البريطانية، عن أثر زندقة الأمراء وفحشهم في تخريب البلاد وإشاعة الفساد، ومحو لمعالم الدين.. لقد قالت هذه الصحيفة وهي تتحدث عن آثار برامجك التنموية الفاسدة بأن: (الملاحظ في الوقت الحاضر هو تعرض الدول الذي لعبه المذهب الوهابي

المتزمت في توحيد شعب المملكة، تعرضه لعملية اجتثاث بفعل الضغوط التي ولدتها عملية استخدام أموال النفد لتحديث مرافق الحياة في البلاد، وبفعل الآثار التي خلفها زندقة وفساد عدد كبير من الأمراء)[1].

واقرأ يافهد ايضاً، ماقاله اصدقاؤك الأمريكيون عنك وعن اخوانك فها هي مجلة (نيوزويك)[2] تكتب تقريراً عن الفساد السعودي بعد حادثة الحرم بعنوان: (العربية السعودية: ركيزة أمن الولايات المتحدة المتزعزعة)، فتقول تحت عنوان جانبي (الفساد): (ان اعظم خطر يهدد العائلة المالكة مايزال الخطر الذي يمكن أن يأتي من داخلها بالذات، ان انفجار الموارد النفطية قد جعل من حوالي "٨٠" أميراً سعودياً مليونيراً كبيراً، وسبب ذلك تفشي الفساد كالوباء كما زاد من التبذير والفضائح. ويبدو ان الملك خالد مستهلكا غير بارز نسبيا، مع انه يمتلك يختاً طوله "٢١٢" قدم، وثمنه "١٢" مليون دولار كما يملك طائرة بوينج "٧٤٧" قيمتها "١٥٠" مليون دولار وهي مجهزة بجناح خاص لجراحة القلب. أما المبذرون الحقيقيون فيمتلكون أساطيل من الطائرة النفاثة الخاصة "جمبوجت" ويملكون قصوراً ضخمة في كل انحاء الرياض وجدة).. وتضيف نيوزويك: (أما الفساد فقد أصبح مستوطناً، واستشرى الابتزاز من الباعة الأجانب، وقد بلغ احد الابتزازات مؤخراً "٢٠٠" مليون دولار. كما اتخذت ترتيبات منحت فيها العائلة المالكة أرضاً لأمير لم يلبث ان باعها بعد ذلك بثمن ضخم جداً إلى الحكومة لأغراض التنمية.. وهذا ما حدا بسفير أمريكي ــ لم تذكر المجلة اسمه ــ إلى القول: (ان في وسع البلاد السعودية ان تستوعب الكثير من الفساد، إلا ان لذلك حدوداً) وأضاف: (إذا لم توضع العائلة المالكة تحت المراقبة والاشراف فقد تضعف)[3]! أي ان فساد آل سعود تجاوز حد المعقول بمنطق الغرب الفاسد والمفسد، فكيف بمنطقنا واعرافنا نحن المسلمين؟! وإذا كان الغرب يطالب بالأشراف على آل سعود حتى لا يتجاوز فسادهم حدود الخيال، ويعاملهم كما يعامل الأطفال (القصر) الذين يحتاجون إلى المراقبة فكيف يسمح المسلمون لآل سعود بالعبث بثروات الأمة ومقدساتها ودينها وشرفها وكرامتها؟!.. ان ذلك مالا يقبله مسلم موحد في مشارق الأرض ومغاربها.

وإذا كان فهد بتعبير مجلات الغرب (بلاي بوي اسطوري)[4] وانه مقامر كبير (سبق له ان خسر مليوني دولار على طاولة القمار في مونت كارلو.. وبعد ان اصبح ولياً للعهدعمل له كازينو خاصاً به في بيته لممارسة لعب القمار)[5]، إذا كان هذا هو حال فهد، رأس النظام السعودي المنافق بالدين والمتزعم حماية الحرمين الشريفين والديار المقدسة، فكيف سيكون حال الأمراء والأميرات الآخرين؟!

انهم على منوال فهد في فسقه وفجوره وتعديه، ولهذا أصبحت البلاد موطناً لحالات الفساد المستعصية، حيث ظهرت فيما بعد بيوت الدعارة المقنعة، وصارت المخدرات تباع في الشوارع وانتشرت محلات بيع

---

1 ــ الغارديان ١٩٨٠/٢/٤م.

2 ــ نيوزويك ١٩٨٠/٣/٣م.

3 ــ المصدر السابق.

4 ــ المصدر السابق.

5 ــ المصدر السابق ١٩٧٨/٣/٦م.

أشرطة الفيديو بأفلامها الجنسية الخليعة، وتجاوز الاعلام السعودي حدوده فأصبح كل شيء مباحاً في ظل الحكم السعودي الأسود!

ب ــ الاعتراف بفساد السياسة النفطية والتنموية:

بلغ الانتاج النفطي السعودي ابان قيام انتفاضة (المحرم) في مكة المكرمة والمنطقة الشرقية، وحسب الاحصائيات الحكومية (٩,٥) مليون برميل يومياً، اما الاحصائيات التي أوردتها الصحافة في ذلك الحين فإنها تفيد بأن الانتاج وصل في بعض الاحيان (١٣) مليون برميل في اليوم.. فيما تحدث أوساط المعارضة الاسلامية عن بلوغ الانتاج إلى (١٥) مليون برميل يومياً، وهو الرقم الذي اعترف به فهد ابان الأزمة النفطية في مطلع عام ١٩٨٦م.

وبغض النظر عن هدف هذه الزيادة في الانتاج السعودي فإنها جاءت مترافقة مع انتصار الثورة الاسلامية في ايران، وما نتج عنه من تخفيض في الانتاج الايراني ثمن قفزت الأسعار فأرادت السعودية ان تغرق السوق بالنفط وتعوض نقص النفط الايراني حتى لا ترتفع الأسعار.. وقد اعترف احمد زكي يماني، وزير النفط السعودي وان كان الاعتراف متأخراً، اعترف في تصريح له لصحيفة الشرق الأوسط السعودية بتاريخ (١٩٨٦/٦/٢٦) بأن: (السعودية هي التي رفعت من انتاجها النفطي في أواخر السبعينات لتفادي ارتفاع أسعار النفط)!!

وبالطبع لم تكن السياسة السعودية النفطية المبذرة في الانتاج والمطالبة بخفض الأسعار تخدم احداً سوى الغرب وشركاته..

* فقد سبب هذا الفعل الأزمة النفطية، حيث هبطت الأسعار إلى ان وصلت حدود سبعة دولارات للبرميل، ضمن أزمة لم تعرفها بلدان الأوبك في تاريخها ابداً.. وقد ابتدأت الأزمة منذ عام ١٩٨٢م.. وكانت السعودية وحتى عام ١٩٨٤م لم يقل انتاجها عن سبعة ملايين برميل يومياً.

* وعلى الصعيد الداخلي، فإن الشعب لم يكن ليقبل بهذا التبذير الخياني لثروته، وثروة الأجيال القادمة.. فالبلاد يكفيها ــ كما قال أمراء آل سعود وموظفوهم ــ انتاج خمسة ملايين برميل يومياً.. فيما ذهب بعض الاقتصاديين إلى أن البلاد يكفيها انتاج مليوني برميل. خاصة وان البلاد لا تستطيع استيعاب رؤوس الأموال القادمة من عائدات النفط، وهذا دفع بآل سعود إلى وضعها واستثمارها في البنوك الأمريكية وضمن سندات الخزانة الأمريكية بدلاً من استثمارها في البلاد العربية والاسلامية.

* وتبع الانتاج النفطي، تبذير شنيع بالعائدات على المشاريع الهامشية وازداد الفساد والسرقة والرشوات وتوجهت أموال الشعب إلى جيوب الغرب مقابل مواد الاستهلاك أو مقابل العتاد والسلاح الذي لا يلبث ان يصدأ دون ان تمسه الأيدي.

* وقد تبين بالفعل ــ وحينما حلت الأزمة النفطية ــ ان آل سعود لم يكونوا مستعدين لها، ولم تكن البلاد هي الأخرى مستعدة لها.. وان جل ما فعله آل سعود هو تعويد الشعب على الاستهلاك دون الانتاج ودونما وجود قاعدة انتاجية غير النفط.. لدرجة ان احد المواطنين الاقتصاديين قال: بأن مردودات النفط

كانت قادرة على صناعة دولة حديثة منتجة، الا اننا لم نستفد من ثروات النفط بالشكل المطلوب. وقد نشر هذا في الصحف السعودية بتاريخ ١٩٨٥/٣/٢٥م.

* وإذا تركنا هذا كله فإن آل سعود، حينما وضعوا خططهم (التنموية) لم يراعوا فيها من قريب أو بعيد بإنسان البلد، ولا بالحالة الاجتماعية أو السياسية، وتصوروا ان المال يحل كل شيء فكانت الخطط فاشلة، وقد اعترف المسؤولون بذلك بل ان بعض الاقتصاديين الغربيين من الذين وضعوا هذه الخطط المنقولة عن الغرب، طالبوا بإيقافها والبدء بخطط جديدة.

ولا يمكن على أية حال ــ ان ننسى ماافرزته خطط التنمية من أمراض اجتماعية تفوق حد الوصف، وقد انتقلت كل هذه الأمراض وتأصلت خلال فترة زمنية وجيزة، فكانت بحق اعظم كارثة حلت على البلاد ومواطنيها، ولايوازيها في الضرر شيء على الاطلاق.

وحادثة الحرم، كانت في بعض جوانبها رد على حالة التغريب والافساد التي احدثتها خطط التنمية، كما ان فساد السياسة النفطية السعودية، وعدم مراعاتها للمصالح الوطنية، او مصلحة المسلمين، وانما مراعاة مصلحة الغرب الصليبي عدو المسلمين، ادت فيما ادت إلى اشعال فتيل الثورة ضد آل سعود.

وبالرغم من حالة الاستياء عند الاخوان من سياسة آل سعود تجاه خططهم الافسادية في المجال الاجتماعي والنفطي، إلا أن نايف اجاب على سؤال حول أهداف عملية الحرم بأن (النفط) لم يكن سبباً: (اما ما يتعلق بالبترول فلم نسمع شيئاً عنه)[١].. وبالطبع فإن أمثال نايف لا يسمعون إلا المديح من البطانة المتزلفة الفاسدة.. اما من ينبههم إلى الاخطاء فكلامه يذهب ادراج الرياح.. فالبعيد والقريب كان يتحدث عن تبديد ثروات النفط وعوائده، إلا أن آل سعود لايسمعون.. جريدة اللوموند اشارت إلى هذا بقولها: (ان هؤلاء قد يكونوا تأثروا من تدهور اخلاق العائلة المالكة، ومن تبذير العائدات النفطية)[٢].. وقالت اللوموند في موقع آخر[٣] تحت عنوان (الاصولية، انتقام التاريخ): (لا يستطيع رجل الشارع ان يفهم ان بعض منتجي النفط، ولا سيما العربية السعودية، يلعبون لعبة الولايات المتحدة الاستراتيجية، ويودعون رساميلهم في المصارف الغربية، وعلى وجه التفضيل الأمريكية منها عوضاً عن ان يقوموا بمساعدة اكبر لاطلاق البلدان العربية او الاسلامية المحرومة من الهايدروكربونات). وعلقت صحيفة الفايننشيال تايمز[٤] على احداث الحرم مشيرة إلى عامل الضغط على آل سعود ليغيروا منهجهم في السياسة النفطية: (وفي مدى ابعد، فإن الاحداث التي وقعت في الأسابيع القليلة الماضية، قد اعطت دفعاً للمحافظين ضمن العائلة المالكة ومستشاريهم الذين يؤيدون النمو البطيء، والانتاج المنخفض للنفط).. لكن حتى هذا التوقع لم يحدث، فال سعود لم يتنازلوا عن دعم الغرب بانتهاج سياسة نفطية خيانية، ليدعمهم ويثبت مواقعهم في الحكم!

---

1 ــ جريدة الأنوار ١٩٨٠/١/١٦م.

2 ــ اللوموند ١٩٧٩/١٢،/٣,٢م.

3 ــ المصدر السابق ٢٦,٢٥/ ١٩٧٩/١١م.

4 ــ فايننشيال تايمز ١٩٧٩/١٢/٧م.

ومن جانبها تعلق الغارديان البريطانية[1] حول اثر السياسة النفطية على استقرار الوضع الداخلي بالقول: (وتعود بنا الذاكرة إلى تصريح الشيخ احمد زكي يماني، الذي اشار فيه إلى وجود فئة من الراديكاليين الشباب، ترى ان المتطلبات الاقتصادية للمملكة لاتستلزم انتاج اكثر من خمسة ملايين برميل من النفط بدلا من المستوى الحالي وقدره (٨,٥) مليون برميل. وقد تبرأت الحكومة السعودية من ملاحظات اليماني واكدت ان سياسة الانتاج النفطي مفيدة للبلاد، بقدر افادتها للاقتصاد العالمي ككل).

واعترف دبلوماسي سعودي بان محاباة امريكا نفطياً واعطائها اسعاراً تفضيلية ستسبب المصاعب لآل سعود.. جاء هذا التصريح بعد حادثة الحرم أوردته مجلة نيوزويك[2] حيث قالت على لسان الدبلوماسي السعودي قوله: (كيف نستطيع ان نبرر الافضلية التي نعامل بها الولايات المتحدة في مجال انتاج النفط والأسعار، إذا كان ينظر اليها على انها مهندس نفاذ الطاقة؟.. ان ذلك سيضعنا ــ في الحقيقة ــ في موقف صعب)..

واضافت نيوزويك: (هناك حالياً ــ ١٩٨٠م، أي بعد الانتفاضة ــ ضغوط كبيرة في المجالس السعودي من أجل تخفيض انتاج النفط الذي يبلغ حوالي (٩,٥) مليون برميل يومياً).. وعززت قولها هذا بما قاله مسؤول سعودي في حقل الصناعة: (ان قسماً كبيراً من الناس فيما حولنا، يقفزون من الغضب ازاء الرقم (٩,٥) مليون برميل يومياً وفلسفتهم بسيطة، فوفق الأسعار الجارية يمكن خفض معدل الانتاج إلى ستة ملايين برميل، ومع ذلك سيظل الدخل أكثر من حاجة البلاد)[3]..

ونظراً لهذه الضغوط الشعبية، حاول فهد ان يظهر بمظهر آخر، وان يساير التيار الشعبي الرافض لسياسته ففي السابق كان فهد واليماني وغيرهما يتحدثان عن ان النفط (ليس سلاحاً سياسيا) وانه (لن يستخدم ضد الغرب) وانهما (ضد الحظر النفطي) وما أشبه من التصريحات.. ولكن حينما اكد اليماني هذا القول بعد الأحداث اخرسه فهد في مقابلة له مع (السفير)[4] قال فيها: (والله هذا خطأ من احمد زكي، وهو غير مخول بالتصريح حول هذه القضايا)!!، بمعنى ان مثل هذه التصريحات لا تطلق في وقت ازمة آل سعود، وإلا فاليماني لم يخالف السياسة لأن الجميع بما فيهم فهد قالها قبل ذلك: (لن نستخدم النفط كسلاح سياسي)!. ثم إذا كان اليماني وهو وزير النفط غير مخول للتصريح في مثل هذه القضايا، فمن المخول اذن؟! وما هي سياسة فهد النفطية؟!

تقول نيوزويك وهي تنسب إلى دبلوماسي غربي كبير قوله: (قال فهد ببساطة، ان من مصلحة العربية السعودية ان تبقي العالم الغربي عائما على النفط، وليس من مصلحتها ان تغرقه) ويضيف الدبلوماسي: (ان هذه حجة مفروضة جبراً، اذ يقابلها حجة يمكن فرضها، وهي انه عندما كان السعوديون يبيعوننا النفط بمعدل

---

1 ــ الغارديان ١٩٨٠/١/٦م.

2 ــ نيوزويك ١٩٨٠/٣/٣م.

3 ــ المصدر السابق.

4 ــ السفير ١٩٨٠/١/٩م.

"١٨" دولاراً للبرميل الواحد، كان معدل السعر العالمي "٣٠" دولاراً، أي انهم كانوا يخسرون يومياً "١٢٥" مليون دولار)[١]!!

فهل هناك خيانة لمال المسلمين أكبر من خيانة فهد هذه؟!

انه يقبل بتضييع "١٢٥" مليون دولار يومياً، ليذهب في جيوب الشركات النفطية الغربية، والحكومات الغربية المستعمرة لشعوبنا، بينما يعيش المسلمون في شتى بقاع الأرض حياة أسوء من حياة حيوانات (الغربية).. فالفقر والجوع والعوز والمرض يفتك بأمة الاسلام، بينما يهب فهد مجاناً ما يزيد عن "٤٥" ألف مليون دولار سنوياً.. أي ميزانية عشرين دولة اسلامية!! وكل هذا مقابل وعد بحماية نظام فهد الزنيم من حماته الأمريكيين!!

اليس هذا مدعاة للثورة ضد آل سعود الخائنين؟!

ج/ الاعتراف بوجود الكبت والاستبداد:

لا شك ان القمع السعودي وكبت الحريات التي أقرّها الاسلام، وادارة البلاد دون دستور مقنن وفق الشريعة الاسلامية، ومنع بروز الرأي الآخر، فكرياً واعلامياً، وتسلط مجموعة من أمراء العائلة المالكة على أزمة البلاد السياسية والعسكرية والاقتصادية.. كل هذه عوامل ساعدت بشكل كبير على تفجير الوضع ضد النظام الملكي الوراثي الاستبدادي السعودي.

ولعلم فهد واخوانه، بأن الأهداف السياسية لم تغب عن انتفاضة الحرم، كما لم تغب عن انتفاضة المنطقة الشرقية، رغم دجلهم وكذبهم.. لهذا حاولوا ان يخففوا اجواء التوتر التي احدثتها واقعة الحرم، كما حاولوا بالتصريحات امتصاص النقمة الشعبية التي أفرزتها الانتفاضة، بإعطاء الوعود في مجال (الاصلاح السياسي) ريثما تمر الأزمة، ويعود دولاب الاستبداد من جديد.

لقد فتحت الانتفاضة عيون الناس على واقع الأزمة السياسية، ودفعتهم لاعلان سخطهم على النظام السياسي الحاكم.. مطالبين بالحريات وتحديد مواقع المسؤولية، والمشاركة في إدارة الدولة وفق الشرع، الذي يضع بعين الاعتبار الكفاءة والاخلاص والتقوى.

ولهذا، وفور انهاء احداث الحرم، بادر الامراء السعوديون بالتطواف على الجامعات، ليشرحوا الحدث، ولاستقراء ردة فعل المثقفين، فقد عقد نايف ندوة مع طلاب جامعة الملك سعود، فيما غادر سلمان الرياض متجها لأمريكا للالتقاء بالمبتعثين، ثم تحرك فهد على الجامعات السعودية.. وزارة خالد مواقع القبائل لإرضائها.. الخ.

وفي ١٩٨٠/١/٩م أعلن فهد في تصريح له: (ان المملكة العربية السعودية ستشكل مجلساً للشورى قريباً لوضع القانون الأساسي للسعودية خلال شهرين يقوم مقام الدستور)[٢].. وهذا اعتراف ضمني بأن اهواء أمراء الأسرة الباغية هي التي تحكم البلاد منذ اكثر من ٨٠ عاماً!.. فيما برر وزير الداخلية نايف،

---

1 ــ نيوزويك ١٩٨٠/٣/٣م.

2 ــ السياسة الكويتية ١٩٨٠/١/١٠م.

سبب وضع (قانون) بدل (دستور) قائلاً: (النظام الأساسي ليس دستوراً، لأن دستور السعودية هو القرآن) واضاف (النظام الأساسي للحكم هو "كتابة" بعض اشياء موجودة وتمارس فعلاً، وأرجو أن لايفهم ابداً أنه دستور، لأن دستور الدولة هو القرآن)[1]. تعالى القرآن عن أفعال آل سعود!.. فهؤلاء يفسقون ويكفرون ويقتلون الناس بالباطل ويوالون اعداء الاسلام، وكل افعالهم يلصقونها بالقرآن والاسلام!

وإضافة إلى هذا تحدث المسؤولون السعوديون عن نظام للمقاطعات، وآخر لمجلس الشورى، فقال الأمير نايف عن نظام المقاطعات، ان (الهدف منه هو التنظيم بالنسبة إلى كل مقاطعة، من حيث حدود المقاطعة، وهذا موجود حالياً، ولكن "قد" توجب المصلحة اجراء بعض التعديلات عليه.. وكذلك كيف تدار المقاطعة من قبل حاكمها، او أمير المنطقة، بجهاز يمثل قطاعات الدولة الأخرى، فهي اجراءات تنظيمية تمكن من التقليل من المركزية)[2].

الطريف ان الديوان الملكي في الرياض، اصدر بياناً بتاريخ (١٩٨٠/٣/١٩) أوضح فيه رغبة الملك خالد في انجاز الأنظمة الثلاثة (مجلس الشورى، الدستور، نظام المقاطعات) بأسرع فرصة، وتم بعد ذلك تشكيل لجنة برئاسة الأمير نايف وزير القمع السعودي، وبعضوية ثمانية أفراد اختارهم آل سعود "لهذه المهمة" وتبين أخيراً ان كل هذا حديث هراء وكذب لتهدئة الموقف.

والأطراف من ذلك أن الأمير فهد، أعلن ان مجلس الشورى المقترح، سيتألف من (٥٠ــ٧٠) عضواً يتم اختيارهم من قبل آل سعود "بالتعيين" كما ان وزير الداخلية اكد ان مجلس المقاطعات سيكون بالتعيين ايضاً!!

فأين الشورى إذن؟!

واين التقليل من المركزية في السلطة التي تحدث عنها نايف؟!

اين كل هذا، إذا كان الملك والوزراء والأمراء لم ينتخبهم الشعب؟ وإذا كان واضعوا القانون لم ينتخبهم الشعب؟ وإذا كان مجلس الشورى يعين من قبل السلطة غير الشرعية؟

ومع هذا، هل أسس آل سعود مجلسهم بالتعيين؟!

ام هل وضعوا (بعض أشياء) على الدستور، كما قال نايف؟!

او انهم وضعوا نظام المقاطعات، وهو اسهل ما في الوعود الخادعة؟

كلا...

فآل سعود كاذبون مخادعون.. وهذه الوعود سبق لها ان طرحت اكثر من مرة في نهاية الخمسينات ومنتصف الستينات وكذلك في منتصف السبعينات بعد مقتل الملك فيصل.. انهم يريدون تهدئة الشعب، بوعود كاذبة، وهذا هو دينهم..

ان الشعب لم ولن يصدق مثل هذه الوعود.. بل ان الصحافة العربية والأجنبية لم تصدقها..

---

1 ــ المصور الجديد ١٩٨٠/٦/١٥م.

2 ــ المصدر السابق.

فمجلة (الطليعة) الكويتية[1] كتبت بعد انتهاء حادثة الحرم، وقبل ان يطلق آل سعود أكاذيبهم، كتبت متنبئة من أن آل سعود سيعدون الشعب بالحريات، واشارت في معرض حديثها عن واقعة الحرم، انها راجعة إلى كبت الحريات وكذب آل سعود في هذا المجال.. قالت المجلة: (فمن خلال دراسة الأزمات السعودية نجد انه بعد كل أزمة، كاغتيال الملك فيصل، أو ازاحة الملك سعود، كانت الادارة السعودية تتحدث عن تحديث سياسي سوف يجري في القريب وتشير من طرف بعيد أو قريب إلى مجلس الشورى، أو ادارات حديثة في المناطق المختلفة، ومجالس للبلديات، إلى آخر المواعيد.. وما ان تمر الأزمة، حتى ينسى الجميع ذلك كله، وتعود الحياة إلى مجاريها القديمة.. من هنا ظهر الرفض العام لدى قطاعات شعبية واسعة في السعودية في عدم تصديق هذه الوعود، والنظر إلى امكانيات اخرى لتحقيق ماتصبوا اليه)..

لقد نفى النظام السعودي ان تكون هناك علاقة بين الاعلان عن (الأنظمة الثلاثة) وبين ماحدث في مكة والمنطقة الشرقية.. لكن الجميع يعلم، والنظام نفسه يعلم، ان رجوعة إلى نغمة حرية الرأي، ومجلس الشورى، ونظام التحديث، ما كان ليتم ــ رغم انها مجرد وعود ــ لولا وقع الانتفاضة الهائل.. وان النظام يعلم انه لن يستطيع اغفال الحقوق السياسية، بعد تنامي الوعي الشعبي في البلاد..

وإذا كنا لا نصدق وعود آل سعود ــ التي لا تسمن أو تغني من جوع إذا حققت ــ فإن الغربيين انفسهم لا يصدقون ايضاً، بل ان احدهم قال بانه لن يصدق حتى يراه رأي العين!!

فبعد ان تحدثت مجلة (نيوزويك)[2] معلقة على اعلان فهد، اوردت تعليقاً لأحد الدبلوماسيين الأمريكيين، جاء فيه (بالرغم من ان المجلس ــ مجلس الشورى ــ ليس في حقيقته هيئة تشريعية، فإنه سيكون البداية. وبالرغم من ان هذه الفكرة كانت سبباً في مشاكل حامية ولعدة سنيين، إلا انني لن أصدق بوجوده حتى اراه فعليا)!!

ترى لو كان آل سعود صادقين، هل كان اصدقاؤهم يتحدثون بمثل هذا الأسلوب الذي ينم عن عدم ثقة بالوعود السعودية للمواطنين؟! ان تجارب الوعود قد علمت ابناء الوطن قبل غيرهم وعرفتهم بأن طريق الحرية يمر على اشلاء النظام السعودي العفن.

من جهة أخرى تحدثت النيوزويك عن مدى الضغط الشعبي بشأن الحريات في تحقيق اعدته بعد انتفاضة الحرم فقالت (يرغب ابناء الطبقة الوسطى بنصيب اكبر من السلطة السياسية ففي جدة وقبل عدة أشهر، طرحت صحيفة على عدد من الشخصيات السعودية البارزة سؤالاً عن رأيهم في نظام البلاد السياسي، وقد أجاب فريق منهم وبكل صراحة بأنه غير ملائم. وقال بعض منهم ان التنمية الاقتصادية والاجتماعية المتسارعة تستوجب نظاماً سياسياً أكثر حداثة وعصرية. واستناداً إلى ما قاله احد الصحفيين وممن حضروا الندوة التي اقامتها الصحيفة، فإن بعضهم تحدث عن نظام تتوفر فيه الديمقراطية)[3].

أما صحيفة الغارديان البريطانية فقد أشارت إلى التناقضات العديدة داخل النظام السعودي، ثم اردفت قائلة: (سيصبح من المستحيل مقاومة الضغوط التي تمارسها الكوادر الجديدة، وفئة المتخصصين، ومطالبتها

---

1 ــ الطليعة عدد ٦٣١، ١٩٧٩/١٢/١٢م.

2 ــ نيوزويك ١٩٨٠/٣/٣م.

3 ــ المصدر السابق.

بالاشتراك في الإدارة السياسية للبلاد. ولايبدو واضحاً حتى الآن ما إذا كان آل سعود على استعداد لتقديم أي تنازل، او حل وسط في معالجة هذه الضغوط والمطالب، غير انهم على الأقل يعون وجود هذه التحديات)[1].

ويبدو ان هذا الوعي قد تجد له دليلاً آخر، حينما كان الأمراء يتحدثون عن التقصير، وعن عدم الرضا عن النفس.. وهذا هو الذي جعل مجلة (نيوزويك) تقول بأن (بعض الأمراء السعوديين يعترفون بصورة شخصية، ان الصدمة اجبرت العائلة المالكة على ان تزيد من حذرها.. يقول احدهم: لعله جنون. ان حادثة مكة قد يكون فيها نفع لنا جميعاً.. انها نبهتنا إلى أشياء كثيرة، ولا يمكن ان نكون راضين عن انفسنا بعد هذا الحادث المرير)[2]..

ومهما يكن من أمر، فإن آل سعود يدركون بأن النظام السياسي للبلاد ــ ان وجد! ــ لا يلبي مطامح الشعب، بل هو نقيض لكل ما هو انساني وجميل، وهو نقيض لحكم الشرع.. وازاء هذا الادراك واثره في اشعال الانتفاضات ضد الحكم السعودي، اعترفوا ــ باعلانهم عن وضع نظام للشورى والمقاطعات والدستور ــ بأن نظام حكمهم فاسد ومتخلف، وسيبقى من اهم المسببات للثورة والانتفاض.

د/ التبعية للأجانب والاعتراف بذلك..

هناك ثلاث حقائق يجدر بنا ان نوضحها هنا للقراء الكرام:

أولها: ان تبعية آل سعود للأجانب كانت من أهم أسباب انتفاضة الحرم.. ولقد اوردنا العديد من المقاطع التي تتعلق بهذا الأمر، اقتبسناها من كراسات المرحوم جهيمان العتيبي.. فالعلاقة الخاصة بالغرب، وموالاة آل سعود للحكومات الغربية، وتقديم مصالح هذه الدول على الصعيد السياسي والاقتصادي على المصلحة الوطنية والاسلامية.. وتنفيذ آل سعود لكل ما يريده الغرب منهم، حتى اصبحوا اداة له في مخططاتهم الشيطانية..

كل ذلك اشعل نار الغضب ضد آل سعود..

واننا نتساءل حقاً: ماذا سيكون شعور المواطن المسلم وهو يرى الأمريكيين والأجانب الآخرين، وهم يسيطرون على أهم مرافق البلاد، العسكرية كخبراء ومستشارين، والتعليمية كمدرسين واساتذة، واقتصادياً كمدراء ومنفذين ورجال اعمال وغير ذلك..

انك ــ وحيثما توجهت ــ تجد ان الغربيين يسيطرون سيطرة بالغة على المرافق الحساسة للبلاد، كالجيش والاستخبارات، وحقول النفط وغيرها.. فهل سيسكت الناس على هذا الانتهاك الصارخ لبلادنا وقيمنا؟!

وثانيهما: ان الانتفاضة كشفت بصدق مدى ارتباط آل سعود بالأمريكيين، حيث ساهم فريق من الاستخبارات الأمريكية في قمع الانتفاضة، كما ان السفارة الأمريكية في جدة هي التي تولت تزويد القوات السعودية بقنابل الغاز المسيل للدموع، حسبما ذكر الخبير العسكري الأمريكي (انتوني كوردسمان) في كتابه المعروف والمسمى بـــ (The Gulf and the Search for Stratigic Stability)، هذا اضافة إلى ما أظهره

---

1 ــ الغارديان ١٩٨٠/١/٦م.

2 ــ نيوزويك ١٩٨٠/٣/٣م.

الأمريكيون من تعاطف مع آل سعود على الصعيد الاعلامي والسياسي، في الوقت الذي كانت تتحدث فيه الصحف من ان العلاقات الخاصة بين آل سعود والإدارة الأمريكية، كانت سبباً في تأجيج النقمة ضد النظام السعودي.. كل هذا ادى إلى نفرة المواطنين واشمئزازهم من الحكم السعودي الباغي، المدعوم من النصارى.

وثالثهما: لقد ادت الانتفاضة، إلى ازدياد تبعية النظام السعودي للغرب، وبالتحديد إلى أمريكا، فليس هناك امام آل سعود الا الارتماء اكثر فأكثر في احضان الأمريكيين، كلما واجهتهم الأزمات.. حتى ان احد اعضاء الكونغرس الأمريكي قال: (ان السعوديين لن يذهبوا إلى موسكو، بل سيأتون إلى هنا).. كان هذا تعليقه على تخلخل العلاقات السعودية الأمريكية بعد حادثة الحرم، وما سببه الاعلان الأمريكي عن وقوع الحادث من اسى لدى اساطين النظام السعودي.. بمعنى انه ليس هناك امام آل سعود من مفر من أمريكا إلى اليها!!

ولقد تحدثت الصحف عن هذه النقاط الثلاث، فصحيفة الفايننشيال تايمز اعتبرت العلاقة مع امريكا مخاطرة: (ان العلاقات الوثيقةالعلنية مع الغرب والولايات المتحدة ستعتبر مخاطرة)[1]. وذلك لأن الرأي العام المحلي والاسلامي معبأ ضد الغرب (اسياد آل سعود).

وصحيفة الغارديان الانجليزية[2]، كتبت تحت عنوان "لماذا يعتمد السعوديون على المساعدة الأمريكية؟" مقالاً بقلم (جون اندرولا)، وذلك في اعقاب حادثة الحرم، قالت فيه: (لقد تبخر السراب الخادع للقوة التي تهيأت للعربية السعودية بعد الحرب العربية الاسرائيلية "عام ١٩٧٣".. وقد اثبت تمرير اتفاقية السادات مع اسرائيل، فضلاً عن رفض أمريكا لطلب السعودية للتدخل في القرن الأفريقي، بأن الأموال ليست بديلاً للقوة البشرية. ان البديل لهذا الوضع هو "العلاقة الخاصة" مع واشنطن)..

والطريف ان فهد حاول أكثر من مرة تبرئة نفسه من تبعية بلاده لأمريكا، وصار يطلق التصريحات بأنه ليس في بلاده قواعد للأمريكيين وان بلاده تستطيع حماية نفسها.. بعد هذا جاءت الردود على كلام فهد هذا، فأوضحت الصحف ان فهد أكثر عمالة للغرب وانه تفاهم مع أمريكا لحماية النظام السعودي.. لنقرأ ماقالته الفايننشيال تايمز عن فهد.. لقد قالت بأن فهد (ومنذ ان اصبح ولياً للعهد في نهاية حكم الملك فيصل، فقد اتبعت العربية السعودية سياسة مبنية على علاقات اقتصادية متينة مع الغرب، وتمتعت بتفاهم مع الولايات المتحدة حول امن البلاد)[3].. أي ان فهد قدم ثروات البلاد للغربيين، حتى يحموا الأسرة السعودية المالكة، ونظامها العفن.

وسبق اللوموند ان وصفت فهد في اليوم التالي من وقوع انتفاضة الحرم، بأنه (أكثر أفراد الأسرة المالكة مناصرة لأمريكا)[4].

اما الرد الآخر فكان من السادات، الذي كان هو الآخر ممن يعتمد على الأمريكيين في حمايته، وصديق آل سعود الذين رفضوا ان يقدم بنطلونه لبيغن!!.. هذا السادات حينما سمع فهد وهو يتحدث عن الوطنية

---

1 ــ فايننشيال تايمز ١٩٧٩/١٢/٧م.

2 ــ الغارديان ١٩٨٠/١/٦م.

3 ــ فايننشيال تايمز ١٩٧٩/١٢/٧م.

4 ــ صحيفة اللوموند ١٩٧٩/١١/٢٢م.

والاستقلال، وجمل (البلاد تحرسها السواعد الوطنية) و(ليس هناك قواعد أمريكية) وما أشبه.. شن هجوماً على آل سعود مثبتاً انهم بحاجة إلى أمريكا للحفاظ على نظامهم.. قال السادات: (مفيش واحد في امارات الخليج بما فيها السعودية، إلا ويعلم ان حاميته هي امريكا ونحن لا نلومهم على ذلك، بل انا اعلنت إذا ما تعرض أي بلد عربي في الخليج لأي تهديد اجنبي، وطلب من امريكا ان تصل إليه لتنجده فسأعطي امريكا التسهيلات قبل ان تطلب أمريكا هذا، ومن غير ان يطلب هؤلاء الجهال والاقزام) ويكمل السادات: (يخرج الزعيم الجديد ــ ويقصد فهد ــ يقول، بعد انا ما اعلنت، ان السعودية لا تعطي تسهيلات، ولا تعطي قواعد، ولا تعطي شيء... عيب!!، لأن السعودية طلبت الطائرات (F-15) من امريكا لكي تقوم بتظاهرة في السعودية)[1].

واخيراً تبرز مجلة نيوزويك الأمريكية[2]، كيف ان القلاقل التي شهدتها السعودية، والغزو السوفياتي لأفغانستان، دفعاً بآل سعود لتشجيع حكام الخليج (الصغار) وكلهم صغار!، لكي يمنحوا أمريكا قواعد عسكرية على أراضيهم.. تقول المجلة تحت عنوان جانبي (تفويض على بياض): (منذ الغزو السوفياتي لأفغانستان، دعم السعوديون تدابير جيمي كارتر لزيادة الوجود العسكري الأمريكي في الخليج، ولكن بحدود.. لقد شجعوا دولا كعمان لمنح تسهيلات تمكن القوة الأمريكية الجديدة من الانتشار السريع)..

(ثانياً)

انكشاف كذب رؤوس الأسرة المالكة ودجل اعلامهم الفاسد:

يمكن القول ان انتفاضة الحرم كشفت كذب آل سعود ودجلهم للمواطنين بصورة واضحة لم تتم من قبل.. فتخبط تصريحات المسؤولين، وتناقضها بين لحظة وأخرى، إضافة إلى التعتيم الذي مورس اعلامياً، ساهم بشكل واضح في تعرية الأمراء السعوديين على حقيقتهم.

ولعل القاريء العزيز اكتشف في مجمل البحث الذي قدم في الصفحات السابقة، كم كان آل سعود متخبطين وكاذبين، وكم هو حجم التضليل الذي حاولوا تمريره للرأي العام، وكيف كان فشلهم في كل محاولاتهم الكاذبة.

ان من اهم الأمور التي ساعدت على كشف آل سعود، هو انهم كانوا مضطربين بين مما وقع، وهذا الاضطراب تضاعف بسبب فشل الأجهزة الأمنية في معرفة حقيقة القائمين بالعملية، وجهلها بما يجري داخل الحرم.. مما اطلق العنان لكل الأمراء ان يصرحوا كما يريدون، وجاءت تصريحاتهم المليئة بالمغالطات والتناقضات لتضع المواطن ولأول مرة امام اكاذيب لم يستطع ان يقبلها او يتجاوزها.

---

1 ــ خطاب انور السادات في ١٩٨٠/١/٢٨م.

2 ــ نيوزويك ١٩٨٠/٣/٣م.

وقد وصف (دبلوماسي رفيع ــ على اتصال دائم بالمسؤولين السعوديين ــ هؤلاء المسؤولين بانهم في حالة تشويش في شأن السابقة التاريخية)[1].. ان هذا الوصف كان حقيقياً وملاحظاً من الساعات الأولى لوقوع الحادث، لأن وقع المفاجأة كان صاعقاً.

وهنا حاول آل سعود التعاطي مع الحادث من مجرى اعلامهم وبياناتهم وتصريحاتهم.. لكن كل هذا لم يكن كافياً، فالاعلام السعودي اثبت هو الآخر ضعفه وكذبه، ولم يكن سوى صدى لبيانات وتصريحات وزير الداخلية واخوته..

وكان عملاً سيئاً حين منع الصحفيون من دخول البلاد، مما جعل الصحافة العالمية تعتمد على وسائل اخرى للحصول على الاخبار، وتدرس كافة الاحتمالات وتقلب الأمور على عدة أوجه، مما جعلها تبتعد عن نطاق التفكير السعودي ومهاتراته الاعلامية.. صحيح ان (حكومة العربية السعودية التي لم تكن كريمة ابداً فيما يتعلق بمنح سمة الدخول للمراسلين، قد اصبحت اكثر تشدداً بهذا الصدد، منذ وقوع حوادث العنف في مكة في الشهر الماضي "نوفمبر").. على حد تعبير مجلة الايكونومست[2]، لكن من الصحيح ايضاً، ان معلومات الاعلام السعودي لم تكن كافية، بل لم تكن هناك معلومات، بل سباب وشتم وتشنيع وحقد بدون تعقل.. حتى ان وزير الاعلام السعودي (محمد عبده يماني) اضطر للرد على المواطنين من انه لم يقدم بيانات ومعلومات كافية عن الحادثة بقوله: (فقد يتساءل بعض الناس: لماذا لا تصدر وزارة الاعلام بيانات متتالية.. بيانات يومية لمتابعة هذا الحادث؟ وقد اوضحت في حديث سابق، ان سياسة هذه البلاد في جميع المجالات، وبصورة خاصة في المجال الاعلامي، انها لا تعتمد على الاثارة والتهويل، بقدر ما تعتمد على ذكر الحقائق كاملة)[3]!!

ان المواطنين يبحثون عن الحقائق، ووزير "النفي" يدعي انه يقدمها!!.. فما رأي هذا اليماني فيما قاله وزير الداخلية: (لقد كنت اتمنى من اعلامنا ان يقول الحقيقة)[4]، فأين الحقيقة مما قاله وزير النفي، وقد شهد شاهد من اهلها..

لقد اعتاد اليماني ــ وزير الاعلام آنذاك ــ ان ينفي كل شيء، حتى أصبح النفي هواية له، حتى ان المواطنين اطلقوا عليه لقب (وزير النفي) ووزارة الاعلام حصلت على لقب (وزارة النفي)!! بل ان صحف البلاد نفسها استخدمت هذه الأوصاف.. فهذه جريدة الرياض (١٤٠٠/٤/٢٨هـ) تنتقد وزارة الاعلام، بعد ان انتقدها الأمراء السعوديون، فتقول: (وزارة الاعلام المعروفة في الوسط الصحفي ب ــ "وزارة النفي" فشلت في ايجاد علاقة من التعاون بينها وبين الصحف، فهي تجيز لنفسها في التلفزيون على رداءة برامجه، ما تحرمه على الصحف، مما أوجد ازدواجية فاضحة ومضحكة.. الخ)..

---

1 ــ النهار ١٩٧٩/١١/٢٧م.

2 ــ الايكونومست ١٩٧٩/١٢/١٥م.

3 ــ صحيفة المدينة السعودية ١٩٧٩/١١/٢٧م.

4 ــ السياسة ١٩٨٠/١/١٤م.

وما ان انتهت الاحداث، حتى راح الأمراء الحاكمون يبحثون عن ضحية ويعلقون عليها اكاذيبهم وافتراءاتهم التي حاولوا ترويجها للناس ولم تنجح.. فكانت وزارة الاعلام هي الضحية!! وفي الدرجة الثانية كان الاعلام الأجنبي الذي لم يتجاوب كثيراً مع التلفيقات السعودية.. لذا كان المسؤولون السعوديون يتحدثون طيلة الأحداث عن غضبهم وامتعاضهم مما ينشر في رسائل الاعلام الخارجية.. وكثيراً ما كرر وزير الاعلام مقولته المشهورة من انه (يأسف لبعض الاساليب المغرضة التي عمدت اليها بعض الصحف ووكالات الأنباء، حيث سعت إلى اختلاق احداث معينة، وتشويه الكثير من الحقائق المجردة، سعياً وراء الاثارة، دون أي رادع من ضمير، ودون احساس بقدسية البيت العتيق)[١].

وفي اليوم التالي: (اعاد وزير الاعلام إلى الأذهان ماسبق ان كرره مراراً، من أن بعض وسائل الاعلام المشبوهة، تحاول الدس والاساءة باختلاقها انباء وتحليلات بعيدة عن الواقع، ولاتتفق مع الحقيقة في شيء)[٢].

وزعم وزير الدفاع سلطان: (ان مايروجه الآخرون من اشاعات لتشويه الحقائق لايؤثر على اهتمام المسؤولين في السعودية)[٣]، وبالطبع لم يشر سلطان إلى نوعية الاشاعات وماهيتها، ولكننا نعلم ان كل مالا يوافق عليه آل سعود هو (اشاعات) و(دس رخيص) بنظرهم..

وسجل مراسل مجلة المستقبل ملاحظات الامتعاض السعودي من الاعلام الأجنبي بقوله: (هذا في الوقت الذي كان يبدو فيه الغضب واضحاً على المسؤولين مما تردده بعض الصحف في الخارج من شائعات وروايات مختلفة حول عملية اقتحام الحرم، والأشخاص الذين قاموا بالعملية)[٤].. ان الغضب والامتعاض يتناقض مع ماقاله وزير الدفاع سلطان من ان هذه الروايات (لا تؤثر على اهتمام المسؤولين في السعودية)!

وادلى ولي العهد آنئذ (فهد) بدلوه فقالت جريدة الأنباء عن انطباعاته: (واخذ ولي العهد السعودي على اجهزة الاعلام الغربية نشرها تقارير صحفية متناقضة ومشوشة)[٥].

وكرر فهد امتعاضه في حديث له مع مجلة الحوادث[٦] حينما قال:

(لقد لفقوا قصصاً خيالية لا أول لها ولا آخر، وهي عارية تماماً من الصحة.. لقد شنت علينا حرباً اعلامية بكل معنى هذه الكلمة، كنا نحن والناس ضحاياها).. واضاف موضحا ان هذه الحملة كانت موضع اهتمام، بعكس ما قاله سلطان: (طبعاً نحن نولي الحملة الاعلامية التي شنت علينا الاهتمام الأول، لانها كانت حملة رهيبة).. وفي موقع آخر من الحديث قال فهد: (انما الذي يؤسف له هو الحملة الصحفية الخارجة عن

---

1 ــ المدينة ١٩٧٩/١٢/٢م.

2 ــ المصدر السابق ١٩٧٩/١٢/٣م.

3 ــ السفير ١٩٧٩/١٢/٧م.

4 ــ المستقبل ١٩٧٩/١٢/٨م.

5 ــ الانباء ١٩٧٩/١٢/١٤م.

6 ــ الحوادث ١٩٨٠/١/١١م.

نطاق المعقول، والتي لاتمت للحقيقة بصلة، والمليئة بتفصيلات وتحليلات لاتصدر الا عن اعداء كارهين حاقدين على المملكة)[1].

وبعد ان افرغ فهد همومه ضد الاعلام الأجنبي، فتح الباب لإخوته الصغار لينتقدوا اعلامهم ووزيرهم اليماني، حينما انتقد "سياسة الصمت" التي قال عنها: (كنا نتبعها في ميدان الاعلام)!

وحين سئل عنم كلمة (التقصير) التي وردت على لسانه، وهل انها تشمل الاعلام فقط، اجاب فهد بأن التقصير: (اعلامي واداري).. وقال فهد ايضاً: (سياسة الصمت التي كنا نتبعها في ميدان الاعلام لابد ان تتغير)..

وما هي إلا ايام قلائل، حتى بدأ وزير (القمع) نايف بنقد السياسة الاعلامية، ونقد الوزير اليماني والمسؤولين الآخرين، متناسياً ان ما نشره اعلام آل سعود ما هو إلا انعكاس لتصريحاتهم وبياناتهم الكاذبة.. لقد قال نايف: (كنت اتمنى من اعلامنا ان يقول الحقيقة).. وأضافت صحيفة السياسة على لسانه: (انه ضد سياسة التعتيم الاعلام ويجدها سياسة غير حكيمة. وانه كان مستعداً طيلة الفترة الماضية، ابان أزمة الحرم لتلقي طلبات وزارة الاعلام، لكن كما يبدو فإنهم في وزارة الاعلام لم يكلفوا انفسهم بذلك)[2].

اذن، فإن ضحية الكذب والتقصير، والتعتيم واخفاء الحقائق، التي اتسم بها الاعلام السعودي طيلة احداث الحرم بشكل واضح، هو وزير الاعلام الذي لايعدو موظفاً صغيراً لنايف وفهد واخوانهما، والذي لايملك حيلة ولا سبيلاً، سوى تنفيذ اوامر الأمراء.. ومع هذا فاللوم يقع على رأسه، وكأن وزارة الاعلام جهازاً مستقلاً عن الأمراء وعن سياستهم الاستبدادية؟!

وازاء هذا التحقير واللوم للوزير، لم يكن من وسيلة سوى ان ينفي عن نفسه تهمة التقصير ويحمل نايف وسلطان اياها، فهما وراء قانون التعتيم وقطع الاتصالات ومنع الصحفيين وهما اضافة لفهد، قد اقرا كل ما يتعلق بما ينشر ومالا ينشر.. لقد قال اليماني بألم: (كلكم تتحدثون عن التقصير الاعلامي، من حيث المبدأ معكم حق، لكن الذي حدث معنا هو الآتي: لقد عرفنا بحادث الحرم في الساعة السابعة صباحاً. اتصلنا بوزارتي الدفاع والداخلية، وسألنا: هل نذيع الخبر؟ فقالوا: ماذا ستقول؟ الحادث لايزال غامضاً، لا أحد يستطيع ان يقول لك ماذا حدث؟ كيف؟ من هم؟.. لقد فوجئنا جميعاً بأن يقع ماوقع في الحرم المكي. كان الاعتقاد في البداية ان بعض المشايخ قاموا بحركة ما.. ولكن المفاجأة ان الجماعة كانت تطلق النار في الحرم، ثم اقفلت الأبواب، واصبح مايجري داخل المسجد نوعاً من التكهن والرجم بالغيب[3].. كان موقف الاعلام في غاية الحرج، هل من المعقول ان نذيع عن بنغلاديش وايران، ولانذيع خبراً وقع عندي في الحرم؟.. لم يكن معقولاً، ولكن هذا الذي حدث)[4].

---

1 ــ المصدر السابق.

2 ــ السياسة ١٤/١/١٩٨٠م.

3 ــ في هذه الأثناء كان آل سعود يزعمون انهم يعرفون كل شيء عن العملية والقائمين بها (راجع الفصول السابقة).

4 ــ الحوادث ١٨/١/١٩٨٠م.

نماذج من الأكاذيب:

لقد توضح لنا من خلال الفصول السابقة حجم الأكاذيب السعودية، واننا هنا سنورد بعضا منها، مما لم نتحدث عنه سابقاً، وذلك للتدليل على ان كذب اعلام آل سعود ماهو إلا كذب آل سعود انفسهم.. فالأجهزة وسائل، ومايرد فيها من أكاذيب كان من صنع الأمراء السعوديين ذاتهم (فهد، نايف، سلطان، عبد الله).. أما مايقوله وزير الاعلام فهو نسخة مكررة ومملة من أقوال الأمراء وتصريحاتهم..

أول النماذج التي يمكن التحدث عنها هوان آل سعود وادواتهم، نفوا وجود احداث اخرى من مناطق اخرى في البلاد، معتبرين ماقالته الصحافة العربية والغربية (دس رخيص، وتشويه للحقائق)..

ولنبدأ باستعراض "النفي" السعودي.. فبعد ان تحدثت وكالات الانباء والصحف عن مظاهرات المنطقة الشرقية، قال وزير الاعلام (اليماني) في تصريح له نشرته وكالة الأنباء السعودية، وأوردته صحيفة الوطن[1] على النحو التالي: (نفى وزير الاعلام السعودي الدكتور محمد عبده يماني انباء تحدثت عن وقوع اضطرابات في المملكة العربية السعودية اثر احتلال المسجد الحرام في مكة، من قبل جماعة مسلحة في الشهر الماضي. وقال في تصريح نقلته وكالة الأنباء السعودية: "ان الفتنة اقتصرت على المسجد الحرام، أما بقية مدن المملكة وقراها، فهي تتمتع بالأمن والاستقرار".. ووصف الدكتور يماني وسائل الاعلام "بأنها مشبوهة"، وقال انها "تحاول الدس والاساءة باختلاقها انباء وتحليلات بيعدة عن الواقع، ولاتتفق مع الحقيقة في شيء"..).. وقد جاء تصريح اليماني هذا بتوجيه من وزير الداخلية السعودي نايف.. إلا ان الأخير وجد صعوبة بالاستمرار في النفي فاعترف بعد ثلاثة ايام بالحدث الكبير، إلا انه قلل من شأنه..

جريدة السفير اللبنانية[2] سطرت تحت عنوان: (السعودية تؤكد تظاهرات المنطقة الشرقية) مايلي: (اعترف وزير الداخلية السعودي الأمير نايف بن عبد العزيز في تصريحات نشرتها صحيفة الجزيرة "السعودية" بالتظاهرات التي اجتاحت المنطقة الشرقية من البلاد في أواخر الشهر الماضي "نوفمبر".. ونفى الوزير ان تكون هناك أية علاقة بين حادث اقتحام المسجد الحرام، والتظاهرات، وقال: "كل ما في الأمر ان مجموعة من الأشخاص قامت ببعض المسيرات والتظاهرات المحدودة" واضاف: "إن الشرطة استطاعت أن تفرق هذه المسيرات والتظاهرات في اللحظات الأولى، ولم يكن هنا أي شيء يستحق الذكر"..).. بهذه البساطة المتناهية يتحدث نايف وكأن الذين قاموا بالمظاهرات أربعة أو خمسة أشخاص، وليس أكثر من مائة ألف انسان.. ومتناسياً ان عشرين الفاً من رجال الحرس الوطني كان يطوقون مدن المنطقة التي خرجت من سيطرة آل سعود.

ومرة أخرى اعترف نايف في مؤتمره الصحفي الذي عقده بتاريخ ١٩٨٠/١/١٥م بأحداث المنطقة الشرقية.. وهكذا فالوزير اليماني ينفي، بينما نايف يؤكد، فأيهما الصادق؟! ان ما دعى نايف للاعتراف، هو ان احداث

---

1 ــ الوطن الكويتية ١٩٧٩/١٢/٣م.

2 ــ السفير ١٩٧٩/١٢/٧م.

المنطقة الشرقية كانت ضخمة، ولم يكن بالامكان هضمها اعلامياً، خاصة وان الأمريكيين هم أول من شعر بالخطر، ونقلوا الأنباء إلى رؤوسائهم وصحفهم ومجلاتهم.. وبالتالي خرج الخبر عن نطاق التعمية والتعتيم..

لقد تحدثت الصحف ووكالات الأنباء عن الحادث قبل وبعد تصريح نايف ووزير الاعلام، ومن بين ماورد مايلي:

١/ أشارت صحيفة السفير اللبنانية اكثر من مرة في صدر صفحاتها الأولى بالمانشيت العريض إلى أحداث المنطقة الشرقية.. ففي ١٤٠٠/١/١٤هـ كتبت بالمانشيت العريض: (تظاهرات السعوديين تتجدد وتطالب بقطع النفط عن امريكا.. قمع المتظاهرين في الظهران بعنف، وسقوط عدد من القتلى والجرحى).. واكدت السفير مانشرته سابقاً عن الأحداث، وأشارت إلى اندلاع المظاهرات في يوم الثلاثاء (١٤٠٠/١/٧هـ).. منددة بالأسرة السعودية الحاكمة.. ثم اوردت تقارير وصلتها من وكالات الأنباء العالمية من بينها ان وكالة يونايتدبرس للأنباء نسبت في برقية لها من نيقوسيا إلى مصادر غربية في جدة قولها ان (قوات الأمن السعودية استخدمت القوة لتفريق التظاهرات التي بدأت تخرج عن نطاق السيطرة يوم الجمعة "١٠ محرم".. ــ واضافت ــ انه سقط خلال المجابهة بعض القتلى والجرحى، ولكن لم يعرف العدد المحدد للخسائر في الأرواح).. ونسبت إلى وكالة رويتر قولها (ان قوات الأمن السعودية عمدت بعد اشتباكات يوم الثلاثاء "٧ محرم" إلى اغلاق المنطقة الشرقية وتطويقها بنحو عشرين ألف جندي ومنع أي شخص من الدخول والخروج).. وأضافت: (أن الالوف الذين اشتركوا في التظاهرة طالبوا بأن توقف الحكومة السعودية شحن النفط إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وأعربوا عن تأييدهم للثورة الايرانية، واطلقوا شعارات العائلة المالكة السعودية..).. وحول موقع الاشتباكات أوضحت الوكالة انها وقعت (قرب مصفاة رأس تنورة النفطية القريبة من منطقة الظهران).. وتحدثت بإعجاب لأن التظاهرة ضمت نساء لأول مرة)..

ومع هذا يزعم اليماني: (ان بقية مدن المملكة وقراها تتمتع بالأمن والاستقرار ولله الحمد)[١]. وان ماقالته وسائل الاعلام عن مظاهرات الشرقية: (دس واساءة) وان تحليلاتها (بعيدة عن الواقع، ولاتتفق مع الحقيقة)[٢]!!

٢/ وذكرت صحيفة الرأي العام الكويتية نقلاً عن صحيفة الفايننشيال تايمز اللندنية، اخباراً حول التظاهرات وانه سادها (بعض اعمال العنف). واضافت: (... والقوانين السعودية تحظر التجمعات، إلا ان السلطة لايمكنها التصدي لمثل هذا الاحتفال الديني)[٣].

٣/ وكتب الصحفي الشهير محمد حسنين هيكل مقالاً في صحيفة الصنداي تايمز[٤] تحت عنوان: (الشاهات الصغار يلوذون بالتطوير للحيلولة دون الثورة) ذكر فيه: (ان الاتجاه بين شعوب منطقة الخليج يميل في الوقت الحاضر نحو احياء الاسلام.. ومع وجود اكثرية شيعية من السكان، فإنه يعني مزيداً من

---

1 ــ الرياض ١٩٧٩/٢/٣م.

2 ــ المصدر السابق.

3 ــ الرأي العام ١٩٧٩/١٢/٩م.

4 ــ الصنداي تايمز ١٩٧٩/١٢/٣٠م.

القلاقل والخوف لدى الحكام.. فقبل شهر جرت مظاهرة في القطيف "في العربية السعودية" شنت قوات الحكومة السعودية خلالها هجوماً على المتظاهرين، كان من نتيجته ان قتل ما بين "٤٠٠ــ ٥٠٠" شخص في مدى نصف ساعة).. والعدد بلا شك كبير ومبالغ فيه، وان كنا لانشك في ان يقوم آل سعود بقتل اكثر من هذا العدد، وفي اقل من نصف ساعة، اذا ماتزلزت اقدامهم بشدة اكبر في المستقبل!!

٤/ وتحت عنوان "الاستفادة من درس مكة" كتب (جون اندرسون) في مجلة (Arab Month)[1] مقالاً أوضح فيه ابعاد انتفاضة المنطقة الشرقية، وسماها بـــ (الاضطرابات) وقال وفقا لتقارير وردته بأن (جدران القطيف تزدحم بالنداءات الخمينية، والتذمر من معاملة الحكومة).

٥/ أما صحيفة (وول ستريت) الأمريكية، فقد كتب مراسلها في السعودية مقالاً حول انتفاضتي الحرم والمنطقة الشرقية، جاء فيه: (لم تكن الجنه الأمريكية التي تقع على الساحل الشرقي من صحراء الجزيرة العربية جنة بعد الآن.. فهناك في القطيف يوجد خمينيون) وأشار الكاتب إلى ان السفارة الأمريكية في جدة اصدرت مذكرة (إلى رعاياها القادمين من آسيا الشرقية تنصحهم فيها بعدم التوقف في الظهران.. وإذا كان لابد من التوقف فليكن في الكويت مثلاً).. وأضافت الصحيفة معلقة على حادثة الحرم واصفة اياها بأنها: (ثورة اسلامية، خلقتها الصحوة الاسلامية التي نزلت فجأة على المسلمين.. وليت الأمر وقف عند هذا الحد، ولكن حتى الرياض والمنطقة الوسطى عموماً، يقابل الأمريكيون بازدراء شديد، بل ان كثيراً من الأمريكيين تخلصوا نتيجة لذلك من خمورهم على الطريق ما بين الرياض وخريص.. ان انزعاجاً شديداً سيطر على الأمريكيين جعلهم يتصورون بأن شيئاً ما شبيها بالذي حدث سنة ١٩٦٩م قد وقع فعلاً).. وتمضي الصحيفة لتقارن بين مظاهرات المنطقة الشرقية وحادثة الحرم فترجح خطورة الأولى وذلك لأن: (آبار النفط تحتاج لرجل فدائي واحد لتفجيرها، فيتوقف ضخ البترول إلى أمريكا).. إلا أن الصحيفة استبعدت وجود خطة مشتركة للحدثين رغم انهما (يشتركان في شيء واحد، هو صحوة المسلمين، وهذا لاشك فيه).. واختتم كاتب المقال حديثه بـــ (ان هذه المنطقة لم تعد مستقرة سياسياً، وعلى أمريكا ان تعيد حساباتها)..

٦/ وأخيراً نورد مقالاً لمراسل مجلة نيوزويك في الظهران (والتر. س. موسورغ) حيث يصور حالة القلق التي تنتاب الرعايا الأمريكيين.. فتحت عنوان (الصحراء الأمريكية محكومة بالخوف من اضطرابات الشرق الأوسط).. والصحراء الأمريكية ما هي إلا تعبير عن (العربية السعودية) التي هي احد توابع أمريكا!

يقول المراسل:

(هنا ــ الظهران ــ وفي وسط حقل نفطي صحراوي، وخلف بوابتين محروستين، يوجد جزء صغير من أمريكا، في شكل الضاحية، ببيوتها المرتبة، وشوارعها الأنيقة، وتلفها الخضرة، وتتواجد فيها سيارات الـــ "شيفروليه" والـــ "بلايموث".. وبالقرب من سينما الضاحية وملعب الـــ "بيس بول" واماكن اللعب الأخرى.. تبدو اضطرابات الشرق الأوسط بعيدة جداً عنها.. غير ان جو الهدوء في معسكر أرامكو هذا قد اضطراب مؤخراً، فالأخبار التي وردت عن الهجوم الذي وقع للسفارات الأمريكية في ايران وليبيا

---

1 ــ آراب مونث/ العدد السادس/ مارس ١٩٨٠م.

والباكستان، واخبار الهجوم المعادي للغرب في الحرم المكي، والمظاهرات المؤيدة للإيرانيين ــ وعلى بعد عدة اميال فقط ــ في القطيف، كل هذه الأحداث تركت الـــ "٣٥٠٠٠" أمريكي المميزين هنا، وفي اماكن اخرى من هذه المملكة المؤيدة للغرب في خوف واضطراب.

الشركات الأمريكية، والعاملين فيها طبقوا القوانين المحلية المتزايدة في هذا البلد منذ مجيئهم اثناء اكتشاف النفط عام ١٩٣٣م.. ومع هذا، اصبح التفتيش الأمني مكثفاً في منطقة السكن الأمريكية.. اما الشركة "أرامكو" والتي تملكها اساساً أربع شركات نفطية أمريكية، تدير عمليات استخراج النفط من الآبار السعودية، طالبت الأمريكيين بالمحافظة على الصورة الهادئة، واقترحت التحديد من رحلاتهم إلى المدن القريبة وخصوصاً في بعض الايام المقدسة عند المسلمين.

وبسبب الجو المعادي للأمريكيين في الشرق الأوسط، ترك ستة من الأمريكيين الشباب العمل في الأسابيع الأخيرة.. وبسبب الاشاعات المنتشرة عن تقديم المزيد من الأمريكيين لاستقالاتهم، صرح احد الموظفين الرسميين في الشركة بأن "الناس هنا عصبيون، وهذا الشيء هو الطبيعي فقط"..

وعلى بعد مئات الكيلومترات حيث العاصمة السعودية "الرياض" شعر الأمريكيون بالقلق الشديد، فقبل عدة أسابيع خلت، سرت اشاعات تفيد بأن رجال "شرطة الاخلاق" "هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر" سوف يقومون بشن غارة على التجمعات السكنية للأمريكيين، فقام هؤلاء وبسرعة، باخلاء مخابيء الخمر المحرم في الشرع الاسلامي، وكسروا زجاجات النبيذ ودفنوها في الصحراء، لكن الغارة لم تحدث أبداً..

"وبلا شك، ان هذه البلاد ليست مريحة كما كانت في الماضي"

هذا ماقاله احد موظفي البنوك في الرياض، والذي فضل ان يبقى اسمه طي الكتمان، كغالب الأمريكيين هنا.

وبسبب احداث مكة والقطيف، وضعت الحكومة السعودية حراسة مشددة في كل مكان، وقامت بتقوية اجراءات الدخول والخروج للأجانب، فالجوازات تفحص بدقة اكثر في المطارات، وجهاز الفحص بالأشعة اصبح اليوم يستعمل بشكل واسع، بينما اتخذ الحرس الوطني مخافر له في المدن القريبة من مصفاة رأس تنورة على الخليج.

وفي احد حقول النفط، منع احد الصحفيين الأمريكيين من التصوير، واخذت منه الكاميرا بحجة ان الأجانب ينقلون الأكاذيب عن العربية السعودية، ولم تعاد اليه إلا بعد ان اخذ عليه تعهد بأن لايصور مرة أخرى في هذا المكان.

بالنسبة للاستعدادات الآنية ليس هناك شيء يوحي بالجد في هذه المملكة المحكومة بالقوة، كما لا يلاحظ وجود دبابات متجولة في الشوارع، مع ان المسئولين السعوديين يعتبرون الاستعدادات الأمنية غير طبيعية.

ومهما تكن الأسباب، فالأمريكيون هنا خائفون من اهمالهم كباقي الأهداف المعرضة للعداء، في آلاف الأميال المربعة من المناطق الاسلامية التي تشحن بالبغض للأمريكيين عن طريق البث الموجه من ايران، والذي يشجع على الحرب المقدسة ضد أمريكا.

يقول احد الأمريكيين: (اننا سوف نكون الضحية اذا تحرك كارتر ضد ايران، ولن يستطيع تخليصنا بدا).. ويقول آخر: (اذا ما حصلت متاعب، فإنه سيكون من المستحيل ترحيل جميع الأمريكيين، لأننا موزعون ومنتشرون، وسيكون ذلك غير ممكن خلال اسبوع كامل).

لقد اثبتت احداث الحرم، وتظاهرات القطيف بأنها هزت ــ ولو وقتياً ــ الثقة بين العربية السعودية وأمريكا، سواءاً بسواء.

انها تظاهرات القطيف بالخصوص التي جعلت الكثير من الأمريكيين يخافون، بخلاف احداث الحرم، لان التظاهرات ــ ومنذ البداية ــ كانت مرتبطة بما يجري في إيران من اعمال مضادة لأمريكا، والأكثر من هذا انها حدثت في منطقة آبار النفط، حيث يعيش الكثير من الأمريكيين.

ومع هذا ادعت الحكومة السعودية ان احداث القطيف ما هي إلا مشاجرة بين بعض الشيعة الذين كانوا محكومين بالعاطفة الهائجة في ايامهم المقدسة. ولكن المصادر السعودية ذاتها، أوضحت وبسرية ان المظاهرات كانت خطيرة وسياسية، وان (٥٠٠) شخص كانوا ينشدون شعارات تأييد للخميني وبأيديهم صوره، وانهم قاموا بتحطيم نوافذ احد البنوك، واحتلوا مركزاً للشرطة، ووضعوا المتاريس في الشوارع.. تم كل هذا قبل ان يفرقوا بواسطة الحرس الوطني في معركة بالسلاح، اودت بحياة ثمانية اشخاص.. هذا ما قالته المصادر العليمة).. انتهى ما ذكرته مجلة نيوزويك.

اذن فإن هناك احداث وقعت في مناطق اخرى غير مكة، وان ما ذكرته الصحف صحيح في معظمه، وليس تشويه حقائق كما قال وزير آل سعود (اليماني)..

واكثر من هذا ان الاحداث لم تقتصر على مكة ومدن المنطقة الشرقية وبل وصلت إلى المدينة المنورة والطائف وجدة وتبوك ومواقع القبائل، وفي الثكنات العسكرية.. وقد اشرنا إلى بعض هذه الحوادث في الفصول السابقة.. وسنحاول هنا اضافة بعض مما ذكرته وكالات الأنباء والصحف حول انتشار التمرد ضد الحكم السعودي في الكثير من المدن..

أولا: نسبت صحيفة "الدستور" الأردنية[1] لحجاج كويتيين قولهم: (ان طلقات مدافع رشاشة وجهت نحو الطائرات من جبل "ابي قبيس" جنوب مكة، فطوقته قوات الجيش، وتبين فيما بعد انهم من اتباع العصابة الباغية).. وافادت تقارير أخرى ان قتالاً عنيفاً جرى في الشوارع القريبة من الحرم.. وان مصادمات اخرى مع رجال الأمن السعوديين قد وقعت في العديد من الأبنية ــ التي تعتبر مقرات للاخوان في مكة.

ومن جانب آخر، أفادت المعلومات القريبة الصلة بالحادث حاولت السيطرة على محطة ارسال اذاعة القرآن الكريم في مكة.

ثانيا: نشرت جريدة السفير اللبنانية ما نسبته وكالة الاسوشيتد برس لأحد الدبلوماسيين والذي قال: (ان آخر الأنباء غير المؤكدة التي تتردد في أوساط الجسم الدبلوماسي يفيد ان الهجوم على مكة كان جزءاً من مخطط أضخم، كان سيشمل هجمات مماثلة على المساجد في الطائف والمدينة ومحطة الاذاعة في جدة)

---

1 ــ الدستور ١٩٧٩/١١/٢٤م.

واضافت السفير: (انه نتيجة للإهمال فإن الهجوم في مكة بدأ قبل الهجمات الأخرى، وقد قامت القوات السعودية بسحق المحاولات في الطائف والمدينة وجدة)[1]..

ومن المعلوم ان توترات وقعت في العاصمة "الرياض" صبيحة الالتجاء إلى الحرم، وقد شعر المواطنون والطلاب المتواجدون للدراسة في الجامعات هناك، بأن شيئاً غير عادي قد حدث.. وفي الطائف ــ مصيف الأمراء ــ نشبت اشتباكات بين القوات السعودية وجماعة الاخوان، وقد احتل على أثر هذه الاشتباكات مطار الجوية، اضافة إلى ان قوات تابعة للحرس الملكي احتلت القاعدة الجوية بالطائف واعتقلت عدداً من كبار ضباطها تحسباً لأي تحرك مضاد للعائلة المالكة، او لأن القوات هناك بدأت فعلاً بالتحرك ــ كما تذكر ذلك مصادر عسكرية سعودية معارضة ــ.

وفي تبوك، اعتقل مئات من المواطنين بتهمة تأييد جماعة الاخوان التي امتدت تأثيراتها إلى القاعدة الجوية هناك، وقد حاول بعض قياديي القاعدة التحرك، إلا أن السلطات القت القبض عليهم، وأودعت عدداً من الطيارين في السجون، بينما فر آخرون إلى الخارج.

ثالثا: في عددها الصادر بتاريخ ١٩٧٩/١٢/٣,٢م اشارت اللوموند إلى ان (تحركات عديدة قد جرت داخل قبائل متعددة) وان (الثائرين كانوا يأملون ان يتحرك شركاء لهم بناء على إشارة منهم في اجزاء اخرى من المملكة).. وبعدها تحدثت مجلة "لوبوان" الفرنسية عن امتداد التحرك وانتشاره بالقول: (ان حركة التمرد كانت قد شملت عدة مدن، وان قنبلة قد انفجرت في القصر الملكي بالرياض)[2].

رابعاً: حدثت عمليات عسكرية واسعة النطاق في المدينة المنورة، وتركزت في داخل معسكرات الجيش، مما استدعى محاصرة هذه المعسكرات بواسطة قوات خاصة من الحرس الوطني، وهدد الجنود بأنهم سيقتلون رمياً بالرصاص إذا خرجوا من عنابرهم إلى ساحة المعسكر، وقد اصيب بالفعل عدد من الجنود والضباط، وسقط عدد من القتلى في أوساطهم[3].

وحتى الحرس الوطني نفسه، قام الجيش بتطويق بعض معسكراته، أي ضرب الجيش بالحرس، والعكس بالعكس.. وذلك لأن الحرس ابدى كثيراً من التمرد ودعم المعتصمين في الحرم، وقد وكانت هذه الأنباء غير مؤكدة للصحف، لكنها اثبتت بعدئذ في الكتب التي صدرت بعد الحادثة عن البلاد.. وتقول صحيفة نيوزويك: (هناك تقارير تشير إلى انه اثناء الهجوم المضاد الذي قامت به الحكومة على المسجد، فإن عدداً كبيراً من أفراد الحرس الوطني انضموا إلى صفوف المتمردين، أو رفضوا فتح النار عليهم، مما جعل القادة العسكريين السعوديين يطلبون النجدة من وحدات عسكرية للقضاء على الذين استولوا على المسجد)[4].

---

1 ــ السفير ١٩٧٩/١١/٣٠م.

2 ــ لوبوان ١٩٨٠/١/٢٨م.

3 ــ راجع كتاب الحركة الاسلامية في الجزيرة العربية صفحة ١٢٨ لعبد اللطيف العامر والصادر عن منظمة الثورة الاسلامية في الجزيرة العربية.

4 ــ نيوزويك ١٩٧٩/١٢/١٧م.

إلى هنا ينتهي الحديث عن اكذوبة سعودية واحدة فقط فكيف بالأكاذيب السعودية الأخرى؟! ومع هذا يقول نايف: (ان الأمانة الصحفية تقتضي ان تقال الحقيقة، ولا شيء غير الحقيقة، وكنا سنحترم الحقيقة مهما كانت)!!، فهل اكتشفت عزيزي القاريء كيف ان اكاذيب نايف واخوانه اصبحت حقائق؟!

اكاذيب أخرى:

الأولى: من المعلوم ان عدداً من أفراد الجماعة استطاعوا النفوذ من الحصار المضروب على الحرم بواسطة القوات السعودية.. ففي حين زعم الأمير سلمان: (ان قوى الأمن التي حاصرت المسجد والطرق المؤدية اليه لم تمكن احداً من أفراد العصابة من الهرب).. ذكر أمير مكة اثناء الأحداث (فواز بن عبد العزيز): (ان عدداً من الذين هاجموا المسجد مازالوا طلقاء، ولم تتمكن السلطة من القضاء عليهم)[1]، فأين هي الحقيقة التي لاشيء غيرها ــ كما قال نايف ــ؟!

وتتحدث مجلة (دير شبيغل) الألمانية[2] بسخرية على أكاذيب آل سعود، وتوضح في النهاية ان كثيراً من المعتصمين تمكنوا من الهرب.. تقول المجلة بأن نتائج الحملة السعودية لخصة البيان التالي: (لقد قتل ٦٠ جندياً و١٣٥ منشقاً عن الدين.. ويبدو ان السعوديين اخطأوا في العد الحسابي، فبعد اسبوع من الهجوم قال مسؤولو الا من السعوديين ان هناك اكثر من ٣٠٠ قتيل. وقبل ذلك كان هناك تصريح آخر عن وجود ٣٠٠ سجين.. وفي نهاية العملية كان الجنود السعوديون يحاولون السيطرة على ١٧٠ مهاجماً، علماً بأن اكثرهم تمكن من الهرب دون القبض عليهم)..

الثانية: لقد قدم محمد عبد الله القحطاني من قبل المرحوم جهيمان على انه "المهدي المنتظر"، والقيادة الصحيحة التي تخلف قيادة آل سعود على اعتبار ان القحطاني من قريش، وان اسمه يوافق اسم الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وكان للمرحوم جهيمان مآخذ كثيرة على الحكم السعودي، من بينها انه حكم قائم على الجبر وليس البيعة، وان الحكام ليسوا من قريش.. هنا حاول آل سعود ان ينفوا عن القحطاني انه من قريش، بل نفوا انه قحطاني، أوعربي حتى!!

ففي تعريف محمد القحطاني قال نايف لطلاب جامعة الرياض في ١٩٨٠/١/٨م بأن القحطاني مصري الجنسية، واضاف "كما قال والده"!! ونشرت الصحف السعودية تصريح نايف المهتم بشؤون الجنسية كالتالي: (ان المهدي المزعوم الملقب بالقحطاني يسمى بالتركي، وانه رجل مصري وليس تركي)[3].

وبعد يومين من هذا التصريح، نشرت السفير[4] مقابلة له، شدد فيها على انه تركي وليس مصري.. يقول نايف: (دعني اوضح لكم أمراً: محمد بن عبد الله ليس قرشيا، بل هو من أصل تركي، حتى ان الناس

---

1 ــ السفير ١٩٧٩/١٢/١٠م.

2 ــ دير شبيغل ١٩٧٩/١٢/١٠م.

3 ــ الرياض ١٩٨٠/١/٩م.

4 ــ السفير ١٩٨٠/١/١٠م.

يطلقون على اسرته لقب "التركي" حتى يومنا هذا).. لكن طلال سلمان رئيس تحرير السفير رد على الوزير: (هو قحطاني حسب ما سمعنا)!! فما كان من نايف إلا أن قال كلاماً باهتاً مفاده: (قحطاني بالحلف، لأن اجداده ساكنوا قحطان في بلدة واحدة)!!

مع هذا سبق لجريدة الجزيرة السعودية ان اعترفت قبل شهر بأنه "قحطاني" ولكنه لا ينتمي إلى قريش فقالت: (انه طيلة عمره يسمى بالقحطاني نسبة إلى قحطان، وقحطان قبيلة معروفة، فكيف يتحول بين عشية وضحاها إلى قرشي هاشمي)[1].

والمضحك ان هذا التناقض في أقوال نايف لم يشعره بالخجل حين يتحدث في مؤتمره الصحفي ١٩٨٠/١/١٥م ليقول: (ان هذه المجموعات كانت كلها معروفة لدى السلطات)!! فأي معرفة هذه التي ينتج عنها مثل هذا الكذب والتناقض المفضوح؟!

هذا ما يمكن ايراده هنا عن تخبط وكذب آل سعود حول نسب محمد عبد الله القحطاني.. اما عن مصيره فقد كان واضحاً وجلياً أكثر فأكثر ان آل سعود لايعرفونه، وتصريحاتهم المتعلقة بهذا الشأن متناقضة إلى حد فظيع.. فلنقرأ بتمعن تصريحات آل سعود:

بتاريخ ١٩٧٩/١١/٢٦م أي بعد سبعة أيام من وقوع الحادث، سرب آل سعود خبراً إلى الصحافة ووكالات الأنباء يفيد باعتقال "المهدي" محمد بن عبد الله القحطاني.. حيث ذكرت صحيفة الرأي العام الكويتية[2] نقلاً عن اذاعة مونت كارلو، ما نسبته الأخيرة لمصادر سعودية في الرياض قولها: (ان بين المعتقلين المهدي المنتظر)! ونقلت الصحيفة ما ذكره مراسل وكالة الصحافة الفرنسية في جدة ان المهدي المنتظر اعتقل).. وفي ذات اليوم نشرت جريدة المدينة السعودية ١٩٧٩/١١/٢٦م أنه (تم اعتقال المهدي المزعوم محمد بن عبد الله، والقبض على والدته وزوجته واخوانه)..

وبناء على هذه المعلومات السعودية، كتبت مجلة "الوطن العربي"[3] تقول (ذكرت مصادر رسمية ان زعيم المسلحين، او المهدي المنتظر، قد تم اعتقاله، وان التحقيق يجري معه وعدد من اتباعه)..

وبعد اسبوع من طرح الرواية السعودية الأولى، قدم آل سعود رواية مختلفة تفيد بأن القحطاني (انتحر) ولم يعتقل! تقول الرواية الجديدة التي نقلتها وكالة الصحافة الفرنسية عن مصدر سعودي مسؤول في جدة قوله: (ان الزعيم الأول، والذي ادعى انه المهدي المنتظر انتحر فور اعتقاله)[4].. وبالطبع لم يوضح المسؤول السعودي كيفية الاعتقال، ولا كيفية الانتحار وهو في المعتقل.

---

1 ــ الجزيرة ١٩٧٩/١٢/٦م.

2 ــ الرأي العام ١٩٧٩/١١/٢٦م.

3 ــ الوطن العربي ١٩٧٩/١١/٣٠م.

4 ــ القبس الكويتية ١٩٧٩/١٢/٢م.

الا ان وزير الداخلية السعودي، سرعان ما كشف كذبه وكذب الأمراء الآخرين حينما صرح في مؤتمره الصحفي الذي عقده في ١٩٧٩/١٢/٤م، أي بعد انتهاء الحادثة: (الذي نعرفه إلى الآن أنه ــ أي القحطاني ــ مقتول، ولكن لدينا مصابون منهم كثير منتعرف عليهم، ويحتمل ان يكون بين المصابين أو القتلى)[١].

ان الوزير السعودي هنا ينسف كل تصريحات المسؤولين السابقين، فالقحطاني لم يعتقل، ولم ينتحر، ولا يعلم هل هومصاب أم مقتول.. وحسب تعبير الوزير: (يحتمل ان يكون بين المصابين أو القتلى)!! أي ان هناك احتمالاً آخر لم يذكره الوزير وهو (الهروب)!!

والغريب فيما قاله الوزير نايف، انه وبعد الانتهاء من الحادث، لايدري هل القحطاني مصاب ام مقتول!! فأي كذب هذا وأي اضطراب في الحديث وسرد الوقائع هذا الذي يقدمه آل سعود للجمهور؟!

ان نايف لايريد ان يقول بأن القحطاني (هرب) ولم يقبض عليه.. ولا يستطيع ان يقول بأنه مصاب أو مقتول!!، فما هو مصيره الحقيقي اذن؟!

واخيراً عدل نايف روايته وحتى يستطيع المواطن هضم كذبها ودجلها، فبعد يوم واحد من تقديم روايته في المؤتمر ١٩٧٩/١٢/٤م قال بتاريخ ١٩٧٩/١٢/٥م لوكالة الانباء السعودية: (ان المهدي المنتظر قد قتل اثناء اقتحام قواتنا معاقل الزمرة الضالة في قبو المسجد، وقد تم التعرف على جثته بين الموتى)[٢].

وتأكيداً لهذه الرواية السعودية الجديدة، شاهد المواطنون على شاشة التلفزيون مساء ١٩٧٩/١٢/٥م جثة غير واضحة المعالم بسبب التعفن، قالت السلطة انها جثة "القحطاني"، واحضرت السلطة ــ بالقوة والاكراه ــ اخ القحطاني الأكبر وابن اخته ونسيبه لتجري معهم مقابلة مفتعلة، وليؤكدوا ماتريده السلطة، من ان هذه الجثة هي جثة "المهدي المنتظر ."

كما لاحظ المواطنون، حالة الارتباك والحيرة والتلعثم التي سيطرت على المتحدثين، مما يدل على ان المقابلة مفتعلة، وتعبر عن رأي آل سعود الباطل ..ولذا كان حديث الناس في اليوم التالي حول المقابلة وكيف انها مفتعلة وان احداً لايصدقها !

الثالثة :وردت اكاذيب سعودية كثيرة حول المرحوم جهيمان العتيبي، فهو في نظر السلطة المدبر الأول لانتفاضة الحرم، اما (المهدي) فهو بنظرهم رجل ثانوي ..تماماً كما قال الأمير عبد الله (ولي العهد الحالي) (في مقابلة مع مجلة الحوادث): (انه في نظرنا رجل ثانوي)..[٣] في حين اجمعت الصحف السعودية على اعتبار جهيمان (زعيم العصابة) و (زعيم الخوارج) وما أشبه.. فهذه جريدة الشرق الأوسط السعودية تتحدث عن اعتقال جهيمان بهذه الصفة: (علم رسمياً ان سلطات الأمن قد تمكنت من القبض على زعيم العصابة جهيمان العيتبي حيا)..[٤]

---

1 ــ الجزيرة ١٩٧٩/١٢/٥م.

2 ــ الرياض ١٩٧٩/١٢/٦م.

3 ــ الحوادث ١٩٨٠/١/١٨م.

4 ــ الشرق الأوسط ١٩٧٩/١٢/٥م.

اذن جهيمان هو القائد ..اما صفاته التي قدمها فهد ــ الملك الحالي ــ فهي كالتالي: (هذا الذي اسمه جهيمان، هو مثل أي واحد منهم، هو رجل ساذج عادي إلى درجة متناهية، لا يستطيع ولايحسن التعبير، لامن الناحية اللغوية ولامن ناحية التفكير حتى يستطيع ان يكتب كتباً ويسجلها ويجيب احاديث نبوية .وانه لايفهم منك إذا تحدثت معه)!![1]

بينما يصفه صديق فهد الراحل (سليم اللوزي) رئيس تحرير الحوادث: (ان دراسة بسيطة لدعوة الاخوان تظهر ان الرجل مصاب فعلاً بهوس وحشي غريب، وميل فطري للمآسي ..ولكنه موهوب في نفس الوقت بقدرة غريبة على التأثير بالسذج من الناس الباحثين عن قضية او دعوة تلهب خيالهم، وتجعل منهم اصحاب شأن)[2].

ووصف اللوزي جهيمان مرة أخرى اثناء تقديمه للذبح ــ على الطريقة السعودية ــ: (كان جهيمان يتمتم ويحرك شفتيه بكلام يستمد منه القدرة على الصمود، ويدير نظرات صارمة وكأنه انسان مؤمن بما فعل .لم يكن خائفاً، وهذا أخطر مافيه، بل كان يسخر بنظراته من الآخرين[3].

ووصفته صحيفة الفايننشيال تايمز بالقول (ان جهيمان بعد ان استسلم تعرض للشتم واللطم وجر شعر الرأس أمام كاميرا التلفزيون، إلا أنه استمر يتمتم بالصلاة)[4].

ان أوصاف اللوزي تتناقض مع أوصاف فهد، فالرجل الشجاع وصاحب التأثير لايمكن ان يكون ساذجاً كما قال فهد، ولا مهووساً كما قال اللوزي، وانما شخص اداري كفوء وصاحب شخصية مؤثرة، ورجل استطاع ان يقنع المئات بأفكاره التي سطرها من خلال كتبه وكراساته.. وبالتالي قال الساذج حقاً هو من يصدق فهد في أوصافه!، ولذا لم يجد فهد احداً يصدقه فيما قاله وانكشف اعلام آل سعود وكذبهم وتشنيعهم بالاخوان.

(ثالثاً)

النظام السعودي، بيت من رمال!

النظام السعودي ينظر إليه من الخارج، على أساس انه نظام قوي ثابت ومستقر إلى أقصى الحدود.. وانه نظام يعتمد عليه الغرب في ضبط استقرار المنطقة العربية امنيا، سواء بالمساعدات المالية التي تقدمها الحكومة السعودية للأنظمة المتغربة، أو باسباغ الشرعية عليها، او بمحاربة التيارات الدينية والثورية..

وكان النظام السعودي يعتبر احد دعامات الغرب الرئيسية، وكان يشكل اضافة إلى شاه ايران دعامتان قويتان يستند عليهما الوجود الغربي في المنطقة الاسلامية.. وقد انهارت احدى هاتين الدعامتين بسقوط الشاه، والثانية تخلخلت بسبب انتفاضة الحرم المكي وانتفاضة المنطقة الشرقية..

---

1 ــ السفير ١٩٨٠/١/٩م.

2 ــ الحوادث ١٩٨٠/١/١٨م.

3 ــ المصدر السابق.

4 ــ فايننشيال تايمز ١٩٨٠/١/١٠م.

لقد تبددت اسطورة الأمن السعودي، حيث كان الشعور السائد لدى السياسيين في المنطقة هو ان النظام السعودي من أكثر الأنظمة استقراراً وقوة في العالم العربي، بل في العالم اجمع، لكنه اصبح اليوم ابعدها عن الاستقرار وان الكيان السعودي هش بشكل يدعو للرثاء.. لذا قال مسؤول خليجي لمجلة نيوزويك: (ان العملية ــ عملية الحرم ــ ترينا كم هو النظام السعودي هش) واضاف: (ان احداث الحرم قد كشفت مدى التدهور الأمني في السعودية)[١].

ان الأمن السعودي والاستقرار المزيف، كان ولايزال يبنى على التخويف والرعب والسجون والمعتقلات ..وقد سقط كل هذا الحصن الورقي السعودي امام عاصفة الجماهير الغاضبة في مكة ومدن المنطقة الشرقية وغيرها ..ولم يخطيء الدبلوماسي الغربي في الرياض حينما قال: (لأول مرة اهتزت اركان الأسرة منذ وجودها ..ودخل الخوف قلوب الأمراء بشكل فظيع). [٢]

وكتب (كارل. ت. راون) في مجلة (ريدرز دايجست) مقالاً تحت عنوان (العربية السعودية.. ايران القادمة) صور فيه حالة الفزع التي انتابت آل سعود بقول "(نحن نواجه الأخطار من الداخل والخارج)" هكذا أرسل لنا السعوديون الذين يزودوننا بإخلاص من نفط الشرق الأوسط، بهذه الاشارات التي تبعث على اليأس.. ترى إلى متى يمكن ان نبني حساباتنا على هذا الحليف الحيوي المعرض للخطر؟![٣]

ولم يكن القلق على العرش السعودي مستبداً بالأمراء السعوديين، بل وبأسيادهم الأمريكيين الذين سارعوا بعد ان سقط الشاه إلى استعراض عضلاتهم في سماء البلاد بأسراب من طائرات (اف ــ ١٥) وبعد الانتفاضة أعلن كارتر ــ الرئيس الأمريكي انئذ ــ وبكل صراحة ان (أمن النظام السعودي، جزء الأمن القومي الأمريكي).. وفي مارس١٩٨٠م أعلن بريجنسكي ــ مستشار كارتر للأمن القومي ــ (أن أمريكا ستتدخل لمنع أي تهديد للحكم السعودي، سواء كان داخلياً ام خارجياً).. كما صرح وزير الطاقة الامريكي آنئذ (جيمس شلسنجر): (ان عدم استقرار النظام السعودي، هو أخطر بكثير مما كنا نتصور)[٤].

وحتى اسرائيل الغاصبة خشيت من سقوط النظام السعودي، فحينما زار (عزرا وايزمن) وزير الدفاع آنئذ واشنطن (تركزت محادثاته مع هارولد براون وزير الدفاع الأمريكي، وسايروس فانس وزير الخارجية على قضية هامة، وهي قضية الاستقرار في المملكة العربية السعودية ..وأشارت التقارير الواردة إلى واشنطن ان اسرائيل تشعر الآن بأن النظام السعودي معرض لخطر الانهيار..[٥]

لقد اظهرت الانتفاضة بؤس الجهاز الأمني السعودي، الذي رصد له المليارات من الريالات لوأد أي تحرك معارض، لم يفعل شيئاً، وسجل فشلاً ذريعاً من اداء مهمته.. حيث لم يتمكن هذا الجهاز من رصد خلايا التحرك والعمل المعارض، ويكفي دلالة على هذا ما قاله وزير الاعلام السعودي (محمد عبده يماني):

---

1 ــ نيوزويك ١٩٨٠/٣/٣م.

2 ــ صبح آزادكان الايرانية ١٤٠٠/٢/١٥هـ.

3 ــ ريدرز دايجست مايو ١٩٨٠م.

4 ــ المصدر السابق.

5 ــ صحيفة ديلي تلغراف ١٩٧٩/١٢/٢٧م.

(اتصلنا بوزارتي الدفاع والداخلية ..وسألنا هل نذيع الخبر؟ فقالوا :ماذا ستقول؟ !الحادث لايزال غامضاً، لا أحد يستطيع ان يقول لك ماذا حدث؟ كيف؟ من هم؟ لقد فوجئنا جميعاً بأن يقع ما وقع في الحرم المكي ... وأصبح معرفة مايحدث داخل المسجد نوعاً من التكهن والرجم بالغيب)..[1]

اذن اين آثار الملايين التي تنفق على الأمن وحماية النظام، اين العيون الساهرة التي يخوف بها آل سعود معارضيهم؟ !

لقد كانت اجهزة الأمن، صفر على الشمال!

لماذا لم يكشف التنظيم، وتكشف الخطط؟!

يجيبك اساطين آل سعود على هذا، بأنه ليس هناك تنظيم، حتى لا يتهموا بأن أجهزتهم ضعيفة ومقصرة ولم تستطع اكتشافه ..فهذا نايف وزير الداخلية يجيب في مؤتمره الصحفي على سؤال: هل ان الجماعة التي اعتصمت في الحرم تنظيماً بقوله: (انا كما قلت.. التحقيق بدأ الآن، وما ظهر لنا حتى الآن هو ان التنظيم خاص بهم، ولكن هذا لايمنع ان نكتشف اشياء في المستقبل)[2] وقد اكتشفت الوزير بعدئذ ان القول بان هناك تنظيم غير مفيد له، ولذا كذب اكتشافه الاول حينما قال للطلبة في جامعة الرياض ــ الملك سعود ــ: (لم يكن للمعتدين على الحرم تنظيم أو تدريب.. وكل ما هنالك ان مجموعة من الأشخاص لايزيد عددهم عن أصابع اليد اتفقوا على ان يدخلوا الحرم واجتمعوا في فترة قصيرة)[3]!!

لايوجد تنظيم!،

لايوجد تدريب!،

الجماعة مجموعة أفراد لاتزيد عن أصابع اليد!

هذا هو تقييم آل سعود للجماعة وعملها.. ولهذا استغرقت عملية قتلهم وانهائهم حوالي ١٥ يوماً من القتال بأحدث وسائل السلاح، وبمعاونة من الأجانب!! فياله من كذب وخداع!

ومرة أخرى نفى نايف وجود تنظيم، وذلك في مقابلة له مع جريدة السفير اللبنانية[4]حيث سأله رئيس التحرير (ألم يكن لهم تنظيم معين؟ الم تكن لهم خلايا أو ما يشبه ذلك؟!).. (أجاب نايف): (لا ..من الصعب تسميتها بـــ "خلايا "كل مافي الأمر ان بعض الأشخاص من البارزين فيهم، اتصلوا بأفراد هنا وفي مصر وباكستان وغيرها، فجاء هؤلاء لأداء العمرة، وتم التلاقي بينهم، وبقوا حتى موسم الحج، من غير ان يعرف الكثير منهم بأمر البيعة التي قررتها مجموعة الأشخاص الستة)

ان شرح نايف، وسير العملية، يوضح بجلاء انه كان هناك تنظيم، وإلا فإن الفوضى لاتنتج عملاً كالذي حدث في الحرم.. ومادامت هناك قيادة، ومادام هناك فكر معين يوحد القاعدة، ومادام هناك اتصالات على مستوى القاعدة، وعلى مستوى القمة، ليس في البلاد السعودية فحسب بل في البلدان الاسلامية الأخرى،

---

1 ــ الحوادث ١٨/١/١٩٨٠م.

2 ــ المدينة ٥/١٢/١٩٧٩م.

3 ــ الرياض ٩/١/١٩٨٠م.

4 ــ السفير ١٠/١/١٩٨٠م.

ومادامت هناك مقرات خاصة بهم، واجتماعات سرية وتدريب على السلاح.. الا يعني كل هذا ان هناك تنظيماً؟!.. وإلا فما هو التنظيم اذن؟!

صحيح ان جهيمان يتذمر من مسميات "التنظيم "المتعارف عليه، وكان يكتب بما معناه :اننا وجدنا كل شيء مخطط منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.. ربما بسبب اشكالاته على قضايا التحزب الأعمى، لكنه كان (عملياً) يمارس العمل المنظم، في تحركه ودعوته ونشاطه وقد اتخذ اسلوب العمل السري وشرح سبب اقدامه على ذلك كما أوضحنا ذلك في موقع سابق من الكتاب.

ومرة ثالثة ينفي نايف في مؤتمره الصحفي ١٩٨٠/١/١٦م وجود تنظيم، لكنه وفي ذات التصريح يوحي بوجوده، أي انه (موجود وغير موجود).. يقول نايف: (التنظيم ليس تنظيماً بمفهوم التنظيم المعروف.. انما هناك اتصالات واجتماعات حدثت من قبل، محدودة ومعروفة لدى السلطات المختصة)!، وهكذا فكل شيء معروف ومكشوف لدى أجهزة الأمن التي لا تستطيع ان تحدد بالضبط هل هناك تنظيم أم لا؟ فضلاً عن اكتشافه واكتشاف خططه.. فأي علم ومعرفة هذه التي يزعمها نايف، وزير القمع السعودي؟!

وللرد على ما قاله نايف، نترك الشيخ حمود بن صالح العقيل، الداعية في دار الدعوة والافتاء والارشاد، ليشرح توقعات الدولة والمشايخ تجاه جماعة الاخوان.. يقول العقيل: (ان الذين راقبوها ــ أي اجهزة الاستخبارات ــ لم يعلموا في أي زمان ومكان وبأي اسلوب سينفذون مخططاتهم)، وهذا التصريح اكثر من كاف لمعرفة قوة اجهزة الأمن السعودية!

ان آل سعود كثيراً ما يزعمون ان جماعة جهيمان مكشوفة ومعروفة لديهم، وان افرادها بما فيهم جهيمان قد اعتقل، منها قول نايف: (قبضنا على البعض منهم قبل الحج، وتبين ان مجموعة لا يتعدى عددها الستة أشخاص قد اجتمعت عند واحد منهم، وقررت ان محمد بن عبد الله القرشي أو القحطاني أو التركي تنطبق عليه صفات المهدي المنتظر)[١].

وقال نايف لطلاب الجامعة ــ الملك سعود ــ: (ان المعتدين على حرمة البيت كانوا معروفين لدى أجهزة الأمن وقد سبق ان أوقفوا وقبض عليهم.. اننا كمسؤولين كنا عندما نوقف أحداً منهم نجد من يقول: أن ليس وراءهم أي شيء)[٢].

وقال في موقع آخر: (ان تحركات المجموعة التي قامت بالحادث لم تكن خافية على اجهزة الأمن ابداً.. والدليل ان من بين المهاجمين من كان مقبوض عليه قبل الحادث وافرج عنه نتيجة تعهدات اعطاها أو اعطاها من كفله)[٣].

وسأل سليم اللوزي نايف: (يروى انكم حاولتم القبض على السيد جهيمان العتيبي، فلم تستطيعوا الامساك به). فرد الأخير: (قبضنا عليه من قبل وتدخل بعض رجال الدين فأفرجنا عنه وعن رفاقه)[٤].

---

1 ــ السفير ١٩٨٠/١/١٠م.

2 ــ جريدة اليوم السعودية ١٩٨٠/١/٩م.

3 ــ المصدر السابق.

4 ــ الحوادث ١٩٨٠/١/١٨م.

ان كل هذه الأقوال تدل على أمرين:

الأول: ما ان حكاية القبض مبالغ فيها، لاظهار اقتدار القوة الأمنية.

والثاني: واما ان الأجهزة الأمنية لا تعي ولا تفهم ولا تدري ماذا تخبؤه هذه المجموعة أو الأفراد المعتقلين..

اذ ليس اعتقال افراد قبل الحادثة دليل كفاءة.. فهذا الأمر يحدث مراراً وتكراراً، اثناء صدام المعارضة مع السلطة.

وانما المهم، هو لماذا اطلقت السلطة سراحهم؟!

ــ هل كان ذلك استجابة لضغوط رجال الدين؟

ــ أم لأن السلطة الأمنية لم تعتبرهم يشكلون خطراً عليها، نظراً لأنها لم تحصل على أية معلومات عن نشاطاتهم القادمة؟!

ربما يكون الجواب هو الاثنين معاً..

لكن من المؤكد ان السلطة لو علمت بنيتهم وخططهم لم تفرج عنهم حتى لو تدخل رجال الدين ..فحين يكون الأمر متعلقاً بعمل ضخم لاسقاط النظام، فإنها لاتتهاون في الأمر بالطبع.

ان الشيء المؤكد الذي اوضحته حادثة الحرم، هو ان جهاز الأمن السعودي ضعيف، بدليل وقوع الحادث الذي اخذ آل سعود على حين غرة.. وان كيان النظام السعودي بكل قواعده في وضع منحط ومتخلف إلى أبعد الحدود.

هناك عشرات الاسئلة لاتزال تبحث عن جواب: اين تدرب أفراد المجموعة، ومن اين لهم السلاح؟! ولماذا لم تكتشف السلطة مواقع التدريب التي استخدمت في داخل البلاد؟ وكيف عجزت هذه الأجهزة عن كشف التسريب الكبير للسلاح من مخازن الحرس الوطني؟!.

ان هذه الاستفهامات، هي أهم ما كان يشغل بال آل سعود.. يوضح ذلك ما ذكره صديق آل سعود سليم اللوزي بقوله: (والأسئلة التي يطرحها المسؤولون عن الأمن في السعودية لاتتعلق بهويات هؤلاء الأشخاص، بقدر ما تتعلق بالجهة التي دربتهم أو استخدمتهم أو امنت لهم السلاح).[1] وقالت الدستور الأردنية بهذا الصدد (ان علامة الاستفهام الكبرى المرتسمة الآن في السعودية والتي يتركز التحقيق مع المعتقلين حولها هي من اين حصل افراد هذه الجماعة على الأسلحة والتدريب على استخدامها)[2]...

لقد أوضح آل سعود عجزهم وفشلهم، هذا الفشل هو الذي دعا نايف ليعترف بأنه كان يحاول القبض على المرحوم جهيمان ففشل في ذلك: (بعد ان تلقينا معلومات عن تصاعد نشاطاتهم وتحركاتهم، حاولنا القاء القبض على جهيمان، باعتباره احد رؤوس جماعة الاخوان، ولكنه كان يختفي وينتقل من مكان إلى مكان)[3].

---

1 ــ الحوادث ١٩٧٩/١٢/٧م.

2 ــ الدستور ١٩٧٩/١١/٣٠م.

3 ــ الحوادث ١٩٨٠/١/١٨م.

وعلقت صحيفة الغارديان على فشل الأمن السعودي: (ان من الصعب قبول هذه الأسباب لتفسير فشل سلطات الأمن في القبض على محمد بن عبد الله قبل بداية القرن الاسلامي الجديد، مع انه كان معروفاً لدى السلطات منذ ان كان متزمتاً في مكة، وسبق ان اعتقل بتهمة معارضته للوهابيين .كما كانت السلطات على علم بمؤلفات السيد جهيمان بن سيف العتيبي، وهو احد أفراد الحرس الوطني، واحد أفراد قبيلة عتيبة)[١].

وبسبب هذا العجز والفشل، راح الجميع يرثي لحال آل سعود..

* فمجلة نيوزويك[٢] كتبت تحت عنوان (خليج المخاوف والهموم) مقالاً جاء فيه: (ان دول الخليج كلها، تنظر إلى السعودية على انها القوة الاقتصادية والعسكرية الرئيسية في المنطقة، ولكن هذه الدول قلقة، ولا سيما بعد الهجوم الذي تعرض له البيت الحرام، من احتمال ان يفقد حكام السعودية سلطانهم .وقد صرح احد زعماء الخليج قائلاً" :ان العائلة المالكة فقدت سبل اتصالها بالشعب، اذ لاوجود للمؤسسات السياسية، والثروة موزعة بشكل سيء، فهناك فقر مدقع ازاء طاقة هائلة على الاستهلاك)..

*وسبق لمجلة نيوزويك ان قالت: (للمرة الأولى منذ تأسيس البيت السعودي، تهتز اركانه ..وان آل سعود ميتون فزعاً)[٣]..

واكملت: (هذه الأزمة ــ حادثة الحرم ــ حطمت ثقة العائلة المالكة) واضافت: (في تقرير أمريكي سري ورد التحذير التالي: لايمكن ضمان بقاء النظام ــ السعودي ــ بعد السنتين القادمتين.. ويقول موظف رسمي في دولة مجاورة من دول الخليج: "لقد كشف ما حدث في مكة خرافة امن العربية السعودية، واظهر بوضوح هشاشة النظام"..)[٤]

وبسبب فشل الجهاز الأمني السعودي طهر بشكل واسع، او كما قالت النيوزويك: (طهر جهاز الأمن كلياً في البلاد).[٥]

ومهما يكن من أمر، فإن انتفاضتي الحرم والمنطقة الشرقية، وضعتا النظام السعودي في موقعه الذي ينبغي ان يظهر به، واثبتنا بما لا يقبل الشك مدى هشاشته وضعفه، وان نغمة الأمن والاستقرار لن تجد من يعزفها، وان عزفت، فإنها ستكون صوت نشاز ليس الا!

---

1 ــ الغارديان ١٩٨٠/١٢/٤م.

2 ــ نيوزويك ١٩٨٠/٣/٣م.

3 ــ نيوزيوك ١٩٨٠/٣/٣م.

4 ــ المصدر السابق.

5 ــ المصدر السابق.

رابعاً

الولاء للشعب وليس للنظام..

اظهرت حادثة الحرم بوضوح مدى ارتباط الجنود وخاصة الحرس الوطني بالسلطة، فقد ثبت ان ولاء الجنود للشعب اكثر من ولائهم للسلطة، خاصة وان اغلب المجندين يرتبطون بروابط قبلية وعائلية وعاطفية مع قطاعات شعبية واسعة، ليست بالضرورة موالية للنظام..

وهذا الولاء المتضعضع للسلطة، يفسر سبب تردد كثير من الضباط والجنود، في الاشتراك في عملية قمع الاخوان.. وبالطبع فإن من هؤلاء، احد قيادة الرياض الجوية الذي قال: (لن ادع جنودي يقتلون من اجل امراء مرتشين وفاسقين).[١]

واشارت مجلة نيوزويك إلى التمرد في صفوف الحرس الوطني بقولها: (ان هناك تقارير تشير إلى انه اثناء الهجوم المضاد الذي قامت به الحكومة على المسجد، فإن عدداً كبيراً من أفراد الحرس الوطني انضموا إلى صفوف المتمردين، أو رفضوا فتح النار عليهم مما جعل القادة العسكريين السعوديين يطلبون النجدة من وحدات عسكرية للقضاء على الذين استولوا على المسجد)[٢].

وعلقت صحيفة الغارديان على انفراط ولاء الحرس الوطني، وعدم ثقة آل سعود به قائلة: (والأمر المقلق في حادث حصار مكة بالنسبة لآل سعود، هو وجود أفراد من الحرس الوطني بين زمرة المتمردين . فإذا كان ولاء الحرس الوطني، الذي يقوده الأمير عبد الله، والذي يعمل بصورة مستقلة عن الجيش محل شك، فإن استقرار المملكة معرض للخطر)[٣].

والسؤال المطروح، ما هي أسباب أزمة الثقة بين القوات المسلحة السعودية، وبين الأسرة المالكة؟ فإذا كان اخلص هذه القوات (الحرس الوطني) قد تمرد واصبح مشكوكاً في ولائه، فماذا بقي للنظام السعودي من معتمد يعتمد عليه؟!

يمكننا ارجاع اسباب ازمة الثقة والولاء هذه إلى الأمور التالية:

١/ الاحساس العام بفساد النظام، وامتداده داخل القوات المسلحة، ففضائح الأسرة المالكة وفسوقها وفجورها أكبر من ان تختفي عن اعين الناظرين، وسمع السامعين ..ولأن فرق الجيش، والقوات المسلحة بشكل عام، لاتعتبر معزولة عن الشعب، فإنها تتأثر بشكل كبير بما يجري خارج المعسكرات، وما يتناقله الناس من امور ..ولذا فإن الجنود لا يكنون ولاءاً ثابتاً للعائلة المالكة، وبالتالي فهم غير مستعدين لمواجهة انتفاضة كبيرة كالتي وقعت في مكة، والتي لها قواعد شعبية تؤيدها، وتشترك معها ومع الجيش في الاحساس بفساد النظام في مختلف المجالات ..نعم، قد لا يجد بعض الجنود حرجاً من مقاومة انتفاضة صغيرة ومحدودة التأثير، اما مواجهة ما وقع في مكة، بتوسيع عمليات القمع لفئات شعبية عديدة، فإنه لا يخلو من مخاطر..

---

1 ــ دير شبيغل ١٠/١٢/١٩٧٩م.

2 ــ نيوزيوك ١٧/١٢/١٩٧٩م.

3 ــ الغارديان ٦/١/١٩٨٠م.

وأول هذه المخاطر، تمرد الجنود أنفسهم، هؤلاء الذين يشعرون بأن المطلوب منهم حماية آل سعود، وليس حماية المواطنين.

٢/ من الواضح ان هناك تغلغلاً كبيراً للاخوان في صفوف الحرس الوطني بالذات، وقد ساعد هذا على احياء روح التمرد ورفض الأوامر، وعدم الاشتراك في القتال.. مع العلم ان العديد منهم التحق بالاخوان داخل الحرم!

٣/ من المعلوم ان الحرس الوطني يعتمد على العناصر البشرية القبلية، وفق تنظيم خاص، ولأن جماعة جهيمان ضمت عناصر عديدة من اقوى القبائل التي تشكل العمود الفقري للحرس الوطني، كقبيلة عتيبة وقحطان، لهذا كان من الطبيعي ان يتعاطف معهم الضباط والجنود الذين ينتمون لهذه القبائل.

٤/ لقد بدأ واضحاً للجنود، ان آل سعود هم الذين يريدون دخول الحرم والبدء بالقتال ..وهذا يعني انتهاك مقدسات المسلمين من أجل حماية العرش السعودي، وهو مارفضه آلاف من الجنود، كما أوضحنا.

فأي جندي مسلم ملتزم يقبل بأن يقود دبابته ليحطم صوامع الحرم ويدخل حتى المطاف، ثم يقذف بالحمم النارية المنائر والممرات والسرادق والأقبية؟ !واي انسان هذا الذي يقبل بقيادة طائرته ليصب نيرانه على الكعبة؟!

ان هذا الفعل القبيح اثار الجنود، خاصة وان آل سعود راحوا يفاخرون بتحطيم بوابات الحرم وهدم جدرانه.. ومن هذه المفاخرات ماقاله احد وعاظ السلاطين الذي حمد الله ان الدبابات وصلت إلى المطاف، أي على بعد بضعة امتار من الكعبة.. يقول (استطاعت القوات والحمد لله بواسطة مدفعيتها ان تفتح بعض أبواب الحرم من بعيد، وان تدخل معها الدبابات التي نزلت في المسجد حتى وصلت المطاف، وان تطلق النار من الداخل على هؤلاء المجرمين.. نقلت المعركة معهم إلى الداخل بالاضافة إلى الخارج)[1]. وتغطية على هذه الجريمة الشنعاء اصدر فهد (أوامره بتغيير ارضية الحرم المكي الشريف، بأرضية من افخم وارقى انواع المرمر، وذلك على نفقته الخاصة، مساهمة منه في اعمار المسجد الحرام)[2] متناسياً هذا (الفهد) أنه هو الذي أمر بتدمير الحرم وتكسيره وهتك حرمته من أجل القضاء على المعارضين له!

٥/ ان تعامل آل سعود مع القوات العسكرية في وقت السلم، تعامل ينم على عدم الثقة مطلقاً.. بل ان تخطيط آل سعود الاستراتيجي يدخل في حسابه تمرد القوات، هذا في وقت السلم، فكيف سيكون الحال في وقت الحرب؟!

ــ في وقت السلم يسيطر الأجانب على كل القطاعات والقواعد العسكرية، ولهم الكلمة الأولى في كل شأن عدا الأمور الادارية فإنها توكل إلى قائد القاعدة الرسمي من المواطنين، أو من آل سعود؟

ــ وفي وقت السلم، يستعين آل سعود بالقوات الأجنبية!

ــ وفي وقت السلم يخطط آل سعود استراتيجياً على أساس تشتيت القوات، حيث حرصوا على تباعد الفرق العسكرية لتجنب التنسيق فيما بينها في حالة الأزمات، تخوفاً من تدبير انقلاب عسكري.. ويعلق وزير

---

1 ــ الرياض ١٩٧٩/١٢/٤م.

2 ــ الرياض ١٩٧٩/١٢/١٢م.

الدفاع الاسرائيلي السابق (ايتان) على هذه الحقيقة معرباً بأن استنفار القوات المسلحة السعودية مستحيلاً في فترة محدودة، بسبب تباعد التشكيلات عن بعضها من ناحية الموقع وغياب التنسيق بينها.

وبديهي ان من لايثق في قواته، لا تثق فيه هي الأخرى ..ومن مظاهرة عدم ثقة النظام السعودي بقواته، انه استخدام الخبرات الأجنبية لقيادة عمليات السيطرة على الحرم، ووضع الجنود السعوديين تحت امرتها مما زاد من أزمة الثقة.. و(زاد الطين بلة) ان جرد آل سعود ضباط الوحدات الآلية من الحرس، الذين كانوا محيطين بموقع الانتفاضة من ضباطهم الأهليين، وعين ضباطاً آخرين من الجيش، الأمر الذي سبب في امتناع افراد عن الحرس من تلقي الأوامر من هؤلاء الضباط الجدد ..وقد خلقت عدم معرفة هؤلاء الضباط بإسلوب توجيه افراد الحرس، بسبب اختلاف طبيعة الأوامر، وغياب الثقة المتبادلة بين الحرس والجيش مشاكل اضافية.

إن ما يريده النظام من الجيش والحرس الوطني، ليس محاربة عدو خارجي، وانما تنحصر مهامها بدرجة كبيرة في عمليات القمع الداخلي، إلا ان تجربة الحرم اثبتت ان قدرة القوات المسلحة حتى في مثل هذه المناسبات محدودة ..واهم سبب في محدوديتها، فقدان ثقتها بآل سعود!

خامساً

تعرية النظام من العباءة الدينية:

احدثت انتفاضة الحرم اصطداماً مباشراً بين منطق الحكم السعودي الذي يجد تربته في المذهب الوهابي، وبين ممارسات العائلة المالكة المنافية لمنطق هذا المذهب، ومختلف المذاهب والاتجاهات الدينية..

لقد جاءت الانتفاضة لتضع حداً بين سياستين ونمطين في العلاقات، والممارسات، حد الاسلام من جهة، وحد البترول والدولار من جهة أخرى، وضمن هذا الحد يمكن القول ان الانتفاضة جاءت لتكشف العلاقة التي نسجتها الأسرة الحاكمة منذ سنوات بين الاسلام والسياسة الأمريكية في المنطقة.[1]

فكما هو معروف، ان النظام السعودي يعتمد في تحركه السياسي الخارجي وتسلطه الداخلي، على قاعدتين رئيسيتين:

أموال البترول..

والمكانة الروحية..

فبالاضافة إلى أموال البترول التي ساعدت النظام على النفوذ إلى كثير من الحكومات ومد خطوطه فيها، فقد ساهمت المكانة الروحية للبلاد، باعتبارها أرض الحرمين ومركزاً هاماً من مراكز التعليم الديني في العالم الاسلامي، على اعطاء النظام بعداً روحياً ساهم في جلب ولاء كثير من المفكرين والشعوب الاسلامية اليه، وقد ادرك النظام اهمية الموقع الذي يسيطر عليه اسلامياً، فركز على دور الاسلام في سياسته، واظهر المسؤولون السعوديون اهتماماً كبيراً بالمظاهر الاسلامية، مثل بناء المساجد في كل مكان من العالم، وتقديم

---

1 ــ السفير ١٩٧٩/١٢/٥م.

تسهيلات للطلاب المسلمين للدراسة في جامعات اسلامية اسسها لهذا الغرض في داخل البلاد، مما اوجد إلى جانبه مجموعة كبيرة من فقهاء السلاطين الذين ينتشرون في ارجاء العالم الاسلامي، ويقدمون الدعم المعنوي للنظام والتبريرات الدينية لخطواته، حتى تلك المعادية للإسلام والمسلمين.

إذن، فإن احدى مقومات وجود النظام هي وجود الأماكن المقدسة في الأراضي التي يسيطر عليها، ومناداته بالشعارات الاسلامية، ووجود طبقة من فقهاء السلاطين الذين يدعمون استقراره ويوفرون له غطاءاً اسلامياً، وتلك هي القاعدة الثانية لقوة النظام كما اسلفنا، هذه القاعدة انهارت الآن تقريباً، وبدأ النظام يصطدم فعلياً مع الحركات الاسلامية، بعد ان اصطدم فعلياً مع الجماهير الاسلامية عدة مرات، فبعد انتفاضة الحرم قام النظام بالقبض على (٨٨) ألفاً من المسلمين غير السعوديين المقيمين في الحرمين وتم ترحيلهم بطريقة غاية في القسوة والرجعية.

ومن طريف ما يذكر هنا ان وزير الأوقاف عبد الوهاب عبد الواسع قد استدعى امانة الندوة العالمية للشباب المسلم، وهم مجموعة من العلماء والمفكرين، وعاتبهم بقوة لأنهم فشلوا في احتواء الشباب المسلم وابعاده عن الحركات الثورية الاسلامية، رغم الأموال الضخمة التي ترصد لهذه المنظمة، والتي بلغت في أواخر السبعينات الميلادية اكثر من (٤٠) مليون ريال سنوياً.

لقد كان من ابرز نتائج انتفاضة الحرم، وضع آل سعود في موضعهم الحقيقي بتعريتهم من العباءة الاسلامية، التي كانوا يتخفون وراءها ويمارسون اجرامهم وفحشهم وسلوكهم المعادي للإسلام.. ان السلطة السعودية عارية الآن من هذه العباءة، فأنى توجهت إلى أي بلد في العالم العربي والاسلامي، تجد تياراً جماهيرياً عريضاً معاد بعنف لآل سعود، ويعتبرهم اخطر عدو داخلي يهدد المسلمين، لأنهم يمارسون كل اجرامهم بإسم الاسلام والقرآن.

والآن ماذا عسى آل سعود يقولوا؟

فالانتفاضة كانت بإسم الاسلام ودفاعاً عنه، ولأن آل سعود تجاوزوا قيم الاسلام وحاكميته، خاصة وان اكثر من ٨٠% من أعضاء جماعة الاخوان هم من طلبة الجامعات الاسلامية، فهم اذن اقرب إلى الاسلام من آل سعود.

كان النظام يحاول ان يخرج وعاظاً يهتفون له، ويبررون فسقه وفجوره، ونسي ان الاسلام اكبر من استغلال الحكام.. وان الشعارات الدينية المصلحية لايمكن ان تعمي عيون الناس عن الواقع الفاسد المغاير كلية للدين ومفاهيمه.. ولهذا جاءت الطعنة قوية لآل سعود.. فمن المدارس والجامعات الاسلامية انطلق الرفض لتجيير الدين، ومن مدارس السلطة انطلقت اصوات المعارضة والتنديد، وهكذا انقلب سحر آل سعود عليهم.

فقد أرادوا ضرب الاسلام بإسم الاسلام، وابى الله الا ان يبدي لهم سوء فعلهم، فجاء الاسلام نكالاً عليهم، وسيكون في المستقبل بإذن الله.

في أحد التصريحات، قال سلمان أمير الرياض، ان جماعة الاخوان ارادت ضرب الاسلام بإسم الاسلام بالتعاون مع اعداء الاسلام و متغافلاً عن انه هو واخوانه ينطبق عليهم هذا القول دون غيرهم.. لقد قال: (لقد عجزت جميع المبادئ الهدامة والمستوردة التي عبثت بكثير من امن واستقرار دول الشرق الأوسط والعالم

النامي بصفة عامة، فأرادوا غزونا من معقل قوتنا، اذ لا أجد مبرراً لتصرفهم ــ أي لتصرف جماعة الاخوان ــ الا ان يكون اعداء الاسلام قد غسلوا افكار هؤلاء، ليكونوا وسيلة تدمير وتخريب)[1] ولعمري هل شوه الاسلام واضر المسلمين غير آل سعود؟!

وحول استغلال آل سعود للدين وانهمه لا يلتزمون به، وكيف ان النظام جاءه الخطر من المتدينين ..تقول صحيفة الفاينشيال تايمز[2]:

(ان وجود رجال مسلحين في الأسبوع الماضي في احد المساجد خارج الرياض، هو دليل واحد يشير الى ان العائلة السعودية تعترف علنا بوجود تهديد من الدعوة الدينية ..واهم من ذلك فإن الهجوم على مكة يشير إلى ان ادعاء العائلة والمؤسسة الدينية بحق الحفاظ على مفاتيح الاسلام الطاهر والصالح قد تزعزع).. فالصحيفة هنا تشير إلى ان الحراسات المشددة على المساجد ووضع الجنود المسلحين على البوابات من اهم الأدلة على أن الدين لم يعد وسيلة للعب على الناس والضحك على ذقونهم، بل ان هؤلاء المصلين المتدينين يشكلون خطراً على الحكم السعودي..

وتستعرض الصحيفة قول موظف سعودي كبير: (ان اهم الأشخاص الذين شاركوا في التمرد كانوا من جامعة مكة والجامعات الأخرى، وهم متأثرون بالأفكار الدينية الاصلاحية المنتشرة في العالم الاسلامي) وتضيف الصحيفة: (في الوقت الذي اخذت فيه الحكومة على عاتقها تعليم علماء الدين الأجانب على نشر المذهب الوهابي في الخارج، وكذلك تعليم مواطنيها، فإنها تعرضت إلى المخاطر المتأتية من الطلاب)[3]. وهكذا تنقلب المعادلة في غير صالح الحكم السعودي المتاجر بالدين، الذي اضطر كما تقول الصحيفة إلى أن تتخذ وزارة التخطيط (قرارين هامين هذا العام، فالمبالغ المخصصة في الخطة القادمة للجامعتين الاسلاميتين قد خفضت من ٤٠% من المجموعة إلى ١٠% كما ان خطة بناء مايستوعب ٢٣ ألف طالباً بكلفة ٤ بلايين دولار قد اجلت)..

وهذا ان دل فانمايدل على خوف آل سعود من الصحوة الاسلامية المعارضة لهم، وان همهم هو القضاء على هذه الظاهرة! وفي الأخير تخلص الصحيفة إلى هذه النتيجة: (ان الأحداث التي عرفتها السعودية في الأونة الأخيرة قد غيرت من الأفكار المكونة عن السعوديين.. ومن تلك الأفكار التي تغيرت مقولة ان هناك اتفاقاً جماعياً في الرأي بين القبائل خارج العائلة السعودية، حول تأييد أسلاف هذه العائلة، التي أسست الحكومة الأولى، بالتحالف مع المصلح محمد بن عبد الوهاب في القرن الثامن عشر)[4].

ونقلت جريدة (المحرر) المغربية عن صحيفة (نوفيل اوبزرفاتور) ملاحظاتها حول استثمار آل سعود للدين، وكيف انقلبت المؤسسة الدينية ضد آل سعود بالقول: (مورس بإسم الدين والثقافة الدينية تعطيل كامل للوعي والعمل الثقافي في المدارس والجامعات، لكن هذا الاتجاه، الذي كان الهدف منه تدعيم النظام

---

1 ــ الرياض ١٩٧٩/١٢/٩م.

2 ــ الفاينشيال تايمز ١٩٧٩/١٢/٧م.

3 ــ المصدر السابق.

4 ــ المصدر السابق.

ايدولوجيا، حمل في ذاته بذور تناقضه، بمعنى ان الوعي الديني مالبث ان اصطدام بالنمو الرأسمالي التابع، مع ما يصاحبه من فساد وتبذير واسراف، ووجدت الدعوة الدينية إلى التقشف نفسها في مواجهة مع كل مالا يمت إلى التقشف بصلة)[1].

كما نسبت ذات الجريدة إلى صحيفة (لومتان دوباري) قولها: (ان هيكل نظام المملكة السعودية هو بناء حديث قائم على مجموعة من قبائل البدو العربية، جمعها في النصف الأول من هذا القرن عبد العزيز ابن سعود. وإذا كانت هذه القبائل قد بايعت عبد العزيز، فإن ذلك لم يتم إلا تحت شروط: هي حماية الدولة للمقدسات الاسلامية، ولطرق الحج، وضمان امن وحرية زوار الديار الاسلامية بما فيها المسجد الأقصى. وإذا كان أفراد المنظمة "أي الاخوان" التي احتلت الحرم المكي ينتمون إلى مختلف القبائل العربية التي بايعت مؤسس النظام السعودي، وعرضوا انفسهم للموت المحقق، فإن ذلك يعني ان الأسرة المالكة السعودية خرجت عن شروط العهد الذي التزمت به، واخلت بالشريعة الاسلامية التي توصي بمحاربة المعتدين وحلفائهم، اسرائيل التي احتلت بيت المقدس، وامريكا حليفها الأكبر)[2].

أما مجلة نيوزويك، فتصور ردة الفعل الدينية، حتى من جانب المؤيدين للسلطة بالشكل التالي: (في مواجهة التغييرات التي تحدث من حولهم، قام الوهابيون اليقظون والكثيرو المحافظة، بثورة صغيرة لحماية القيم القديمة. فقد نزحت مياه مسابح الفنادق لمنع الاستحمام المختلط، وانتزع طعام الكلاب المعلب من رفوف المخازن الكبرى، نظراً لان الكلاب دنسة. وصفيت الدمى من مخازن اللعب لأنها وثنية، وحرمت الحكومة ــ اضطراراً ــ على النساء الغربيات العمل في وظائف تتيح لهن الاختلاط بالجنس الآخر. واقتيد معارضوا العائلة المالكة إلى المساجد لكي يدينوا الفساد والمادية وسوء التدبير في المناصب العالية)[3].

وهكذا يكون النظام السعودي قد كشف على حقيقته، وانتزعت العباءة الدينية التي سترت عورته وفساده، وتبين للمسلمين ان الاسلام لايمكن المتاجرة به وخداع الناس على الدوام.

(سادساً)

الانتفاضة تحدث تغييرات اساسية في السلطة

بعد انتفاضة الحرم مباشرة، اقدم النظام على خطوات تغييرية واسعة في كافة الميادين السياسية والعسكرية والأمنية.. وذلك بعد الفشل الذريع الذي مني به والهزائم التي لحقت به بفعل الانتفاضة.

فعلى الصعيد السياسي تم مايلي:

١/ اقالة الأمير فواز بن عبد العزيز من امارة مكة.. نظراً لأن سهام الاخوان كانت موجهة اليه بدرجة كبيرة، باعتباره يمارس الفجور والمحرمات بشكل علني، مما ادى إلى سخط الاهالي واشمئزازهم.

---

1 ــ المحرر المغربية ١٩٧٩/١٢/١٥م.

2 ــ المصدر السابق.

3 ــ نيوزويك ١٩٨٠/٣/٣م.

٢/ اقالة الأمير ماجد بن عبد العزيز من وزارة البلديات، وتعيينه اميراً لمنطقة مكة المكرمة..

٣/ تسليم وزارة البلديات إلى الأمير متعب بن عبد العزيز وزير الاسكان، وبعد مدة عهد لإبراهيم العنقري (مدير مكتب فهد يوم كان الأخير وزيراً للداخلية) بتولي وزارة البلديات والشؤون القروية.

٤/ اقالة أمير حائل، وتعيين احد أفراد الأسرة المالكة مكانه، وهو الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز آل سعود.

٥/ اقالة أمير القصيم، وتعيين أحد أفراد الأسرة المالكة مكانه، وهو الأمير عبد الاله بن عبد العزيز آل سعود.

وعلى الصعيد العسكري والأمني، حدثت تغييرات اكبر وفي مختلف المواقع:

١/ اصدر الملك خالد امراً ملكياً برقم (٦٤/١) وبتاريخ ١٤٠٠/٢/١٢هـ بإنهاء خدمة الفريق أسعد عبد العزيز الزهير، قائد السلاح الجوي، ويحال على التقاعد.

٢/ اصدر الملك خالد أمراً ملكياً برقم (٦٥/١) وبتاريخ ١٤٠٠/٢/١٢هـ بتعيين الفريق أسعد عبد العزيز الزهير، بمرتبة سفير في وزارة الخارجية.

٣/ أصدر الملك خالد أمراً ملكياً برقم (٦٦/١) وبتاريخ ١٤٠٠/٢/١٢هـ بانهاء خدمة الفريق علي ماجد القباني، قائد القوات البرية ويحال على التقاعد.

٤/ أصدر الملك خالد أمراً ملكياً برقم (٦٧/١) وبتاريخ ١٤٠٠/٢/١٢هـ بتعيين الفريق علي ماجد القباني بمرتبة سفير بوزارة الخارجية.

٥/ في ١٩٧٩/١٢/٢١م، أصدر الملك خالد أمراً بإقالة مدير عام مؤسسة الخطوط السعودية عبد الله مهدي..

٦/ أصدر الملك خالد أمراً برقم (٦٨/١) وبتاريخ ١٤٠٠/٢/١٢هـ بتعيين الشيخ أحمد خليفة مطر، مديراً عاماً لمؤسسة الخطوط الجوية السعودية بالمرتبة الممتازة.

٧/ في ١٩٧٩/١٢/٢١م أقيل رئيس هيئة الأركان العامة للجيش السعودي الفريق أول عثمان الحميد من منصبه، وعين في منصب هامشي هو (مساعد وزير الدفاع والطيران) برتبة وزير!!

٨/ صدر أمر ملكي بتاريخ ١٤٠٠/٢/١٤هـ يقضي بتعيين الفريق محمد الصالح الحماد رئيساً لهيئة الأركان العامة.

٩/ وصدر أمر آخر في نفس اليوم، يقضي بنقل اللواء محمد بن منيع البلاع مساعد مدير عام سلاح الحدود، وتعيينه برتبته قائداً لقوات الأمن الخاصة.

١٠/ وقبل هذا الأمر صدر أمر آخر في نفس التاريخ بنقل الفريق محمد بن هلال قائد قوات الأمن الخاصة، وتعيينه برتبته مديراً عاماً لسلاح الحدود..

١١/ واقيل مدير الأمن العام الفريق فايز العوفي بتاريخ ١٩٨٠/١/١م، واحيل على التقاعد وتعيينه مستشاراً في وزارة الخارجية!!

١٢/ بينما نقل الفريق أول عبد الله بن عبد الرحمن آل الشيخ، مدير عام سلاح الحدود، وعين مديراً للأمن العام بتاريخ ١٤٠٠/٢/١٤هـ.

هذه هي التغييرات السريعة على مستوى القمة، أما الضباط المتوسطون في المرتبة فإن المئات منهم قد اقيلوا أو نقلوا إلى مواقع أكثر هامشية، وسلمت اهم المناصب إلى الموالين لآل سعود أو لأمراء من العائلة المالكة.. تماماً كما حدث بالنسبة للقيادة البرية والجوية، والتي عين لهما أميران من آل سعود.

ورغم ان هذه التغييرات ضخمة وهائلة ــ كما ترى ــ إلا أن آل سعود اصروا على انها (بسيطة) و(لا علاقة لها بحادثة الحرم)؟!

يقول نايف وزير الداخلية: (اما التغييرات في المناصب العسكرية، ففيما يخص وزارة الداخلية، ليس هناك تغييرات وانما هي تنقلات من جهاز إلى جهاز، وكانت مقررة من قبل، واما إذا كان يقصد بذلك ماحصل في وزارة الدفاع، فهي تقريباً نفس الشيء، ولم يكن لها علاقة بالحادث بتاتاً)[1]!!

(سابعاً)

تجرؤ المواطنين على النظام:

في بلد يحكمه الإرهاب والعنف والخوف، تصبح قضية الطلقة الأولى مهمة جداً، لأن حاجز الخوف والهيبة والرهبة يتلاشى بالضربة الأولى من قلوب الجماهير.. وجماهيرنا التي اعلنت على مدار العقود الماضية رفضها للحكم السعودي، تحتاج بين الأونة والأخرى إلى كسر حاجز الخوف بعملية كبيرة.. فمنذ عام ١٩٦٩م وحتى عام ١٩٧٩م عاشت الجماهير مرحلة من السكون، بعد القمع الشديد الذي تعرضت له كافة فصائل القوى الوطنية في مطلع السبعينات مما أثار حالة من الرعب تكرست على مدى سنين في النفوس، فأصبح الشرطي الحكومي الصغير مخيفاً إلى حد مهول..

ولكن انتفاضة المحرم في المنطقة الشرقية، والحرم في مكة المكرمة، وهي اكبر انتفاضة في تاريخ البلاد، دمرت حاجز الهيبة، وحطمت اغلال السكون، وقهرت الخوف، لان الجماهير شعرت بقوتها وبضعف النظام، ففي السابق كان مجرد الحديث عن السياسة أمراً مخيفاً، اما الآن فإن نقد آل سعود والتعرض لهم في المجالس على أساس انهم رؤوس فساد البلد، اصبح حديث كل الناس..

وفي السابق كان مجرد اعتقال مواطن بسبب سياسي، كاف لأن يرهب بقية المواطنين، اما الآن فإن الاعتقالات تتسع والجماهير أعلنت تحديها للنظام بكل صراحة، وحتى داخل المعتقلات، وأصبح السجين السياسي رمزاً بين الجمهور..

ان الدماء التي سالت امام ناظر المواطنين لم تفت في عضدهم، بل دفعتهم لمقاومة هذا الطاغوت الجاثم على صدور ابناء الشعب، واشعلت فيهم روح الاصرار والجهاد حتى النفس الأخير.

---

1 ــ من المؤتمر الصحفي الذي عقده نايف بتاريخ ١٩٨٠/١/١٥م.

ولاشك ان النظام يعرف اليوم امارات التحدي وعلامات الاصرار الايماني، ويعلم ان قمعه لايفيد في كبح انطلاق المارد الذي قيد بالخوف زمناً طويلاً.

لقد نشأ جيل جديد لا تهزه العواصف ولاتزلزله القواصف، يعمل لله منتظراً احدى الحسنين، النصر أو الشهادة..

ان انتفاضة المحرم (في مكة والمنطقة الشرقية) كان فاتحة لأبواب المعارضة، لأن النظام صار صغيراً في اعين المواطنين، وقد انخلعت عباءة الهيبة الزائفة التي غزابها العقول والقلوب في فترة سابقة.

ولهذا نلاحظ ان الأحداث في تصاعد مستمر، وخلال السبع سنوات الماضية دلائل واضحة على تزايد النقمة، واشتعال بؤر الجهاد ضد الطاغوت السعودي، وهذا يعني ان الناس تجاوزوا مرحلة "التخويف" وتجاوزوا الهيبة المفروضة بالقوة والارهاب..

وعلامات التجرؤ على النظام كثيرة تجد نتائجها في الاعتقالات التي تتسع يوماً بعد يوم في صفوف ابناء الحركة الاسلامية. لقد بدأ الناس ينخرطون في صفوف المعارضة الاسلامية بعد ان انكشف النظام على حقيقته، وازدادت علامات الرفض في المنشورات السرية التي تتكاثر، والكتابات التي تزيد الحيطان والحمامات العامة والمدارس وكل مكان..

وبدأ العلماء يتحدثون عن الفساد بصراحة، ويهاجمون رؤوس الفساد، حتى في معقل النظام (نجد). وراح المثقفون يتناولون موضوعات اكثر حساسية من السابق، واشارات النقد تعلو وترتفع..

وحتى التجار ابدوا امتعاضهم من آل سعود وسياساتهم الهوجاء، والطلاب في المدارس والجامعات يؤكدون رفضهم، رغم الاعتقالات الشرسة التي تنال الكثير منهم.

فماذا يعني هذا؟

انه يعني بدء مرحلة جديدة من الصراع بين الجماهير المؤمنة، وبين النظام الفاسد..

انه يعني ان قاعدة المعارضة تتسع لتشمل فئات كانت مؤيدة للنظام، كرجال الدين، وبعض المثقفين والتجار..

انه يعني امتداد واسع للحركة الاسلامية..

كل القوى التي كانت محسوبة على النظام بدأت تراجع حساباتها، واول القوى رجال القبائل، والمؤسسة الدينية.

ومن المهم التأكيد هنا على ان انتفاضة الحرم، بقدر ما كشفت خواء النظام، واكاذيبه والاعيبه، فإنها بالقدر ذاته، فتحت الطريق امام الآخرين لفعل ذات الشيء..

لننظر إلى حجم التجرؤ على النظام:

ــ كانت البداية كتابات جهيمان ونقده اللاذع لآل سعود، واعتبارهم ليسوا حكاماً شرعيين.

ــ ثم جاءت المحاضرات والمناقشات العلنية في المساجد وغيرها.

ــ وبعدها حمل المعارضون السلاح ولأول مرة بهذا الحجم الذي تم.. ثم استمروا في المقاومة حتى النهاية؟

الا يعني هذا جرأة زائدة على آل سعود، الذين لا يتحدثون مع احد قبل ان يضع عشرات الالقاب قبل الاسم، سواء كان المتحدث صغيراً ام كبيراً؟!

ماذا يعني ظهور تنظيم مسلح وقوي في كل انحاء البلاد معاد بعنف لسلطة آل سعود؟

ماذا تعني مشاركة القبائل في هذا الأمر؟

وماذا يعني تعاطف العديد من رجال الدين مع مطالب الاخوان؟

وماذا يعني اشتراك الحرس الوطني والجيش في دعم الانتفاضة؟

بل اليس مهما مشاركة افراد من مختلف بلدان العالم الاسلامي؟!

أوليس نشوء تنظيمات اسلامية في مختلف المناطق (والنظام يعرف بوجودها) دليل على اتساع رقعة المعارضة وحجمها؟

الا يعني كل هذا ان نجم آل سعود قد افل وسيأفل إلى ان ينهار؟

لقد كانت حادثة الحرم ضربة معلم لهيبة آل سعود وجبروتهم، ومن هنا جاءت اهميتها.. ففي تقرير للمعهد الملكي البريطاني جاء فيه (ان حادث الاستيلاء على المسجد الحرام في نوفمبر ١٩٧٩م لم يسبق له أي مثيل، من حيث كونه تحدياً لآل سعود، وتعتبر نتائجه اكثر خطورة حتى من اغتيال الملك فيصل)[١].

(ثامناً)

تفكك روابط القبائل بالحكم السعودي :

من اهم نتائج انتفاضة الحرم، انها احدثت شرخاً عميقاً بين القبائل وآل سعود.. فالحكم السعودي يعتمد بدرجة كبيرة في استقراره على ولاء القبائل له.. وحدوث الانتفاضة وضع القبائل وجهاً لوجه مع آل سعود.. فهذه القبائل خاصة (عتيبة وقحطان) قدمت العشرات من الأفراد شهداء، ومئات المعتقلين، والقبلي لاينسى ابداً، وولاؤه لقبيلته اكبر واوثق من ولائه للسلطة، وبالتالي فإن ماحدث من قتل ذريع واعدامات واسعة لجماعة الاخوان خلقت حالات من طلب الثأر، وحسب معلوماتنا فإن النار ماتزال تضطرم، حتى بين ذوي المناصب العلياً ممن لهم علاقة بهذه القبائل.

ولعلم النظام بهذه الآثار المريعة على وجوده: (هرعت العائلة المالكة بسرعة بعد ان اهتزت بفعل الحادثة، حتى تعيد ثقة الشعب التي تضررت بها.. مما دفع بالملك خالد وفهد وأمراء آخرين مهمين للقيام بزيارات استرضاء لزعماء القبائل الكبيرة لاصلاح ماخرب)[٢].

وقد تنبهت الصحف والمجلات إلى الطابع القبلي واثارة المستقبلية على النظام السعودي، فأشارت إلى ذلك، ومن بين هذه الصحف:

١/ قالت جريدة الاهرام[٣]: (ان ثمة تكهنات تشير إلى ان المسلحين هم أفراد قبيلة عتيبة الذين يعارضون حكم آل سعود طوال ٥٣ عاماً الماضية)..

---

1 ــ القبس ١٩٨٠/٤/٥م.

2 ــ نيوزويك ١٩٨٠/٣/٣م.

3 ــ الاهرام ١٩٧٩/١١/٢٥م.

٢/ وقالت جريدة النهار اللبنانية: (يستفاد من اشاعات متواترة في مكة وجدة، ان الأكثرية الساحقة من المتمردين السعوديين تنتمي إلى عشيرتي عتيبة وقحطان اللتان تقطنان وسط البلاد من الشمال إلى الجنوب. وإذا صحت هذه الأنباء، يكون التمرد شديد الالتصاق بالتركيبة القبلية والدينية للسعودية)[١].

٣/ وقالت مجلة الايكونومست البريطانية: (وإذا ظهر ان الغزاة هم من منتسبي قبيلة مهمة ومعروفة فسيكون لذلك اثار خطيرة في البلاد. ان العربية السعودية مكونة من قبائل، وإذا بلغ عدم الرضا بشأن احتكار قبيلة آل سعود في نجد للسلطة إلى حد اليأس الذي يتم فيه غزو المسجد، فإن الهيكل الداخلي للدولة قد اصيب بالانشقاق)[٢]. وتبين فعلاً ان اكثر أفراد جماعة الاخوان، هم من اقوى واكبر قبيلة في البلاد.

٤/ وقالت صحيفة الفايننشيال تايمز: (ان الأحداث التي عرفتها السعودية في الأونة الأخيرة قد غيرت من الأفكار المكونة عن السعوديين، ومن تلك الأفكار التي تغيرت مقولة ان هناك اتفاقاً جماعياً في الرأي بين القبائل خارج العائلة السعودية، حول تأييد اسلاف هذه العائلة التي اسست الحكومة الأولى بالتحالف مع المصلح محمد بن عبد الوهاب في القرن الثامن عشر)[٣].

٥/ وقالت مجلة المجالس الكويتية[٤]: (من المؤكد ان مايقلق السلطات السعودية هو ذيول الاضطرابات وانسحابها على الصعيد القبلي.

فالعربية السعودية تأسست في العشرينات، بعد ان وحدت الملك عبد العزيز الاقاليم الأربعة وهي نجد والحجاز والاحساء وعسير بالقوة، وعملية المسجد الحرام، رغم الخطأ في اختيار مكان العملية ووقوعها، فإنها تحمل مدلولات سياسية لجهة توقيتها الزمني، فهي قد كشفت عن الخلل في تركيبة النظام القبلي والعشائري، وتأثير ذلك على مستوى الاستقرار السياسي في منطقة الخليج بكاملها. ان اساس التناقض في الجزيرة العربية يجد تربته الخصبة في وسط القبائل العربية، وعلى قاعدة الأرض الدينية الأصلية والأصيلة، والتي جاءت مشكلة الاحتكارات الأجنبية لتزيد في نقمتها وتمردها).

٦/ وأشارت صحيفة السفير إلى انتماء أفراد الجماعة إلى قبائل قوية بقولها: (بيد ان الأهم هنا هو ان معظم أفراد التنظيم ينتمون إلى قبائل سعودية قوية "كلها يتبع المذهب السني" وابرز هذه القبائل عتيبة في نجد والحجاز، ومطير في نجد)[٥].

٧/ وعادت مجلة الايكونوميست مرة أخرى لتشير إلى الموضوع القبلي بالقول: (ان مايقلق القادة السعوديين هو حقيقة كون عدد كبير من أفراد الجماعة من منتسبي القبائل في الحجاز ونجد، والتي تغلبت عليها سلالة ابن سعود قبل اكثر من خمسين سنة. ان الحقد لايزول بسهولة في الصحراء)[٦].

---

1 ــ النهار ١٩٧٩/١١/٢٩م.

2 ــ الايكونومست ١٩٧٩/١٢/١م.

3 ــ فايننشيال تايمز ١٩٧٩/١٢/٧م.

4 ــ المجالس ١٩٧٩/١٢/٨م.

5 ــ السفير ١٩٧٩/١٢/٩م.

6 ــ الايكونومست ١٩٧٩/١٢/١٥م.

٨/ والمحت مجلة نيوزويك إلى انسحاب ذيول الحادث على الحرس الوطني بالقول (ان معظم المتمردين كانوا من منتسبي قبيلة عتيبة، وهم يؤلفون جزءاً كبيراً من الحرس الوطني بصورة تقليدية)[١].

هذا بعض ماذكرته الصحف العالمية.

اما رأي النظام السعودي حول الموضوع، فإننا سنختار اطرافه واظرافه.. فالرد السعودي يقول: (ليس هناك رابط عائلي ولا قبلي)!! يجمع أفراد الجماعة وهذه اكبر كذبة اطلقت حتى الآن!!

يقول سلمان (أمير الرياض) والملقب شعبياً بمسيلمة الكذاب، في رد على سؤال جريدة الرياض حول طابع الحادث القبلي، قال: (لقد تخبطت وسائل الاعلام الأجنبية كثيراً، إذا اخطأت في اسماء بعض القبائل العربية السعودية، وفي تحديد مواقعها، بل تصور البعض منها الن الموضوع ذو طابع قبلي، والصحيح عكس ذلك. ذلك ان مجموعة الخوارج مجرد أفراد اجتمعوا على نوع من التفكير المنحرف الذي جمع بينهم، وليس ارتباطهم القبلي، بل لايوجد بينهم الرابط العائلي، فكيف يصح ان نقبل بوجود الرابط القبلي؟)[٢]..

جواب سخيف وغبي!

فمادام الأفراد يجمعهم اصل واحد، وبطن واحد، وينتمون على أساس العائلة إلى رأس قبيلة واحد.. فلم هذا الكلام التعيس؟

لقد أرد الأمير ان يجرد الحادث من طابعه القبلي خوفاً وتحسباً.. ولكن الا توجد صيغة معدلة غير اجابات النفي هذه.. اذ لم يبق لسلمان الا ان يقول بأن أفراد الجماعة لم يولدوا اصلاً!

(تاسعاً)

غياب الدور السعودي عن الأحداث :

بمقدار ما ألم الضعف بالنظام السعودي داخلياً، فإنه تضرر على الصعيد الخارجي.. فإسقاط الهيبة، وتزعزع صورة الأمن المستقر داخلياً، اظهر النظام السعودي بمظهر الضعيف.. ويقال في السياسة ان قوة النظام على الصعيد الخارجي ماهي الا انعكاس لقوته الداخلية، وان السياسة الخارجية ماهي الا انعكاس للسياسة الداخلية..

لقد اجبرت الانتفاضة آل سعود على التقوقع، وترتيب امور امنهم الداخلي.. ففي السنوات التي سبقت الانتفاضة، كان هناك حديث طويل عما يسمى بالحقبة السعودية، هذه الحقبة التي كانت تمتد لسنوات بفعل أموال النفط والمكانة الدينية، فأثرت في العديد من الدول الاسلامية، واعطت آل سعود الكلمة الأولى في السياسة العربية، تلاشت إلى أبعد حد..

فلم يعد آل سعود رواداً للتضامن الاسلامي أو العربي، ولم يتبجحوا كثيراً بأنهم قادة العرب الذين لايجري امر إلا بإذنهم..

---

1 ــ نيوزويك ١٩٧٩/١٢/١٧م.

2 ــ جريدة الرياض ١٩٧٩/١٢/٩م.

اننا نلاحظ تقلص النفوذ السعودي في تزايد مستمر، واذا ما أردنا رؤية مواقع تأثير النظام فإنها غائبة..

فلم تعد له الكلمة الأولى في لبنان، ولا في قضايا فسلطين، ولا في قضايا الصلح مع اسرائيل، بل اصبح الحسن الثاني، والملك حسين اكثر نجومية على الصعيد العالمي من آل سعود.

ان هذا ماكان ليتأتى لولا انشغال آل سعود بالمعارضة الداخلية التي استفتحتها حركة المرحوم جهيمان العتيبي.. وكلما تصاعد العمل المعارض، كلما تقلص النفوذ السعودي على الصعيد الخارجي، خاصة في هذه المرحلة الاقتصادية الحرجة التي نتجت عن هبوط اسعار النفط.

ان الدور والنفوذ السعودي ماهو إلا دور مفتعل، ويعتمد على مقدار النفوذ الأمريكي في المنطقة، فالنظام في حقيقته لايمتلك مقومات ضرورية للعب الدور المهيمن سوى المال والعباءة الدينية.. وقد جردت الانتفاضة آل سعود من العباءة الدينية، واصبح المال السعودي في خبر كان بفعل أزمة النفط، وحتى الدور الأمريكي في المنطقة العربية اعتراه الانتكاس بعد فشل كامب ديفيد، وتدهور الموقف الأمريكي في لبنان.. فماذا يبقى لآل سعود من سند لكي يعيدوا حظهم العاثر؟!

(عاشراً)

فقدان ثقة الغرب في قوة النظام وسعيهم لاعداد بديل له

بعد الانتفاضة مباشرة، اصبح مجرى تقارير الاستخبارات الأجنبية يتحدث عن صعوبة بقاء النظام السعودي لمدة طويلة، احد هذه التقارير ورد فيه تحذير من صعوبة ضمان بقاء الأسرة المالكة اكثر من عامين.. وراهن تقرير آخر ان النظام السعودي قادر على الصمود خمس سنوات اخرى، إذا لم تسقط دولة من دول الخليج!!

وفي اغلب الكتابات الأمريكية الحديثة، خصوصاً تلك الدراسات التي اعدتها جامعة هارفارد الأمريكية بالتعاون مع الـ (C.I.A) اشارات واضحة لاعداد بدائل سريعة للحكم السعودي.. منها دراسة (نداف سفران) مدير مركز الدراسات الشرق أوسطية في الجامعة، والتي تتعلق بالطبقة الوسطى في البلاد، والتي نشرتها مجلة (الثورة الاسلامية) في عددها الصادر في ديسمبر ١٩٨٥م.

ومنها كتابه الجديد الذي صدر عن جامعة هارفارد ايضاً، والذي يركز فيه حول استقرار الحكم السعودي، والبدائل المطروحة.

ولا يسعنا هنا ايراد الكثير من الأمور ومتابعة القضايا حول هذا الموضوع، ولكن لمن يريد الاطلاع اكثر، فعليه بقراءة الفصل الأخير من كتاب (السعودية.. مملكة الزيت والدماء) الذي صدر مؤخراً عن منظمة الثورة الاسلامية في الجزيرة العربية. ففي هذا الكتاب متابعة للسياسة الأمريكية تجاه الحكم السعودي، وبعض الخطط المطروحة لاستبداله بطبقة التكنوقراط المتدربة في الغرب.

الفصل الثالث عشر

دروس وعبر

واخيراً، لابد لنا ان نعرج بشكل سريع على دروس وعبر انتفاضة الحرم، لتساعدنا على المضي في طريق الخلاص من الحكم السعودي الجائر..

ويمكن اجمال هذه الدروس والعبر في التالي:

(أولا)

انغلاقية الحركة، مقتل الحركة

تحاول الأنظمة الفاسدة باستمرار عزل الحركات الثورية عن بعضها، وعن الجماهير، وتسلك في ذلك بعض السبل الملتوية التي يجب على كل ثائر ان يكون على حذر منها، ومن هذه السبل جر هذه الحركات إلى ارتكاب بعض الاخطاء ذات الحساسية الشديدة في نفوس الآخرين، ثم التهريج على هذه الحركات بإثارة ضجة اعلامية حول موضوع الخطأ وتضخيمه، وان تكرار مثل هذا العمل يؤدي غالباً إلى عزل الحركة التي ارتكبت الخطأ عن الجماهير.

ومن الظروف التي تساعد على انجرار الحركات لارتكاب الأخطاء، أو ردات فعل غير مناسبة، هو عدم اتخاذ هذه الحركات بعداً جماهيرياً لتنظيمها، ذلك ان البعد الجماهيري للتنظيم يجعله اكثر ارتباطاً بالواقع الاجتماعي، وبالتالي اكثر كفاءة في التعامل مع متغيراته، ويوم يتركز جهد حركة ما واهتمامها على التنظيم، وتترك جماهيرها، فإن افقها يضيق إلى درجة النظر إلى العالم من خلال التنظيم.. افكاره ومصالحه، وهذه نظرة اضيق من ان تتسع لقضايا الجماهير، ومن خلفها قضايا العالم.

ان اخطاء معينة ارتكبت خلال انتفاضة الحرم، وفي طريقة عمل الاخوان ساعدت كثيراً على عزل هذه الحركة، وعلى تشويه حقيقة الانتفاضة لدى كثير من الناس، وذلك راجع إلى اتباع حركة الاخوان طريق العزلة، والاهتمام بالطليعة، وعدم اعطاء اهتمام كبير للجماهير والحركات الأخرى العاملة في الساحة.

لقد كان بإمكان حركة الاخوان، وبالتعاون مع الحركات الأخرى القوية في البلاد ان تهد النظام السعودي في تلك الانتفاضة، لكن انعزال الحركة اضاع فرصة المبادرة من يد الحركات الأخرى، وادى إلى استفراد السلطة السلطة بالحركة وضربها بقسوة ووحشية.

ان انعزالية الحركة تعني مقتل الحركة.

والحكم السعودي الفاسد، وككل الأنظمة المتجبرة التي لاتحكم بما انزل الله، تحاول ان تخنق التحركات الاسلامية بشتى الوسائل، كما تحاول القيام بإضفاء جو من الانغلاق عليها، وتقوم من جهة اخرى بأعمال بعيدة كل البعد عن روح الاسلام، محاولة الاستفادة من ردات الفعل التي تكون دائماً سريعة واعتباطية، ومفتقرة إلى التخطيط السليم، لتقضي على القائمين والمدافعين عن الدين..

وحركة الاخوان تأثرت إلى حد ما بالاجواء المنغلقة، وبالأفكار الخاطئة، التي بثتها السلطة في ذلك الجو، وكم كنا بحاجة إلى المرونة والابتعاد عن ردات الفعل غير المدروسة لنقضي على آمال النظام، الذي يحاول استغلال اقل خطأ في العمل وتحويله لصالحه.. ولكن للأسف لم يتم ذلك بالشكل المطلوب في حركة المرحوم جهيمان.

لهذا وكما قلنا ان الاخوان ولظروف الأجواء المنغلقة التي فرضها النظام السعودي، تأثرت إلى حد ما بتلك الأجواء، مما جعل الحركة موضع النقد، ومن تلك الأخطاء التي تأثرت بها الحركة، وجود بعض الأفكار الطائفية الذي كان الجو الانغلاقي مشبعاً بها، كما ان هناك بعض التطرف في الأحكام نتج عن ردات الفعل الخاطئة في مواجهة اعمال السلطة المنحرفة..

هذا التأثر لم يمنع الجماهير في الجزيرة العربية من تأييد الاخوان، ولكن يجب الا ننسى ان السلطة وراء الحركة بالمرصاد لكل خطأ تضخمه وتشيعه محاولة ابعاد المسلمين عن تأييدها..

(ثانياً)

جماهيرية الحركة

من الصحيح القول ان قوة العدو، وقلة عدد الثائرين لايجب ان تقعد طلاب الحق عن القيام بواجبهم وتحمل مسؤوليتهم.. إلا ان ذلك لايعني عدم التوجه للجماهير وتحريكها والاستفادة من طاقاتها في المواجهة.. ذلك ان اية حركة صغيرة كانت ام كبيرة لاتستطيع ان تنجح الا بدعم من الشعب، والشعوب عامة اثبتت انها اقوى من كل حاكم متجبر مهما كان متسلحاً ومستعداً لمواجهة التحركات الاسلامية.

نعود الآن إلى حركة المرحوم جهيمان التي كانت شعبية الى حد ما، لكنها لم تستفد من الشعب بالشكل المطلوب في تحركها الثوري، كما ان حماس الشعب ضد آل سعود غطى عليه حماس البقية الذي اثارته السلطة ضد الالتجاء إلى الحرم.. وهنا تقصير في عدم جعل الشعب يشارك في العملية واقتصارها على فئة معينة، وكان من المفروض ان تتعاون حركة الاخوان مع الحركات الاسلامية الأخرى من أجل استنهاض الشعب واقحامه في عملية المواجهة التي لو كانت قد تمت لاسقطت النظام دون ادنى شك أو ريب..

لقد كان ذراع حركة الاخوان العسكري قوياً جداً، إلا ان الذراع الاعلامية والسياسية والثقافية والفكرية، كانت ضعيفة جداً، وكان التحام جماعة الاخوان مع الشعب قد اعتراه الضمور بسبب الاهمال وعدم التوجه اساسا..

وهكذا استفردت الحكومة السعودية اعلامياً بالساحة الداخلية والخارجية، وصاغت افكار وتصورات المواطنين وفق رؤاها ومصالحها، فازداد الشق والفجوة بين الاخوان وعامة الجمهور..

ولو ان الاخوان قاموا ــ اضافة إلى تركيز الجهد العسكري ــ بإنشاء جهاز اعلامي وسياسي، يرد على الاعلام السعودي في تلك الفترة الحرجة التي كان العالم متعطشاً لمعرفة مايجري.. اذن لانقلب السحر السعودي على الأمراء وملوك آل سعود.

ولو ان جماعة الاخوان كثفت قبل العملية جهدها لتعبئة المواطنين فكرياً وسياسياً، لكان الشعب قد تحرك.. فرغم الجو الارهابي، وضعف التوجيه انطلقت مظاهرة في جدة تؤيد الجماعة!

(ثالثا)

استقطاب رجال الدين

يخطيء من يتصور ان كل رجال الدين والمشايخ، او حتى معظمهم، هم مع الحكم السعودي الجائر، فالاحداث اثبتت ان هناك رجالاً مخلصين لدينهم ووطنهم، وانهم معادون بشدة لآل سعود ومفاسدهم. والأمثلة عديدة في هذا المجال، نجد انه من غير الصالح نشر اسماء هؤلاء الاشخاص..

ورجال الدين والمشايخ يمكن تقسيمهم إلى عدة مجموعات، حسب ما توصلنا إلى معرفته في هذا المجال..

القسم الأول: المعارضون، ومن بين هؤلاء عدد غفير من رجال الدين والخطباء الشباب، ممن تخرجوا من المعاهد الدينية والجامعات المحلية، والذين بسبب انفتاحهم والمامهم بمعرفة شتى القضايا الاجتماعية والسياسية، وبسبب احتكاكهم بالناس وهمومهم، توصلوا إلى ان الفساد والطغيان يرجع إلى جذر رئيسي هو فساد الحكم السعودي الحالي.. فرفعوا اصواتهم منددين معارضين، فكان نصيبهم السجون والمعتقلات، أو على الأقل ابعادهم عن مراكز تأثيرهم.

القسم الثاني: المحافظون المعتدلون، ويضم هذا القسم اولئك المشايخ الذين يخدمون النظام الفاسد وهم يتصورون انهم يحسنون صنعاً.. وهم في معظمهم يدركون مدى انحراف الحكم السعودي عن جادة الصواب، لكنهم لم يجدوا من يدفعهم ويشجعهم ويؤازرهم، وبالتالي فهم ساكتون على مضض، وقد يعترضون على بعض الأخطاء والممارسات البعيدة عن التأثير على مراكز الحكم.

وهذا القسم تجد عنده فلسفة تبرير عدم القيام، ليس بسبب الخوف، ولا بسبب الحاجة المادية، وانما تخوفهم الحقيقي من (فتنة) تترك وراءها آثار الدماء والخراب فيما لو قاموا وعارضوا، مما يجعل البلاد تقع في احضان الشيوعية والالحاد!!

القسم الثالث: المؤيدون، اما خوفاً على انفسهم، أو طمعاً في مناصب الحاكم وأمواله.. وهؤلاء ممن يستأكلون بالدين، ويرتزقون بالاسلام، وممن باعوا اخرتهم بدنياهم.

وهذا القسم لايهمه آل سعود بقدر ما يهمه مصلحته.. ولايهمه أمر البلاد ولا الدين، وانما الحفاظ على حياته.. فهو يصدر الفتاوى ويؤيد ما يردده النظام، ويدافع عن سياسته، ويبرر اخطاءه لدى العامة.

ومن جهة جماعة الاخوان، فإنها فتحت النار على القسم الثاني والثالث، وهم المؤيدون والمحافظون، والذين يشملون الغالبية العظمى من رجال الدين.. فيما قامت الجماعة باستقطاب مجموعة من المعارضين (من القسم الأول) وهذا يعتبر مكسباً، ونقطة تسجل لصالح الجماعة.

غير ان الخطأ كان في استعداد القسم المحافظ، الذي كان بالإمكان احتواؤه وتغيير قناعاته، وربما دفعه إلى صدارة المواجهة، والالتفاف حوله ودفع الناس بهذا الاتجاه.. وهذا مالم يحدث. فكان من السهل على آل سعود ان مارسوا الضغط عليه وجعله في خانة المؤيدين، من دون ان يعلم!

ولا شك ان ثقل رجال الدين في البلاد وتأثيرهم في الحكم جد كبير، إذ بإمكانهم ــ وبسهولة ــ زعزعة النظام، بمجرد سحب الشرعية عنه، فكيف بهم حين يفتون بقتاله ومحاربته؟!

من هنا تنبع اهمية عدم استعداء رجال الدين، والصبر عليهم، ومحاولة احتوائهم وتنويرهم بما يجري في البلاد، لأنهم في اغلبيتهم يجهلون ابسط القضايا التي تحدث في الساحة.. ومن ثم يمكن الحديث عن استقطابهم، والاحتماء بمظلتهم في محاربة النظام.

إلا أن المرحوم جهيمان، استخدم اسلوب التقريع اكثر من اسلوب الاهداء والارشاد، ووضعهم في خانة النظام جميعاً وبدون استثناء.

وقد اثبتت الاحداث في حادثة الحرم، وقبلها موقعة السبلة، ان معارضة لاتنال الشرعية من رجال الدين، أو على الأقل من قسم منهم، هي معارضة محكوم عليها بالفشل ــ على الأغلب ــ وان نظاماً كالنظام السعودي لايمكن اسقاطه قبل سحب البساط والشرعية الدينية التي يتلفع بها، والتي يخدع بها الناس.

رابعاً

الأخطاء الفكرية

لاشك ان الالتجاء إلى بيت الله الحرام، لايرجع إلى أهمية موقعه العسكري، ولا إلى اهميته السياسية او الاعلامية، وانما إلى تصور جماعة الاخوان ــ كما اوضحنا سابقاً ــ بأن (المهدي) حين يظهر في الحرم يأتي لقتاله جيش عرمرم، يخسف الله به الأرض..

وهذه الفكرة، هي التي دفعت بالجماعة إلى الحرم، وليس إلى قصور وقواعد العائلة المالكة..

لقد كان هناك خطأ فكري في مسألة (المهدي المنتظر) لا في مجال ان هناك (مهدي)، وانما من تنطبق عليه صفات المهدي، التي ابلغها الرسول الكريم في احاديثه. وهذا الخطأ جر إلى خطأ الاعتصام في الحرم..

والشيء بالشيء يذكر، ان شعارات سياسية كثيرة خطت على جدران الجامعات السعودية بعدم اعدام المرحوم جهيمان، تقول:

ياجهيمان لماذا لم تدمر قصور العائلة المالكة؟!

بمعنى ان التصور المنطقي لمن يريد ان يسقط آل سعود، هو ان يقوم بمحاصرة القصور الملكية، واصطياد الأمراء الفاسدين.. لا ان يضع كل جماعته في الحرم ويتحصن هناك، ثم يأتي آل سعود فيصطادونه بعد تدمير الحرم بالدبابات والمدافع والطائرات!

واضافة إلى هذه الاخطاء، هناك اخطاء سياسية وعملية، فالتخطيط المتقن كان ينقصه معرفة الأولويات، وكان ينقصه البدائل لتحاشي الفشل.

خامساً

اهمية الحركة

هناك نقطة هامة تستحق ان يتوقف عندها المتابع لحادثة الحرم طويلاً.. إلا وهي وجود مجموعات كبيرة من الاخوان من البلدان الاسلامية الأخرى (مصر، الكويت، العراق، اليمنين، الامارات، باكستان، الاردن، وغيرها).. وهذه نقطة تسجل لصالح جماعة الاخوان..

فقد اثبتوا ان الاسلام قادر على جمع المسلمين باتجاه هدف واحد، واثبتوا ان غالبية المسلمين يعارضون الحكم السعودي المنحرف..

وإذا كان جهيمان قد جعل تحركه اميا، فإنه في الوقت ذاته استفاد من الوضع القبلي، دون ان يؤثر اميته، ودون ان يعطي انطباعاً بأن تحركه القبلي يسبق تحركه الديني الاممي.

ومن جانب النظام، فإن بإمكانه ان يستفيد من الحادث ويعتبر به:

* فيعلم ان الاسلام اقوى من الاستغلال، وان بإمكان آل سعود ان يتلفعوا بالرداء الديني، ويمارسوا من تحته شتى صنوف الدناءة والافساد، ولكن إلى حين.. حيث تصل الحالة إلى ان يدان النظام نفسه، على ارضية المبادئ والقيم التي يدعيها ويرفع شعار تنفيذها!!

* وبإمكان آل سعود ان يستفيدوا من اخطائهم السابقة، حينما يعرفون اسباب الثورة التي لن تموت مادامت مسبباتها قائمة..

ان آل سعود يعرفون اليوم ان جماعة الاخوان لم تمت رغم النهاية المأساوية لحادثة الحرم.. فهم يعرفون ــ ونحن نعرف ايضاً ــ ان أفراد الجماعة باقون، وان تحركهم موجود، وان السلاح لازال بيدهم متدفقاً من مخازن الجيش.. وبالتالي، فكما قضي على رعيل الاخوان الأول في معركة (السبلة)، وعلى الرعيل الثاني في حادثة الحرم، فإن الجيل الجديد ينشط وبأسرع مما يتوقعه آل سعود ليحاربهم..

فهل يستفيد الأمراء من دروس الماضي، ام ينتظرون السيل ليجرفهم عما قريب؟!

ذلك هو السؤال!

ملاحق الكتاب

الملحق الأول

رسائل جهيمان السَّبْع

بقلم: جوزيف آ. كيشيشيان
مؤسسة وودرو للشؤون الحكومية والخارجية
٢٣٢ كابل هول، جامعة فيرجينيا،
شارلوتسفيل، فيرجينيا ٢٢٩٠١

* * *

اعدت ورقة العمل هذه للندوة التي عقدت حول "الاصولية الاسلامية" في الاجتماع السنوي العشرين لمؤسسة الدراسات الشرق أوسطية" بوسطن، ماساتشوسيتس، يوم ٢١ نوفمبر ــ تشرين الثاني ــ ١٩٨٦م.

مقدمة

تواصل الاصولية الاسلامية سحرها للعلماء المختصين بسياسات الشرق الأوسط، الذين يجدون انفسهم عاجزين عن فهم وتفسير العدد الهائل من الحركات الدينية المهتمة بالشؤون والقضايا المعاصرة[١]. وقد تم بالفعل نشر محاولة ناجحة لتصنيف العديد من الحركات الدينية على امتداد العالم الاسلامي، ولكن هذه المحاولة تبقى استثناءاً أكثر منها قاعدة[٢]. كما تتوفر ايضاً دراسات اخرى تدرس حركات محددة معينة تقوم بنشاطات في واحد من الأقطار أو أكثر. ربما كان اهمها تلك الدراسة التي اعدت عن حركة الاخوان المسلمين في مصر وسورية والتي حظيت باهتمام كبير[٣]. اما في الفترة الأخيرة، فقد وجه الاهتمام الخاص إلى التغيرات الكبيرة الدرامية والتي هي قيد الحدوث في ايران الثورية[٤]. كما استرعت الحركات الدينية في الأجزاء الأخرى من العالم الاسلامي العناية والاهتمام المتفحص، إلا انه يصعب التأكد بشكل حصري وقاطع

---

1 ــ انظر مثلاً كتاب دانيال بايبس: في طريق الله: الاسلام والسلطة السياسية (نيويورك: بيسك بوكس، ١٩٨٣).

2 ــ ر. هريرد كمجيان: الاسلام والثورة: الاصولية في العالم العربي، (سيراكوز، نيويورك، سيراكوز يونيفرستي برس، ١٩٨٥م).

3 ــ ر. ب. متشل: جماعة الاخوان المسلمين، (لندن، اوكسفورد يونيفرستي برس، ١٩٦٩م).
انظر ايضاً: اوليفر كاروجيراد ميشور: الاخوان المسلمون (بالفرنسية) ١٩٢٨ــ ١٩٨٢م (باريس: غاليمارد، ١٩٨٣م).

4 ــ انظر مثلاً: نيكي ر. كيدي (محرر): الدين والسياسة في ايران: الشيعية في المسالمة إلى الثورة (نيوهافن، كونيكتكت: ييل يونيفرستي برس، ١٩٨٣م).

حول ماهية المطالب المحددة التي تطرحها كل من هذه المجموعات على حدة، وذلك في غياب الوثائق الاصلية التي تكشف عن برامج عملها.

ففي العربية السعودية دخلت حركة دينية هامة المسرح السياسي، ولو بشكل مؤقت، وذلك حين قام جهيمان بن محمد العتيبي، ومعه محمد بن عبد الله القحطاني وعدة مئات من المؤيدين بالاستيلاء على الحرم في مكة، يوم ٢٠ نوفمبر ــ تشرين الثاني ــ ١٩٧٩م، حيث طالبوا علماء الدين السعوديين بسحب ولائهم للعائلة المالكة السعودية. وفي الخامس من ديسمبر ــ كانون الأول ــ ١٩٧٩م، عاد الحرم الشريف مرة أخرى إلى سيطرة السلطات السعودية، والتي حصلت على فتوى تبيح استخدام القوة لدحر "المتمردين"، وهي الفتوى التي اصدرها يوم ٢٤ نوفمبر نفس اولئك العلماء الذين اتهمهم العتيبي بالفساد[١]. ان دعوة العتيبي للعودة إلى السلوك الاسلامي الطاهر، انما تذكر "بالاخوان" الذين تعاونوا مع الملك عبد العزيز ابن سعود. فمن المؤكد ان النجدي هذا كان يرفض بشدة برامج التحديث المتسارعة التي اقيمت في جميع انحاء المملكة منذ عام ١٩٣٢م.

في مسلسل من "سبع رسائل" يربط العتيبي مابين الفوضى والاضطرابات الاجتماعية والاقتصادية والدينية وحتى السياسية، وبين سرعة التغيير الحديثة، بل وبين التحالف التاريخي القائم بين آل سعود والسلطات الدينية[٢]. وخلاصة القول ان العتيبي كان يعارض التحالف الديني ــ السياسي الذي قام عام ١٧٤٤م بين محمد بن عبد الوهاب وبين محمد ابن سعود.

ان هدف ورقة العمل هذه هو تقديم دراسة منهجية لكتابات العتيبي، وهي الكتابات التي تغطي عدداً كبيراً من الموضوعات، وتملأ ١٩٠ صفحة كاملة. وسيتم التركيز بصورة خاصة على المسألة التي اثيرت فيما ذكرنا اعلاه، والمتعلقة بالعلاقات القائمة بين علماء الدين وادعاء النظام الملكي الشرعية، من وجهة نظر المتمرد السعودي الشاب. وليعلم القارئ الكريم انني غير مهتم بما اذا كان العتيبي شخصاً خطراً، او انه كان يحمل نذير خير ام نذير شؤم للعربية السعودية. اذ ان فضولي الفكري والثقافي ينحصر ويتركز في محاولة تحديد الأسباب التي دفعت بهذا الفرد لأن يصبح متمرداً، وبعد ذلك التكهن بعواقب ذلك على العائلة المالكة والنظام الملكي في المملكة. ولن يكون بإمكاني ان اقدم علاجاً ناجحاً، لأنه يستحيل علي ان اعرف ما إذا كان اتباع جهيمان مايزالون نشطين في العربية السعودية ام لا؟.. إلا أنه من الممكن التعرف على تلك الاتجاهات والتوجهات التي دفعت بجهيمان إلى القيام بحركته، وعلى الدعم الذي تلقته تلك الحركة من آلاف عديدة من الأشخاص.

بعد استعراض سريع لأحداث عام ١٩٧٩م، تنتقل ورقة العمل هذه إلى دراسة الرسائل السبع، ثم تنتهي بنظرة عامة على اثر هذه الرسائل.

---

1 ــ جوزيف آ. كيشيشيان: دور العلماء في سياسة الدولة الاسلامية: العربية السعودية. انترناشونال جورنال اوف ميدل ايست ستديز، ١٨ــ١ (فبراير ــ شباط ١٩٨٦م) صفحة ٥٣ ــ٧١.

2 ــ جهيمان بن محمد سيف العتيبي: سبع رسائل، بلا ناشر ولا تاريخ.

العربية السعودية: المسيرة السياسية ١٩٣٢ ــ ١٩٧٩م

المملكة العربية السعودية مستقرة، وباستثناء فترة قصيرة من عدم الاستقرار السياسي وقعت في أواخر الخمسينات واوائل الستينات، فإن الدعم الشعبي لآل سعود زود التحالف الحاكم هناك بالشرعية والاستقرار السياسي النسبي. وكانت المعارضة لهذا التحالف، حين تحصل، معزولة ضعيفة. اما السؤال البالغ الأهمية، بالطبع، فهو ما اذا كان هذا الحال سيبقى كذلك خلال التسعينات، اذا وضعنا بعين الاعتبار جمهرة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وكما تظهر الاحداث التي وقعت مؤخراً بشكل جلي، فإن حكام البلاد لم يعودوا يستطيعون التغاضي عن الاسراف والبذخ والتبذير المترف. فعائدات النفط المتناقصة، والشعب الذي بدأ يزداد علماً ومعرفة، تجعل من المحتم ان يكون للانفاق الحكومي ما يبرره. والأكثر من ذلك، فإنه نتيجة ضيق مجال التعبير السياسي، تصبح الحياة الدينية مجالاً واسعاً للانشقاق والاعتراض (والتعبير عن السخط والاستياء). ومن سخرية القدر ان أي نوع من التساهل والارتخاء (الانفراج Laxity) في القضايا الاجتماعية والدينية قد يكون له عواقبه السلبية في الحياة السياسية السعودية، اذ ان مجال المناورات المحبذة المجدية محدودة مقيدة بموجب الدستور والقوانين. مثلاً، يستطيع الملك استخدام قدراته على الاقناع، ولكن علين ان يوازن اية اعمال وتصرفات يقوم بها بالمسؤوليات القبلية والدينية. ان مفهوم "المصلحة" يمكن ان يستخدم من قبل السلطة الحاكمة، التي استخدمته فعلاً في السابق، إلا ان عناية فائقة تبذل لتقديم هذه "المصلحة" بالتعاون مع السلطات الدينية.

مابين عامي ١٩٣٢م، حيث وحد عبد العزيز قبائل المناطق الأربعة التي تؤلف المملكة العربية السعودية، (نجد والحجاز وعسير والاحساء)، و١٩٥٣م، حين صعد سعود إلى العرش، استطاعت النخبة الحاكمة ان تعزز وتحكم سيطرتها على الأمور السياسية باستخدام القوانين الشرعية الاسلامية. فحين كان عبد العزيز يحكم مع العلماء، استطاع ان يجعل من يمين الولاء قانوناً (هو البيعة) وهو القانون الذي تشارك مع مجلس الشورى والمجلس الخاص في اعطاء النظام الملكي مصدر سلطته السياسية. ثم عزز الملك مركزه تعزيزاً اضافياً عن طريق اقامة نظام معقد وذي اساس قبلي، للتشاور مع زعماء عائلته الكبيرة (اللجنة العليا)، ومع العلماء وكبار التجار. هذا النظام الأصيل للتشاور اضفت عليه شخصية ابن سعود الساحرة، والحقيقة ان انجازات الملك كانت في معظمها نتيجة قدرته على الاقناع، وموازناته الناجحة بين الزعماء القبليين، والسلطات الدينية، والتجار المتنفذين. اما العلماء، فقد حظوا باهتمام الملك الخاص. وقد بذل عبد العزيز كل جهد ممكن لطلب مشورتهم في لقاءاتهم اليومية، لأنه كان يدرك مدى أهمية دعمهم له[1].

والحقيقة ان ذلك الدعم والتأييد يمكن البرهنة عليه بجلاء عام ١٩٦٤م حين خلف الأمير فيصل شقيقه سعود على عرش المملكة.

---

1 ــ كان عبد العزيز يستقبل وفداً من العلماء كل يوم بعد صلاة المغرب. ثم انخفض هذا إلى اجتماع واحد كل اسبوع في عهد الملك خالد (لأسباب صحية؟). انظر جيمس باكان "المعارضة العلمانية والدينية في العربية السعودية" في كتاب تيم نبلوك (محرر): الدولة، والمجتمع والاقتصاد في العربية السعودية (لندن: كروم هيلم، ١٩٨٢). ص١٠٨ [يشار إليه اعتباراً من الآن فصاعداً بـــ باكان (Buchan) ١٩٨٢م].

لقد اكتسبت شعارات "القومية" و "معاداة الامبريالية" شعبية كبيرة عام ١٩٥٣م و١٩٥٦م حين بدأ عمال أرامكو اضرابهم مطالبين باجور اعلى. كما ان الحماس الثوري المصري والقضية الفلسطينية زاد اتباعهما الذين كانوا يرون في النظام الملكي في الرياض نظاماً معادياً للقومية العربية. وقد زاد من استعال هذه العواطف وتأجيجها إلى حد كبير، استئجار الولايات المتحدة لقاعدة الظهران الجوية وقبول الملك سعود بمبدأ (مشروع) ايزنهاور[١]. وقد دفعت القومية العربية مجموعة من الأمراء والعامة المثقفين للمطالبة بإجراء اصلاحات دستورية كبرى في شهر يونيو ــ حزيران ــ ١٩٦٠م. ونتيجة الدعم الذي قدمه الملك سعود للأمراء الشباب، ادخل عدد منهم إلى سلك الحكومة على حساب الأمير فيصل، نائب الملك.

وعلى اثر الفشل المتوالي لسياسة المملكة الاقتصادية والأخطاء الكبيرة في مجال السياسة الخارجية، في اليمن وفي مصر، طُلب الأمير فيصل، وحصل بالفعل، على تخويل مطلق من النخبة الحاكمة بأن يشكل حكومة جديدة، وان يحقق تنازل الملك سعود عن العرش.

وبالرغم من ان تحركه هذا ربما يكون قد انقذ العربية السعودية من حالة الفوضى السياسية، فإنه لابد من التأكيد على ان مصدر الدعم الذي تلقاه فيصل من بين علماء الدين انما جاء، إلى حد بعيد، لحماية الوضع الراهن على حساب الأمراء الشباب الذين لم يكن لعواطفهم المؤيدة للقومية العربية، أي مكان على جدول اعمال النخبة الحاكمة، او في حساباتهم السياسية والدينية.

مع حلول عام ١٩٧٣م، يصبح الملك فيصل الزعيم العربي الوطني بلا منازع، دون ان يعرض للخطر البنية السياسية الداخلية للعربية السعودية. الا انه، في نفس الوقت، راح علماء الدين يعيدون تقويم اعمال وتصرفات الأمراء الشباب، وانتهوا إلى انهم ــ الأمراء ــ كانوا "مغرقين في العلمانية" في تصرفاتهم. وهذا هو مجال "المصلحة" الدينية ــ السياسية الذي ابقى على النخبة الحاكمة في سدة الحكم.

ان نظرة سطحية إلى الأمور توحي بأن المعارضة الدينية في العربية السعودية، قد تبدو وكأنها طرح مناقض يطرح ضد التعاليم الحنبلية/ الوهابية. الأمر ليس كذلك. فهناك، مثلاً، فروق واضحة في الممارسات الدينية حتى بين المسلمين السنة الذين يتبعون حركة الدعوة إلى التوحيد (الدعوة إلى عقيدة التوحيد، أو الوهابية)[٢]. ومع ذلك، فإن اهم معارضة دينية منظمة ضد السعوديين انما تأتي من الأقلية الشيعية مابين ٢٥٠ و٤٠٠ ألف نسمة، ويسكنون بصورة رئيسية في مدن القطيف والهفوف وسيهات والحسا نفسها في المنطقة الشرقية، ويعمل غالبيتهم في صناعة النفط، وبالتالي فلا يمكن الاستغناء عنهم. وان الطرد بالجملة للشيعة السعوديين المتهمين بنشاطات معادية للدولة سيلحق الضرر بصناعة النفط. وخلافاً للشيعة في البحرين، فإن عدائهم للنخبة الحاكمة هو عداء ديني اكثر منه اقتصادي. ونظراً لغربة الشيعة السعوديين عن

---

1 ــ في حين كان المقصود من مبدأ ايزنهاور هو احتواء الشيوعية في الشرق الأوسط، فإن القوميين العرب بقيادة جمال عبد الناصر اعتبروه مبدأ معادياً للعرب.

2 ــ انظر جورج مقدسي: "المذهب الحنبلي في الاسلام" في كتاب ميرلين ل. سوارتز: دراسات عن الاسلام، (نيويورك: اوكسفورد يونيفرستي برس ١٩٨١م)، ص٢١٦ ــ٢٧٤.

الحياة الدينية في العربية السعودية، فإن هؤلاء يتطلعون إلى العراق وايران طلباً للتوجيه والارشاد، ويجلون ويحترمون التعاليم الدينية الصادرة عن العلماء والمجتهدين في كربلاء والنجف وقم.

ان رفض الممارسات الدينية الشيعية في العربية السعودية هي قضية قابلة للجدل التاريخي، ولكن مما لا يشك فيه ان المعارضة للشيعة على اسس مذهبية قد اشعل المرارة في نفوس العديدين منهم على مر السنين.

والواقع ان الشيعة قد (اقنعوا) مرات وامرات بالامتناع عن اقامة الاحتفالات العلنية لتخليد ذكرى عاشوراء. ان موكب الحزن والحداد يوم العاشر من محرم، حزناً على الامام الحسين، هو تجمع مثير للعواطف، وقد ادى في عدة مناسبات وفي عدد من الأقطار الاسلامية إلى وقوع عنف طائفي. تاريخياً، كان حكام الاحساء من آل الجلوي يرفضون دائماً السماح للسكان الشيعة بإقامة "احتفالات" عاشوراء، ويمكن القول، ولو من وجهة نظر سياسية بحتة، ان هذا كان في صالح الشيعة. ومع ذلك، فإن الشيعة السعوديين في القطيف، الذين امتلأوا بالحيوية الثورية القادمة من ايران، اعلنوا أنهم سيقيمون احتفال عاشوراء عام ١٩٧٩م. وفي ٢٨ نوفمبر ــ تشرين الثاني ١٩٧٩، وهو التاريخ الذي صادف استيلاء جهيمان العتيبي واتباعه على حرم مكة، كانت مظاهرات عاشوراء تندفع في شوارع سيها والقطيف. وكما هي الحال دائما في مثل هذه الظروف، فقد ادت الصدامات العنيفة بين السكان وقوات الأمن إلى وقوع صدامات دامية حيث قتل سبعة عشر من الشيعة في الساعات الأربع والعشرين الأولى من احداث العنف. وقام الأمير احمد، نائب وزير الداخلية، بمحاولة للتوسط، إلا ان الوعود التي قطعت في شهر نوفمبر عام ١٩٧٩م خرقت في الأول من فبراير ــ شباط ــ ١٩٨٠م، حين تفجرت اعمال العنف مرة اخرى في القطيف، حيث قتل اربعة من الشيعة كانوا يتظاهرون بمناسبة الذكرى السنوية لعودة الامام الخميني المظفرة إلى ايران.

ومنذ عام ١٩٨٠بدأت السلطات السعودية تخرج عن المألوف "لتدبر أمر" المعارضة الشيعية في المنطقة الشرقية. فبالاضافة إلى تدفق الدعم المالي على المنطقة بحيث تمت الموافقة على اقامة المشاريع العامة فيها بسرعة ضربت رقماً قياسياً، قام عدد من أفراد العائلة المالكة، بمن فيهم الملك خالد، بزيارة إلى المنطقة وتشاوروا مع وجهائها حول المواضيع ذات الاهتمام المشترك. ان العقبة الرئيسية التي تواجه الطرفين انما تكمن في مضاعفات الثورة الاسلامية في ايران. ورغم ان ماسنورده هو امر قابل للجدل، فإن الغضب الشيعي في المملكة سيعتمد على علاقة آل سعود بإيران، وعلى نتائج الحرب العراقية الايرانية. فانتصار ايراني في حرب الخليج يرافقه حكومة شيعية في العراق، سيزيد في اندفاع الشيعة السعوديين للمطالبة بإصلاحات سياسية اضافية، وبحرية اكبر في الممارسات الدينية.

ومما يوازي هذا اهمية، هو الاختراقات الممكنة التي قد تحققها الطائفة الشيعية التي عادت اليها الحيوية في القاعدة التي تستند اليها النخبة الحاكمة في ممارسة سلطتها. ماذا ستكون ردة فعل علماء "المؤسسة الحاكمة" تجاه تزايد حضور الشيعة ونفوذهم؟ هل ستتلقى الحركات السنية المناهضة للمؤسسة الحاكمة مثل هذا التعبير الديني (الشيعي) الصريح بصدر رحب؟.. من الصعب الاجابة على هذه الأسئلة، وذلك لعدم توفر أي دليل قاطع على ان هذه الانقسامات الدينية قد حققت اية مكاسب في الساحة السياسية. ومع ذلك، فإن

اعمال جهيمان العتيبي عام ١٩٧٩م يجب ان تحلل على ضوء التهديد الذي تمثله للتوازن السياسي ــ الديني الذي يحافظ على وحدة صف النخبة الحاكمة.

هجوم جهيمان بن محمد العتيبي على الحرم الشريف

في ٢٠ نوفمبر ــ تشرين الثاني ــ ١٩٧٩م والذي صادف اليوم الأول من عام ١٤٠٠ الهجري، وبينما كان امام المسجد الأكبر، الشيخ محمد ابن سبيل "يتقدم ليؤم هذه الصلاة الخاصة جداً من صلوات الفجر.. دفعته يد قوية بعيداً، واطلق عيار ناري، تبعه عياران آخران، ثم سقط مساعد له صريعاً. كان جهيمان بن محمد العتيبي هو الذي اطلق العيارات النارية، بينما كان محمد بن عبد الله القحطاني يصرخ في ميكروفون الجامع معلناً انه المهدي المنتظر، حسبما هو مكتوب: "سيلجأ المهدي ورجاله إلى المسجد الحرام ويحتمون به لانهم مضطهدون في كل مكان يضطهدون حتى انهم لا يجدون ملجأ إلا المسجد الحرام".[١]

هرب الشيخ محمد بن سبيل بأن رجع إلى غرفة الهاتف العمومي في الحرم ليطلب المساعدة. وفي حين بدأ الهجوم على الحرم في الساعة ٥,٣٠ صباحاً، وفي حين يقال ان الشيخ اتصل بالسلطات بعد ذلك بفترة قصيرة، فلم يتم تأمين وتطويق المحيط الخارجي للمسجد إلا بعد ثلاث ساعات من ذلك، وبعد مكالمة هاتفية ثانية اجريت في الساعة ٨,٣٠. ربما يجادل البعض بأن ثلاث ساعات كانت كافية تماماً ليحصن المتمردون انفسهم داخل المسجد عن طريق اغلاق بواباته و "تنظيم" دفاعاتهم. وحقيقة ان كميات كبيرة من الذخائر قد ادخلت إلى المسجد بمثل هذه السهولة هي حقيقة لايجوز تجاهلها. ومع ان المسجد هو مكان عام يرتاده الناس للعبادة، وهو بالتالي مفتوح لجميع الحجاج، فإنه يبقى اكثر الأماكن العامة تعرضاً للخطر في المملكة العربية السعودية.

اثناء حالة الفوضى العارمة التي اعقبت ذلك، حاول القحطاني، القائد المساعد للمهاجمين، ان يقنع السعوديين من الحجاج الهاربين بأن "زعيمهم" هو المهدي، وان عليهم ان يعترفوا به زعيماً. وعلى امتداد الاسبوعين التاليين استخدمت السلطات السعودية كل الوسائل المتوفرة لاستعادة السيطرة على الحرم. فشلت كل الهجمات العسكرية المباشرة الأولى، نظراً لقوة المتمردين المسلحين، ولضبط النفس الذي مارسته القوات المسلحة. كان واضحاً ان ذلك لم يكن هجوماً "فوق تلة" يستطيع الواحد ان يصده ويقهره في بضع ساعات. فبالاضافة إلى الحجاج الأبرياء الموجودين داخل الحرم (والحقيقة انهم كانوا رهائن الآن)، وبالاضافة إلى قدسية البناء وحرمته، كان على السلطات السعودية ان تخذ بعين الاعتبار الشكل الذي سينتهي إليه بناء المسجد بعد الهجوم. كيف سيقدم المسجد الحرام إلى بقية العالم الاسلامي، وبأية صورة؟ ومامدى نجاح السلطات في اداء "واجباتها الوقائية"؟ لمثل هذه الأسباب، وايضا للخبرة النسبية للقوات السعودية في مناورات مكافحة الارهاب، اضطرت الرياض لطلب المشورة الفنية والنصيحة من فرنسا. ارسلت باريس على جناح السرعة عدداً من رجال بوليس التدخل الوطني لقمع الارهاب (GIGN)، الذين اقترحوا استخدام غازات

---

1 ــ جيمس باكان: "عودة الاخوان ــ ١٩٧٩"، في كتاب دافيد هولدن وريتشارد جونز: آل سعود: نشوء وحكم اقوى سلالة حاكمة في العالم العربي (نيويورك: هولت، راينهارت وونستون، ١٩٨١م)، ص٥١٢ (يشار اليه بعد الآن بـ ــ باكان: ١٩٨١).

الأعصاب لاخراج العصاة من اقبية المسجد. ترددت الرياض، ولكن ارتفاع اعداد الخسائر البشرية بين الجنود السعوديين المشتركين في هذا الهجوم العقيم على الحرم، اقنع السلطات بقبول المشورة الفرنسية.

ورغم استخدام غاز الأعصاب (C.B)، لم يستسلم العتيبي واتباعه الا في الخامس من ديسمبر ــ كانون الأول ــ ١٩٧٩م. قتل العديد منهم في معارك يدوية داخل اقبية وسراديب المسجد، وحين خرجوا بعد اسبوعين، عرض المتمردون على كاميرات التلفزيون باعتبارهم منتهكين "مدنسين" لقدسية الحرم، ووحوشاً[1].

ان ماحدث في مكة لمن يكن مجرد حادثة عارضة، ولم يكن فقط مرتبطاً بالاضطرابات في المنطقة الشرقية من المملكة والتي قادها الشيعة المحرومون، ولكنه كان لطمة عنيفة لهيبة ومكانة آل سعود. كان من الطبيعي ان تشن السلطات الملكية حملة اعلامية كبرى لتسفيه وتشويه العتيبي ورسالته. فبعد ان دنس العتيبي قدسية الحرم، لن يكون هناك إلا القلة القليلة من المسلمين الذين يمكن ان يتعاطفوا معه، ولم يفعل ذلك إلا القليل فعلاً. اما سلوكه الذي شهر به كثيراً، وخاصة فيما يتعلق باستخدام السلاح في مسجد النبي، فقد بولغ في الاعلان عنه فعلاً، بهدف زيادة تشويه سمعة العتيبي والاساءة لتصرفاته. ومع ذلك، اضطرت النخبة الحاكمة إلى تفهم رسالة العتيبي التي كانت معروفة تماماً سواء من قبل السلطات الدينية، أو من قبل قوات الأمن الداخلي، وعلى مدى أعوام عديدة.

يمكن فهم رسالة العتيبي على افضل صورة ضمن السياق التاريخي الذي ادى إلى توحيد شبه الجزيرة العربية. فقد كان عبد العزيز ابن سعود وعلماء الدين هم الاقطاب السياسيين والدينيين للتحالف الثلاثي الأول الذي نجح في محاولاته. في ذلك الوقت، اقر الحاكم واعترف بأن مخططه لتوحيد الأقاليم القبلية لايمكن تحقيقه بدون دعم الاخوان الذين لعبت مستوطناتهم التي انتشرت في جميع انحاء شبه الجزيرة دوراً حاسماً في تنامي السلطة "السعودية". واستطاع العلماء ان يباركوا التحالف، واستطاع الملك ان يكسب الولاء عن طريق اجراءات معقدة محيرة مثل التزاوج بين القبائل، ولكنه كان مايزال بحاجة إلى القوة العضلية لقهر جيوب المقاومة لمخططه السياسي الشامل. وهذا مالم يكن بإمكانه تحقيقه إلا بواسطة جنود متفانين مخلصين للدين مثل الاخوان. إلا ان الاخوان كانوا يتوقعون، مقابل خدماتهم الفريدة من نوعها، ان يدوم نفوذهم وتأثيرهم في المملكة لفترة طويلة من الزمن.

إلا ان الصدام بين ادارة عبد العزيز المتسامحة نسبياً وبين ممارسات الاخوان المتزمتة كان حتمياً، ودام الصدام بين الطرفين عدة اعوام، إلى ان انتصر الملك اخيراً في منتصف الثلاثينات. من المهم جداً ان نلاحظ ان الاخوان الذين صوروا انفسهم على انهم المدافعون عن الدين الصحيح وحماة قانون الشريعة لم يكونوا يعارضون فقط افكار الملك "الحديثة". فبالاضافة إلى معارضة الخطوات التجديدية، بما في ذلك الاتصالات البرقية والسيارات، كان الاخوان يحاربون دفاعاً عن حياتهم السياسية.

---

1 ــ كيشيشيان: نفس المصدر السابق ص٥٨ــ٦٠ انظر ايضاً: ولهلم ديتيل: الحرب المقدسة، (نيويورك، ماكملان ١٩٨٤م)، ص٢١١ــ٢٢٧.

كان التحالف السياسي بالنسبة لهم "تحالفاً ثلاثياً"، في حين انه كان، بالنسبة لآل سعود والعلماء، وسيلة استقطاب في نظام ثنائي.

كان الاخوان يهدفون إلى حماية مؤسساتهم القبلية، ويخشون تلاشي قاعدة قوتهم الرئيسية نهائياً. وقد اجبرت التطورات اللاحقة العديد من المستوطنات الاخوانية ان تتخلى عن استقلالها وان تنصهر في هرمية المملكة القبلية الجديدة. كان عليهم الاختيار بين هذا وبين الهزيمة النهائية. ولكي لاينسى احد هذه النقطة، كان العتيبي يقاتل بالفعل لاستعادة مركز الاخوان في حكم البلاد، وهذا لا يقلل من قيمة الفروق العملية بين ملك ذي اهداف سلطوية كبرى وبين متعصبين دينيين كانت اهدافهم تقتصر على حماية امتيازاتهم واقطاعاتهم. بل على العكس من ذلك، فإن الصدام الذي وقع بين القلة الحاكمة والاخوان انما وقع بالرغم من الاختلافات العملية القائمة. وهي حقيقة معروفة ان العديد من قادة الاخوان وعلماء الدين المتشككين قد اقتنعوا اخيراً بقبول تجديدات عبد العزيز العملية التي ادخلها إلى العربية السعودية، حين تم اقناعهم بالبرهان بأن مثل هذه الوسائل يمكن فعلاً أن تساهم في الدفاع عن الدين الصحيح، وفي دعم قانون الشريعة (أي: في اذاعة الصلوات من الراديو والتلفزيون). نتيجة لذلك، كان الصدام بين القلة الحاكمة والاخوان صداماً حول التوزيع المستقبلي للسلطات والصلاحيات.

قلد جهيمان العتيبي سلوك الاخوان ولباسهم بأن ارتدى جلبابا قصيرا، وراح يدعو إلى تغييرات اجتماعية بسيطة، تكاد تكون بدائية. رفض واستنكر التلفزيون والتصوير مثلما رفض سلفه البرق اللاسلكي.

كما انتقد الالآت الحديثة والتوجهات الحديثة، وراح يبحث عن الخيارات البسيطة. ومع ذلك، فإن استخدامه الكفوء للأسلحة الحديثة (بما في ذلك المدافع الرشاشة) لايمكن ان يوصف ببساطة بأنه اداء فريد للمقاتلين. فإذا سلمنا بأن الاخوا استخدموا البنادق والأسلحة الأخرى، وبأن مثل هذا الاستخدام كان يبرر دائماً بمبررات دينية (أي الدفاع عن العقيدة وعن الشعائر الدينية)، الا اننا نجد ان العتيبي واتباعه لم يشاركوا في صراع اقليمي (صراع حول السيادة على أرض)، ولم يكونوا يستقطبون احداً ويقنعونه بقضيتهم الحقة، وبالتأكيد لم يكونوا مهتمين بالاستيلاء على اراض ذات حدود محددة يمارسون فيها شعائر دينهم بسلام.. لم تكن رسالتهم مجرد معارضة لآل سعود والقلة الحاكمة ونظام تحالفهم القائم، ولكن رسالتهم ضمت ايضاً المناداة والاعلان عن المهدي المنتظر. من المؤكد ان استخدام الوسائل "الحديثة" للقيام بأعمال العنف لم يكن ليدفع بالمؤمنين الخائفين إلى الهرع والالتفاف حول القحطاني، حيث فقد الكثيرون منهم حياتهم داخل الحرم في اليوم الأول من عام ١٤٠٠ الهجري.

كان العتيبي والقحطاني يدافعان عن شرف وكرامة الاخوان المهدورة. اما معارضتهم للقلة الحاكمة، والتي قدمت ظاهرياً بلغة دينية، فقد كانت ذات طبيعة سياسية. لانجد هذا اكثر وضوحاً وجلاءاً في أي مكان منه في كتابات العتيبي الشخصية. مامدى مصداقية هذه الوثائق المعزوة إلى العتيبي وما هو تأثيرها؟

رسائل العتيبي السبع

الفصل الواسع المعلومات والمعنون بـــ "عودة الاخوان ــ ١٩٧٩م"[١]، يقتبس مراسل الفايننشال تايمز في العربية السعودية، جميس باكان، وينقل من نشرتين غير مؤرختين معزوتين إلى العتيبي، هاتان النشرتان هما: ــ

النشرة (١): الامارة والبيعة والطاعة.

النشرة (٢): دعوة الاخوان[٢]

في عام ١٩٨٢م، كتب باكان (Buchan) يقول ان تعاليم جهيمان "موجودة في أربع نشرات وقعها هو نفسه. ومن المؤكد انها كانت معدة ومصممة لتكون نصوصاً للتفسير (تفسير القرآن؟) اكثر منها بيانات سياسية".[٣]

أما البروفيسور ايمن الياسيني فيقول في كتابه: الدين والدولة في المملكة العربية السعودية، انه من "المعروف ان هناك سبع نشرات كتبها جهيمان"[٤]، رغم ان ثمانية عناوين (مع ارقام الصفحات) مدونة في حواشي كتاب الياسيني. العناوين التي يوردها الياسيني هي (كما وردت بالعربية اصلا):

النشرة (١): الامارة والبيعة والطاعة وكشف تلبيس الحكام على طلبة العلم والعوام ــ٣٧ صفحة.

النشرة (٢): دعوة الاخوان، كيف بدأت وإلى اين تسير ــ ٣٦ صفحة.

النشرة (٣): الميزان لحياة الانسان ــ ٢٧ صفحة.

النشرة (٤): مختصر الحسنة لابن تيمية ــ ٢٩ صفحة.

النشرة (٥): رفع الالتباس عن ملة من جعله الله اماماً للناس ــ ٢٠ صفحة.

النشرة (٦): مختصر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ــ ٣٤ صفحة.

النشرة (٧) الفتن واخبار المهدي الدجال ــ ٣٠صفحة.

النشرة (٨): الفطرة السليمة ــ ١٠ صفحات.

رسائل جهيمان السبع التي ندرسها هنا مبنية على أساس صور (فوتوكوبي) من وثيقة بدون ناشر ولاتاريخ. فهرس المحتويات والنشرات الافرادية مرقمة من ١ ــ ٧ ومعنونة كما يلي: ــ

الرسالة الأولى: الفتن واخبار المهدي الدجال ونزول عيسى عليه السلام وإشراف الساعة ــ ٢٩ صفحة (موقع عليها من قبل: جهيمان بن محمد بن سيف العتيبي).

الرسالة الثانية: بيان الشرك وخطره ــ ١٧ صفحة (توقيع: احد طلبة المعلم).

---

1 ــ باكان ١٩٨١ نفس المصدر، ص٥١١ ــ ٥٢٦.

2 ــ المعلومات الواردة في دراسة باكان لاتوضح ما اذا كانت هذه النشرات بالعربية أو بالانكليزية واضافة لذلك، لاتوجد اشارة الى ارقام الصفحات في المراجع الثلاثة المذكورة في النص.

3 ــ في هذه الحالة، لايتوفر الا عنوان النشرة الأولى فقط: انظر: باكان ١٩٨٢: نفس المصدر، ص١٢١ ــ١٢٢، الا ان باكان يقول هنا ان النشرة رقم (١) ربما طبعت ونشرت في أوائل عام ١٩٧٨م.

4 ــ ايمن الياسيني: الدين والدولة في المملكة العربية السعودية (بولدر آند لندن: ويستفيوبرس، ١٩٨٥م) ص١٢٥.

الرسالة الثالثة: الفطرة السليمة ــ ١٢ صفحة (بتوقيع جهيمان بن محمد بن سيف العتيبي)[١].

الرسالة الرابعة: اوثق عرى الايمان، الحب في الله والمفيد في الله ــ ١٤ صفحة (توقيع: حسن بن محسن الواحدي).

الرسالة الخامسة: مداخل الشيطان لافساد القلوب ــ١٧ صفحة (توقيع: احد طلبة المعلم).

الرسالة السادسة: اختصار رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية ت ٢٥ صفحة (توقيع: جهيمان بن محمد بن سيف العتيبي).

الرسالة السابعة: البيان والتفصيل في وجوب معرفة الدليل ــ ٣٣ صفحة (بتوقيع محمد بن عبد الله القحطاني).

يتبع هذه "الرسائل السبع" مقتطفات من (كتابات) عبد الرحمن بن محمد بن حجر الحسيني الجزائري مع تعليقات عليها كتبها العتيبي. اما الصفحات الثلاث الأخيرة من الوثيقة فتتضمن دعوة جهيمان العتيبي التي تحمل عنوان "هذه هي دعوتنا".[٢]

العتيبي هو مؤلف الرسائل المرقمة بـــ ١و٣و٦. اما شريكه في القيادة، محمد بن عبد الله القحطاني، فمؤلف الرسالة رقم (٧).

وكتب حسن بن محسن الواحدي الرسالة رقم (٤)، بينما الرسالتان ٢ و٥ منسوبتان إلى "احد طلبة المعلم". يستحيل التأكد من مصداقية هذه الرسائل، خاصة وان الشائعات تتواصل لتؤكد بأن جهيمان كان امياً. وهناك تكهنات بأن مؤيد شاب من عائلة تجار غنية في جدة اسمه يوسف باجنيد، كان يقدم الدعم المالي للعتيبي في الرياض بعد انضمامه إلى المجموعة ووضعه للنشرات[٣]. الا انه يصعب تصديق ان جندياً محرضاً برتبة عريف في الحرس الوطني منذ الستينات (حيث طرد جهيمان من الحرس الوطني طرداً مهيناً اما عام ١٩٧١م أو ١٩٧٢م)، وطالبا في جامعة المدينة (قسم الدراسات الدينية) ما بين عام ١٩٧٢و١٩٧٤م، انه كان امياً!!، وعلى أي حال، فالوثائق المتوفرة مكتوبة بلغة عربية فصحى بليغة، مما يؤكد ان مؤلف أو مؤلفي "الرسائل السبع" كانوا ضليعين في اللغة العربية وبالفقه الاسلامي السني. والاشارات المتعددة والصحيحة إلى الآيات القرآنية. والسنة النبوية، وخاصة إلى الأحاديث النبوية الموثوقة، تشير جميعاً إلى ان المؤلفين كانوا ضليعين بعلوم النصوص النبوية، وقادرين على تقديم التفسيرات الدينية، ان لم يكن الفقهية، للبرهنة بالحجة الكلامية البليغة على اهدافهم السياسية. هذا البعد من الرسائل السبع واضح تماماً، ويجب تقويمه على مافيه ومايقدمه. ومع ذلك، فإن الرسالة التي تسعى الرسائل جميعاً إلى نقلها إلى القارئ هي رسالة سياسية إلى أبعد الحدود حقاً.

---

1 ــ نفس المصدر، ص١٥١.

2 ــ العتيبي، نفس المصدر، ص١٨٨ ــ١٩٠.

3 ــ ديتل، نفس المصدر، ص٢١٦، يقول ديتل ايضاً ان النشرات طبعت ونشرت لأول مرة من قبل مطبعة الطليعة في الكويت.

والعيتبي، الذي ولد في هجرة (ساجر) في القصيم ينتمي وبقوة إلى المبدأ الوهابي. وتعاليمه المتعلقة بشرعية حكم آل سعود، وظهور المهدي المنتظر يكشف عن اهتمامه وهمه الرئيسي كان ينصب على الشرعية السياسية للقلة الحاكمة. تؤكد "رسالته الأولى" هذه النقطة مراراً وتكراراً، وذلك بتذكير القارئ بأن هناك صنفين من الحكام في العالم الاسلامي. فهناك، من ناحية، الحاكم الذي يتبع تعاليم القرآن والسنة، وهناك، من الناحية الثانية، الحاكم الذي يفرض ارادته على رعيته، يقول العتيبي: ــ

"واليوم انما يحكم المسلمين الملك الجبري، الذي ليس مبنياً على البيعة، ويضيف: فانت تعلم ان الطاعة لاتجب إلا لمن يقودنا بكتاب الله، اما من يقود المسلمين بالأنظمة المختلفة والقوانين، ولا يأخذ من الدين إلا ماوافق هواه، فهذا لاسمع له ولا طاعة"[1].

ولكن بالاضافة إلى هذا المبدأ العام الذي ينطبق على جميع الحكام المسلمين، يحول العتيبي انتباهه إلى آل سعود. بالنسبة للمتمرد الشاب، بدأت كل مشاكل العربية السعودية حين رضيت قبائل شبه الجزيرة العربية بعبد العزيز ابن سعود الذي كان، من وجهة نظر الاخوان، يعارض الجهاد ضد الاتراك، وهكذا خدع الملك حسين في الحجاز.

وكلام العتيبي عن العائلة المالكة واضح لاغموض فيه، والمقطع التالي يعطينا فكرة عنه:

"فهؤلاء الحكام ــ آل سعود ــ ليسوا أئمة لأن امامتهم للمسلمين باطلة، ومنكر يجب انكاره، لأنهم لايقيمون الدين، ولم يجتمع عليهم المسلمون، وانما اصحاب ملل سخروا الدين لمصالحهم، بل جعلوا الدين وسيلة لتحقيق مصالحهم الدنيوية، فعطلوا الجهاد، ووالوا النصارى، وجلبوا على المسلمين كل شر وفساد. نسأل الله ان يريح المسلمين منهم"[2].

واضح ان هذه الكلمات القوية تؤكد بأن افضل مايستطيع آل سعود ان يقدموه للشعب السعودي هو الأشياء المادية، وليس إلا القليل النادر من التوجيه الروحي. ولكن في هذا المقطع الكثير مما يلمح إلى حقيقة ان القلة الحاكمة انما تخدع الشعب السعودي بدخولها في تحالفات مع غير المسلمين، وبلهاثها وراء امور الدنيا. وبالفعل، فإن العتيبي يرفض كل مظاهر التقدم الذي شهده حتى هو نفسه في المملكة على امتداد الستينات والسبعينات. وبالتالي، فمن المهم ان نسأل ما إذا هجوم وغضب العتيبي على القلة الحاكمة اقل ارتباطاً بالامور الدنيوية منه "بخديعة" السلطة التي المح اليها علاه. في فقرة اخرى نجد تفسيراً واضحاً: ــ

"وأقرب مثال واوضحه ــ على خداع القلة الحاكمة ــ مؤسسة دولتهم والمشايخ الذين كانوا معه في سلطانه، وهم مابين موافق له، ومعزر له بما يشاء، وآخر ساكت عن باطله، وآخر التبس عليه الأمر.. فقد دعا (الاخوان) رحمهم الله الذين هاجروا في القرى هجرة لله عز وجل، دعاهم إلى بيعته على الكتاب والسنة، فكانوا يجاهدون ويفتحون البلاد، ويرسلون له بما للامام من الغنائم والخمس والفيء ونحو ذلك، على انه امام

---

1 ــ العتيبي: سبع رسائل، الرسالة الأولى، نفس المصدر، ص٧.

2 ــ نفس المصدر ص١٣.

المسلمين.. ثم لما استقر سلطانه وحصل مقصوده، وإلى النصارى ــ الأميركيين والبريطانيين، ومنع مواصلة الجهاد في سبيل الله خارج الجزيرة".[1]

بالاضافة إلى رفضه للقلة السعودية الحاكمة، يظهر الكاتب حرصاً كبيراً في تحديد الخديعة التي شعر بها سلفه والخدعة التي ارتكبها الملك يتحالف قواته مع القوات الاستعمارية الأجنبية ضد ثورة الحجاز. ولكن ماهو اهم من ذلك هو ان هناك تلميحاً ايضاً في هذه الفقرة يمتدح الاخوان ويوحي بأن معاملة أكثر عاملاً للمقاتلين كان يمكن ان "تمنح الشرعية" لحكم الملك. وكما قلنا سابق، فإن هذا المخطط لعزل الاخوان واستبعادهم عن بنية السلطة المتنامية التي برزت على ساحة شبه الجزيرة العربية، يبدو انه يشغل بال العتيبي الشاب. والحقيقة ان الاشارات إلى الاخوان كثيرة في كل الرسائل السبع. اما القلة الحاكمة، من ناحيتها، فإنها طبقاً لرأي العتيبي، بعد ان ابعدت المدافعين عن الدين الصحيح عن قاعدة السلطة في البلاد، لم يعد بإمكانها البقاء في الحكم إلا عن طريق حماية "مواقع سلطتها ومناطق سيطرتها". وعلى هذا الاساس فإن التحالف بين عائلة آل الشيخ وسلالة آل سعود انما هو اعتراف بميزان القوى الذي بدأ يبرز إلى السطح. ومن سوء الحظ، حسب ــ رأي العتيبي، ان القلة الحاكمة فشلت في التمسك بالدين وشرعت في فتح طريق الفساد على مصراعيه وبالنسبة لمؤلف الرسائل السبع، فإن العائلة المالكة وكبار العلماء فاسدون مفسدون. فكلاهما يعبد المال ويبذره بإسراف على القصور الهائلة، وليس على بناء المساجد (من سخرية الاقدار، طبعاً، ان يصدر هذا الاتهام للعائلة السعودية المالكة التي مولت بناء مئات المساجد في جميع انحاء العالم). ومن ثم يحذر العتيبي انه مالم يقبل المواطن السعودي بحكمة القلة الحاكمة السياسية والدينية، فإنه يمكن ان يتعرض للاضطهاد وحتى التعذيب. يعترف العتيبي بأن السعودي الذي يجاري آل سعود يحصل على المكافآت السخية من القلة الحاكمة نفسها التي استحقت اللعنة لتبذيرها ثروات البلاد بإسم الدين. يقول العتيبي:ــ

"انما ــ هم، أي آل سعود ــ اصحاب ملل سخروا المسلمين لمصالحهم، بل جعلوا الدين وسيلة لتحقيق مصالحهم الدنيوية، وجلبوا على المسلمين كل شر وفساد"[2].

ومع ان عدداً من العلماء حذروا العائلة المالكة من فسادها هذا، كما يقول العتيبي، فإن الشيخ عبد العزيز بن باز، الفقيه الأعمى ورئيس المجلس يقبض الأموال من آل سعود، وقد بارك وايد فسادهم.

لقد كان لإبن باز حصته من الخلاف مع العائلة المالكة، خاصة حين راح الملك فيصل يدخل الكثير من الوسائل التقنية الحديثة إلى البلاد (أي: حين عارض باز التوجهات الفنية بان كتب يقول ان الأرض مبسطة مسطحة). إلا ان اسلوب ذلك الفقيه يقوم على أساس ابقاء الأبواب مفتوحة والحفاظ على علاقات مودة مع جميع الأطراف. ومع ذلك فإن اكثر تلامذته حماسة والذين يحضرون محاضراته في المدينة قد توصلوا إلى القناعة بأن ابن باز لم يكن عالماً مستقل الرأي، وانه، بالتالي، لم يعد بالامكان الثقة به. والواقع ان العتيبي

---

1 ــ نفس المصدر ص٢٦.

2 ــ نفس المصدر ص٣١.

كتب يقول انه واصدقاؤه كانوا في البدء يحملون انطباعاً جيداً عن الباز وتأثروا به، ولكنهم لم يستطيعوا ان يتقبلوا محاباة الفقيه للعائلة المالكة.

يقول العتيبي حرفيا في هذا الخصوص:

"وكنت اعلم رجلين هما اللذان يهتمان بالسنة، وعندهما علم، وهما الشيخ بديع حفظه الله، والشيخ عبد العزيز بن باز ــ عافاه الله ــ.. ثم قرأ بعض الاخوان السبع رسائل و(نصيحة الاخوان) على الشيخ عبد العزيز بن باز، فما انكر شيئاً، إلا التخصيص على هذه الدولة ــ السعودية ــ بالذات، ونحو ذلك، فلم نوافقه عليه، لاعتقادنا انه حق يزول به اللبس عن كثير من العوام".[1]

يتعرض ابن باز والشخصيات الدينية الأخرى لهجوم وانتقاد متواصل في كل النشرات السبع، باعتبارهم مخلوقات من نتائج نظام سياسي فاسد ومفسد، يستخدمون سلطاتهم الدينية لدعم نظام حكم غير شرعي. ومن سخرية الاقدار، ان الفقيه الأعمى استجوب العتيبي وعدداً من اتباعه في شهر يونيو ــ حزيران ١٩٧٨م، حين اشتبهت قوى الأمن بتحركاتهم.

في ذلك الوقت، أصر رئيس مجلس الافتاء الاعلى ان الطلبة "الشباب" غير خطرين، وانه يتوجب اطلاق سراحهم.

لابد ان يكون العتيبي قد تعلم الكثير من هذه التجربة، اذ ان كل انتقاداته لابن باز وللعلماء (والتي كتبت بعد ١٩٧٨م) مصاغة بتعابير دينية مبنية على قياس صحيح. وتبين العديد من الاشارات والمقتطفات من البخاري وابي مسلم وابي داوود وابن ماجة وابن تيمية وحتى من عبد الوهاب ــ تبين ان العتيبي لم يكن معارضاً لتقاليد العربية السعودية الدينية (المذهب الحنبلي والمذهب الوهابي). بل ان حملته كانت حملة سياسية بطبيعتها، هدفها الأول آل سعود. والحقيقة ان فكرة المهدي لاتبدأ بالبروز إلا بعد النشرة السابعة التي كتبها محمد القحطاني. وهذا امر يسهل فهمه، اذ ان المذهب الحنبلي والمذهب الوهابي لايتطرقان إلى مفهوم "المهدي". تصر القلة الحاكمة في العربية السعودية على ان العتيبي غير اهل لتفسير الشرع، وتؤكد على ان ادعاء القحطاني بأنه المهدي المنتظر كان ادعاء تافها سخيفاً. واضافة إلى ذلك، فإن الانتباه إلى مطالب المتمردين الدينية، كان ورقة لعبتها السلطات بنجاح، وهي التي قامت "بتطهير وتعقيم" الانتقادات الموجهة ضد آل سعود، والتي اذيعت من اذاعة ومكبرات الحرم.

خاتمة

كما كان الأمر نايف، وزير الداخلية السعودي، يكرر باستمرار خلال عامي ١٩٧٩م و١٩٨٠م، بأن جهيمان العتيبي واتباعه كانوا يمثلون "عدداً محدوداً جداً" من المنشقين الدينيين. فإن حقيقة كون هذه المعارضة قد وقعت اصلاً في العربية السعودية، وهو البلد الذي تستند فيه الشرعية إلى الدين، تشير إلى ان المعارضة الدينية للعرش لم تكن قد استؤصلت حتى بعد ٤٧ عاماً من الحكم المتواصل. ان ضرورة ابقاء

---

1 ــ نفس المصدر، الرسالة الثالثة، ص٦١.

الأبواب مفتوحة لملايين الحجاج انما تدعم هذه المعارضة وتغذيها إلى حد بعيد. فالاتصالات بين العديد من الحركات الاسلامية الدينية السرية تصبح سهلة نتيجة هذا الوصول السهل إلى مكة، حيث الاحباطات السياسية والاجتماعية يجري صب الزيت على نارها تحت الحماية الكاملة للتقاليد الدينية. فما يثير العجب، مثلاً، ان قاتل الرئيس المصري السادات، خالد احمد الاسلامبولي، كان يحتفظ بنسخة من "رسائل جهيمان السبع"، التي حملها له شقيقة محمود، والذي صادف ان كان في مكة في ديسمبر ــ كانون الأول ١٩٧٩.[١]

لأسباب لاتخفى على احد، لا تستطيع القلة الحاكمة ان تحد بشدة من حرية ملايين الحجاج في الوصول إلى مكة. ومع ذلك، فإن دعوة العتيبي كانت موجهة جزئياً فقط ضد مصداقية آل سعود الدينية. فكما تبين قراءة "الرسائل السبع"، فإن القلة الحاكمة، في حين كانت تبين قراءة "الرسائل السبع"، فإن القلة الحاكمة، في حين كانت تشجع النمو الاقتصادي، وحتى الاجتماعي، خلال السبعينات، فإنها في العربية السعودية اثبتت بأنها غير راغبة في الشروع في ذلك النوع من الاصلاح السياسي الذي كان العتيبي واخوانه يأملون به. وان اقامة المساجد والدعم المالي السخي للشخصيات الدينية لم يكن المتطرفون يعتبرونها تحركات كافية لتحسين صورة ومصداقية آل سعود. كما ان قرار الملك فهد الذي صدر مؤخراً بتغيير لقبه من "جلالة الملك" إلى "خادم الحرمين الشريفين"[٢] ربما يفرح بعض المتزمتين، ولكن لابد من الانتظار لنرى ما اذا كانت القلة الحاكمة ستستطيع ان تحمي قاعدة سلطتها دون احداث اصلاحات سياسية كبرى تأخذ بعين الاعتبار قاعدة السلطة والقوة "للإخوان الجدد". فهذا هو ماكان العتيبي قد ثار ضده اصلاً (أي ضد قاعدة السلطة التي يرتكز اليها آل سعود).

الملحق الثاني

مشعل الفتيل في الجزيرة العربية

الجزء ١٦ من كتاب (Saudi Arabia and its Royal Family)

نحن هنا في العربية السعودية ننعم ببركة حرية الاعتقاد، ونحن احرار في التمسك بعقيدتنا والدفاع عنها دون ان نتعرض لخطر الاضطهاد والملاحقة.

أبو عبد الرحمن بن عقيل، جريدة المدينة
٢ ديسمبر ــ كانون الأول ١٩٧٩

* * * *

لقد اصبح الجيش النظامي السعودي، ومنذ بعض الوقت، جاهزاً للقيام بثورة، وان ابناء الطبقة السعودية العليا، ينظرون إلى المملكة على انها مجرد نوع من معامل النقود بالدرجة الأولى، وان الشره المالي الذي

1 ــ محمد حسنين هيكل: خريف الغضب: اغتيال السادات، (نيويورك: راندوم هاوس، ١٩٨٣م) ص٢٤٧.

2 ــ فيدي، ريفسور، الايكونوميست: ٣٠١: ٧٤٧١ (٨ نوفمبر ــ تشرين الثاني ١٩٨٦م) ص ٤٩.

يظهره كبار رجال الأعمال في البلاد وكذلك الوسطاء ــ الخاشوقجي وفرعونهم هم من أبرز هؤلاء ــ قد وصل إلى حد من النهم المرضي الذي لايمكن اتباعه.

آرنولد هوتنغر: "هل تواجه العربية السعودية ثورة؟"
Neue Zurcher Zeitung

* * * *

كان يوم ٢٠ نوفمبر ــ تشرين الثاني ــ ١٩٧٩م أول أيام شهر محرم من عام ١٤٠٠ الهجري، وبداية القرن الخامس عشر الهجري. في الظلمة التي تسبق بزوغ الفجر، استجاب اربعون ألف مسلم لنداء المؤذن للصلاة، وتجمعوا في الميدان الشاسع الذي يحيط بالقبلة الشمرفة عند المسجد الحرام في مكة، ليؤدوا صلاة الصبح ويشهدوا بزوغ فجر هجري جديد. انتشرت في ارجاء الحرم عشرات من التوابيت، التي كان اهل الأموات واصدقاؤهم قد تحلقوا حولها ليؤدوا الصلاة المفروضة على روح الميت.

فجأة، بدأت جماعات من الشباب من معظمهم في العشرينات من العمر، بفتح التوابيت. وكان في داخلها قد اخفيت كميات كبيرة من الأسلحة والمواد الغذائية، وبنادق اتوماتيكية ونصف اتوماتيكية من صنع أمريكي وروسي، اضافة إلى مدافع رشاشة وقنابل يدوية، ومن الخبز والارز مايكفي المتمردين المسلحين للصمود امام حصار يدوم اسبوعاً على الأقل.

وزعت الأسلحة بسرعة على مئات الشباب من الرجال والنساء، الذين اغلقوا على الفور كل أبواب الحرم الثمانية والأربعين، ووضعوا قناصين على السطح وعلى المنائر المقامة في مواقع استراتيجية، ثم استولوا على جهاز الاذاعة التابع للحرم، واعلنوا على مسامع المصلين الذين صعقتهم المفاجأة ان ثورة قد تفجرت في العربية السعودية.

هكذا بدأ ما أطلق عليه اسم "حصار مكة"..

كنت في صبيحة يوم ٢٠ نوفمبر القي محاضرتي في جامعة الرياض وكان أول ماأوحى الي بأن شيئاً ما غير عادي كان يجري، حين ابلغني احد طلابي ان قوات الأمن الخاصة قد اغلقت المطار الدولي. وحين حاول زميل لي ان يطلب اجراء اتصال هاتفي خارجي مع شقيقته في الولايات المتحدة، ابلغه عامل الخطوط الهاتفية الخارجية بأن كل الاتصالات الخارجية ممنوعة إلى أجل غير مسمى.

كان طلابي يتناقلون الاشاعات باهتمام بالغ حول ماكان يدور.

وكان بعضهم يعتقد بأن القلاقل والاضطرابات قد سببها راديكاليون ليبيون او يمنيون جنوبيون. وكان آخرون يظنون بأن الاضطرابات في مكة سببها الشيعة الايرانيون الذين يمولهم الخميني.

ما ان حل عصر ذلك اليوم حتى بدت الصدمة العنيفة على طلابي الذين علموا ان القتال يجري داخل المسجد الحرام في مكة. أوضح طالب نقلني بسيارته إلى منزلي، بأنه تحدث لتوه إلى عمه في مكة. "لقد وقع اطلاق رصاص طيلة الصباح وبعد الظهر. يقول عمي ان هناك قلاقل في المدينة ايضاً". هل تذكر عبد الله عبد اللطيف؟ (وهو طالب من طلابي في نفس الصف). هو في مكة وفي المسجد الحرام.

في وقت لاحق من عصر ذلك اليوم ابلغتني زوجتي ان الشركات الأميركية الكبيرة في الرياض قد امرت موظفيها بأن "يبتعدوا عن مسرح الاحداث"، وهي نفس الصيغة التي استخدمتها هذه الشركات في الأيام الحاسمة للثورة الاسلامية في ايران. زارنا مساء ذلك اليوم جارنا السعودي، ليخبرنا. بأن اضطرابات مكة كانت اكبر مما كان أي شخص على استعداد للاعتراف به. فـــ "المسجد الحرام هائل الحجم. والاستيلاء عليه لمدة ساعة، ناهيك عن يوم كامل، يتطلب مئات ان لم نقل آلاف من الجنود حسنى التدريب. وإذا كان بلد أجنبي ما هو الذي قدم السلاح، فإن ذلك يعني الحرب".. واضاف جارنا قائلاً ان: "هناك سنة في الاسلام ـــ ليست نصاً من القرآن، ولكنها مجرد اسطورة شعبية ـــ تقول ان قائداً مسلماً عظيماً سيظهر في مطلع القرن الخامس عشر الهجري. والمتمردون في مكة يحاولون استغلال هذه النبوءة".. ثم اخبرنا بأنه تم القبض على احد المتمردين وبحوزته بندقية أميركية الصنع. وعلق الجار على ذلك بقوله: "هذ امر سيء.

فالعديد من الرجال المتقدمين في السن، والذين لايعرفون بواطن الأمور، سيقولون ان وكالة المخابرات المركزية الأمريكية هي وراء الهجوم.

لاتذهبوا إلى السوق. فهو غير آمن للأمريكيين الآن".

اعيدت في اليوم التالي حركة الاتصالات الهاتفية الخارجية، مع انها بقيت على مدى الشهرين التاليين، خاضعة لمراقبة شديدة من قبل قوات الأمن الخاصة، وفي اكثر من مناسبة، وجد زملاء لي ان محادثتهم الهاتفية كانت تقطع حينما يبدأ الحديث عن موضوع مكة. كما اعيد افتتاح المطار الدولي، إلا ان الحراسة والامن تضاعفت فيه ثلاث مرات.

اصدرت شركات (لوكهيد) و (بيكتل) و (ويسترن الكتريك) تعليمات خاصة لموظفيها الأميركيين، وسمعنا من اذاعة الـــ بي بي سي ان السفارة الأميركية في الباكستان تعرضت لهجوم قام به الغوغاء من المسلمين الغاضبين الذين اعتقدوا بصدق اتهامات آية الله الخميني القائلة بأن الولايات المتحدة كانت وراء الاستيلاء على المسجد الحرام في مكة.

في ذلك اليوم اتصلت هاتفياً بتوني، وهو ضابط بريطاني سابق في القوة الملكية الجوية البريطانية ويعمل حالياً كمستشار اتصالات في القوة الجوية الملكية العربية السعودية. قال رداً على اتصالي: "والله يا بل انك ربما تعلم وتعرف عما يجري في مكة اكثر مما اعرف. انه امر كبير، وهذا شيء مؤكد. السعوديون يحاولون معالجة القضية بأنفسهم. كل ما أعرفه هو اننا ارسلنا كتيبة مظليين إلى مكة بعد ظهر هذا اليوم.

يبدو ان العائلة المالكة ستحاول استعادة المسجد عن طريق استخدام القوة"..

اما (دون ب)، وهو أميركي يعمل لدى شركة لوكهيد كطيار على طائرات نقل الجنود الضخمة من طراز C-130 التابعة للحرس الوطني، فقد كان يملك معلومات اكثر من ذلك. قال "نحن لانستطيع التوجه جواً إلى مكة. وهذا هو سبب اطالة هذا الامر، لأن معظم الطيارين من الأميركيين أو البريطانيين. المسلمون فقط يسمح لهم بالدخول إلى مكة. اضطررنا لنقل الحرس الوطني إلى جدة جواً. وقد نقلت بطائرتي الفا منهم إلى هناك. ومن جدة ينقل الجنود في حافلات الحجاج إلى مكة"..، سألت (دون) عما إذا كان سمع أي شيء عن

كتيبة المظليين التي ارسلت إلى مكة. قال "لم اسمع كلمة واحدة عن هذا. السعوديون يعالجون الأمر بسرية مطلقة. وهم لايستشيرون حتى المستشارين الأميركيين"..

كان "حصار مكة" مايزال في اوجه بعد اسبوع كامل من الحدث.

اعلنت الجامعة صراحة انه يتوجب على المدرسين الاجانب عدم الخوض في احاديث مع طلابهم حول احداث مكة، وهو الأمر الذي ادى إلى اقتصار مصادر معلوماتي على عدد قليل من طلابي الموثوقين. في هذه الاثناء، كانت الصحافة الأجنبية تطلق التكهنات بلا حساب حول هوية المتمردين الحقيقية، وحول الدعم الأجنبي الذي ربما يكونون قد تلقوه، وعن مدى استقرار النظام الملكي السعودي فعلا. هذه التقارير والتكهنات اثارت غضب كبار الأمراء وادت إلى فرض رقابة شاملة على البريد الخارج من المملكة.

بعد حوالي اسبوع من الاستيلاء على الحرم، اتصل بي (توني) وسألني عما إذا كنت قد سمعت بجديد عن المظليين. وقال انه "في اليوم التالي لبداية هذا الامر، اصدر العلماء نوعاً ما من الأمر الديني (الفتوى) يقول انه لايجوز للحرس الوطني ان يدخلوا السلاح إلى المسجد، ولهذا انزلت قوات الحرس الوطني المحمولة جواً مائة من المظليين غير المسلحين في ساحة الحرم. اصطادهم القناصة المنتشرون على المنائر كما يصطاد الذباب. ولم يصل واحد منهم إلى الأرض حياً. لقد تلقى الحرس الوطني ضربة موجعة للغاية"..

ما ان انهيت مكالمتي الهاتفية مع (توني) حتى اتصلت بـــ (دون) في شركة لوكهيد. لم يكن موجوداً، ولكني تحدثت إلى طيار أميركي اخير يقاسمه الفيلا التي يعيش فيها. قال "الله وحده يعلم متى سيعود (دون).. فنحن جميعاً مستنفرون اربعاً وعشرين ساعة يومياً. ولم ار (دون) خلال الثماني والأربعين ساعة الماضية. نحن ننقل الجرحى جواً من جدة. المستشفيات في مكة والمدينة وجدة ولم تعد تتسع لاعدادهم"..

بعد يومين التقيت بـــ (مايك س)، في فندق الرياض انتركونتيننتال، وتناولنا طعام الغداء معاً. ومايك هذا مسؤول اداري كبير في كبرى مستشفيات الرياض، مستشفى الملك فيصل. أكد لي ان حمولة طائرات كاملة من الجرحى يجري نقلهم إلى الرياض، وقال ان "مستشفى الملك فيصل مستنفراً استنفاراً كاملاً منذ خمسة أيام. وقد الغيت جميع الاجازات والاطباء مطالبون بالبقاء في حالة تأهب اربعاً وعشرين ساعة يومياً. ونحن هنا نستقبل حمولة ثلاث إلى اربع طائرات كل ليلة. هم ينقلون الجرحى ليلا فقط حتى لايرى السعوديون عدد الجرحى الحقيقي الذين ينقلون إلى هنا. كل طائرة من طائرات الـــ C-130 تحمل حوالي مائة جريح. ولهذا فنحن نستقبل مابين ٢٠٠ و٣٠٠ جريح كل ليلة. وصل بنا الأمر وضع الاسرة والبطانيات في ردهات المستشفى، وحتى في المداخل وغرف الاسعاف. إلا ان اغرب مافي الأمر هو ان معظم الجرحى، أي تسعة من كل عشرة منهم، يعانون من اصابات في أرجلهم"..

في ذلك المساء دعونا بعض الضيوف لتناول العشاء معنا. من بين الضيوف كانت (لويز.د)، كبيرة ممرضات المستشفى العسكري البريطاني في الرياض. قالت رداً على سؤالي: "لا تحدثوني عن جروح الأرجل. لقد اضطررنا إلى تخصيص مهجعين اضافيين للتجبير، لمعالجة الجنود القادمين من مكة فقط. قال لي احدهم انهم امروا باستعادة المسجد مسلحين بالخناجر فقط"..

على مدى الأيام القليلة القادمة كان حديث الجالية الأجنبية في الرياض يتركز كلية تقريباً على الهجوم الذي وقع على السفارة الأميركية في طرابلس، ليبيا. وعلى المعركة المستمرة في مكة، وعلى تقرير من الـــ بي بي سي يقول ان هناك شغباً واعمال عنف واسعة في حقول النفط الواقعة في المنطقة الشرقية من العربية السعودية. اكد لي عدد من طلابي الذين يسكنون المنطقة الشرقية، ان الشغب واعمال العنف تقع فعلاً، وان مدينة القطيف مطوقة بالدبابات وحاملات الجنود المصفحة.

عصر يوم الثامن من ديسمبر ــ كانون الأول ــ، اتصلت بمكتب الاتصال والتنسيق التابع للسفارة الأميركية في الرياض لاسأل عن أية معلومات جديدة يمكن ان تكون قد توفرت لديهم سواء حول مكة ام حول اعمال العنف في حقول النفط. اوضحت سيدة مهذبة جداً ولكنها لبقة جداً في مكتب الاتصال بأنهم لا يملكون سوى المعلومات المنشورة في الصحف او المذاعة من راديو الرياض. إلا انها اضافت قائلة بأن الشركة التي اعمل فيها قد رتبت ونسقت مع السفارة كل خطط الاخلاء والترحيل الضرورية. الا انني اجبت وقد هزني بعنف ان اعلم ان خطط الترحيل قد وضعت بالفعل: "ولكني اعمل لدى الحكومة السعودية، لدى وزارة التربية".

صمتت قليلاً ثم قالت "في هذه الحالة.. الواقع انني لست متأكدة حول مايجب ان تفعله.. ربما يتوجب عليك مغادرة البلاد الان. هذا اقتراح غير رسمي بالطبع"..

هكذا كانت الحقائق وانصاف الحقائق، والشائعات التي كانت تتناقلها بحرارة الجاليات الأجنبية في العربية السعودية. وخلال العامين الذين اعقبا الاستيلاء على الحرم في مكة، قدمت تفاصيل ونظريات متعددة، اعقبا الاستيلاء على الحرم في مكة، قدمت تفاصيل ونظريات متعددة، بعضها معقول، وبعضها سخيف. ربما كان اغربها واسخفها تلك الروايات الرسمية التي اصدرتها الحكومة السعودية نفسها.

فطبقاً لرواية وزارة الاعلام، لم يكن هناك اكثر من ثلاثمائة من "المرتدين"، الذين لم يكونوا اكثر من مجرد مهووسين متدينيين مختلي العقول شبيهين باولئك الذين ظهروا في جونزتاون في غويانا! اما السبب الذي من اجله استغرق الحرس الوطني كل هذه المدة (اسبوعين) لاخراج المتردين، فهو لأن الجنود تلقوا أوامر بألا يلحقوا اضراراً بالحرم. ومرة أخرى، طبقاً للرواية الرسمية، لم يكن هناك اية مضامين سياسية لدوافع "المتمردين"، ولم تلق تصرفات الحرس الوطني ووزارة الداخلية اية شبهات أو شكوك على قدرة المملكة على المحافظة على الاستقرار الداخلي.

لم يصدق هذه الروايات المختلفة احد من الذين تحدثت معهم حول الموضوع، سعوديون كانوا ام اجانب. اولا، كانت قادة القوات المهاجمة ابعد ماتكون عن الاختلال العقلي، ربما كانت متعصبة دينياً، ولكن من المؤكد انه لايمكن تصنيفها على انها من نوعية جيم جونز، صاحب معبد الشعب. ثانياً، هناك استحالة عسكرية لان يتمكن اقل من خمسمائة إلى الف من جنود الصاعقة (كوماندوز) حسني التدريب على هذه العملية بالذات، من الاستيلاء على بناء بحجم المسجد الحرام والبقاء فيه. ولابد من ان نذكر هنا ان المنطقة المركزية المحيطة بالكعبة المشرفة تزيد مساحتها على مساحة ثلاثة ملاعب لكرة القدم، ويمكن ان تتسع لثلاثة ملايين شخص. واضافة إلى ذلك، فإن المسجد الحرام نفسه يضم مايزيد على الفي غرفة، وثمانية

وأربعين مدخلاً مستقلاً، ومئات النوافذ وثالثاً، كان واضحاً من الخطابات المسجلة على اشرطة والتي القاها المهاجمون خلال فترة احتلالهم للمسجد الحرام، ان دوافعهم كانت حتماً دينية وسياسية معاً. والخلاصة ان القوات المهاجمة لم تكن تنظر إلى نفسها كمهاجمة للمسجد الحرام، بل كانت تعتبر نفسها منقذة لأقدس مقدسات الاسلام من أيدي العائلة المالكة الخاطئة والمنحلة. واضافة إلى ذلك، ليس هناك من شك على الاطلاق بأن جهازي الحرس الوطني ووزارة الداخلية، قد الحقا العار بأنفسهما. فقد برهنا على انهما شجاعان، ولكن متخبطان تضرب الفوضى وعدم التنظيم بهما إلى حد اليأس، وانهما، في نهاية المطاف، نموذجان حيان للقصور وعدم الكفاءة.

وبسبب المراقبة السعودية الدقيقة كانت التقارير التي ظهرت في المجلات والمطبوعات والصحف الاجنبية غير صحيحة. اما التقارير التي ظهرت في الصحف التي تكون عادة دقيقة وصحيحة، والتي ادعت ان المهاجمين كانوا قطعاً من العملاء الايرانيين، ومن الثوريين المدعمين من قبل الشيوعيين في اليمن الجنوبي، ومن المجانين المدفوعين من قبل وكالة المخابرات المركزية الأميركية، ومن الارهابيين التابعين للجبهة الراديكالية المسماة بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، او، وكما قيل في احدى المرات، من رجال الصاعقة السوريين الذين دربهم وسلحهم جهاز الـــ ك ج ب، أي جهاز المخابرات السوفيتي، فقد ثبت ان كل رواياتها هذه ونظرياتها لا أساس لها من الصحة.

ربما لم يتلق المهاجمون اية مساعدات من اية حكومة اجنبية. ومع ذلك، ورغم ان الغالبية العظمى من السعوديين قد صدموا فعلاً وصعقوا لأن اهراق الدماء قد وقع ضمن المسجد الحرام، فإن قطاعاً هاماً من اهل البلاد كان متعاطفاً مع اهداف المهاجمين، ان لم يكن مع وسائلهم.

يبدو ان جذور الاحداث تعود إلى عام ١٩٧٣م، حين ترك شاب كان في ذلك الحين في التاسعة والعشرين من عمره، اسمه جهيمان بن سيف العتيبي، الجامعة الاسلامية في المدينة. ورغم ان الحكومة السعودية تنكر ان جهيمان كان يوماً طالباً في المدينة، فقد قيل انه كان دائماً يتجادل مع اساتذته حول تفسير قوانين الشريعة الاسلامية. والعام الذي تلاه شهد انهماك جهيمان في دراسة أوضاع الاسلام في العربية السعودية. ولانه من الاصوليين المتشددين، فقد وجد ان حالة الاسلام الحالية يعوزها الشيء الكثير. في نفس تلك الفترة التقى جهيمان بشاب آخر، هو محمد بن عبد الله القحطاني. الاسماء مهمة، لأن قبيلتي العتيبي والقحطان هما من بين اكبر واقوى القبائل في شبه جزيرة العرب.

يبدو ان الشابين استأجرا منزلاً في المدينة وبدءا يجمعان الاتباع من الطلبة الاسلاميين الاصوليين. في عام ١٩٧٤م اعتقل جهيمان عدة مرات. لم تذكر الاتهامات المحددة ضده ابداً، ولم يخضع لأية محاكمة. جذب جهيمان انتباه قوات الأمن في وزارة الداخلية، وكان يساق لتحقيقات روتينية. بعد حصار مكة اعلنت وزارة الداخلية ان جهيمان كان قد اعتقل عام ١٩٧٤م لاتجاره بالمشروبات الكحولية والمخدرات. هذا شيء غير محتمل، لأن المحافظين من العلماء، وهم رجال لايمكن ان يتعاطفوا مع مهرب للكحول والمخدرات، توسطوا ونجحوا في اطلاق سراح جهيمان. وقد اعتقل جهيمان في مناسبات اخرى متعددة في ذلك العام، ونجح اتباعه اخيراً في اقناعه بالاختفاء والتغيب عن الأنظار.

اعتباراً من عام ١٩٧٥م، اصبح كلا من جهيمان ومحمد بن عبد الله القحطاني طريدي عدالة. كانت عائلتاهما الكبيرتان والمتعاطفتان معهما تزودانهما بالعديد من "البيوت الآمنة"، واستطاع كلاهما العبور بسهولة إلى الكويت وقطر، حيث تزايدت اعداد اتباعهما. وفي تحقيق تلا الاستيلاء على المسجد الحرام، قالت المصادر الدبلوماسية الغربية ان جهيمان ومحمد كانا يستمدان معظم الدعم السياسي من قبائل حرب وشمر والقحطاني والعتيبي، وهي جميعاً كانت من القبائل المعارضة لتوحيد العربية السعودية على يد الملك عبد العزيز.

بالاضافة إلى تجنيد العاملين في حركته الدينية السياسية مابين عامي ١٩٧٥م و١٩٧٩م كتب جهيمان ايضاً البيانات والقى الخطب الرنانة في المساجد.

وفي هذه الفترة كتب مقاله المعروف "الامارة والبيعة والطاعة"، والذي كان عبارة عن تحليل مختصر للحكم السياسي في بلد اسلامي.

طبقاً لمؤلفه غير المنشور، يطالب القرآن المسلمين بأن يختاروا قادتهم السياسيين من الأفراد الأقدر والاكفأ في الدفاع عن العقيدة الاسلامية والحفاظ على ركائزها واتباع تعاليمها. وحين وصل إلى تحليل الوضع السياسي في العربية السعودية، كتب جهيمان يقول: "نحن نعيش اليوم في ظل ملكية مفروضة علينا، لايختار فيها المسلمون الخليفة، ولكن يحكم فيها الحكام الذين فرضوا انفسهم على المحكومين، وحيث لايؤدي اعتراض المسلمين إلى إزالة النظام الملكي"..

يبدو ان جهيمان واتباعه كانوا، مع حلول عام ١٩٧٩م، قد يئسوا تماماً من اصلاح الأوضاع في العربية السعودية بالوسائل السلمية، وتوصلوا إلى القناعة بأن الثورة هي خيارهم الوحيد. وبناءً عليه، فقد أمر اتباع جهيمان بتأمين السلاح والاشتراك في تدريبات الكوماندوز في مواقع صحراوية نائية. في هذا الوقت بالذات كان جهيمان يقوم بتجنيد اعضاء من الحرس الوطني، ومن خلال اتصالاته داخل الحرس الوطني، تلقى معظم الأسلحة الأميركية الصنع التي استخدمت في عملية مكة. أما الأسلحة الروسية فيقال انها هربت إلى داخل البلاد داخل صناديق البيض القادمة من العراق. بعد الاستيلاء على المسجد الحرام، ثارت شكوك قوات الأمن حول شحنات البيض المستوردة، مما نشأ عنه نقص كبير في البيض في جميع انحاء البلاد.

حين استولى جهيمان واتباعه على المسجد الحرام، دخلت مجموعة اخرى من رجاله إلى مسجد النبي في المدينة بهدف الاستيلاء عليه ايضاً.

وهنا تقارير متعددة حول اسباب فشل المجموعة الثانية هذه في محاولتها. والرواية التي تلقى اكبر التصديق في العربية السعودية تقول ان المجموعة الثانية، والتي كان ينقصها قيادية جهيمان ومحمد القحطاني، فقدت شجاعتها قبل ان تدخل المسجد النبوي. وتقول رواية اخرى نشرتها صحيفة الواشنطن بوست، ان المهاجمين دخلوا فعلاً إلى المسجد النبوي في المدينة، ولكنهم وجدوا هناك وحدة من رجال الحرس الوطين كانوا قد توقفوا هناك بعد مناورات صباحية، وذلك لتأدية صلاة الصبح. وطبقاً لنفس الرواية، تم تبادل عيارات نارية محدودة (مما يفترض ان يكون رجال الحرس الوطني قد دخلوا المسجد وهم مدججون بالسلح، وهذا خرق للقانون الاسلامي)، وان المهاجمين انسحبوا بعد ان اكتشفوا ان وحدة الحرس الوطني تفوقهم عدداً.

في هذه الأثناء كان جهيمان بن سيف العتيبي قد اذاع عبر جهاز الاذاعة في المسجد الحرام في مكة، و احدة من رسائله التي اسيء فهمها اكثر مما اسيء فهم اية رسالة اخرى عبر التاريخ السعودي كله. تدعي الحكومة العربية اسعودية ان جهيمان اعلن عن ظهور المهدي المنتظر، وهو اسم يطلق غالباً على أول مولود ذكر في العائلة. وطبقاً للرواية الرسمية، فقد ادعى جهيمان ان المهدي شبه مقدس، وشخصية اشبه مايكون بالمسيح، ارسلها الله لقيادة شعب الجزيرة العربية. وبالطبع، لم يكن العلماء الوهابيون المتشددون ليتحملوا مثل هذه الاتجاهات الداعية إلى ظهور المسيح المنتظر، فوصموا جهيمان واتباعه على الفور بأنهم خارجون عن الدين (كافرون).

والحقيقة ان جهيمان بن سيف العتيبي لم يناد بظهور مسيح منتظر ابداً. بل اعلن ان صديقه وتابعه، محمد بن عبد الوهاب القحطاني، هو القائد السياسي والروحي الجديد في شبه الجزيرة العربية. وطبقاً لما روته مصادر كانت داخل المسجد عند الاستيلاء عليه، بمن فيهم طالب في احد صفوفي، فإن جهيمان عرف المهدي بأنه ذلك الذي طال انتظاره كثيراً والذي سيخلص الاسلام من ايدي العائلة المالكة الخاطئة، ولم يضف جهيمان في أي وقت من الأوقات، وهو المسلم الوهابي التقي، اية صفة قدسية على صديقه ولم يذكر اية قوة أو سلطة له خارقة للطبيعة.

مرة أخرى طبقاً لرواية الحكومة السعودية، فإن جهيمان اعتقل ٣٥ ألف مسلم واخذهم رهائن، وامرهم والسلاح مصوب إلى رؤوسهم بأن يبايعوا المهدي. ولكن طبقاً لمصادر كانت موجودة في المسجد الحرام في ذلك الوقت، فإن جهيمان امر الحشد الهائل من المسلمين اما ان يعلنوا ولاءهم للقيادة الاسلامية الجديدة أو يغادروا المسجد بسلام. لم يأخذ جهيمان أو اتباعه رهائن في أي وقت من الأوقات، ولم يجبروا احداً على الصلاة بقوة السلاح. وقد غادر معظم الـــ ٣٥ ألف مصل الموجودين المسجد، دون ان يصابوا بأي اذى. اما العشرون شخصاً أو مايقرب من ذلك من المتفرجين الأبرياء الذين جرحوا أو قتلوا في المسجد، فقد صادف انهم كانوا يقفون قرب باب فجرته قوات الحرس الوطني بواسطة متفجرات بلاستيكية في محاولة يائسة لاستعادة المسجد.

وقد عمت شائعات كثيرة تقول ان الملك خالد كان ينوي اداء صلاة الصبح في المسجد الحرام صبيحة يوم الاستيلاء عليه، وان المهاجمين كانوا بالفعل يريدون قتله. هذا أمر ممكن فمن التقاليد المعتادة أن يؤدي الملك أو نوابه صلواتهم في المسجد الحرام في الأيام الفضيلة أو في المناسبات الخاصة (مثل بداية القرن الهجري الجديد).

يقول تقرير لصحيفة الواشنطن ستار، كتبه والتر تيلور، انه كان من المقرر ان يحضر الملك خالد صلاة الصبح ولكنه اضطر لالغائها بسبب اعتلال صحته ونظراً لبرودة طقس ذلك الصباح. ويتكهن التقرير بأن الملك لو حضر الصلاة لكان اخذ رهينة إلى ان تلبى مطالب المهاجمين.

بعد ان دخلت الموجة الأولى من رجال الحرس الوطني إلى المسجد الحرام، وردهم المهاجمون على اعقابهم، أصبحت قيادة قوات الحكومة في حالة فوضى عارمة. يبدو انه لم يكن هناك أي شخص مسيطر على الوضع. فالأمير فواز، حاكم مكة، ومدير الأمن العام، الجنرال فايز العوفي، وقائد القوات الجوية الملكية

السعودية الجنرال أسعد عبد العزيز الزهير، وقائد قوات الأمن الخاصة، الجنرال محمد بن هلال كانوا جميعاً يصدرون الأوامر إلى رجالهم، وكل منهم يجهل جهلاً مطلقاً ما كان الآخرون يفعلونه.

تسلم سعود الفيصل القيادة. وتناقص معدل الاصابات في قوات الحكومة بشكل كبير. لابد وان وزير الخارجية كان يدرك ان الطريقة الوحيدة لطرد المهاجمين دون تدمير المسجد نفسه انما تكمن في تجويعهم حتى يخرجوا بأنفسهم. وهذا ما فعله بالدرجة الرئيسية. فقد انتظر حتى انهارت قوى المهاجمين المتمردين من الجوع وقلة النوم ثم امر رجاله بالهجوم.

استغرق الأمر ثلاثة أيام بلياليها من القتال المستمر إلى ان استسلم المتمردون الذين كانوا قد هربوا إلى اقبية المسجد، وحتى ذلك لم يتم إلا بعد ان استخدمت قوات الحكومة الغاز المسيل للدموع، واغرقت الأقبية بالمياه لاغراق من بقي من المتمردين.

من بين مجموع المتمردين المهاجمين، تم القاء القبض على اقل من خمسة وسبعين متمرداً على قيد الحياة. قتل محمد بن عبد الله القحطاني على أيدي قوات الحكومة، والقي القبض على جهيمان بن سيف العتيبي. ورغم ادعاءات الحكومة السعودية بأنه ادلى باعتراف كامل، فإن مصادر مقربة من العائلة المالكة تؤكد بأنه رفض الاجابة على أي سؤال وجه اليه، وان رده الوحيد على الاستجواب كان الصلاة.

من اصل الخمسة وسبعين متمرداً الذين القي القبض عليهم، كان هناك عشر نساء، واطفال نقلوا إلى مكان مجهول اطلقت وزارة الاعلام عليه اسم "معهد الاصلاح واعادة التأهيل". اما الثلاثة والستون الآخرون، بمن فيهم جهيمان، فقد عقدت لهم محاكمات سريعة وحكم عليهم بالموت. قسمت المجموعة إلى مجموعات صغيرة وارسلت كل منها إلى مدن مختلفة في جميع انحاء المملكة. وفي التاسع من يناير كانون الثاني، ١٩٨٠م، وفي الساعة الرابعة والخمسة والأربعين دقيقة صباحاً، أي قبيل بزوغ الفجر، قطعت رؤوس الرجال الثلاثة وستين علناً وفي الساحات العامة.

نجد دوافع الاستيلاء على الحرم في كتابات جهيمان بن سيف العتيبي، وعلى الأشرطة التي سجلت عليها خطاباته اثناء الاحتلال. تشير كتاباته إلى انه لم يتلق عوناً من اية حكومة. وهو شديد العداء للشيوعية، ومعاد لليهودية والنصرانية. ومن التسجيلات على الأشرطة لخطاباته التي القاها داخل المسجد الحرام، نكتشفت ان جهيمان كان يعتقد بان العائلة المالكة قد خانت المثل العليا الاسلامية وتنكرت لها، وانها غارقة ملطخة بالفساد المالي، وانها اساءت استغلال الثقة التي وضعها فيها شعب الجزيرة العربية اساءة لاحدود لها. وبالاضافة إلى ذلك، اتهم جهيمان العلماء بأنهم "باعوا انفسهم" للغرب. ومن غريب الصدف ان تكون هذه الاتهامات هي نفس تلك التي وجهها العقيد الليبي القذافي خلال موسم حج عام ١٩٨٠م إلى الحكومة السعودية. والحقيقة ان اتهامات القذافي الموجهة للعربية السعودية، وتحريضه لحجاج مكة على ارتكاب اعمال العنف، هي التي دفعت الحكومة السعودية إلى قطع العلاقات الدبلوماسية مع ليبيا. وان الاتهامات الموجهة ضد العائلة المالكة السعودية التي اطلقها جهيمان كانت متطابقة تماماً تقريباً مع اتهامات العقيد القذافي لتلك العائلة.

الملحق الثالث

عودة الاخوان

من كتاب ديفيد هولدن ورتشارد جونز:

(THE HOUSE OF SAUD)

حتى في بلد ليس شهرة حب الاحتفالات، كان صباح يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٧٩م مناسبة ذات طابع خاص. فاليوم، بالنسبة لمسلمي العالم، هو ايضاً بداية العام الهجري، واكثر من ذلك، هو اليوم الأول من عام ١٤٠٠للهجرة، وحسب الاعتقاد الشائع، فقد كان ذلك اليوم بداية القرن الخامس عشر منذ ان غادر النبي مكة الكافرة إلى أرض المدينة الأكثر كرماً وترحيباً. فكان هذا يوماً للصلاة في المحج الأكبر في مكة، اقدس مكان على أرض الله.

اقرب نقطة يمكن لغير المسلمين ان يتوقعوا الوصول اليها من هذا المركز الذي يستقطب ٦٠٠ مليون روح، هي حاجز صغير على الطريق إلى مكة، تعلوه شجرة طرفاء مغبرة وتعج فيه لافتات تعلن بسبع لغات (منها الكورية) انه لايجوز (لغير المسلمين) تجاوز هذه النقطة. قد يخور الشرطي الواقف هناك ويجأر، وقد يفتح بيت مسدسه (الفارغ) اذا تباطأ هؤلاء ولو ثانية واحدة قبل ان يتحولوا إلى الطريق الفرعي الطويل المؤدي إلى الطائف.

إلا ان الأمور لم تكن على مايرام. فاليمنيون الشماليون بدأوا، مرة أخرى يتحولون إلى موسكو طلباً للسلاح. والاخبار القادمة من افغانستان كانت سيئة. فالعلماء هناك يتعرضون للاضطهاد، وبدأ الأمريكيون غير مكترثين بحجم الالتزام السوفييتي تجاه النظام في كابول. وعلى امتداد الصيف، كان الضجيج القادم من ايران يحمل طابع التهديد. وإذا لم يكن عدم استقرار مؤسسات البلاد مخيفاً بما فيه الكفاية، فإن العلماء الايرانيين يتحدثون الآن عن "تصدير الثورة الايرانية". وقد حظيت البحرين باهتمامهم باعتبارها مكاناً يتعرض فيه الاخوة الشيعة إلى الاضطهاد والكبت. وفي الاحساء ايضاً، هناك اقلية شيعية لم يكن آل سعود حتى ذلك الحين قد تعلموا ان يثقوا بها أو يحبوها.

تحرك الملك بأسلوب معروف: لابد من التشاور. في شهر يونيو (حزيران) من ذلك العام، دعا الملك إلى مؤتمر يحضره حكام الخليج التقليديون، لم يقتصر فقط عائلات كعائلة آل الصباح في الكويت، أو آل خليفة في البحرين التي يحترمها آل سعود، ولكنه ضم ايضاً حتى مشايخ منطقة الخليج السفلى الذين لم يكونوا يكنون لهم مثل ذلك الاحترام. اجتمعوا بين اشجار العرعر في خميس مشيط وشاهدوا عرضاً لمقاتلات سلاح الجو السعودي من طراز F-5E وعرضاً عسكرياً اشترك فيه أربعون الفاً من رجال قبائل عسير وقحطان. كان اللقاء عظيم النجاح، بقدر ماكان يتعلق بتذكير الواحد منهم الآخر بما هو مشترك بينهم. وفي شهر سبتمبر (ايلول) اجتمع وزراء الخارجية في الطائف لمناقشة مايمكن ان يفعلوه لحماية انفسهم وحماية المخرج الوحيد والمعرض للخطر، الذي يصدرون منه نفطهم، مضيق هرمز. لم تحظ عمان بتأييد كبير لخطتها

القاضية بالسماح للقوات العسكرية باستخدام قواعد عمان، اعيد طرح المشروع القديم لتمديد خط انابيب جديد جنوب مضيق هرمز.

كان موسم الحج قد حل بالبلاد، ومعه اكبر حشد من الحجاج الايرانيين ارسلته ايران في تاريخها، يملؤهم التفاخر بثورتهم. تلقى تركي الفيصل (مسؤول الاستخبارات) تقارير تفيد بأن هناك خططاً للتحريض في قرى الشيعة في القطيف وصفوى وسيهات. وانه ستكون هناك بالتأكيد مظاهرات عند مخيم الحجاج في منى، خارج تلك البلدة، وسيرافق ذلك كل أدوات ثورتهم المضللة والعدوانية والصاخبة. ولما كان موسم الحج يتوقع استضافة حوالي مليوني رجل وامرأة وطفل لحضور مراسيم الفريضة، فقد كان من الطبيعي ان يشعر تركي بالقلق.

ولكن ما حدث فعلاً ان المظاهرة والمسيرات وتوزيع خطب الخميني مر بسلام ودون وقوع أية حادثة خطيرة. وهكذا مر موسم حج آخر خال من أي مرض اسوأ من مرض الانفلونزا. ولهذا فإن امام الحرم، الشيخ محمد بن سبيل، اقترب من الميكروفون مرتاحاً مطمئناً، في الساعة الخامسة وعشرون دقيقة من صبيحة يوم ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ليؤم صلاة الفجر هذه والفريدة من بين كل صلوات. ولكن ما ان اتم الامام الحكيم الورع الفريضة حتى دفعته يد خشنة غليظة بعيداً ثم اطلق عيار ناري تبعته طلقتان اخريان، وسقط رجل دين صريعاً[1] بينما كان جهيمان بن محمد العتيبي هو الذي اطلق العيارات النارية، وراح محمد بن عبد الله القحطاني يصرح في الميكروفون بأنه هو المهدي المنتظر، كما هو مكتوب: "سيلجأ المهدي ورجاله ويحتمون في المسجد الحرام لأنهم مضطهدون في كل مكان، فلا يجدون ملجأ إلا المسجد الحرام".

لكن نار الجحيم كانت قد اندلعت. وقف عدد من المصلين وقد جمد الدم في عروق هؤلاء المتقون المحدقو العيون، بينما اندفع معظمهم إلى البوابات وقد تملكهم الرعب من اطلاق النار في الحرم وتدنيسه. وقد تحدث شهود عيان فيما بعد عن مسلحين تحركوا صوب البوابات لاغلاقها، ثم عن وصول حفنة من رجال الأمن. وقد اصيب عدد من الحجاج في هذه الفوضى التي اعقبت لعلعة طلقات الرصاص التي مزقت الرصيف الرخامي. وطبقاً لما رواه الشيخ محمد، فقد خلع عباءته التي كان يتميز بها وانسل خارجاً لطلب النجدة من هاتف عمومي.

هنا بدأ آل سعود يواجهون اسبوعين من الرعب والخوف لم يواجهوا مثلهما منذ ثورة فيصل الدوشي والاخوان المتمردين الآخرين عامي ١٩٢٨ ــ ١٩٢٩م. جاءت ردة الفعل تقليدية معروفة. امر نايف المتعهدين الكنديين في شركة الهاتف بقطع كل اتصال بالعالم الخارجي، ومع ذلك فسرعان ما ظهرت تقارير واخبار غامضة مضطربة في تونس حيث كان فهد وسعود الفيصل يحضران اجتماع قمة عربي، كما ظهرت اخبار في واشنطون، التي كان لها خطها المباشر الخاص إلى جدة.

كانت الصدمة عنيفة هزت العالم الاسلامي. "لا.. هذا ليس من الاسلام في شيء" كان هذا هو عنوان الصحيفة الدمامية "اليوم" حين سمح لها أخيراً بنشر القليل الذي تعرفه عن الحادث. ومع ذلك، فلم يكن سلام

---

1 ــ لم تكن هناك طلقات، كما لم يكن هناك قتلى من رجال الدين أو غيرهم.

الاسلام الخيالي الزائف هو الذي تحطم او انهارن وانما هيبة آل سعود ومكانتهم. مع مرور الأيام، تم صد هجوم اثر هجوم، بينما بعيداً من هناك، في الاحساء، كان شيعة صفوى والقطيف يشعلون الاضطرابات العنيفة حين تدخل رجال الأمن في الاحتفالات التقليدية التي تقام يوم عاشوراء، وهو اليوم العاشر من الشهر الجديد، شهر محرم، ويوم قمة فترة الحداد الذي تشهده الطائفة حزناً على الحسين، حفيد النبي. كانت بيانات الحكومة قليلة متضاربة واحيانا هستيرية. اما في المدن، فقد كان المتعلمون والمثقفون غاضبين من استبعادهم من أي دور في هذه الأزمة.

حتى في يوم موته، لمن يبد على جهيمان العتيبي ابداً انه ينتمي للعرق البشري بشكل كامل. فقد كانت كلمة "وحش" على شفاه كل مواطن سعودي وهم يصفونه. اما بدو قبيلته ــ وقد اطلق عليه دوتي (Doughty) لقب "امة" أو "شعب" ــ فما يزالون يتحدثون عنه بكثير من الألم والأسى، ويقولون لك انه لم يفه بكلمة واحدة اثناء اخضاعه للتحقيق والاستجواب.

الأساطير تنسج سريعاً في الأسلام، ولكن لم تمض أيام قليلة الا وكان جهيمان قد القي في الدرك الأسفل من نار المسلمين وجهنمهم. كانت تظهر في كل يوم قصص جديدة عن الأعمال المروعة المشينة التي ارتكبها اخوانه، فهم وقد ضيقت قوات الأمن الحصار عليهم في المخازن والسراديب تحت الحرم، احرقوا اوراق المصحف لتشويه معالم وجوده رفاقهم الموتوى، وانهم، خلال ذلك الليل المرعب الذي امتد اسبوعاً بأكمله، قد شغلوا انفسهم وتسلوا تبعاطي الجنس. وكل هذا كان تدنيساً لبيت الله بهول اهراق الدماء.

ادعى الناطقون بإسم آل سعود فيما بعد بأن تمرد جهيمان انما كان ممارسة شاذة لعقيدة لاهوتية جذرية لاعلاقة له بالقضايا السياسية أو الاجتماعية. واعتقد العديد من المراقبين للأحداث، بمن فيهم سعوديون، بأن التمرد كان مصدر نذير شؤم على آل سعود بنفس شؤم على آل سعود بنفس شؤم المظاهرات الكبرى التي عمت طهران بالنسبة لعائلة البهلوي. لم يكن الأمر كذلك ابداً. حفنة صغيرة من الرجال فقط خارج اسوار الحرم كانت تظهر تعاطفاً مع عنف جهيمان أو مع برنامجه الغريب والدقيق لتطهير الأرض بواسطة مهدية الموعود، محمد بن عبد الله القحطاني. وكانت هذه الحفنة، على أي حال، موزعة في ارجاء البلاد، في الخلايا الصغيرة التي كان جهيمان قد شكلها في المدن الصغيرة ومستوطنات البدو.

ان تقويماً افضل للحادثة هو ماقاله صحفي لبناني وهو سليم اللوزي.

فقد تساءل اللوزي عما إذا كان الاخوان ليسوا هم السم الذي يجب نفثه في جسد بهذا القدر من الاجهاد والانهاك مثل جسد العربية السعودية الحديثة. وقد عالج نايف جوهر القضية حين قال في مؤتمر صحفي طال حتى السأم عقده "لتوضيح احداث مكة اما العالم، وحين سأله احدهم بشيء من الجد عما إذا كان سيلاحق ويداهم كل من له لحية طويلة (فقد كانت اللحى مظهراً مميزاً، ليس فقط لعصبية جهيمان واخوان ابن سعود، ولكن لعلماء الدين التابعين للدولة، وشركائهم المطوعين التابعين لجمعيات حماية الأداب العامة..) ــ قال: بالتأكيد لا، فنصف سكان المملكة من الملتحين. وسنظل دائماً نحترم مظاهر التقى والورع على وجه الانسان.".

استمدت عصابة جهيمان قوتها من نفس تلك المصادر التي تستمد الدولة السعودية منها قوتها، الا وهي التقى والورع الجهادي (النضالي) القديم قدم الاسلام نفسه تقريباً. فالجماعات الصغيرة هنا تنفعل تجاه الفساد الذي يعم هذه الأيام بممارسة السلوك التطهيري والاحتقار الذي يرافقه العنف ضد هذ الفساد. كان هذا نمط الحياة في نجد ايام عبد الوهاب، وفي مستوطنات الاخوان في فترة العشرينات من هذا القرن. وقد اظهرت معركة عامي ١٩٢٩ ــ ١٩٣٠م، مدى عدم تكافؤ هذا الحماس الديني العنيف حتى مع تصور ابن سعود نفسه لمفهوم الدولة الحديثة.

حين ولد جهيمان، حوالي عام ١٩٤٠م، في مستوطنة عتيبة الاخوانية الصغيرة (ساجر) الواقعة في منطقة القصيم، فإن ذكرى ثورة ابن حميد (ابن بجاد) وهزيمته كانت ماتزال حية في الأذهان. وحين كان جهيمان شاباً في مقتبل العمر، لم يكن يحتاج إلا إلى السفر بضعة اميال ليصل إلى (الغطغط)، وليرى الاطلال الطينية الخربة، وهي كل ما بقي من قاعدة ابن حميد. وحتى بعد ثلاثين عاماً، فإن حفنة المحاربين القدماء الذين مايزالون يعيشون حول تلك المستوطنة لايزالون يحتفظون برايات الاخوان التي مزقها الرصاص، يخرجونها لتنوير وتثقيف زائريهم.

ليس معروفاً ما اذا كان الصبي الذي اطلق عليه والده اسم "العبوس الصغير" يرتبط برابطة الدم ببركة العتيبي، بسلطان بن بيجاد بن حميد. من المؤكد ان جهيمان يرتبط بروابط عاطفية قوية مع الاخوان الأولين، المتمردين منهم والموالين. وقد استعار اسمهم وقلدهم في اطلاق اللحى وتقصير الثوب الذي كانوا يقصرونه إلى مافوق العقب تعبيراً عن البساطة والزهد. وكما فعل قادة الاخوان، فقد رفض جهيمان جميع البدع والتجديدات التي اشرف عليها آل سعود. كما ان انتقاده الشديد للتلفزيون والصور الفوتوغرافية ولدته معارضتهم الشديدة للبرق اللاسلكي. وقد هاجم العلاقات مع الدول الملحدة، وهاجم وجود غير المسلمين في المملكة بحدة ومرارة، لم تكن تقل عن حدة مهاجمتهم له. كانت مملكة في فوضى عارمة. لكن هذه الفوضى لم تبدأ مع بداية تطبيق الخطة الخمسية الثانية، ولكنها بدأت "حين قبل الناس بعبد العزيز بن سعود" يوم بايعوه عام ١٩٣٢م.

اثناء المؤتمرات التي عقدت على امتداد الاعوام الأخيرة من الثلاثينات بهدف مصالحة عبد العزيز ابن سعود والاخوان المتمردين، انحاز العلماء إلى صف الامام (ابن سعود). وحول موضوع الجهاد، الموضوع الحساس جداً، والمليء بوعود الفردوس والغنائم والسلب، افتى العلماء عام ١٩٢٧م بأن يترك تقرير الموضوع للامام ايضاً. اما فيصل الدوشي وسلطان بن بجاد، اللذان لم يتنازلا حتى لحضور المؤتمرات، فكان لهما رأي آخر. فقد كتب حافظ وهبة يقول "انهما ادعيا على مدى الاعوام انهما، وهما فقط، المدافعان عن الايمان الحق والدين اليقين، والداعمان للقانون الذي كان عبد العزيز يحاول تحطيمه." وبالنسبة لجهيمان ايضاً، تضامن العلماء مع الدولة في حلف غير مقدس فعلاً. فقد كتب يقول في منشور ظهر عام ١٩٧٨م، "ان علماء نجد قد باعوا انفسهم لآل سعود.. فمن اين يأتي العلماء والمشايخ بالأموال، الا عن طريق الفساد

والافساد؟.."[1] ويصب جهيمان جل احتقاره على الشيخ عبد العزيز بن باز[2]، الفقيه الأعمى الذي يدافع عن فكرة الكون الذي مركزه الأرض. وقد كتب جهيمان يقول ابن باز كان قد شجع جماعته في باديء الأمر، ولكنه يقبض الأموال الآن من آل سعود، وهو ليس اكثر من اداة صغيرة في يد العائلة المالكة تستخدمها في تسخير الشعب وقهره. كان علماء آخرون قد حذروا من فساد العائلة المالكة، لكن الباز اخرسهم جميعاً. ويضيف جهيمان قائلاً "ربما يعرف ابن باز السنة معرفة جيدة، ولكنه يستغلها في دعم الحكام الفاسدين". والسنة هي سيرة واعمال واقوال النبي، ولا يفوقها في الالهية الا القرآن.

لم يكن علماء نجد هم القوة الدينية الوحيدة في العربية السعودية، ولم يكونوا المعلمين الوحيدين الذين شعروا باحتقار جهيمان لهم. فعلى مدى قرن كامل كان العالم الاسلامي واقعاً قبضة جدل واسع حول اصول الدين. والافكار المتطرفة التي نمت في أرض مصر الاكثر خصباً، وفي السودان وشبه القارة الهندية، حملتها رياح التجارة والنفي والحج إلى الاراضي المقدسة حيث بذرت بذورها فيها. يذكر جهيمان الاخوان المسلمين الذين تأسست حركتهم في مصر، ويذكر جماعة التبليغ، وهي الحركة المعادية للأمبريالية والامبراطورية البريطانية التي نشأت في الهند، ويذكر انصار السنة في السودان، وجماعة (جمعية) الاصلاح في الكويت. ويقول انه صلح اخطاءهم واستقطب اتباعهم ــ وكلهم تقريباً من غير السعوديين ــ لكي يكبر عدد عصبته. وهناك مذاهب اخرى لم يذكرها بالاسم ولكنها تستمتع إلى مايقوله باهتمام، منها حركة المسلمين السود في الولايات المتحدة، وجماعة التكفير والهجرة في مصر، وهي التي كانت مسؤولة عن مقتل احد وزراء الرئيس السادات عام ١٩٧٨م. ويتواجد رجال يحملون هذه المعتقدات القتالية (النضالية) العنيفة في كل بلدة كبيرة تقريباً في المملكة: اذ انه مع حلول عام ١٩٧٨م، وصل عدد المصريين في السعودية إلى ربع مليون شخص، وكذلك عدد الباكستانيين. إلا ان مركز اهتمامهم كان الحرمين والكعبة في مكة، ومسجد الرسول وقبره في المدينة.

في سابق الأيام، كان حرم مكة يعرف "بجامعة الاسلام"، وذلك نظراً للعدد الهائل من المؤمنين من جميع انحاء العالم الذين كانوا يأتون اليه للدراسة والتأمل في ظل المنائر المقدسة. وبفضل كرم وسخاء الملك سعود ــ الذي انفق مايربوا على الألف مليون ريال ــ وبفضل خلفائه على العرش ــ يمكن للحرم الأكبر (المسجد الحرام) ان يتسع الآن لما يزيد على ربع مليون مصل.. تحت ساحة الحرم، وفي مايزيد على الثلاثمائة خلوة أو منسك، يستطيع المتعبدون المؤمنون ان يخلوا لأنفسهم ليصلوا ويعيشوا، كالرسول على الحليب وحفنات من التمر. ومن بين المكانين المقدسين، كانت المدينة تعتبر الأكثر راديكالية أو جذرية. فقد تأسست الجامعة الاسلامية هناك في اوائل الستينات، اقامها الاخوان المسلمون الذين نفتهم سياسات عبد الناصر العلمانية، استطاع الاخوان المسلمون اقناع آل الشيخ والملك، الذي لم يكن بحاجة للاقناع، بأن عبد الناصر يتلاعب ويتدخل بالمناهج الدينية لجامعة الأزهر في القاهرة، منبع العلوم الاسلامية منذ القرن العاشر.

---

1 ــ لم يظهر في كتابات جهيمان مثل هذه الأقوال.

2 ــ ايضاً لم يحقر جهيمان الشيخ بن باز، بل كان ينتقده بلطف.

بدأ نشاط الاخوان المسلمين في العشرينات من هذا القرن ومن صلب رسالتهم التي تطورت وتعدلت عبر السنين، العودة إلى اسلام "السلف الصالح" أي المسلمين الأوائل. وقد خلقوا توازناً بين شكهم العميق بعلم الكلام، الذي نما في ظل التأثير الجدلي (الديالكتيكي) للفلاسفة اليونان، وبين تكريسهم انفسهم لدراسة الحديث. والحديث هو سنة النبي في اعماله واقواله، والتي غالباً ماتأخذ صيغة: "سمع آمن ب، الذي سمع من ج... الذي سمع بنت النبي تقول انه...". هذه هي طبيعة الاسلام، التي سمحت باستخدام هذه الاحاديث لاعطاء الشرعية لحركات سياسية ومثل عليا على مدى الصراعات الانقسامية التي سادت العصور الوسطى. معظم هذه الاحاديث مزورة ظاهرة التزوير. إلا ان معظم المسلمين يؤمنون بمجموعة من "الاسناد الصحيحة" خاصة التي رواها العالمان مسلم والبخاري، من علماء القرن التاسع.

وعرف عن الاخوان المسلمين ايضاً دفاعهم العنيف عن معتقداتهم، ليس فقط اثناء الحكم البريطاني، ولكن خلال عهد عبد الناصر ايضاً. ولم يكونوا الوحيدين في جامعة المدينة، فنشاطات الملك فيصل التبشيرية القوية على امتداد عقد الستينات اجتذبت بطبيعة الحال اعداداً كبيرة من الطلبة الأجانب، وكان العديد منهم، ولأسباب واضحة، من المعارضين لأنظمة الحكم القائمة في بلادهم. في عام ١٩٦٩م اصبح الباز عميداً للجامعة، وراح يؤكد ويصر اكثر من قبل على رؤيته للاسلام، وعلى تأكيده الموسوس على حرفية القرآن والسنة، وعلى رفضه للبدع والتجديد، يبشر بكل هذا في تعاليمه ويؤكد عليه. وقد علق مستشار ملكي يحزن واسى فيما بعد قائلاً: انك اذا قدمت منهاجاً دراسياً عمره الف عام، فلابد ان تتوقع سلوك وتصرفات ماقبل الف عام.

من الصعب تقديم دراسة مترابطة عن حياة جهيمان، لأن الأدلة متضاربة. ولايعرف عن ماضيه العملي إلا القليل سوى ان التحق بالحرس الوطني عندما كان في أواخر العقد الثاني من عمره، وارتفع إلى رتبة عريف في فصيلة مجاهدي عتيبة. من الحماقة التكهن بأنه، كالرسول أو كعبد الوهاب، قد مر في فترة ازمة عقلية حادة. ربما ان كل ما في الأمر ان تقواه وورعه الحاد قد اصطدم بعنف مع مطالب الحياة العسكرية، على ضحالتها، التي يتطلبها الحرس الوطني. وقد رفض فيما بعد الخدمة في أي مؤسسة من مؤسسات الدولة باعتبارها من البدع. ولكن ومهما كان السبب، فقد سرح من الخدمة في قاعدة الحرس الوطني في القصيم. يقال انه التحق بكلية الشريعة بجامعة المدينة، ولكنه كان قبل ذلك طالباً من طلاب الباز لمدة لاتزيد عن العامين، حين اصطدم مع هذا العالم الوقور وانفصل عنه عام ١٩٧٤م، وعاد مع عشرة طلاب آخرين إلى القصيم. ربما كان جهيمان أمياً، كما تصر السلطات السعودية، ولكن مع ذلك كان بإمكانه حضور محاضرات الباز، لأنها كانت تقام في المسجد الذي يؤمه كل المسلمين. من الصعب ان يعرف المرء ما الذي كان يحدث في ذلك العالم الثقافي الغريب والبعيد. اما الشيخ حمود ابن صالح العقيل، امام الصلاة في جامع الرياض، فقد قدم سرداً دفاعياً إلى حد ما حين قال "ان جواً ملائماً للهرطقة الاسلامية قد نشأ في المدينة بسبب وجود اعداد كبيرة من الطلبة الأجانب".. هو لايذكر الباز بالاسم، ولكنه يتحدث عن جماعة كانت تدعوا إلى رفض كل العقائد "المفسرة" (التفسيرية) والعودة إلى اصول وأسس القرآن والسنة. ثم يتابع قائلاً: "قامت السلطات بطرد الأجانب، واعادت تأهيل السعوديين، ولكن الهرطقات عادت إلى الظهور ثانية بعد وفاة الملك فيصل"..

من المحتمل ان يكون جهيمان قد استوعب الدفاع المرير الذي يظهره الشيخ الباز عن الاسلام النقي، وانه وسع حجته في هذا المجال لتشمل آل سعود.

وقد ادعى فيما بعد بأن الباز لم يعترض ابداً على عقيدة الاخوان ولكنه اعترض فقط على كونهم قد خصوا آل سعود والعربية السعودية بكونها دولة فاسدة.

من السهل ان نتصور الباز وهو المخلص الوفي للتحالف الوهابي، والخائف على مركزه وهو يرفض ويطرد الطلبة من الجامعة. لقد كانت خطوة بالغة لحرج، وكتب جهيمان فيما بعد يقول بأن الاخوان لم يستطيعوا ان يجدوا الثقافة الدينية الحقيقية في المدارس ولهذا فقد قرروا ان يثقفوا انفسهم. هذا التعليم الذاتي هو الذي اصبح فيما بعد تلك التركيبة الخطرة من السنن والتقاليد.

ومرة اخرى يختفي جهيمان ومعه اتباعه المتعصبون بين اشجار النخيل وبين المتعصبين.. نحن يمكن ان نؤكد بأنه كان ينشر تعاليمه ما بين اتباعه في ذلك الوقت، لأنه في عام ١٩٧٦م قامت عصابته والتي ازداد عددها بشكل كبير بالانتقال إلى الرياض وهي البلدة التي كانت تتحول بسرعة زادت عن سرعة أي عملية تحول في التاريخ إلى مدينة حديثة. مثله مثل أي متاجر بالأراضي في تلك البلدة اشترى جهيمان بيتاً بالأموال التي قدمها له عضو ثري من جماعته اسمه يوسف باجنيد وهو شاب تقي من عائلة من جدة يعمل افرادها بتجارة الجملة. وقد قال البعض فيما بعد بأن يوسف هو الذي كتب فعلاً ذلك المنشور الذي وقعه جهيمان.

هذا ممكن. من المؤكد أنه مول عملية الطباعة في مطبعة الطليعة في الكويت التي طبعت فيها أول مقالة رئيسية للمجموعة. اطلق على هذا المنشور عنوان احكام الطاعة والولاء.. سوء سلوك الحكام. وهذا المنشور هو هجوم صريح فاضح على العلماء وعلى شرعية آل سعود. والحجة التي يردها المنشور ببساطة هي ان الحكام المسلمين الذين لايتبعون القرآن والسنة لايستحقون اية طاعة ولكن يجب مقاومتهم. والعائلة المالكة في العربية السعودية هي مجموعة حكام من هذا النوع. فهي عائلة فاسدة ومخادعة تلوى القانون لكي تدعم غاياتها الخاصة بها وهي تتعاون مع الكفار والملحدين.

لم يكن على هذا المنشور أي تاريخ ولكن من المؤكد ان هذه العواطف الخائنة هي التي دفعت بجهاز مخابرات نايف أو المباحث بأن يتصرف في صيف عام ١٩٧٧م وهكذا فإن جهيمان ومعه ٩٨ شخصاً آخر من اتباعه تم اعتقالهم في الرياض. لم يكونوا في يوماً من الأيام مصدر احراج سياسي أو عرضة لمحاكمة. ولكن بدل من ذلك استدعى الباز من المدينة وقام باستجوابهم إلا انه لم يستطع أو لم يرد ان يجد خيانة في تعاليمهم. وبعد ستة أسابيع في سجون الرياض الخانقة تم اطلاق سراح هذه المجموعة مقابل وعد بأن لايعودوا إلى التعليم أو إلى نشر تعاليمهم التخريبية أو القيام بنشاط علني.

في فترة سؤال الذات وامتحان الذات بعد الهجوم على مكة راح العديد من السعوديين يتساءلون عن دوافع الباز. فهو لم يكن وحيداً باهتمامه في هذه المجموعة أو العصابة. بل ان احد اشد العلماء طموحاً وقوة وهو الشيخ صالح بن لحيدان راح يشجع الاخوان ايضاً، يصفه جهيمان بأنه جاسوس. من المفيد هنا ان نتذكر ان هذه المرحلة ماقبل النهائية من سيرة جهيمان قد تلازمت مع فيض من التشريعات صادر عن مكتب نايف فقد منعت النساء من السفر وحيدات ومن العمل مع الرجال. كما وعد وزير الداخلية بأن يصدر أمراً يحدد

اللباس المسموح للمرأة. وقد تصاعدت المشاعر المعادية للأجانب في رمضان عام ١٩٧٩م حين راح البعض يوزعون مناشير في الأسواق تحذر الأجانب من عواقب الألبسة غير اللائقة ومن ارتداء الصلبان ومن مخاطر امساك الرجل بيد زوجته في الشارع العام. من غير المعقول ان نفترض ان العديد من العلماء ومن المتحمسين الاصوليين كانوا راضيين عن استخدام جهيمان كعصا يضرب بها آل سعود، كما ان نايف نفسه كان قلقاً مضطرباً من جراء انتشار هذه الآراء الاصولية.

في هذا المنشور المح جهيمان ايضاً إلى المهدي المنتظر يقول فيه حتى المهدي الكذاب هو افضل بألف مرة من امام فاسق. وقد طور افكاره هذه بشكل اكثر نضجاً في منشور آخر اطلق عليه اسم دعوة الاخوان، وكان رقم هذا المنشور رقم ٣ وقد ظهر في رمضان من العام التالي.

ان عقيدة أو الايمان بالمهدي المنتظر هي بالدرجة الرئيسية هي عقيدة مقترضة من المفاهيم اليهودية والمسيحية عن المسيح المنتظر وهي غريبة عن تعاليم الاسلام السني. والعديد من المسلمين لا يعرفون إلا القليل عن هذه العقيدة سوى حكاية أو القصص التي تروى عن محمد احمد بن عبد الله مهدي السودان اثناء حصار الخرطوم ثم موت الجنرال غوردن على يديه عام ١٨٨١م. هذه الحركة السودانية كانت مدينة بشيء ما للوهابيين فالمهدي منع التدخين، ومنع عبادءة الأولياء ولكنه كان يستوحي الهامه بالدرجة الرئيسية من الغيبية الصوفية التي تأثرت إلى حد كبير بالمسيحية، وكذلك كان يستمد هذا الوحي والاحياء من الشيعة. في الاسلام الشيعي المهدي هو الامام الثاني عشر أو الخلف المباشر لصهر رسول الله علي بن ابي طالب. وكان هذا المهدي قد اختفى عن الأنظار إلى أن يحين الوقت لعودته المنتصرة المظفرة. اما بالنسبة للسنة فإن افضل السنة الصحيحة تحتقر هذه العقيدة ولكن الرأي الشائع تم جره إلى الاعتقاد وقبول هذا الاعتقاد في الأوقات العصيبة.

العلام الهولندي الكبير س. سنوك هاركرونجي: كان يعيش في مكة خلال الأحداث السودانية وراقب باحتقار كيف ان "اضواء العلم العظيمة في المدينة كانت تناقش حكم المهدي والاطاحة به من قبل المسيح الكذاب وتناقش ايضاً عودة المسيح المنتظر وكذلك الظواهر غير الطبيعية التي تصاعدت على شكل مجتمع بشري سوف يعلن عن اقتراب البعث".. بالنسبة للأسلوب هذا كان هذا الكلام مجرد مادة غريبة جمعها خيال المسلمين من التقاليد المسيحية واليهودية والفارسية.

وعلى أي حال فإن هذه المادة الغريبة كانت قد تمثلت في السنن التي يصفقها إلى حد كبير الاخوان الذين درسوها بعناية كبيرة. وهناك مثل جيد وقديم على هذا يقدمه ابن خلدون في مقدمته الاجتماعية الكبيرة، يقول ابن خلدون سيظهر اختلاف عند وفاة خليفة وسيتقدم رجل من عامة الناس من المدينة ثم يهرب إلى مكة. ثم ان بعض اهل مكة سيأتون إليه ويجعلونه يثور "من الواضح ان المقصود هو أي يجعلوه يظهر في حالة البعث" ضد ارادته وسوف يقسمون يمين الطاعة له ما بين الركن "وهي ساحة من ساحات الحرم" وما بين المقام "وهي بناء صغير بجانب الكعبة يضم الحجر الذي يقال ان عليه آثار قدم ابراهيم".

وسيرسل جيش لمقاتلة هذا الشخص من سوريا ولكن هذا الجيش ستبتلعه الأرض في الصحراء أو البادية ما بين مكة والمدينة.

الفتنة، ثم طبيعة المنطقة المبني فيها الحرم، اضافة إلى التدمير الالهي للجيش القادم من سوريا أو على أي الأحوال من الشمال، هي المعالم الرئيسية الأحاديث السنية عن المهدي. يقول آخرون ان المهدي سوف يحمل اسم الرسول (محمد بن عبد الله) وسيكون من قبيلته (قبيلة قريش) وسيظهر بعد حوالي ستة إلى عشرة اعوام قبل ظهور المسيح الكذاب الذي سيدمره المسيح عندما يتقدم، أي المسيح، لإعادة الهدوء والسلام كما فعل محمد. هذه الأحاديث أو الروايات تشغل الحيز الأكبر من ٣٦ صفحة من المنشور الذي يحمل عنوان دعوة الاخوان.

وبين أفراد عصابة جهيمان وتنوعها من المصريين والكويتيين واليمنيين والباكستانيين، لابد وان يكون هناك رجال كان هذا العالم الغريب العجيب من التنبؤات القديمة الغريبة لم يكن يعنى بالنسبة اليهم إلا القليل. ومما لاشك فيه انه بالنسبة لجهيمان ومعظم اتباعه فإن القرون قد مرت وان رياض السيارات الفارهة والفيلات الثرية ومجمعات المكاتب قد تداعت وان ما كان قد كتب كان على وشك الوقوع.

هل تم فعلاً الكشف عن المهدي؟ هل سبقت الرغبة والأماني تحقيق هذه الأماني؟ نحن لانعلم ان في احدى الليالي قامت امرأة من هذه المجموعة، هي اخت جهيمان او شقيقته برواية حلم مفاده ان المهدي كان هناك بينهم على شكل طالب من جامعة الرياض عمره ٢٧ عاماً. وان اسمه كان محمد عبد الله القحطاني. هل ان اسمه لم يكن كما كتب، وان القحطاني لم يكن ينحدر من قريش؟ انظروا حولكم اليس هذا هو الوقت، اليس هذا الزمن هو زمن الاقتراب والقلاقل؟ والله ان هذا قد بدأ عندما قبل الناس بـــ عبد العزيز بن سعود.

عندما اخلي سبيله من السجن اختفى جهيمان على الفور. يقال انه قام بزيارة لمواقعه القديمة في القصيم والمدينة ليعزز مصادر الدعم، ثم انطلق يعظ مطولاً في طول البلاد وعرضها وكأنه عبد الوهاب الجديد. اختفى اثره عن اعين قوات الأمن. وقال نايف فيما بعد بأن المنشورات كانت تحوي مادة تظهر بأن هذه العصابة القميئة قد انحرفت عن الاسلام الا ان قوات الأمن لم يكن لديها أي فكرة بأن هذا الانحراف سيصل إلى حالة تمرد مسلح.

ان قراءة واعية لمنشور دعوة الاخوان كانت يمكن ان تظهر بأن العصابة كانت تنظر إلى مكة وانها كانت تتوقع مقاومة عنيفة. لكن نايف قال ان جهيمان لم يحدد تاريخ ظهور المهدي وثورته، إلا في شهر الحج وهو الشهر الأخير قبل بداية العام الهجري الجديد. وقد كشف التحقيق مع الذين بقوا على قيد الحياة بأن جهيمان قد اعطى الاخوان اسبوعين فقط ليجمعوا اسلحتهم ويأتوا إلى مكة في الأيام الخمسة الأخيرة من ذلك الشهر. كما ان يوسف باجنيد باع املاكه في جدة ليغطي نفقات شراء الأسلحة.

عرض نايف الأسلحة التي استعملها جهيمان فبدت غريبة عجيبة خارقة للعادة. كانت ترسانة الأسلحة تضم إلى حد كبير أسلحة اتوماتيكية ونصف أوتوماتيكية من صنع سوفيتي أو اوروبا الشرقية ولكنها كانت تتراوح ما بين بنادق من طراز (اك ٤٧) مغلفة بالنيكل، إلى بنادق صيد الاسبانية والسيوف اليمنية، حتى ان من بين هذه الأسلحة كانت السلاسل الهائلة والاقفال لاغلاق البوابات. قد توصل الكثير من المراقبين إلى خلاصات متسرعة بأن هذه الأسلحة قد قدمت من قبل سوريا أو من قبل جمهورية اليمن الديمقراطية، في محاولة متعمدة يشرف عليها الاتحاد السوفيتي للتقليل من اهمية آل سعود ولزعزعتهم.

وقد تأكد ذلك على الأقل في واشنطن، عندما قام بندر بن سلطان الضابط في السلاح الجو الملكي السعودي برتبة رائد، والذي لعب دوراً هاماً جداً في صفقة الطائرات (الـــ ف ١٥) التي عقدت عام ١٩٧٨م قام بإبلاغ الموظفين الأمريكيين بأن الاخوان تعلموا هذه الاستعمال الدقيق للأسلحة في جمهورية اليمن الديمقراطية وفي معسكرات التدريب هناك. ان مثل هذا التأكيد المطلق يقدمه أمير شاب مثقف يشير إلى الرغبة اليائسة لدى آل سعود في الحصول على دعم الولايات المتحدة. بعد الحصار انكر نايف ان يكون لجمهورية اليمن الديمقراطية اية علاقة وجاء هذا الانكار واضحاً وصريحاً وقاطعاً وكما قال بشيء من اليأس بأن الأسلحة كان يمكن ان تتوفر بسهولة بين البدو هم رماة جيدون بطبيعة الحال.

ليس هناك من سبب لتكذيب نايف، والواقع فإن ثلاثة أرباع المعدات الموجودة في جيش الجمهورية العربية اليمنية وتقريباً كل أسلحة اليمن الديمقراطية تأتي من المعسكر الشيوعي، وان هذه البنادق تباع في سوق السلاح الكبيرة في (صعده) الواقعة عبر الحدود من عسير. ومايزال بدو العربية السعودية في الجنوب الغربي يعتبرون البندقية (اك ٤٧) رمزاً للامتياز والفخر باقتنائها. ومع هدوء الحالة في الحرب الأهلية اللبنانية الاجرامية تم طمر كميات هائلة من الأسلحة والذخيرة واغراق سوق البدو بها حيث كانت تتوفر ارباح تصل إلى نسبة الف بالمئة نتيجة بيع هذه الأسلحة.

واثناء ادائه لفريضة الحج رافق جهيمان يوسف ومحمد بن عبد الله الذي غادر بيت عائلته بالرياض واخذ معه اخته وامه. انتقل الرسل خلسة إلى القصيم في الشمال وإلى منطقة الجنوب الغربي. اما قوات الأمن السعودية التي كانت تعيش حالة خوف كبير من ضجيج الايرانيين والقرى الشيعية فلم يكن لديها الوقت لتتابع جهيمان واتباعه. ومع اقتراب نهاية ذلك الشهر ومعه نهاية القرن الهجري بدأ الاخوان بالتسلل إلى مكة. اعتقل بعضهم نتيجة توقيتهم على حواجز طرق عادية في الجنوب، وعلى الطريق إلى المدينة، وعلى مدخل الحرم نفسهِ، ولكن رغم كل ذلك لم تقم السلطات بأي عمل.

احضرت شاحنة تويوتا محملة بالسلاح والذخيرة، ووضعت تلك الأسلحة في الغرف السفلية، ومعها جاءت سيارة شاحنة معبأة بالأرز والتمر. وضعت توابيت لتوضع في داخلها ليس جثثاً لموتى لغسلها في المكان المقدس ولكن بنادق اتوماتيكية لاستعمالها في الهجوم الأول. في آخر ليلة من ليالي القرن الماضي، قامت العصبة والتي بلغ عدد اعضائها الآن مايزيد على مائتين بالاستقرار تحت جناح الظلمة ثم تجمعوا في الحرم. وربما امضوا تلك الليلة في صلاة هادئة كما فعل ابن سعود خارج المصمك.

بعد فترة اطلاق الرصاص الأولى ثاب صمت طويل، ولكن مع حلول صلاة الظهر وحين تقدم جهيمان مرة أخرى ليقدم المهدي إلى الحجاج الهلعين الخائفين، كانت اسواق جدة والرياض قد غمرتها الاشاعات. المعلومات المغلوطة والمشوهة التي نقلها الحجاج الذين هربوا انتشرت كالنار في الهجيم وتزايدت اضعافاً مضاعفة: قالوا ان مكة بأكملها كانت بأيدي المهاجمين وحتى المدينة قد سقطت كما انفجرت قنبلة في قصر الملك في الرياض.

إلا ان معلومات افضل بدأت تتسرب، واصبح واضحاً بأن المهاجمين بغض النظر عن هوياتهم قد اقتصروا على الحرم وان السلطات ربما كانت آسفة لتصرفها المتسرع فيما يتعلق بقطع خطوط التلفونات

والتلكس. وبينما كان الملك يتشنج غاضباً مما جرى، استلم سلطان المسؤوليات وقرر بأن اكثر الطرق اماناً هو عمل كبير. وهكذا أرسلت وحدات من الجيش والبوليس والحرس الوطني من الرياض.

وترددت في السماء ضجة طائرات الهيركوليز من طراز ١٣٠ المخصصة للنقل حيث ارسلت إلى تبوك وخميس مشية لنقل الجنود، ومع حلول ظهر ذلك اليوم كان ستمائة رجل الذين يشكلون خيرة قوات الأمن الخاصة قد وصلوا إلى مكة.

كان على آل سعود ان يضموا العلماء إلى صفهم. بعد ظهر نفس ذلك اليوم استدعى الملك كبار رجال الدين لعقد اجتماع معه بمن فيهم الشيخ الباز، وطلب منهم اصدار فتوى حول شرعية تطهير الحرم بالقوة. ورغم ان هذه الفتوى لم تكن لتذاع قبل عدة أيام، فإن رجال الدين وافقوا على الفور حيث وجدوا سنداً لهم في الآية الكريمة: "ولا تقاتلوهم في المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه وان قاتلوكم فاقتلوهم حيث ثقفتموهم ذلك جزاء الكافرين".

اما محمد عبده يماني وزير الاعلام فلم يكن يعرف ما إذا كان عليه ان يخبر العالم او ان ينتظر ولم يستطع ان يجد احداً يصغي اليه. كان نايف وسلطان قد توجها فعلاً إلى مكة حيث انضم اليهما رئيس المخابرات الخارجية تركي الفيصل. وحتى في هذه المرحلة وجد الكثيرون صعوبة بالغة في تصديق انه لم يكن هناك يداً اجنبية صهيونية أو شيوعية وراء الهجوم. كان يتوقع ايضاً من تركي باعتباره ايضاً مديراً لمكتب الاتصال الخارجي ان يعمل بتنسيق مع اجهزة الاستخبارات الصديقة المتعددة. إلا ان فهد اختار الآن ان يفسح المجال للقادة العرب الآخرين لكي يصيحوا ويزعقوا بينما بقى هو في تونس. وحتى عبد الله (رئيس الحرس الوطني) وقد ازعجه هذا الهجوم المسلح بين البدو، وشعر ان من الحكمة ان يواصل عطلته في المغرب.

ومع حلول المساء كانت خطوط الطاقة الكهربائية والكهرباء قد قطعت عن الحرم وتم الاحكام الطوقي حوله. ومع اختفاء اضواء الحرم بدأ هذا الحرم ثقيلاً ومخيفاً. كان قناصة جهيمان يطلقون نيرانهم على رجال البوليس وعلى الجنود المحيطون بالبوابات الرئيسية. اما فواز حاكم مكة والمعروف عنه بأنه الأمير المتحرر في بعض الأحيان، فقد اندفع ليعرض مساعدته، ولكن سرعان ما رأى سائقه يخر صريعاً بطلقات رصاص تخترق رأسه. كلا الجنود والمجاهدين وقد حرك النار في عروقهم الخوف والرعب من هذه الجريمة وجدوا ان الدفاع ان لم يكن باتجاه الجنة، فعلى الأقل باتجاه عطاءات الحكومة السخية.

قرر سلطان ان يشن هجوماً على (المروة) باطلاق المدفعية المحيطة بها وبوابتي السلام او عثمان باطلاق النار. ولكن ما ان تقدم الجنود عبر الأرض المضاءة باتجاه البوابات حتى انهال عليهم رصاص غزير جداً من الطبقات العليا ومن المنائر، ورغم انهم احتلوا المواقع المحيطة للتأكد بأنه ليس هناك مختبئين او قوات تعزيز لأنهم لم يستطيعوا ان يواصلوا السير إلى داخل الحرم، بالرغم من ذلك فإن قوات الحكومة لم تكن تتوقع مثل هذه المقاومة الضارية، ولم تكن تتوقع أيضاً مثل هذا التصويب والرمي الدقيق. وهكذا ظهرت الحاجة لخطة تخفف من عدد الاصابات إلى أبعد حد، وايضاً تحصر الدمار في الحرم وعدد القتلى الأبرياء بأصغر قدر ممكن. كان الملك خالد قد اصر بصورة خاصة على هذه الأمور.

كان من خصائص الحصار الغريب هذا، خاصة بعد ان تعالى عدد الاصابات، وبعد ان تم صد هجوم اثر هجوم، ان اصغر الأمراء سنا وهو تركي الفيصل كان يستشار بشكل متواصل من قبل اعمامه. كان تركي قد اختار الجنرال أو اللواء الذي يرأس القوات الخاصة لقيادة الهجوم. وكما اشار فيما بعد فإنه كان لابد من توكيل مهمة القيام بالهجوم إلى شخص ما. والمشكلة كانت في وجود عدد كبير من الأمراء والجنرالات والأجهزة المختلفة فأصبح من المستحيل وضع استراتيجية مترابطة ومنسقة أو التأكد من تنفيذ مثل هذه الاستراتيجية. لم يكن هناك شك في حماس الجنود، والحقيقة ان العكس هوالصحيح. الا ان شك وارتياب ال سعود التقليدي هو الذي اكد أو جعل من المستحيل على كافة الادارات ان تعمل معه. وحتى الحرس الوطني كان هناك شك وارتياب في ولائه؟ وقد ادعى عبد الله فيما بعد بأن المجاهدين (وهم فئة من الحرس الوطني) من عتيبة وقحطان كانوا يميزون انفسهم بصورة خاصة. ولكن وبحركة مرتابة كالعادة جاءت عروض من الكتائب الميكانيكية لتعرض قيادة عليا وكان من اثر هذا ان انزعج البدو كثيراً. أما البعثات العسكرية الأجنبية من أمريكيين وباكستانيين فقد قدموا النصيحة والتي كانت متضاربة مع بعضها.

وكان من نتائج صعوبة التنسيق في الهجوم على البوابات ان وافق سلطان على القيام بهجوم بطائرات الهيلوكبتر في ساحة الحرم نفسه. وما كان هذا معقولا إلا في الليل ولكن السعوديين يفتقرون إلى الخبرة في مثل هذه العمليات. وهكذا انزلت القوات إلى ساحة الحرم في وضح النهار وكانت الخسائر مخيفة هائلة.

كل يوم كان يمر كان يلحق بمكانة وهيبة آل سعود خسائر كبيرة، وكان سلطان يدرك ذلك تماماً. ورغم النشرات المتفائلة التي كان يصدرها نايف ومحمد عبده يماني، فإن العالم الاسلامي كان يزداد قلقاً نتيجة التأخير. ومع حلول يوم الجمعة كان اتجاه المعارك قد تحول. كانت قوات الحكومة قد حققت موطأ قدم في الداخل، وتمركزت في الطبقات العليا، واخرجت المتمردين من منارتين. ولكي يساعد هؤلاء الجنود على التقدم عبر الطبقات العليا وعبر ساحة الحرم اختار تركي ان يستعمل الغاز المسيل للدموع الذي قدمته السفارة الأمريكية ومساعيها الحسنة. وهكذا انطلقت القوات بدعم من القناصة إلى المناطق المكشوفة التي كان يتجمع بها رجال جهيمان، ومع ان الاخوان اقاموا المتاريس المؤلفة من الفراش وسجاجيد الصلاة، فقد تم دحرهم ببطيء وحصروا باتجاه مدخل الطبقة السفلى من الحرم. ومع حلول يوم الاثنين كان كل الطابق الأعلى أي الذي كان فوق الأرض من الحرم في يد الحكومة. وتحت ساحة الحرم كان الاخوان قد تحصنوا وتجمعوا حول مؤونتهم.. اما الذين استسلموا منهم فوق الأرض فقد كشفوا عن عددهم المتواضع للمحققين من رجال نايف.. ولكن الحكومة لم تكن واهمه بأن هؤلاء سوف يستسلمون في حالة من اليأس نتيجة وضعهم.. وهكذا اطلق الجنود المحصنون بالثياب الواقية من الرصاص اطلق هؤلاء قنابلهم المسيلة للدموع، لكن الممرات الرئيسية كانت مغلقة في وجههم، وفي الظلام الحالك بدا وكأن المتمردين كانوا في كل مكان، وان من الممكن أن يكون بعض الحجاج البريئين من بينهم؟

ويوم الأربعاء تمكن المنظفون من ازالة بعض الدماء والدمار من ساحة الحرم واقاموا صلاة مسرعة تم عرضها على شاشة التلفزيون. ولكن في ذلك المساء وصلت تقارير مضطربة من الحسا تقول بأن ما كان يخشى منه دائماً فقد وقع، والتهبت القرى الشيعية بنار الثورة.

ذلك المساء كان بداية عاشوراء اليوم العاشر من شهر محرم. وفي هذا العام اعلن القادة الشيعيون الذين راحوا يستمدون الشجاعة من ثورة الخميني ومن القلق العام بين شيعة العراق، أعلنوا ان مسيرات على الأقل سوف تجري في هذه المناسبة. في قرية صفوة الصغيرة اندفع حشد بالصدام والقيام بأعمال العنف عندما ضرب احد رجال البوليس احد المتظاهرين، وطوال اليوم التالي قامت الغوغاء بأعمال السلب والنهب والتحطيم في جميع انحاء القطيف. وما ان حل المساء يوم الخميس حتى كانت السيارات قد احرقت والحوانيت قد سرقت والبنوك قد هوجمت وكانت حصيلة ذلك اليوم مقتل سبعة عشر رجلاً على أيدي قوات الأمن[1]. وكان يبدو كما لو أن ذلك الحس بالاحباط المتواصل على مدى خمسين عاماً قد وجد التعبير عنه أخيراً. مع وصول نايف إلى مكة ارسل نائبه احمد إلى القطيف وهو يحمل تعليمات ان يحتوى الوضع مهما كلف الأمر. كان احمد في مطلع الأربعين من عمره وكان ملزماً بفترة طويلة بأن يعود في كل أمر إلى اخوته الأكبر سناً فهد وسلطان ونايف. كان الأجانب يجدون فيه انساناً متشدداً قبل تشدد نايف في حياته الخاصة، ولكنه أكثر اطلاعاً على الأفكار وأكثر بلاغة في التعبير عنها. قام بجولة واسعة في مسرح الاضطرابات في القطيف وزار مدرسة. في حديث جرى بينه وبين أهل البلدة اعترف بأن الشيعة قد عانوا الكثير ــ وبهذا يكون أول فرد من أفراد آل سعود يصرح بمثل هذا الاعتراف. قال انه في الماضي انهم لم يزدهروا قدر ازدهار الآخرين في الأحساء وانهم لم تتحسن أوضاعهم فيما يتعلق بالخدمات التي تقدمها الدولة، وحتى نساؤهم لم يتلقين الاحترام الذي تتوقعه النساء المسلمات. وقال انه مما لاشك فيه ان المدارس والمستشفيات لم تكن ملائمة ولا كافية ولكن احمد استمر قائلاً بأن حالة الازدهار بين الشيعة وقد بدأت وان المنطقة الشرقية بدأت تشهد حالة من الازدهار في القطيف أيضاً. كان الماضي قد ولى وان الشيعة اذا ما تجاوبوا وتعاونوا اثناء هذه الأزمة التي تمر بها المملكة فسيكون كل شيء عل مايرام.

كانت مهمته ناجحة إلا ان أعمال الاضطراب والعنف قد أوضحت للقادة في مكة بأن الحصار يجب ان ينتهي في أقرب فرصة ممكنة. كان تركي في حالة قريبة من اليأس، فشركة بن لادن التي قامت بعملية التحديث لمملكة سعود طلب منها ان تخرج مخططاتها الأصلية وتمت تجربة استعمال الغازات المسيلة للدموع وخراطيم المياه والدواليب المحترقة ولكن دون جدوى. وفي قاع السراديب تحت الحرم كان جهيمان واتباعه بما فيهم من نساء واطفال قد بقوا وبقيت معهم مؤونتهم من الذخيرة والتمور، كانوا مايزالون يعتقدون بأن الله سيجعل الأرض تبتلع اعدائهم؟

هل كان محمد بن عبد الله مايزال على قيد الحياة؟ نشرت الصحف السعودية فيما بعد صورة للشاب وقد طار فكه الأسفل وقالت ان هذا كان هو المهدي المنتظر الذي قتل في أول المعارك في سراديب الحرم. وادعى بعض الكتاب بأن جهيمان قتل صديقه وهو في اقصى حالات اليأس.

ربما نفذت الذخيرة. ولن نتمكن من معرفة ماذا كان شعور الاخوان في أواخر الأيام الرهيبة وقد هدهم الضعف والارهاق والعطش وكان العديد منهم قد اصيبوا بالجراح ومنهم جهيمان نفسه. ولكن وفي الساعة

---

1 ــ لم تكن هناك سرقات أو تحطيم محلات وحوانيت.

الواحدة والنصف من صبيحة يوم الثلاثاء والواقع في ٥ ديسمبر (كانون الأول) أي بعد اسبوعين تماماً من الشروع بالهجوم كان جهيمان في مقدمة من خرج إلى العراء يقود مئة وسبعين من عصابته إلى خارج السراديب.

يقال انهم حينما برزوا من تحت الأرض ومعظمهم يبكي وقد أصابه التعب والارهاق فلم يستطع الوقوف وهم يرددون باستمرار كلاماً مبهما، والناس[1] يبصقون عليهم ويشتمونهم.. في هذه الظروف التفت احد أفراد العصبة إلى واحد من الحرس الوطني وسأله: "وماذا عن جيش الشمال؟".

الملحق الرابع

المهدي

من كتاب "المملكة" لروبرت لاسي (ص٤٧٨ ــ ٤٩١)[2]

يخبرك الحجاج المجربون ان افضل وقت لزيارة الحرم في مكة هو اولى سويعات الصباح. فالحشود عندها تكون اقل كثافة، كما يمكنك ان تؤدي الفروض في برودة الليل، وحين تبدأ النجوم بالافول والانطفاء، يستطيع المتعبدون ان يتجمعوا في حلقات حول الكعبة السوداء الهائلة ليؤدوا فريضة الصلاة.

في الساعة الرابعة والنصف من صبيحة يوم الثلاثاء، ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٩م، تجمع عدد من الناس اكبر من المعتاد وركعوا هناك عند بزوغ الفجر حول (مقام) ابراهيم.. كانوا حوالي ٥٠٠٠٠ من المصلين. كان موسم الحج قد انتهى قبل فترة قصيرة، ولكن العديد من الحجاج تخلفوا في المدينة المقدسة، وكان يوم ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٩م ذا اهمية خاصة في التاريخ الاسلامي، لأنه كان ايضاً بداية العام الهجري ١٤٠٠.

فجأة، لعلع صوت طلقات الرصاص، كان رجال يطلقون نار بنادقهم في الهواء، في حين تجمع عدد من رجال القبائل مشعثي اللحى حول رجل شاب، يصافحونه ويقدمون له الولاء. وكانوا يصيحون.

"المهدي! المهدي! انظروا انه المهدي!"

وقفز شخص اشعث اللحية بارق العينين يصعد درجات منبر المسجد وكأنه نمر جامح.

"سجل المهدي العدل في الأرض". كانت هذه أولى كلماته حين قبض على الميكروفون الذي كان الامام يؤم الصلاة عبره، ثم تابع يقول: "أنا شقيق المهدي. اسمي جهيمان. بايعوا ياخواني! بايعوا المهدي الذي سيطهر هذه المملكة من فسادها ومفسديها!".

---

1 ــ الحقيقة ان احداً من المواطنين لم يسمح له بالاقتراب، وكان جنود السلطة هم الذين تولوا عمليات التعذيب والاهانة والتحقير لأسرى الاخوان.

2 ــ Robert Lacey, The Kingdom, Fantana, Collins, London 1982

استل بعض الرجال بنادقهم من تحت عباءاتهم، وانضموا إلى الهاتفين، ثم انتشروا كالمروحة باتجاه بوابات المسجد التسع والثلاثين. ومن بين المصلين قفز حوالي المائتي رجل كما لو كانوا يلبون اشارة كانوا ينتظرونها. اطلق النار على بعض رجال البوليس وعلى مساعدي امام شاب حاولوا اظهار بعض المقاومة، وسقطوا صرعى على الفور. ووصل المسلحون إلى البوابات، واغلقت الأبواب، وهكذا تم تطويق وعزل ذلك المقام الذي يجله ويقدسه المسلمون في جميع انحاء العالم، باعتباره اقدس بقاع الأرض. لقد تم "اختطاف بيت الله".

ان الاعتقاد بقدوم مهدي في المستقبل، أو بقدوم المهدي المنتظر، يعود إلى أوائل اعوام التاريخ الاسلامي. القرآن لايذكر المهدي، الا انه خلال فترة الصراع على القيادة الذي تلى وفاة محمد بدأت بالظهور احاديث نبوئية عزيت إلى الرسول حول هذا الموضوع. يقال ان محمد تنبأ بأن الأمراء (الملوك) سيعيثون في الأرض فساداً، وعندها سيبعث واحد من أهل الرسول ليعيد العدل إلى الأرض.

هناك احاديث نبوية مختلفة تتحدث عن هذا المهدي ــ مع ان عدداً قليلاً من الفقهاء المسلمين فقط ينظرون إلى هذه الأحاديث بنفس الجدية التي ينظرون فيها إلى الأحاديث الواقعية والحياتية التي يقوم عليها القانون الاسلامي. تقول نبوءات محمد ان الأرض ستبتلع الجيوش التي تتحرك ضد المهدي. وان قدوم المهدي سيتميز بمظاهر العنف. وسيأتي من سلالة (ذرية) النبي، وسيكون اسمه محمداً، وسيظهر في مطلع قرن (هجري) جديد. حتى ان أحد الأحاديث النبوية حدد بأن الفادي (المهدي) سيكون له ملامح وقسمات معينة ــ وقد استغلت هذه الملامح في السودان، خلال الثمانينات من القرن التاسع عشر، من قبل محمد احمد، اعظم "المهديين" نجاحاً، الذين قاموا عبر حقب التاريخ الاسلامي، وفي مختلف الأقطار الاسلامية، باستغلال الحديث النبوي عن قدوم المسيح الاسلامي المنتظر ليعطوا طموحاتهم لمسة قدسية.

فالمهدي السوداني، والذي مات بعد فترة قصيرة من احتلاله التاريخي المشهود للخرطوم واستعادتها من الجنرال جوردون عام ١٨٨٥م كان يورد كبعض من مزاياه اسمه الأول، وشامة على خده، وفجوة بين اسنانه، وظهوره في مطلع القرن الرابع عشر الهجري.

وفي عام ١٩٧٩م، أي بعد مائة عام هجري من ذلك، قام المهدي الذي استولى على الحرم في مكة بإسمه، والذين كان يسعى، بإسم الله، للاستيلاء على السلطة في المملكة العربية السعودية وعلى مصيرها في القرن العشرين، قام بالاعلان عن مطلب من نوع خاصة متميز، فقد كان لمحمد عبد الله القحطاني الاسم الأول الصحيح، وادعت والدته نسباً إلى النبي محمد، واعلن عن نفسه في بداية قرن هجري جديد، وتميز ظهوره واعلانه هذا بالعنف. وحين استولى اتباعه على الحرم في الساعات الأولى من صباح يوم الثلاثاء، ٢٠ نوفمبر ١٩٧٩م، قتلوا رجال البوليس وكل من قاومهم. وقد لعلع رصاص مدافعهم الرشاشة لتردد صداه التلال الصخرية المحيطة بمكة[1].

1 ــ معظم روايات الحجاج التي تناقلتها الصحف، نفت نفيا قاطعاً ان أفراد الجماعة قتلوا المصلين أو ائمة المساجد..

اوقظ الملك خالد على اثر تلقي الاخبار في الرياض قبل الساعة السابعة صباحاً. واطلقت النار على سيارة بوليس كانت قد أرسلت للتحقيق في الاضطرابات عند الحرم، كما ان امام المسجد، الشيخ محمد السبيل، ذا اللحية البيضاء، نجح في الاختباء في مكتبه والاتصال هاتفياً بمن قدم لهم وصفاً للمتمردين الذين كان يبدو انهم يعدون بالمئات من الرجال المدججين بالسلاح، حسني التدريب، والقساة الاشداء إلى أبعد الحدود.

كان الخبر مقلقاً للغاية. فالاستيلاء على اقدس مقدسات الاسلام بالقوة، واحتلال اقدس بقعة في العالم بالنسبة للمسلمين، كان صدمة هائلة بحد ذاته. اذ كان يمثل وصمة عار فورية في جبين آل سعود، الذين كانوا يتعمدون خلق صلة دائمة بين هيبتهم ومكانتهم وبين حماية الأماكن المقدسة. كما ان كفاءة الارهابيين، وقوتهم، أوحت باحتمال وجود مؤامرة أوسع وأكبر. فلابد أنهم يتوقعون انتفاضات اخرى مشابهة، وربما حتى مساعدات من الخارج. امر الملك خالد بقطع جميع خطوط الهاتف والتلكس مع العالم الخارجي كلية. واصبحت المملكة معزولة عن العالم تماماً، وحتى الأمير فهد، الذي كان على رأس الوفد السعودي في تونس لحضور اجتماع القادة العرب، لم يتمكن من التعرف على ما كان يجري.

عندما وصلت أخبار الاضطرابات إلى جدة، ابرقت السفارات إلى حكوماتها بقصص غير دقيقة عن انتفاضة مسلحة. وحين سمع آية الله الخميني بالخبر في ايران، اعلن ان الصهاينة والأمريكان قد دنسوا اقدس المقامات الاسلامية، وهاجت جموع غاضبة ثائرة السفارة الأمريكية في الباكستان، وقتلت اثنين من جنود البحرية الأمريكية.

وفي داخل المملكة وضعت الحواجز على الطرقات المؤدية إلى كل مدينة رئيسية. ووضع الجيش والحرس الوطني على اقصى درجات التأهب. وهيأت الحكومة نفسها استعداداً لقيام تحد خطير لسلطتها، كما ان الاخوين سلطان ونايف ابني عبد العزيز، وزيري الداخلية والدفاع، انطلقا بأقصى السرعة إلى مطار الرياض، حيث طارا من هناك إلى مكة لدراسة الوضع على الطبيعة.

في هذه الأثناء كان الشيخ محمد السبيل قد هرب من الحرم. وتمكن اتباع المهدي من اخذ مابين خمسة وعشرين إلى ثلاثين رهينة كانوا قادرين على حراستهم بشكل مقتدر[1]، بينما سمحوا لبقية مصلي صلاة الفجر ان يغادروا المسجد ــ فتمكن الامام من الهرب خلسة معهم، خالعاً عباءته تحاشياً للانكشاف.

ومما قاله الشيخ والمصلون الآخرون الذين اطلق سراحهم، بدأ رجال البوليس والجنود الذين تجمعوا حول المسجد يحتمون بجدرانه من النيران المنصبة عليهم من منائره، بدأوا يشكلون صورة متبلورة عما كان يجري في الداخل. كان يبدو ان المسلحين هم في معظمهم من السعوديين. وكان واضحاً ان العديدين منهم يجيدون استخدام اسلحتهم، اجادة المحترفين، اما الأسلحة فكانت بنادق (AK47) سوفيتية الصنع، ومسدسات وبنادق من عيار ٢٢ ملمتراً. قدر عددهم بـــ ٢٠٠ إلى ٣٠٠ رجل. واتضح انهم احضروا معهم نساءاً واطفالاً. ورغم انهم كانوا يهتفون بإسم شاب محدد باعتباره المهدي، فإن الشخص الذي كان يشرف على العملية كلها كان الخطيب البليغ، وكان في مطلع الثلاثينات من عمره، ذا لحية كثة مشعثة، وعينين تلتمعان

1 ــ تبين كما اعترف آل سعود ان لاوجود للرهائن مطلقاً!

ببريق حاد. كان هو الذي وضع يده على جهاز الاذاعة في المسجد ليعلن انه شقيق المهدي ــ وهو الذي اطلق على نفسه اسم "جهيمان".

جهيمان بن محمد بن سيف العتيبي، هو بالفعل قائد انقلاب نوفمبر ١٩٧٩م والعقل المخطط له، وهو الانقلاب الذي جعل العالم كله يتساءل عما إذا كانت قبضة آل سعود على زمام المملكة هي بالقوة التي كانت توحي بها. فجهيمان من قبيلة العتيبة، التي قامت بانتفاضة عنيفة جداً اثناء ثورة الاخوان لعزل عبد العزيز وحصاره في جدة، وكانت عقيدة الاخوان تعكس اعتقاداته نفسها. وقد اعتادت قبيلة العتيبة ان ترعى ابلها على السهول الممتدة بين الرياض وبين جرف الطائف، وكان جهيمان قد تطوع، حين كان مايزال مراهقاً في أواسط الستينات، كجندي في القسم العتيبي من الحرس الوطني.

لما كان العالم الاسلام قد اظهر ردة فعل هائلة الجزع والهلع تجاه الاستيلاء على الحرم في نوفمبر ١٩٧٩م، فقد دارت شائعات كثيرة حول جهيمان نشرتها الصحف السعودية بكثير من المرح والطرب ــ عن علاقاته الجنسية الشاذة، وعن ادمانه على المخدرات، وعلى المسكرات والخمور، وعن طرده من الحرس الوطني طرداً مشيناً[١]..

ولكن، وبينما آل سعود يصارعون للسيطرة على وضع اخذهم كالصيحة على حين غرة، اكتشفوا ان الاتهامات المخجلة والمهينة الموجهة ضد جهيمان كان يصعب الاستمرار بها وتدعيمها. كان قد تورط في عمليات تهريب السجاير[٢]، وكان قد خرج فعلاً من الحرس الوطني. إلا انه في بداية السبعينات استحوذ الدين على حواسه واجتذبه إلى المدينة، حيث راح يحضر ندوات السؤال والجواب التي كان يعقدها بعد صلاة المغرب في مسجد الرسول، الشيخ عبد العزيز الباز، الشيخ الأعمى الذي كان يعظ ويعلم طلابه بأن الأرض مسطحة. والذي كان عضوا بارزاً في مجلس العلماء. كان جهيمان قد اقام في احد النزل الخيرية التي تقدم الطعام والاقامة مجاناً، للمصلين المتعبدين في المدينة المقدسة، كما تجمع حوله هناك بعض الاتباع بين المتسكعين المتدينين الذين كان يلتقي بهم!![٣].

يمكن مقارنة حركة جهيمان بحركة الأمير خالد بن مساعد، الذي قتل بالرصاص بعد اضطرابات محطة تلفزيون الرياض[٤].. وبين طلاب المدينة وحجاجها وجد جهيمان نفوساً ناقمة شاركته شكوكه بحركة التغريب وفرض الثقافة الغربية، والطريق التي كان المجتمع السعودي يبدو انه يسير عليها. كما كان هؤلاء مستائين غاضبين من الثروة الجديدة، ومن الآثار التي كانت تتركها على القيم الدينية التقليدية. كانوا يصلون ويقرأون

---

1 ــ لقد أوردنا في البحث عشرات الاشاعات التي قدمها آل سعود واعلامهم ضد الاخوان، وقد تحاشينا ذكر المخدرات وغيرها تعففاً، ولأن العالم يعلم ان منبع الشذوذ في البلاد هم امراء الأسرة المالكة.

2 ــ المرحوم جهيمان لم يشهد منذ صغره اية حالة من الشذوذ كما يذكر آل سعود.. وحتى تهريب السجائر قول ملفق وكاذب لان السجائر تدخل بشكل اعتيادي.. ولأن جهيمان يحرم التدخين كما يحرمه مشايخ السلطة انفسهم ايضاً.

3 ــ المرحوم جهيمان قدم من ماله الخاص العديد من المنازل لخدمة الدعوة، ولم يكن طفيليا ومتسكعاً، يشهد بذلك اعداؤه قبل اصدقائه.

4 ــ لم يقتل الأمير بن مساعد بالرصاص، بل أعدم بأمر من الملك فيصل بالسيف وتحت اشراف محمد بن هلال.

القرآن معاً. وكانوا يستقون الالهام من قيم الاخوان وعقيدتهم، وعبروا عن غربتهم عن ما حولهم باطلاق لحاهم وقص شواربهم، وقص اثوابهم لتكون قصيرة تكشف عن الفساد. وبعد الاطاحة بشاه ايران في يناير (كانون الثاني) عام ١٩٧٩م، راحوا يستمدون الدروس والعبر من نجاح آية الله الخميني في ايران.

لم يكن جهيمان واتباعه بأي حال اتباعاً لآية الله. فقد كانوا يستمدون قوتهم من جذرية واصولية محمد بن عبد الوهاب، ولهذا فقد كانوا لايطبقون خرافات مسلمي ايران الشيعيين[١] لكن الخميني بين وبرهن للشيعة كيف ان نشر كلمة الله والتبشير بها يمكن ان يطيح بملوك بقوة الشاه، وهذا هو ما كان جهيمان يفكر به تحديداً. وان حركته غير المعتادة والخارقة للمعتاد التي قام بها في الحرم يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٧٩م كان القصد منها ازالة حكم آل سعود.

وبينما كانت مطالب جهيمان تذاع من على منائر الحرم على الشوارع المحيطة به، قام موظفو وزارة الاعلام بعملية ذكية دقيقة لتسريب وكشف مظالمه ومطالبه السياسية. وحين اعيد تشغيل خطوط الهاتف بعد أربع وعشرين ساعة، ورفع الحظر على نشر الأخبار، إلى حد ما اوحت اجهزة الاعلام السعودية للعالم الخارجي، بأن مجنوناً مختل العقل قد استولى على اقدس الأماكن الاسلامية، وذلك للتعبير عن غضبه من انتشار لعبة كرة القدم واجهزة الفيديو والنساء العاملات في العربية السعودية[٢]..

إلا ان هذه كانت مجرد احداث عارضة. ولم تكن إلا أمثلة صغيرة قدمها جهيمان في هجومه الرئيسي على آل سعود، وعلى الطرق الغربية التي كانوا يفسدون بها المملكة. ففي خطابه من ميكروفونات الصلاة في المسجد، والذي سمعه معظم الموجودين في مركز مدينة مكة، شجب شرب الأمراء للخمور، ورحلاتهم العديدة إلى أماكن اللهو والدعارة في الخارج، وتدخلهم في الأعمال التجارية، وشجب التشجيع الذي يقدمه هؤلاء الأمراء للكفرة لكي يأتوا إلى المملكة، ويغيروا أساليب الحياة التقليدية فيها. وقد ذكر في خطابه اسماء معينة، وكذلك عقوداً وصفقات تجارية، وخص جهيمان بلعنته واستنكاره الأمير فواز بن عبد العزيز، حاكم مكة، الذي اتهمه بالادمان على القمار وشرب الويسكي.

كان قد مضى على جهيمان اعوام عديدة وهو يثير هذه الشكاوي. فقد ذهب إلى الكويت لكي يطبع اراءه الاصولية في نشرات، كما راح يبشر بآرائه في المساجد السعودية. فكل مسلم يستطيع أن يخطب باخوانه المسلمين إذا شعر برغبة في ذلك، اذا مابقوا في المسجد واصغوا اليه. وفي اواخر السبعينات اصبح القاء مثل هذه الخطب جزءاً من حياة جهيمان واتباعه، يستنكرون فيها الفساد والافساد الشيطاني الذي ضرب المملكة، ومن بينها فساد وزارة الاعلام، التي سمحت للمغنيات بالظهور على شاشة التلفزيون.

---

1 ــ المخرف هو الذي يعتقد بأن شعائر الدين خرافات!

2 ــ يفترض وضع الجمل الأخيرة على الوجه التالي، وهي ان جهيمان كان غاضباً من الهاء الشباب بكرة القدم، وتسييس هذه اللعبة ضد مصلحة العامة، وكذلك كان غاضباً من انتشار افلام الفيديو الاباحية، واختلاط العاملات مع الرجال المحرم شرعاً في الشريعة الاسلامية. وهذه الأمور يعترض عليها مشايخ السلطة وجهيمان وغيره ايضاً.. على ان هدف جهيمان لم يكن اقل من اسقاط آل سعود، كما قال (لاسي) قبل قليل.

اوصلت هذه التظاهرات بعضاً من اتباع جهيمان إلى السجن، حيث امضوا فترات قصيرة فيه، حين ناشدوا الناس التبرع لبناء مساجد لم تكن موجودة، ومن بين الذين دخلوا السجن محمد بن عبد الله القحطاني، وهو طالب سابق في كلية الشريعة الاسلامية في جامعة الرياض[1]. كان هذا هو الشاب الذي رآه جهيمان في حلمه في احدى الليالي في منتصف عام ١٩٧٩م. قال جهيمان فيما بعد ان الله خاطبه واخبره وامره بأن ينادي بالقحطاني مهدياً يدعي إلى تطهير الأرض من كل أنواع الظلم.

يبدو ان القحطاني، الذي تزوج بشقيقة جهيمان بعد وقت قصير من هذا، كان شخصاً لطيف المعشر محبوباً ذا تأثير على سامعيه وسهل التأثر بأفكار الآخرين ايضاً. بعد ان وصف جهيمان احلامه.، بدأ زوج اخته يحلم ايضاً، ويوافق على ان يدعوه فعلاً ويدعو رفاقه المتحمسين إلى الثورة على الظلم الذي يعم العالم حولهم. خاصة وان قرناً هجرياً جديداً كان على وشك البزوغ. وبدأ ان هذا التوافق في الأحداث انما هو من وحي الله.

اوضح سلمان ابن عبد العزيز، حاكم الرياض، فيما بعد ان القرن الخامس عشر للهجرة لايمكن ان يبدأ والا بعد انتهاء عام ١٤٠٠هـ، فالعام الأول من التقويم كان قد اعطي رقم (١) منذ البداية، وهكذا فإنه في بداية العام ذات الرقم (١٠٠) تكون ٩٩ سنة فقط قد تمت ــ وهكذا على امتداد جميع القرون. إلا ان مثل هذه التفاصيل الحسابية لم تقلق تفكير اخوان آخر زمان المصممين على تطهير المملكة، والمدركين ان عام ١٤٠٠هـ قد بدأ يلوح في الافق، باعتباره عام مصيرهم وقدرهم.

كانوا في معظمهم من الشباب، وبعضهم من أفراد الحرس الوطني، مثل جهيمان نفسه، والعديدون منهم من قبيلة العتيبة. كان عقاب بن محيي وهو قائد مجموعة من القناصة، ابن عفاس بن محيى، الزعيم العتيبي الذي قتل خلال ثورة الاخوان. معظم المتمردين كانوا طلاب فقه سابقين وكان يفترض، نظرياً، ان يكونوا قادة هتافين لنظام يستند إلى الدين كنظام آل سعود[2].. قليل منهم كانوا من غير السعوديين، من المصريين، والكويتيين واليمنيين، ويبدو انهم انضموا إلى المؤامرة من باب القناعة الدينية المشتركة.

خلال الساعات الأولى من الانتفاضة كان يبدو مخيفاً مرعباً ان يتمكن مئتان أو ثلاثمائة من الثوريين ان ينظموا وينسقوا مثل هذه القاءات والتجمعات الطموحة، دون ان تعلم السلطات شيئاً عنهم. اما الحقيقة فهي ان حفنة قليلة جداً من الأعضاء الرئيسيين المحيطين بجهيمان كانوا على علم بخطة الانقلاب، التي بدأت خلال موسم الحج وقبل عشرين يوم من تاريخ انطلاقها فقط. أما البقية، ومعظمهم من الأقارب ومن الملتقين على رؤية واحدة من مجموعات المتآمرين الذين كانوا يؤدون الصلاة معاً، فقد وصلوا فجر يوم الأول من عام ١٤٠٠هـ استجابة لدعوة لحضور الصلاة[3].

كان جهيمان واعوانه قد هربوا عدداً كبيراً من اسلحتهم إلى داخل الحرم في توابيت بعد ان اخفوها تحت شراشف ملفوفة. لم يكن من غير المعتاد ان يحمل الناس موتاهم إلى الحرم ليصلوا عليهم الصلاة الأخيرة قبل

---

1 ــ ليس في جامعة الرياض (الملك سعود) كلية للشريعة!

2 ــ نظام آل سعود يستأكل بالدين، وكل ممارساته معادية له.

3 ــ هذا تبرير واضح لضعف الأمن السعودي، ويبقى التساؤل: كيف استطاع كل افراد الجماعة ان يأتوا ويقاموا دون ان تعلم السلطاتِ، بغض النظر عن كيفية حظورهم؟!.

نقلهم إلى المقبرة.. وكان جهيمان قد نقل ذخيرته ومؤونته، تمراً وماءً، وهما طعام الاخوان التقليدي، إلى داخل اقبية المسجد، في اليوم السابق، وعلى ظهر شاحنات صغيرة (بيك آب). وتحت الرصيف الرخامي الأبيض الواسع المحيط بالحرم وساحته يوجد عدد كبير من غرف التخزين غير المستعملة، يستخدمها عادة عمال البناء الذين يقومون بصيانة المسجد على مدار العام، وقد نقل جهيمان مؤونته، دون ان يعترضه احد، إلى هذه المنطقة وعبر احدى بوابات الخدمات، وقد جمع الأموال لشراء مؤوناته من ضريبة العشر والزكاة التي دفعها اتباعه. دفع ابن احد اثرياء تجار جدة لوحده مبلغ مائة الف ريال سعودي، وهذا ماساعد على شراء البنادق الروسية من عيار AK47 التي كانت تغطي اليمن بأسره خلال الحرب الأهلية، والتي انتشرت من هناك إلى جميع انحاء الجزيرة العربية. كما ان بعض الأسلحة والذخيرة قد سرقت من مستودعات الحرس الوطني.

اظهر التخطيط بعد نظر وجهداً دؤوباً وقدرة لايستهان بها على المحاكمة العقلية. كما اظهر القتال حين بدأ انضباطاً وتدريباً واستيعاباً سليماً للتكتيك العسكري، وهذه شهادة تقدير للحرس الوطني الذي أتى منه بعض المتآمرين[1]. إلا ان كل شيء كان مكرساً لعمل واحد كبير غير معقول، إلا وهو المناداة بالمهدي، وهو ماكان المهدي يعتقد ويأمل باخلاص ان يدفع الآلاف من المصلين إلى الانضمام إليه، فيتغلب على الجنود الذين قد يرسلهم آل سعود لمهاجمته.

خاب ظن جهيمان. فلم يلحق به احد تقريباً من آلاف الرجال والنساء الذين حاول تجنيدهم داخل اروقة الحرم صباح يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٧٩م، ولم يظهر أي منهم تقريباً أية رغبة في ان تكون له اية علاقة بمهدي جهيمان هذا. ولم تتحرك المملكة استجابة لدعوته وندائه. وهكذا فقد حكم على تمرد جهيمان بالنهاية المحتومة نتيجة هذا الفشل. لكن مائتين من المتحمسين المتدينين من الذين دعاهم جهيمان واصدقاؤه لأداء الصلاة معهم كانوا مدججين بالسلاح. وبما ان الحرم كان قلعة طبيعية محصنة، فقد كان هؤلاء في وضع قوي محصن مكنهم من رد الهجمات المعاكسة لفترة طويلة من الزمن.

راح العالم الخارجي يطلق التكهنات جزافاً حول ماكان يجري داخل مكة. فقد كان يبدو مستحيلاً بالنسبة للمسلمين من أي مذهب ان يكون بعض من ابناء دينهم قد اهانوا اقدس مقدساتهم باطلاق النار وهدر الدماء فيها. فالقرآن ينذر بأشد العقاب كل من يدنس بيت الله. ولايمكن ذبح الحيوانات هناك، وحتى النباتات لايجوز اقتلاعها. ففي ذلك البلد الذي تطلق النار فيه على كل حيوان بري لقتله أو تنصب له الفخاخ لصيده، فالحمائم تطير غزيرة الاعداد، حرة طليقة حول الحرم الشريف، ولكنها حريصة على الا تبتعد اكثر من عشرة ياردات بعيداً عنه.. وتزيد هذه التحريمات قوة وشدة في الشهر الأول من العام الهجري شهر محرم، حيث يمنع بشكل خاص قتل أي شكل من أشكال الحياة.

---

1 ــ كلا ان الحرس الوطني لم يبد في محاربة الاخوان أية رغبة في القتال فضلاً عن الكفاءة، وهذا ماقاله الخبراء.. وانما كان سبب اقتدار جماعة جهيمان هو التدريب المكثف في الصحراء، وليس تدريب رجال الحرس الضعيف.

كل هذه التحريمات خلقت مشاكل في وجه الملك خالد، لأنه لم يستطع ان يصدر أوامره ببساطة إلى الجيش السعودي لاقتحام اقدس المقدسات، ومدافعهم لتطلق حممها دون حساب. فالكثيرون منهم يمكن ان يعصوا ذلك الأمر جهرة، والملك معرض لأن يتهم بانتهاك فظيع لحرمات المقدسات فظاعة ماقترفه "المرتدون" كما راحت الصحافة السعودية الناطقة بالانكليزية تصف جهيمان واتباعه.

وهكذا فإن احد أولى الأشياء التي قام بها الملك خالد يوم الثلاثاء في ٢٠ نوفمبر هو استدعاؤه للعلماء للحضور امامه والطلب منهم استصدار فتوى. هل يحق للقوات المسلحة شرعاً ان تطلق النار وتقتل اذا استدعت الأمور ذلك، داخل الحرم طالما استمرت الحالة الطارئة الحالية؟[١].

اجاب شيوخ الدين بالايجاب، وابلغ الأمير سلطان، الذي جعل من فندق شبرا القريب من الحرم مقراً لقيادته، بأنه يستطيع الشروع بالهجوم. لو كان الأمر يتعلق بمواقع اخرى في المملكة، لكان بإمكان الأمير سلطان ان يأمر باستخدام مدافع الهاون والبازوكا، والقذائف والصواريخ المحمولة باليد، ليدفن المتمردين تحت الأرض والانقاض. لكن آل سعود لم يكونوا يستطيعون تحويل بيت الله إلى ركام[٢]. فالانتقادات كانت توجه اليهم قبل ذلك بأنهم يسمحون للحرم فعلاً بالوقوع فريسة للهراطقة والمنافقين. وهكذا فقد كان الأمر يحتاج إلى تكتيكات تقليدية.

كان هجوم المشاة على الحرم عملية طويلة شاقة مضنية. فقد كان على هؤلاء ان يستعيدوا البناء عاموداً وراء عامود، كما ان بعض الجنود السعوديين لم يسرهم ان يقاتلوا في بيت الله.

تحدث الأمير سلطان إلى مجموعة منهم فقال صائحاً: يمكنكم الذهاب إلى بيوتكم الآن إذا شئتم.. ولاحاجة بكم إلى القتال.. ولكن ماذا افعل انا؟ هل أرسل في طلب الباكستانيين؟..

كانت الباكستان، التي يشرف ضباط من جيشها على تدريب الجيش السعودي، قد تطوعت لإرسال قوة اقتحام (صاعقة) إلى مكة. كما ارسلت فرنسا قذائف الغازات المسيلة للدموع، وقنابل صوتية إلى جدة، برفقة بعض المدربين الذين عزت اليهم الصحافة الفرنسية فيما بعد، وبصورة خيالية بعيدة عن الواقع، فضل استعادة الحرم.

وتابع الأمير سلطان صياحه قائلاً: "هذا عار علينا، وعلينا ان نزيله بأنفسنا.. هذا بيت الله وانتم جنود الله!" [٣] تحركت فصيلة الجند التي خاطبها الأمير إلى داخل غابة الأعمدة المحيطة بباحة الحرم الشاسعة، إلا ان اثنين من الذين كانوا قد رفضوا القتال كشفا عن وجودهما على الفور تقريباً. فقد اندفعا إلى المنطقة

---

1 ــ لقد جمع الملك بعض المشايخ الصغار، ولكن الفتوى لم تأت إلا بعد أيام، بينما فهد (ولي العهد حينها) أمر في نفس اليوم ٢٠ نوفمبر باقتحام الحرم وتدميره، فكان القتل والخراب كله بسبب حماقات آل سعود واستهتارهم بمقدسات المسلمين، حفاظاً على هيبتهم وعرشهم الفاسد.

2 ــ لقد فعلوها.. لقد دكوا جوامع الحرم وبوابته، وقصفوا منائره واسقطوها، وتهدمت اجزاء من الكعبة، ودمرت الدبابات الأعمدة وارضية الحرم وغيرها.

3 ــ لقد كانوا جنود لآل سعود، وليسوا جنود لله، قال سعود لم يكن همهم تخليص الحرم بمقدار همهم وشوقهم للقضاء على المعارضين من الاخوان!

المكشوفة وراحا يطلقان النار بصورة عشوائية، فارداهما المتمردون صريعين قبل ان يجتازا مسافة عشرة ياردات. وقد ضمن هذان مكانا في جنة الخالد باعتبارهما شهيدين سقطا دفاعاً عن بيت الله.

كانت تلك حرباً مقدسة. في كل مرة كان المتمردون يرون احد جنود الحومة يسقط صريعاً كانوا يصيحون "امر الله" وحين كان يقتل احد رفاقهم، كانوا يطلقون النار على وجهه ليخفوا هويته[1]. كانت تلك مهمة غالباً ماكانوا يوكلونها للنساء والأطفال الذين كانوا معهم. وقد راح بعض هؤلاء يشوه جثث الجنود الساقطين بنجاح كبير. بعد ثلاثة أو أربعة أيام، كانت رائحة الجثث الساقطة في ارجاء الساحة تحت شمس نوفمبر تشير التقيؤ والقرف، حسب قول احد الضباط.

لم يكن معظم الجنود السعوديين المهاجمين قد اشتركوا في معارك قبل ذلك. ولكنهم الآن يشتبكون فعلاً مع اعداء متحصنين على بعد اميال قليلة من منازلهم، وبنادقهم محشوة وايديهم على الزناد.

اثناء زحف احد الضباط بين الأعمدة المنتشرة في ساحة الحرم، سمع صوت احد مخازن البنادق يجري حشوة على بعد ياردات قليلة منه. قال بعد ذلك يصف ماجرى "ادركت ان ذلك ليس واحداً من رجالي. فقد ملأت كل مخزن قبل ان نبدأ الهجوم. ووجدت انها جميعاً محشوة بشكل صحيح. وهكذا استدرت حول العمود وبندقيتي مهيأة.".

هناك شاهد الضابط احد المتمردين واقفاً على بعد ياردات قليلة وظهره له، وهو يعبئ مخزن بندقيته بالطلقات.

يتابع الضابط قائلاً: "أول فكرة خطرت على بالي كانت ان اعتقله لكني تذكرت كيف كان آخرون يتظاهرون بالاستسلام ثم يخرجون بنادقهم المخبأة وخناجرهم وحتى قنابل يدوية ثم يقتلون الناس".

وهكذا صوب الضابط سلاحه إلى رأس المتمرد من مسافة قريبة ثم اطلق ناره فتطاير الرأس مزقاً واشلاءً. ويتابع "قتلت رجلين وربما ثلاثة خلال الأيام العشرة تلك. لقد احزنني ذلك وجعلني اشعر بالمرض والغثيان ولكنهم كانوا يقتلون العديد من الناس. حين صرعوا عامل الجهاز اللاسلكي المرافق لي، بجانبي بكيت. بعد كل طلعة عملياتية كنت اجمع رجالي واقرأ قائمة الأسماء، وفي كل مرة فعلت ذلك كان هناك صمت واحد طويل على الأقل.

حين تمت عملية استعادة الحرم كان مايزيد على المائتي رجل قد قتلوا، واكثر من ذلك بكثير اصيبوا بجروح خطيرة. اعلنت الحكومة ان عدد قتلاها كان ١٢٧ وجرحاها ٤٦١. اما المتمردون فقد قتل منهم ١١٧ رجلاً، كما قتل مايزيد على عشرة مصلين وقعوا في مصيدة تبادل النار في صبيحة اليوم الأول.

وقعت آخر معارك الحصار في الأقبية الواقعة تحت أرصفة الحرم الرخامية. صرع المهدي بالرصاص وتم تصوير جثته بعد أربعة أيام من القتال، وذلك كبرهان على انه ليس هو المهدي الموعود، كما ادعى هو وصهره. لكن جهيمان واتباعه واصلوا القتال. ورفضوا كل نداء للاستسلام، لأنهم لم يكونوا يتوقعون البقاء

---

1 ــ الصور التي نشرها آل سعود لقتلى الاخوان لم يلحظ عليها أي تشويه أو اخفاء لمعالم الجثة.

على قيد الحياة، أو على قيد حياة مريحة جداً إذا هم استسلموا. انسحبوا إلى الأقبية بعد ان طلوا وجوههم بالسواد، ثم قبعوا في الغرف المظلمة الصغيرة مع فراشهم ونسائهم وماتبقى من مائهم وتمورهم.

وقد القى جنود الحكومة بالقنابل المسيلة للدموع، ودواليب السيارات المحترقة، واغرقوا الأقبية بالماء ثم غمسوا اسلاكاً كهربائية في الماء في محاولة لكهربة من تبقى من الأحياء وقتله بالصعقة الكهربائية. لكن اسبوعاً كاملاً مضى قبل ان يخرج إلى ضوء النهار جهيمان ورفاقه، وهم يتلوحون ويتعثرون من الارهاق، ويسعلون وعيونهم محدقة وكان كل منهم مكبل اليدين. وقد اضطرت قوات الحكومة إلى التغلب على كل متمرد على حدة حيث اقتحمت مواقع هؤلاء قوات مزودة بأقنعة الغازات ونزعت سلاحهم. وكان جهيمان يرفس ويعارك ويقاوم حتى عندما كانت يداه معقودتين خلف ظهره. غطى التلفزيون السعودي المشهد، وكان جهيمان يحدق بتحد واضح في عدسات الكاميرات، وهو يمد لحيته المشعثة إلى الامام وعيناه محدقتان نافذتان واخزتان وكأنهما عينا وحش مفترس ادرك انه محاصر.

عالجت الحكومة نهاية الحصار بثقة بالنفس اكبر مما اظهرته في البداية. فقطع خطوط الاتصالات مع العالم والتأكيدات المكررة التي اعلنتها وزارة الاعلام خلال الأيام القليلة الأولى بأنه "قد تم تطويق واعتقال جميع المرتدين" كانت قد اوحت بأكثر من مجرد خوف بسيط. إلا انه مع اقتراب نهاية الأحداث، تسلمت وزارة الداخلية مسؤولية معالجة موضوع الاعلام، معترفة بوقوع بعض الأخطاء فعلاً، وانهت هذه التغطية بمؤتمر صحفي بارع اجاب فيه الأمير نايف، على الهواء مباشرة على كل الأسئلة. سأله احد المراسلين السعوديين القلقين، معلقاً على اللحى الطويلة التي اطلقها المتردون جميعاً على طريقة الاخوان "ماذا سنقول عن اللحى الآن؟".. فأجاب الأمير: "هذه مجرد مظاهر خارجية"، ولكن عدداً غير قليل من البدو حلقوا لحاهم إلى أن اصبحت بطول لحى ابناء المدن الشبيهة بلحى الماعز، خلال الأسابيع القليلة التي تلت ذلك.

لم يكن ماحدث في مكة هو الحكاية كلها. ففي الأسبوع الأخير من شهر نوفمبر عام ١٩٧٩م قامت مظاهرات واضطرابات عنيفة في المنطقة الشرقية. اشعلت النار بالباصات والحافلات، وواجهات المحلات والمنازل، كما حطم احد البنوك، وقتل مالا يقل عن احد عشر متظاهراً على أيدي الحرس الوطني. واعتقل عشرات غيرهم، ولم تذع الحكومة شيئاً عن الاضطرابات.

لم يكن لاضطرابات المنطقة الشرقية، من وجهة نظر معينة، اية علاقة باضطرابات مكة. فاضطرابات المنطقة الشرقية جاءت تعبيراً عن مظالم وآلام حوالي مائتي ألف من الشيعة المسلمين الذين يعيشون في بلدة القطيف وحولها منذ قرون عديدة، ولم يكن هناك أي ود مفقود بين الشيعة وبين المتعصبين الوهابيين مثل جهيمان، الذي كان يشعر بأن آل سعود يظهرون تساهلاً وتهاوناً مفرطا تجاه هؤلاء المنحرفين الاسلاميين. ولكن، وكما قدم جهيمان تذكيراً غير مريع بماضي الاخوان الذين ساهموا في خلق المملكة، فقد كان يبدو وكأن اشباح الاخوان قد عادت لتسكن في أرواح ابناء عبد العزيز وتلاحقها، وهكذا فقد اعادت اضطرابات القطيف ذكريات ماقبل سبعين عاماً مضت، حين كان ساحل الجزيرة العربية الشرقي مستقلاً عن نجد، واثبتت ان المشاعر الإقليمية ماتزال تتأجج في الأعماق.

ولو لم يتم فتح المنطقة الشرقية على يد آل سعود، لكانت ثروتها النفطية الهائلة قد جعلت منها دولة مزدهرة بحد ذاتها، بل واغنى من اية دولة اخرى من دول الخليج الفارسي. ولكن في عام ١٩٨١م، لايمكن لأي من مدن شرق الجزيرة العربية (المنطقة الشرقية) ان يقارن بالتطور العالي الذي انجزته الكويت والبحرين، أومشيخات الساحل المتصالحة. فالخبر والدمام والظهران تشكل منطقة اقليمية صغيرة ولكن تكاد لا تعرف التألق والازدهار، ومايزال شيعة المنطقة الشرقية المائتا ألف[١] يعيشون في حالة فقر اذا ماقورنوا بالأحوال التي يتمتع بها السعوديون في المناطق الأخرى في المملكة.

والواقع ان الشيعة يقومون بمعظم الأعمال اليدوية في حقول النفط السعودية، فهم يشكلون نسبة ٤٠ بالمائة من مجموع القوى العاملة في شركة أرامكو، وان مصيرهم وقدرهم، وهم يحققون وينتجون ثروة المملكة كلها ويكادون لايتمتعون بشيء منها، انما هو رمز لعدم التوازن الذي يشكو منه معظم الشرقيين، خلال اضطرابات وقلاقل نوفمبر وديسمبر ١٩٧٩م اظهر رسم كاريكاتوري جريء جملا هائل الحجم يقف على امتداد الجزيرة العربية، كان الجمل يرعى في الشرق، بينما يحلب لبنه شخص تجاري الملامح في الغرب، بينما الحليب يقدم إلى شخص كسول يجلس في الوسط، تماماً حيث تقع الرياض. فالقصور الجديدة، والوزارات والطرقات السريعة الحديثة والمستشفيات تبنى في العاصمة بأموال قادمة من المقاطعة الشرقية، لكن المنطقة الشرقية نفسها ليس فيها ما تفخر به.

والمشكلة تاريخية في قسم منها. فالمقاطعة الشرقية التي يديرها عبد الله بن جلوي وابناؤه منذ عام ١٩١٣م وكأنها اقطاعية من املاكهم، اعتاد آل سعود على الابقاء عليها مطيعة مروضة، ولكن ضعيفة التنمية والتطوير. وقد قاوم الجلويون بعنف محاولات الملك سعود في الخمسينات لوضع المنطقة الشرقية تحت اشراف وزارة الداخلية. كما ان سعود ابن جلوي، الذي حكم المنطقة الشرقية كأمير شبه مستقل على امتداد الخمسينات، ظل يرفض لسنوات عديدة وضع لوحات على سيارته، ثم وافق في النهاية على وضع لوحة تحمل الرقم ١٥١ التي تشبه، بالعربية، العلامة المسجلة التي تختم بها جماله وابله. وحين بدأت الخطط الخمسية تطبق عام ١٩٧٠م، لم يظهر ابناء جلوي أي تعاون تجاه اية مبادرات، كان يبدو من المحتمل ان تزيد من سلطة الحكومة المركزية عليهم. كما ان النزاعات المحلية على ملكية الأراضي اعاقت عملية امتلاك الأراضي التي كانت وزارات الرياض المختلفة تحتاج إليها لاقامة مشاريع الطرقات وغيرها، وبدلاً من ان يستخدموا سلطاتهم للحد بحسم من الاحابيل البيروقراطية، بدا ابناء جلوي وكأنهم يزيدون هذه العقبات تعقيداً وسوءاً[٢]..

---

1 ــ يقدر عدد سكان الشيعة في البلاد، في المنطقة الشرقية، والجنوبية والغربية (المدينة المنورة)، بحوالي ٢٠ بالمائة من السكان، أي اقل من المليونين من اصل ثمانية ملايين، وتحاول الحكومة اعطاء احصائيات اقل بعدد السكان الشيعة.

2 ــ يجدر بنا ان نقول هنا ان آل جلوي يرجعون في نسبهم لآل سعود، فهم عائلة واحدة.. لكن آل سعود الآن يبررون اهمال المنطقة الشرقية بأنها نتيجة من فساد آل جلوي، بينما الحقيقة ان آل جلوي وآل سعود وجهان لعملة واحدة، وكل سياسات آل جلوي هي من صنع آل سعود انفسهم.

لكن جذور الاضطرابات الشرقية التي وقعت في شهري نوفمبر وديسمبر من عام ١٩٧٩م كانت جذوراً دينية، وهنا نجد مرة أخرى ان التأثير المشؤوم لآية الله الخميني قد امتد عبر الخليج. امتلأت الصدور فرحاً بثورة الملالي الايرانيين، فشعر اخوتهم الشيعة في الجزيرة العربية بالقوة عل النضال من أجل حقوقهم هم، وعادوا من رحلات الحج وهم يحملون أشرطة الكاسيت، واللافتات والملصقات والمنشورات التي تحضهم وتحثهم على الثورة على "بغي" من يضطهدونهم.

كان هذا "البغي والظلم والطغيان" اجتماعياً اكثر منه ايحاءاً من الحكومة. فقد دافع آل سعود، منذ أيام عبد العزيز، عن حق الشيعة بالتعبد والصلاة في مساجدهم الخاصة، وسمحوا لهم بالسفر لأداء طقوس الزيارة الخاصة بهم إلى الأضرحة الشيعية، التي كان الوهابيون يعتبرونها بالغة الأذى والاساءة. ولكن الوهابيين العاديين كانوا يمارسون تمييزاً يومياً مسيئاً تجاه الأقلية الشيعية، وهو ماجعل الشيعة يشعرون وكأنهم مواطنون من الدرجة الثانية. فتجمعوا في بساتين النخيل في القطيف وكأنها منطقة "غيتو/عزل" وحين بدأت شركة أرامكو بتوظيف العمال في حقول النفط، فرح الشيعة حين وجدوا رب عمل لم يكن دينهم مشكلة بالنسبة له.

وكان شعور الشيعة بالظلم يزداد وضوحاً وجلاء كل عام مع بداية شهر محرم، الشهر الأول في العام الهجري، حين يسير الشيعة في جميع انحاء العالم في مواكب تقليدية لإحياء ذكرى وفاة الحسين، حفيد الرسول، ويعيدون علنا تصوير احداث آخر معاركه التي كانت القاضية، وذلك في طقوس قوية مؤثرة للغاية تذكر من يراها بأشد المسرحيات الميلودرامية عاطفية، فيلطمون انفسهم حتى الادماء اثناء ممارسة طقوس جلد النفس بالسلاسل علناً.

لقد منع آل سعود على الدوام ممارسة هذه الطقوس علناً، باعتبارها يمكن ان تستثير مشاعر الوهابيين المحليين. لكن شيعة القطيف قرروا في شهر نوفمبر ١٩٧٩م، بتحريض من الخميني، وتوهماً أكيداً بأن أحداث مكة قد اضعفت من يقظة الحكومة، قرروا الخروج إلى الشوارع، وهم يجلدون انفسهم بحبالهم[1]..

الا انهم اخطأوا الحساب بشكل فادح. فقد انقض الحرس الوطني عليهم بعنف وحشي، كما ان الامير احمد بن عبد العزيز، نائب وزير الداخلية، طار إلى الظهران لتنسيق ووضع برنامج قاس ومتشدد للاعتقال والاستجواب. وما ان حلت نهاية شهر ديسمبر عام ١٩٧٩م الا والقطيف يحكمها الحرس الوطن وحواجزه على الطرق، وامتلأ سجن الهفوف، وعادت المنطقة الشرقية إلى هدوئها مرة اخرى. كل ماتبقى على الرياض، بعد حسمت الأوضاع شرقها وغربها، هو ان تتعرف على الأخطاء التي وقعت وعلى كيفية تحاشي مثل هذه الاضطرابات في المستقبل.

تم التعامل مع جهيمان واتباعه بسهولة كبيرة. ففي أوائل شهر يناير (كانون الثاني) من عام ١٩٨٠م، أي بعد اقل من شهر من خروجهم محطمين من أقبية الحرم، وعيونهم تحترق بالغاز المسيل للدموع، قسم ثلاثة وستون من اتباع المهدي أعلى مجموعات كل منها حوالي ستة اشخاص، وارسلوا إلى مكة والرياض

1 ــ هذا كلام رخيص للاستهلاك.

والمدينة والدمام وبريدة وحائل وابها وتبوك وذلك لاعدامهم بالسيف.. أما النساء اللواتي ساعدنهم داخل الحرم فقد حكم على كل منهن بالسجن مدة عامين بينما وضع الأطفال في مركز للاصلاح. وحكم بالسجن على تسعة عشر رجلاً ادينوا بتزويدهم بالسلاح، كما اطلق سراح ثمانية وثلاثين رجلاً لم يكن بالامكان اثبات تورطهم. أما بالنسبة للرجال الـــ ٦٣ الذين اثبت انهم لعبوا دوراً فعالاً في القتال داخل الحرم، فلم يكن لهم أي حظ من الرحمة.

فجاء أمر الملك خالد يقول "اقتلوا اولئك الذين ارفقت اسماؤهم بهذا البيان". وتابع في رسالته إلى وزارة الداخلية قائلاً: "اقتلوهم ارضاء لله، ودفاعاً عن قدسية الكعبة المقدسة، وعن عباد الله، وتهدئة لغضبة المسلمين."[1]..

وهكذا ففي صبيحة التاسع من شهر يناير ١٩٨٠م، اقتيد المتمردون الثلاثة والستون إلى ميادين الساحات العامة في المدن التي ارسلوا اليها وهناك قطعت رؤوسهم علناً. ارسلت وزارة الأوقاف التي تشرف على المساجد في البلاد تعليماتها إلى جميع أئمة المساجد ليلعنوا المتمردين في خطب يوم الجمعة التالي، كما تحدث الناطقون بإسم الحكومة بكلام شبيه بصرعة جيم جونز (Jim Jones)، وبمنطق الانتحار الجماعي في غياناً ــ بأن ما جرى كان مأساة نزوة غريبة كان يمكن ان تقع في مكان تقريباً على سطح الأرض[2]..

لكن هذا كان اقل من نصف الحكاية. فلو كان جهيمان واتباعه شلة من المهووسين المضللين الشاذين المنحرفين، دون ان يكون هناك ما يبرر تمردهم، ولايمثلون أي منحى حي من مناحي الشعور في المملكة، فلماذا قام الأمير فواز ابن عبد العزيز، حاكم مكة، والذي وجه جهيمان اليه الانتقادات الخاصة بالتحديد، بتقديم استقالته بعد اسابيع قليلة من وقوع الحادثة؟ ولماذا قام الملك خالد باستبدال الحكام القائمين في عدد من مقاطعات المملكة باخوته النشيطين والقادرين والاكفاء؟ ولماذا وعد فهد بن عبد العزيز بأحداث مجلس استشاري في نظام الحكم (مجلس الشورى)؟

نظرياً، فإن مجلس الشورى في مكة الذي بايع عبد العزيز عام ١٩٢٤م لم يحل ابداً. وكان اعضاؤه يجتمعون في المناسبات ومن وقت لآخر اثناء الاحتفالات. كما ان من بين الاصلاحات التي وعد بها فيصل بن عبد العزيز عام ١٩٦٢م وعد بتحويل هذا المجلس إلى هيئة استشارية وطنية. وقد احيي هذا الوعد عام ١٩٧٠م بعد فشل انقلاب عام ١٩٦٩م، كما اعلن خالد وفهد عن نيتهما بتطبيق نظام المجلس بعد قيام الشراكة بينهما في الحكم عام ١٩٧٥م، وجاءت انتفاضة الحرم لتدفع بالأمير فهد إلى تجديد ذلك الوعد (أي الوعد الكاذب بالطبع ــ المترجم)..

قال ولي العهد في شهر فبراير ــ شباط ١٩٨٠م "نحن بحاجة إلى مفاهيم جديدة في الحكم" ثم انشأ هيئة برئاسة اخيه نايف لدراسة الشكل الذي يمكن ان تأخذه هذه المفاهيم.

---

1 ــ اصبح الملك قاضياً، وناطقاً بإسم الملايين من المسلمين!

2 ــ وهكذا يكون الدين ورجال الدين والمشايخ لعبة بيد آل سعود!

وبعد اكثر من عام من ذلك، اعلن الأمير نايف نتائج دراساته. اقترح تشكيل مجلس استشاري جديد، "من اصحاب الحكمة والمعرفة والخلق العالي، وذلك لتقديم النصح والمشورة للحكومة حول امور وضع السياسات واقرارها". والاعتقاد السائد هو ان مثل هذا سيكون هيئة اسمية لاصلاحية لها ولا تأثير.

لكن الخطط التي اعدت للمقاطعات كانت اكثر جذرية من ذلك.

فقد اقترح الأمير نايف ان تكون السلطة في المملكة لامركزية، وان يعاد تنظيم الادارة الاقليمية في المقاطعات، كما اقترح ان يجري انتخاب بعض اعضاء هذه الحكومات الاقليمية (الادارات) في المقاطعات[1]..

الملحق الخامس

آل سعود ووَقع ثورة إيران

من كتاب "SACRED RAGE" تأليف روبن رايت

"الاسلام لايعترف بالملكية ولا بالسلالات الحاكمة بالوراثة... وكل الحكام يخافون ان تحذو شعوبهم حذو ايران... وانني آمل ان تتحرر الأقطار الاسلامية الأخرى العالقة في شباك متاع الدنيا وقيمها من هذه القيود، وان تنضم إلى اخوتها في إيران في هذه الحملة المقدسة، لكي تنتصر في معركتها ضد قوى الاستعمار والاستكبار" ــ اية الله الخميني.

هبي ياريح الجنة ــ صيحة الحرب عند "الاخوان".

* * * *

مع ان الشمس لم تكن قد ارتفعت بعد فوق صحراء العربية السعودية الكالحة يوم ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني) من عام ١٩٧٩م، كان اكثر من أربعين ألف حاج مسلم من جميع انحاء العالم قد تجمعوا في ظلال[*] الحرم الشريف في مكة، المشهور بجدرانه المزخرفة بالبلاط الذهبي والأزرق، وأرصفته الرخامية، ومنائره الشاهقة. فالحرم الأكبر هو أكبر الأماكن الاسلامية المقدسة على وجه الأرض، ودخوله محرم إلا على المؤمنين.

خيم على الجو شعور بالوجوم والرهبة حين كان الحجاج، الذين امتزج الجد بالفرحة بهذا اليوم في ملامحهم، ينتظرون موعد صلاة الفجر في برودة الصباح المنعشة. فهذا اليوم هو أول يوم من قرن جديد، هو القرن الخامس عشر، عند المسلمين الذين بدأ تسجيلهم للتاريخ بخروج النبي محمد (ص) من مكة إلى المدينة لينشر هناك ما تلقاه من وحي من عند الله، وليقيم دعائم ما أصبح فيما بعد امبراطورية اسلامية.

---

1 ــ كل هذه الأمور لم تر النور ولن تراه مادام آل سعود في سدة الحكم.

* Robin Wright, SACRED RAGE, The Warth of Militant Islam, Andre Deutsch Publishers, ondon, 1986 (PP. 146-172)

في الساعة الخامسة والعشرين دقيقة من ذلك الصباح، كان الشيخ محمد ابن سبيل، امام الحرم، على وشك الانتهاء من أولى صلواته الخمس لذلك اليوم، التي يتحدد موعد كل منها حسب موقع القمر في صفحة السماء[١]. فجأة، حدث هرج ومرج بين الجموع، ثم حركة ثم حديث بادي الخوف والعصبية، ثم استفسار وسؤال. شيء ماكان يجري بلا شك، شيء كان اسرع من قدرة الحجاج على الفهم والادراك. كان الشيخ سبيل قد دفع جانباً، ثم تردد صدى طلقات ثلاثة اعيرة نارية عبر رواق المسجد، زاد مكبر الصوت من حدته. سقط احد رجال الدين مضرجاً بدمه، ومات[٢]. بدا وكأن رجالاً، اعداداً هائلة منهم، قد اندفعوا من اماكن خفية، وبنادقهم في ايديهم. انتشروا في كل مكان ذي أهمية، عند الأبواب والنوافذ والزوايا. ثم هدء صوت زائر عبر مكبر صوت المئذنة، الذي يستخدم عادة لرفع الاذان. ووسط دهشة المصلين غير المصدقة لما يجري، اعلن المتكلم بأنه قد تم الاستيلاء على الحرم.

كانت عملية الاستيلاء على الحرم صدمة عنيفة بقدر ما كانت غير متوقعة لدى المسلمين، تماماً كما يمكن ان يكون الاستيلاء على الفاتيكان بالقوة بالنسبة للعالم الكاثوليكي. فقد أمر الاسلام بألا يهرق دم ابداً في ذلك الحرم الذي يضم الحجر الأسود في الكعبة، هذا الحجر الذي يمثل نقطة المركز في الاسلام، أو الوجهة التي يتوجه اليها جميع المسلمين في صلاتهم[٣]. "لا... ليس هذا من الاسلام في شيء!!" أو هكذا قالت صحيفة سعودية في صدر صفحاتها الأولى تعليقاً على الحادث.

خلافاً للشيعة الذين تقوم عقيدتهم على التحدي السلطة الزمنية الدنيوية، فإن السنة لم يكونوا، عبر التاريخ، متمردين على المؤسسة الحاكمة. وهكذا فقد كان من المستحيل ان يفهم الحجاج أو يتصوروا من الذي كان وراء هذا الاعتداء الآثم على اقدم مقدسات الاسلام، وما هو الدافع اليه.

ولكن الاجوبة سرعان ما توالت عبر مكبر الصوت. فقد اعلن الصوت بلغة مزخرفة وكلمات ورعة وحنجرة قوية عن وصول النبي المنتظر، أو "المهدي" الذي طال انتظار وصوله، والذي اتى "ليطهر" الاسلام قبل حلول نهاية هذا العالم. امر الحجاج الهلعون بأن ينضموا إلى الحركة أو يغادروا المكان. ثم طوقت جماعة من مائتي رجل عل الأقل مدججين بالسلاح، طوقت المسجد ومنعت الخروج منه أو الدخول اليه. اما المهدي الذي نودي به مهدياً، وكذلك اتباعه، فقد كانوا من الاصوليين السنة، الذين يدعون إلى عهد جديد من حكم الاسلام: اسلام مطهر من مفاسد وانحرافات الماضي. وما كان بإمكان هؤلاء ان يجدوا وسيلة اكثر درامية للإعلان عن دعوتهم من الاستيلاء على الحرم الشريف.

---

1 ــ ويقول البعض ان الغربيين لايفهمون الاسلام!! ام الشمس والقمر عندهم سيان! حاولت وانا اقرأ هذا النص ان اتصور واحداً منا يحاول ان يحدد موعد صلاة الظهر، مثلاً، بحسب موقع القمر في السماء، خاصة في ليلة المحاق.. ولله في خلقه شؤون. المترجم (على كل حال، فالكاتبة بريطانية، وفي بريطانيا، يبدو ان القمر يطلع اكثر مما تطلع الشمس بكثير!!)... (هذا مع العلم ان روبن رايت عاشت في بيروت اربع سنوات كاملة مراسلة لصحيفة الصنداي تايمز..).

2 ــ لم يمت احداً، فقد روجت اجهزة الاعلام السعودية ان الشيخ بن سبيل قتل، ثم تبين ان ذلك مجرد كذبة اعلامية سعودية.

3 ــ وهذا كشف جديد آخر من ابداعات روبن رايت في فهم مغزى الحجر الأسود.

اصابت الدهشة والهلع المسؤولين السعوديين قدر ما أصابت الحجاج حين نقلت أولى التفاصيل المشوشة من مكة إلى العاصمة، الرياض. وكانوا بطيئين في ردة فعلهم ايضاً. والواقع انهم قطعوا البلاد عن العالم، بما في ذلك اصدار اوامرهم إلى العمال الكنديين في شركة الهاتف (مصلحة التلفونات) بأن يقطعوا كل الخطوط التجارية (العامة) مع العالم الخارجي. ثم ادعى هؤلاء المسؤولون، ولم يقنعوا احداً، بأن الحادثة قد انتهت، في حين كانوا يفتشون يائسين عن طرق لاستعادة الحرم بدون اللجوء إلى القوة المسلحة.

لم يكن يبدو ان هناك طريقة ما معقولة لانهاء هذه الصدمة وهذا الجرح، بل هو اعظم اهانة واذلالاً في تاريخ آل سعود منذ ان قام الجرو[1] عبد العزيز ابن سعود باكتساح مشيخات شبه الجزيرة العربية المتحاربة قبل خمسة وأربعين عاماً من تلك الحادثة، واقامة "دولة آل سعود العربية" الواحدة والموحدة. انهارت المحاولات الأولى التي قام بها علماء الدين لاستخدام الحجة والاقناع، وانهارت ايضاً محاولات العسكر لاستخدام القوة العسكرية "الملطفة"، وذلك بسبب التكتيكات الفوضوية التي اتبعتها قوات الأمن السعودية التي لم تخضع للتجربة من قبل، وبسبب عناد المتمردين وتعنتهم.

في النهاية، لجأت الحكومة إلى العلماء (مجلس القضاء الشرعيين) تطلب منهم فتوى. بعد خمسة ايام من الاستيلاء على الحرم، رفع رجال الدين الحظر عن استخدام السلاح في الحرم[2]. تحركت قوة إلى المسجد تقدر بألفين من رجال الحرس الوطني، والجيش والبوليس، وقال البعض ان العدد بلغ عشرة اضعاف هذا العدد، تحركوا تحت قيادة الاستراتيجيين الفرنسيين العسكريين الذين احضروا جواً خصيصاً للمساعدة في وضع خطة الهجوم المضاد. لكن هؤلاء امضوا تسعة أيام في قتال ضار، من حجرة إلى حجرة، عبر المائتين وسبعين ردهة وحجرة القائمة تحت الحرم، قبل ان يتمكنوا من اخماد التمرد. كان الاصوليون قد حضروا وهم على اتم الاستعداد، مجهزين بأقنعة الغازات والمواد الغذائية، والأسلحة وكميات كبيرة من الذخيرة ــ حيث نقلت جميعها عبر وأمام رجال الحرس دون ان يكتشفها احد، وخزن بعضها في التوابيت والأكفان.

قتل مالا يقل عن ٢٥٥ شخصاً من الجنود والحجاج والاصوليين اثناء المعارك، وجرح ٥٦٠ آخرون، طبقاً لما أوردته مصادر الحكومة، مع ان الدبلوماسيين يعتقدون بأن حصيلة المعارك كانت أكبر من ذلك. أما اصابات وخسائر القوات الحكومية المهاجمة فتلقي ضوءاً على مدى كفاءة قوة الدفاع السعودية أميركية التدريب: فقد خسرت هذه القوات ١٢٧ قتيلاً و٤٥١ جريحاً.

لم يقتصر تأثير الحدث على مكة وحدها، فقد أعلن آية الله الخميني من راديو طهران، تعليقاً على الاستيلاء على الحرم، انه "لايمكن استبعاد احتمال ان يكون هذا من صنع الامبريالية الأمريكية المجرمة والصهيونية العالمية" ولم يكن الخميني الوحيد ذا الشك والريبة في الحدث، فقد قامت مظاهرات هائلة معادية لأمريكا في الفلبين وتركيا وبنغلادش والهند والامارات العربية المتحدة والباكستان. وسارت جموع الغوغاء

---

1 ــ Feisty هي الصفة المشتقة من الاسم Feist، ومعناها الوحيد في القاموس هو الكليب أو الكلب الصغير!!

2 ــ الثابت عمليات ان آل سعود لم يحاولوا جدياً مناقشة المعتصمين في الحرم، ولذا أرسلوا قواتهم للقتال بعد حوالي ١٢ ساعة فقط من وقوع الحادثة، وبدون أي فتوى، وانما جاءت الفتوى لاحقة.. اما آل سعود فإنهم عملياً بدأوا بدك الحرم منذ اليوم الأول، كما هو معلوم لكل وسائل الاعلام المحلية والأجنبية.

في شوارع الكويت حتى وصلت إلى السور المحيط بمجمع السفارة الأمريكية هناك. وحرقت السفارة الأمريكية في اسلام آباد حتى سويت بالأرض. وهوجمت البعثة الأمريكية في ليبيا ثم اشعلت فيها النيران، احرقها متظاهرون يهتفون بشعارات مؤيدة للخميني. اصيب السعوديون الغاضبون بالهلع مما كان يوشك ان يصبح حادثا دوليا. واصاب واشنطون الفزع حين رأت كيف ان آلاف البشر في العديد من الدول على استعداد للتصديق بكل هذه السهولة لأي شيء سيء يتعلق بالولايات المتحدة بناء على تلميحه واحدة اطلقها الزعيم الايراني.

بدأ في ذلك الوقت وكأن الوضع لن يزيد سوءاً عما كان. لكنه زاد فعلاً. فبينما كان الجنود السعوديون يكافحون من أجل استعادة السيطرة على الحرم الأكبر، اندلعت الاضطرابات وأعمال العنف في الطرف الآخر من البلاد، شارك فيها هذه المرة الأصوليون الشيعة.

الساحل العربي السعودي على الخليج الغني بالنفط في مقاطعة الاحساء عبارة عن خط موحش خفي، اجرد لا لون له، صخري مليء بفوهات البراكين الخامدة، حيث يستحيل على المرء ان يتجنب اطباق عينيه في نصف اغماضة حتى عند الغسق. ويتعزز شعورك بأنك هناك، على حافة الكون حين تقرأ البطاقات الصغيرة التي الصقت على مرايا حمامات الفنادق: "الماء من ذهب، فلا تهدره" ".. الاحساء ارض قاسية تملؤها المرارة يسكنها شعب قاس تملؤه المرارة. كان يبدو ان مجابهة ما كان يعد لها منذ فترة من الزمن. لم يعد السبب الآن هو الموضوع المباشر، والذي اصبح مألوفاً الآن، المتعلق بالاهمال الاجتماعي والاحتقار الديني الذي يشعر به الشيعة. فكما كان الحال في إيران الشاه، كانت التظاهرات الدينية التي ترافق الاحتفال الديني بذكرى عاشوراء، اقدس شعائر الشيعة، قد منعت وحرمت في العربية السعودية، ولنفس الأسباب تقريباً التي حرمها الشاه من أجلها. وهي لطم النفس حتى الادماء، وجلد النفس بالسياط والتي غالباً ما كانت تؤدي إلى الموت. فالقادة الذين كانوا يحاولون تحديث شعوبهم كانوا يرون في هذه التصرفات مظاهر بدائية. كما ان الاحتفالات المحمومة باستشهاد الحسين، والتي تدوم عشرة أيام، غالباً ما تثير مشاعر طائية مزعجة.

إلا انه في هذا العام، أول عام من حكم الخميني على شاطيء الآخر من مياه الخليج، قرر الشيعة السعوديون على الساحل الشرقي، الذين استيقظت فيهم الشجاعة، قرروا ان يتحدوا الحظر المفروض وان يحيوا شعائر عاشوراء العاطفية. بعد اعوام عديدة من تلك الحادثة، مايزال النقاش العقيم يدور حول من بدأ بإثارة المشاكل أولاً. فالمصادر المؤيدة للحكومة تدعي بأن العنف بدأ بعد ان انطلق المتظاهرون إلى الشوارع في مدن المنطقة الشرقية، وهم يرددون شعارات تطالب بأن تدعم العربية السعودية ايران دعماً فعالاً وان توقف بيع النفط للأمريكيين. عندها اضطر البوليس للتدخل. اما المصادر المعادية للحكومة فتدعي بأن السلطات التي فقدت اعصابها هي التي بدأت التدخل باحتفالات عاشوراء، مما اشعر ردة فعل عنيفة.

في كلا الحالين اتسع نطاق الصدامات الأولى بين البوليس والمحتفلين بذكرى عاشوراء وتحول إلى ظاهرة عنف حين بدأ الغوغاء اعمال التحطيم والنهب والتكسير.، فحرقوا السيارات، وهاجموا المصارف، ونهبوا المحلات التجارية. قتل مالا يقل عن سبعة عشر شيعياً، واستمرت الاضطرابات ثلاثة أيام، حيث تركزت في بلدة القطيف التي يسكنها غالبية شيعية. لكن قبل ان أربع مناطق اخرى مجاورة خاصة رأس

تنورة، مصفاة النفط وميناء التصدير بالغ الحيوية، عانت من الاضطرابات ايضاً. أما آل سعود فقد تحركوا بسرعة هذه المرة، بعد ان رفعت من طريقهم العوائق الدينية التي تحد من تكتيكاتهم. تحركوا بسرعة وعنف شديد ضد الشيعة، فالقوا بثقل الحرس الوطني السني ضد الاقلية (الشيعية). جاءت الصدامات اللاحقة دامية، ادت إلى قتل عدد من الناس واصابة آخرين بجراح. ادعت صحيفة لبنانية، كانت أول مصدر صحفي نشر الأخبار عن المشاكل بسبب التعتيم الاخباري على أية اخبار من المملكة ــ ادعت بأن السعوديين دفعوا بعشرين ألف جندي آخر لتطويق وحصار أربعة مدن أخرى على الساحل الشرقي النفطي.

ومع ذلك فقد كذب وزير الداخلية السعودي هذه الأخبار. وبعد اجتماع طارىء لمجلس الوزراء قال (وزير الداخلية) ان المشكلة الوحيدة هي في الحرم، وان بقية انحاء البلاد "تتمتع بالاستقرار الكامل والأمن المطلق"!!

ان الخطر الأصولي الاسلامي المزدوج، من الشيعة والسنة على حد سواء كان خطراً مدمراً لآل سعود ــ ولاولئك المعتادين على التقلبات السياسية الحساسة في المنطقة من الأمريكيين. فالعربية السعودية حليف استراتيجي رئيسي لأمريكا، وهي ايضاً مصدر حيوي من مصادر النفط. وقد ارسلت امكانية "فقد" العربية السعودية قشعريرة في ابدان العديد من الأمريكيين الذين كانوا يتذكرون الخسارة النفسية فقط التي تحملتها الولايات المتحدة حين تضاعفت اسعار النفط أربعة اضعاف عام ١٩٧٣م. وكتب المعلق الأمريكي كارل راون (Carl Rowan) مقالاً عكس الهوس الجديد في دوائر وزارة الخارجية الأمريكية وفي قصور الرياض، كان بعنوان "العربية السعودية: اتكون ايران التالية؟" وكما حدث في ايران فإن التهديد الاصولي الاسلامي لم يكن ينظر اليه في البدء على انه مصدر قلق مهم في العربية السعودية. لكن رئيس وكالة المخابرات المركزية الأمريكية السابق ووزير الطاقة جيمس شلسنجر (James Schlesinger) اخبر المراسلين فيما بعد بأن حالة القلق وعدم الاستقرار في العربية السعودية هي "اشد خطراً وجدية بكثير مما كنا نميل في السابق إلى الاعتراف به"..

وقعت حادثتا الاستيلاء على الحرم وانتفاضة المنطقة الشرقية في أواخر عام ١٩٧٩م، وضمن اطار افول نجم الشاه وعودة الخميني إلى ايران قبل تسعة اشهر من ذلك. وكان الدبلوماسيون الأمريكيون في السفارة الأمريكية في طهران قد اخذوا رهائن قبل ستة عشر يوماً من الاستيلاء على الحرم، كانت المقارنات والمصادفات غير الدقيقة ترسل تيار رعب في الفرائص. فرغم ان العلاقات كانت متقلبة مهزوزة بين البهلويين وآل سعود، فقد كانت العائلة المالكة السعودية تعيش حالة رعب هائل من البديل الجديد: أي هؤلاء المتعصبين من رجال الدين الذين يديرون مقاليد أمول في الدول الرئيسية الأخرى في منطقة الخليج. وكذلك كان حال السعوديين اجمالاً، الذين شحنوا بلايين الدولارات من بنوك العربية السعودية إلى أجواء اكثر هدوءاً.

ومن سخرية القدر ان نقاد الشرق الأوسط كانوا يتنبؤون، على مدى السبعينات كلها، بأن الأزمة التي تواجه المملكة (السعودية) هي مشكلة التحديث. فالسيناريو الشعبي كان يدعو آل سعود للقبول باصلاحات كبرى، سياسية وثقافية، إذا كان هؤلاء يأملون ان يبقوا في سدة الملك في أواخر القرن العشرين. وانه سيكون عليهم، من أجل ان يبقوا، ان يتخلوا عن بعض التقاليد المألوفة الطريفة والجذابة، ولكنها تقاليد اصبحت طفرة رجعية ومفارقة تاريخية الآن. لقد وفرت ثروة النفط الأموال الطائلة لإرسال الآلاف من الطلبة إلى المدارس

والجامعات الأجنبية، حيث تعرضوا هنا "للعالم الحقيقي" متسارع خطوات التغيير. وقد قال البعض ان هذه المجموعة لوحدها ستكون اساس التحديث. وان العائلة الحاكمة ستجبر في نهاية الأمر على القبول بالمشاركة ــ مشاركة الشعب ــ بالحكم الذي يتقاسمه الآن الملك وأربعة آلاف أمير بحكم التقاليد، فيما بينهم ولوحدهم، اللهم باستثناء رجال الدين. ستجبر هذه العائلة على القبول بهذه المشاركة ارضاء للجيل "المحدّث".

وكان مركز المرأة هو افضل مثال يطرحه الغربيون على مدى تأخر ورجعية النظام السعودي. ففي حين تشهد بقية العالم حركة تحرير المرأة "الثورة الجنسية" فإن النساء السعوديات مازلن يختبئن وراء الحجاب الأسود ــ حتى في صور جوازات السفر، وهو ما حير الدول الغربية. وهن يثنين عن العمل، وغالباً ما يفصلن عن الرجال حين يعملن. ومحرم عليهن قيادة السيارات أو الذهاب إلى المطاعم لوحدهن. ومحرم عليهن الذهاب إلى دور السينما والمناسبات الرياضية نهائياً. وماتزال معظم الزيجات تجري بترتيب من الأهل، وتعدد الزوجات هو القانون الساري. بالنسبة للمراقبين من الخارج، شرقيين كانوا أم غربيين، كانت هذه الممارسات دليلاً على فشل السعودية في التمشي مع حقائق الحياة السائدة في بقية أنحاء العالم[1].

لقد اثبتت الأزمتان المتزامنتان اللتان حصلتا في نهاية عقد السبعينات خطأ توقعات الخبراء، أو على الأقل، انهم مذنبون لأنهم رأوا جانباً واحداً من الصورة فقط. فالتهديد الأعظم الوحيد لاستقرار واستمرارية الملكية السعودية لم يكن اتيا من الاصلاحيين، ولكن من الاصوليين الاسلاميين، الذي باتوا يشعرون ان اشد الدول الاسلامية تقيداً بالاسلام في العالم، نظرياً على الأقل، قد ابتعدت حتى الشطط في عملية "البرلة" وتفتيت تماسك الاسلام.

إلا ان الانتفاضتين تنبعان من اصول مختلفة تماماً..

فعملية الاستيلاء على الحرم بدأت ونمت على يدي جهيمان سيف العتيبي، وهو اصولي سني ناقم، وصف مرة بأنه ذو عينين متحديتين، وشعراً اشعث ولحية مربعة. كان جهيمان عضواً سابقاً في الحرس الوطني السعودي، حيث تلقى خبرة واسعة عن الأسلحة واستخداماتها. بعد ذلك، وحين اصبح طالباً للعلوم الدينية في المدينة، ثانية اقدس المدن الاسلامية، تعلم اصول الثورية الاسلامية.

ومصدر التأثير الأول والاساسي على جهيمان كان الشيخ عبد العزيز الباز، العميد الضرير المحافظ إلى أبعد الحدود لجامعة المدينة، والذي كان يدرس تلاميذه التفسير المطلق للإسلام "الصافي النقي" على حساب

---

1 ــ قضايا المرأة وحريات المرأة، وعمل المرأة، واختبائها وراء الحجاب، وعدم ذهابها إلى السينما، وتعدد الزوجات، وغيرها.. والتي ينتقد الغربيون آل سعود عليها، نقول لهم، لو ترك الأمر لآل سعود لفعلوا كل ما اشتهاه الغرب من مفاسد بإسم الحريات و"الثورة الجنسية".. فآل سعود ذكورا واناثاً وازلامهم، كلهم من مؤيدي عادات الغرب البعيدة عن تقاليدنا الاسلامية، بل ويمارسون كل شذوذهم وهم مختبئون في قصورهم..

اننا لا نريد تحديثاً على الطريقة الغربية أو السعودية.. وانما تحديث يتناسب مع عاداتنا وتقاليدنا وماشرعه ديننا.. وتعساً لحريات بلد الكاتبة غير الفاضلة!، ولاعمال آل سعود المخالفة للدين والمتعلقة بشؤون المرأة.. فقد حاولوا اغواءها وتمييعها بالعمل المختلط والبعثات إلى دول الفسق بدون محرم، وبإدخال افكار الغرب غير الاخلاقي، ولكنهم حتى الآن لم يفلحوا في ما أرادوه، وان نجاحاتهم قليلة، اذا ماقارنا مصروفات الالهاء والافساد السعودية..

المرونة الكبيرة الموروثة في الدين الاسلامي. اشتهر الشيخ الباز دولياً يوم ان هبط أول انسان على القمر عام ١٩٦٩م. وقد احرج الحكومة السعودية يومها عندما وصف الانتصار الأمريكي يومها بأنه مجرد كذبة. كما كتب مرة دراسة يتهم نظرية كوبرنيكوس فيها "بالهرطقة" ويصر على ان الشمس هي التي تدور حول الأرض، ونقل عنه ايضا قوله بأن الأرض مسطحة.

في أواسط السبعينات، بدأت جهيمان بالتبشير علنا ضد آل سعود. والحقيقة انه وصل إلى درجة من الرجعية في تفكيره انقلب معها ضد الشيخ الباز، واصفاً اياه بأنه العوبة بيد آل سعود ويعيش على عطاياهم. وبدأ جهيمان الآن يقلد أساليب الاخوان المسلمين، فاطلق لحية شعثاء وقصر ثوبه الأبيض إلى ركبتيه[1] أو إلى الساق قليلاً، تعبيراً عن التواضع والفقر. ثم بدأ يدعو إلى العودة إلى اصول الاسلام، من بين أمور أخرى دعا اليها، وإلى رفض الغرب، وتحريم تعليم المرأة، والغاء التلفزيون الملحد، وطرد غير المسلمين من البلاد. واصر على ان ثروة النفط يجب ان تستخدم في سبيل الاسلام بدلاً من استخدامها للرفاهية الشخصية والحكومية.

واتهم جهيمان عائلة آل سعود بأنها "تعبد المال وتنفقه على إقامة القصور، وليس على بناء المساجد". ثم أضاف: "إذا رضيتم بما يقولون، فسيجعلونكم اثرياء، والا فإنهم يضطهدونكم ويعذبونكم" وكتب، أو كتب شخص ما نيابة عنه، لأن آل سعود يدعون بأنه كان أميا ــ رسالة بعنوان "الامارة والبيعة والطاعة، وكشف تلبيس الحكام على طلبة العلم والعوام" قال فيها: "نحن نعتقد بأن استمرار حكم (آل سعود) هو تدمير لدين الله حتى ولوادعى هؤلاء انهم يتمسكون بالاسلام. نسأل الله أن يخلصنا منهم جميعاً.. ان كل ذي بصيرة يستطيع ان يرى اليوم كيف يصور (آل سعود) الاسلام على انه شكل من اشكال المذلة والهوان والاهانة والاحتقار، والسخرية والاستهزاء. لقد اخضع هؤلاء الحكام المسلمين لمصالحهم وحولوا الدين إلى طريقة من طرق كسب وجني المصالح المادية. لقد اوقعوا بالمسلمين كل انواع الشرور والاثم والفساد".

تزايد عدد اتباع جهيمان خلال السبعينات، مع كثير من المفارقات التي تدعوا للرثاء. كما يقول جيمس بكان (James Bucham) في كتابه "آل سعود"، فإن "جماعة جهيمان كانت تستمد قوتها من نفس المصادر التي كانت دولة آل سعود تستمد قوتها منها، أي من التقاة الورعين، والتقي الورع المتشدد القديم قدم الاسلام نفسه. هنا، تأتي ردة فعل الجماعات الصغيرة على فساد الحاضر على صورة سلوك متطهر واحتقار يرافقه العنف. "شعر السعوديون بقلق كان كافياً لجعلهم يسوقون جهيمان وثمانية وتسعين آخرين من اتباعه إلى مراكز التحقيق والاستجواب عام ١٩٧٨م، ولكن وتحت ضغوط المؤسسة الدينية، بمن في ذلك الشيخ الباز، اطلق سراحهم بعد ستة اسابيع. وقد ابرز اخلاء سبيلهم المصاعب التي تقوم في العربية السعودية وغيرها، في طريق كبح جماح الاصوليين. فسواء حكم عليهم بأنهم ابرياء مضللون أو ارهابيون خطرون، فإن العواطف الجماهيرية كانت تعارض انزال العقاب او الاضطهاد وبسبب العقيدة الاسلامية. اذ، على أي اساس سيعاقبون أو يضطهدون؟

---

1 ــ نعم جهيمان قصر ثوبه، ولكن ليس إلى الركبة!! أو أقل من الركبة كما تفعل نساء الغرب، وانما هو تقصير إلى حد ان الثوب مسدلاً على اعتبار ان هناك حديث شريف يحرم اسدال الثوب إلى الأرض.

وقد عبر عن حالة الحيرة هذه دبلوماسي أمريكي لاحظ ان الثورة الايرانية تركت اثراً عميقاً على السياسة السعودية. قال هذا الدبلوماسي: "كان هذا الأثر يشبه حالة يطوق فيها الروس من اليسار، أو حالة جورج والاس، أيام زمان، وقد وجد من يتجاوز حركته للتحرر في جنوب الولايات المتحدة. فالسعوديون معتادون على ان يكووا المدافعين عن الايمان ورواد الدفاع عن النقاء الديني. وهم يستطيعون التعامل مع التحديات العلمانية بسهولة كافية، ولكن حين يحاصرون من الجناح الديني، يصيبهم الحيرة والدهشة والهلع. فلا يعرفون مايفعلون".

لقد اخذ آل سعود على حين غرة وغفلة منهم في حادثة الاستيلاء على الحرم الشريف، وذلك إلى حد كبير، بسبب انشغالهم بالشيعة. فقد عانت تلك المنطقة المضطربة من فترة طويلة من الاضطرابات المتقطعة ــ بما في ذلك الاضراب الذي شهدته مصافي نفط أرامكو عامي ١٩٥٣م و١٩٥٦م منذ ان سحب ابن سعود منطقة الاحساء واستلها من خصومه عام ١٩١٣م. كان الوهابيون السنة في العربية السعودية ينظرون باحتقار وتعال إلى الشيعة في كل مكان، باعتبارهم منحرفين عن الاسلام الصحيح، في حين ان الشيعة كانوا مايزالون يذكرون الدمار والخراب الذي لحق بمدينة كربلاء الشيعية عام ١٨٠٢م حين ذبح السكان الشيعة ذبح النعاج، وتحول قبر الحسين المقدس، حفيد الرسول، إلى اثر بعد عين على ايدي الاخوان المغيرين تحت الراية الوهابية. فكل جانب يحمل الشك والريبة تجاه الجانب الآخر.

بعد عام ١٩٧٣م ازدادت سلطة اهية شيعة الخليج بنفس معدل زيادة اسعار النفط. والشيعة هم نسبة ضئيلة من سكان العربية السعودية الذين يقدر عددهم بخمسة ملايين نسمة، ولكنهم يشكلون حوالي ثلث سكان الحسا، حيث يشكلون المصدر الرئيسي للقوى العاملة هناك. (لاتنشر العربية السعودية أية أرقام احصائية، ربما خوفاً مما قد تكشفه هذه الأرقام عن حجم القوة الشيعية وعن عدد الأجانب الذين يعتمد آل سعود عليهم). ومع ذلك، وحتى حين شعر النظام السني بالقلق والخوف من المضاعفات المحتملة نتيجة قيام الثورة الايرانية عام ١٩٧٩م، فإن الشيعة لم يحصدوا إلا الفوائد القليلة من الأرض التي يعتبروها ارضهم. بينما بلايين الدولارات النفطية تجد طريقها إلى مناطق البلاد الأخرى، وإلى أبراج الفولاذ والزجاج، وإلى الطرق السريعة ذات الثماني مسارات في الرياض، وإلى القصور في جدة، وإلى مشاريع التنمية في المقاطعات الوسطى والغربية، وإلى المطارات الخيالية التي تبلغ مساحة الواحد منها مساحة مدينة أمريكية بأكملها، وإلى قواعد عسكرية تبنى في الشمال وتستطيع ان تستوعب من الجنود والمعدات اضعاف مايمكن لآل سعود ان يوفروه منهم. بينما بقيت الحسا جرداء شمطاء مهلهلة، تفتقر إلى المستشفيات والطرق الجيدة، وحتى إلى المدارس الكبيرة. ومرة أخرى يشعر الشيعة بأن يقاسون من الظلم وان سادتهم السنة يستغلونهم:

"تحت سطح هذه الاضطرابات كان يكمن غضب الشيعة وسخطهم، يغذيه ويشحنه بلاغة وخطب الخميني والثورة الايرانية الملهبة للمشاعر. من الناحية التاريخية، يجب النظر إلى هذه الانتفاضات على انها ردة فعل للإهمال والاضطهاد والقمع الذي ولده التحامل السني الذي يعم تاريخ الاسلام، ولكنه مايزال قائماً في الوقت الحاضر، وبشكل بدائي ــ بل من اشكال اضطهاد القرون الوسطى ــ في المملكة الوهابية على وجه الخصوص. كان على عدة قادة عائلة آل سعود ان يكونوا متحسبين للمخاطر الناشئة عن وجود فئة

ساخطة ناقمة قبل الآن بوقت طويل... فالطائفة الشيعية هي الآن، وستكون في المستقبل اشد العناصر انقسامية داخل المملكة"[1].

والحقيقة انه قبل بضعة أسابيع من المظاهرات الشيعية التي قامت في أواخر عام ١٩٧٩م، نشرت صحيفة اوبزيرفر خبراً يقول ان قوات الأمن السعودية اكتشفت خططاً للقيام بتظاهرتين مؤيدتين لإيران ينظمهما الشيعة خلال موسم الحج السنوي. وقد طرد عدد غير محدد من الحجاج في شهر اكتوبر (تشرين الأول)، بعد ان تم اكتشاف رايات ومنشورات سياسية صادرتها قوات الأمن السعودية.

لم يكن من المستغرب اذن، ان يكون أول مظهر من مظاهر التحدي الشيعي في أي جزء من اجزاء العالم العربي بعد قيام الثورة الايرانية، هو انتفاضات الحسا.

* * * *

بعد انتهاء احداث العنف في مكة والاحساء ردت العائلة المالكة التي ضربها الهلع، بالجزرة والعصا في آن واحد. قدم ثلاثة وستون من الاصوليين السنة المشاركين في حادثة الحرم، بمن فيهم جهيمان، واربعون سعودياً آخرين، وعشرة مصريين، وستة يمنيين جنوبيين، وثلاثة كويتيين، ويمني شمالي واحد، وسوداني وعراقي، إلى محاكمة سرية، ثم اعدموا بقطع رؤوسهم علنا. وزع المذنبون على ثمانية مدن مختلفة لتنفيذ حكم الاعدام فيهم، ليكونوا عبرة لغيرهم (اما الشيخ الباز فقد وقع على احكام الموت، بصفته رئيس مجلس العلماء، في يناير ــ كانون الثاني من عام ١٩٨٠م). اما بالنسبة للشيعة في المنطقة الشرقية، فقد شنت السلطات حملة أمنية كاسحة ضدهم، معتقلة المئات. وقد اوضحت الحكومة بقوة بأنها مستعدة لمجابهة التطرف الديني.

في نفس الوقت، بدأت السلطات في جميع انحاء البلاد بتطبيق الشريعة الاسلامية بحزم. فشن البوليس حملة صارمة على اصحاب المحلات الذين لم يكونوا يغلقون دكاكينهم في أوقات الصلوات الخمس. وامرت الصحف بأن تكون اكثر حرصاً عند عرض صور النساء. أما وزارة الداخلية فقد اثارت ضجة حول النساء العاملات، حتى في الشركات الأجنبية. وبدأ أفراد العائلة المالكة يظهرون اكثر من ذي قبل في المناسبات القبلية والعامة. وهي احدى الوسائل القليلة التي يستخدمها هؤلاء للإبقاء على صلاتهم بالرعية. واصبحت هدايا العائلة المالكة التقليدية إلى شيوخ القبائل اكثر بذخاً وسخاء، ثم توقفت جميع المنح التي كانت الدول تقدمها للنساء للدراسة في الجامعات الأجنبية[2].

واتخذت خطوات أقل اهمية ايضاً، كانت تظهر مدى الرعب الذي اصاب آل سعود. مثلاً، حرم بيع طعام الكلاب في المخازن الكبرى، لأن المسلمين يعتبرون الكلاب "نجسة". وجرى تجفيف بعض احواض السباحة لمنع الاستحمام المختلط فيها. واختفت العاب الاطفال التي صنعت على صورة حيوانات أو بشر من

---

1 ــ من الواضح ان هذه الفقرة هي اقتباس مأخوذة من مرجع آخر، ولكن روبن رايت لاتشير إلى هذا المرجع.

2 ــ وهكذا تم تطبيق الشريقة الاسلامية بحذافيرها، خاصة فيما يتعلق بهدايا آل سعود لشيوخ القبائل. وماذا تعني قوانين الشريعة الاسلامية اكثر من ذلك؟! ماذا يريد السنة؟ وماذا يريد الشيعة؟! وهل في شريعة الله ما يمنع العمالة لأمريكا، وبيع الشعب وثروته واستثمار الأرباح في بيوت الدعارة والقمار والفجور، نقصد قصور آل سعود؟!

المخازن، لأنها اعتبرت دعوة لعبادة الأصنام، ولو ان اختفاءها كان مؤقتاً. كل هذه الخطوات اتخذت ردا على الانتقادات التي اثارها المتعصبون الذين هاجموا الحرم. ولقد جاءت ردة الفعل هذه لتضع حدا، في الوقت الحاضر على الأقل للدعوة إلى "الليبريالية" في العربية السعودية[1].

في حين هلع السعوديون لحادثة الاستيلاء على الحرم، فإن هذا الاستيلاء كان المجال الوحيد من عملية التمرد هذه الذي انتقده هؤلاء. وقد كتب احد العلماء معلقاً على ذلك بقوله: "ان العديدين منهم (من السعوديين) راحوا يرددون، ولكن بصيغة ملطفة، اصداء الكتابات التي ظهرت على جدران مراحيض جامعة الرياض في ربيع عام ١٩٨١م، ومنها: جهيمان ياشهيدنا! لماذا لم تقتحم القصور؟ الكفاح قد بدأ".

وكسر احد السفراء السعوديين طوق السرية المعتاد في الدوائر الحكومية، حين اخبر مجلة "النيويورك تايمز" انه "يوجد شعور، يتسع ويتعاظم بسرعة، بالسخط ونفاذ الصبر بسبب العدالة غير المتساوية وغير المنصفة. وبسبب العمولات الهائلة التي تدفع للأمراء[2]، وبسبب المعايير المزدوجة التي يتوجب علينا ان نتعايش معها ونقبل بها. الناس في مكة كانوا يطالبون بتغيير في نظام الحكم. وكانوا يقولون ان الملكية (النظام الملكي) غير اسلامي. وحتى وان لم اكن اتفق مع ذلك، فإني اقول لكم ان هذه الحركة هي اكبر بكثير مما توحي به قيادتها"..

وحاول آل سعود جاهدين ان يسترضوا الشيعة ايضاً، ليس من باب الغيرة، ولكن لقلقهم على مصدر دخلهم الاسلاسي: النفط. كانت حادثة الحرم كارثة ومصيبة كبرى لمن يصفون انفسهم بـــ (حماة الاسلام) ولكن العائلة الحاكمة بدت وكأنها تعتقد بأنها تستطيع التعامل مع الاصوليين السنة من خلال رجال الدين الخاصين بهم. أما الشيعة الغرباء فكانوا قضية مختلفة. في فبراير ــ شباط ١٩٨٠م، اندلعت الاضطرابات مرة أخرى في الاحساء رغم الحضور الأمني المتضخم هناك، مما اكد مخاوف آل سعود الأولى. من الآن فصاعداً، تصبح الصدامات اقل عفوية واكثر دموية. وقد ادعت المسؤولية عن هذه الصدامات جماعة يطلق عليها اسم "منظمة الثورة الاسلامية" قالت وكالات الاستخبارات فيما بعد انها تنطلق في نشاطاتها من طهران.

حقق مسؤولون كبار في مظالم الشيعة في المنطقة الشرقية، وتوصلوا إلى قناعات كانت واضحة جلية للدبلوماسيين منذ وقت طويل، وكذلك للعمال الأجانب العاملين في أرامكو، اكبر شركة نفط في العالم والتي

---

1 ــ آل سعود اذكياء: فقد زادوا من تضييق الخناق على اعناق الشعب بهذه الأمور التافهة لسببين: أولاً: ليزيدوا من نقمة المواطنين على "الاصوليين الاسلاميين" وثانياً، لأنها لم تكلف آل سعود وحاشيتهم شيئاً على صعيد ارتباطاتهم السياسية والعسكرية والمالية.

2 ــ نذكر هنا ان دراسة اعدها نداف سفران في كتابه "العربية السعودية: هم الأمن الذي لاينتهي" حول الانفاق السعودي على الدفاع والأمن، ذكر فيها ان آخر ميزانية دفاعية لآل سعود بلغت حوالي المائة مليار ريال، في حين ان اقصى ماتستطيع قوات آل سعود ان تفعله من باب المواجهة والتحدي هو ان تقف في وجه جيش اليمن الجنوبي، وبالكاد!! أي ان آل سعود يدفعون لأمريكا عشرين ألف ريال سنويا عن كل رجل وطفل وامرأة وشيخ مقابل السلاح الذي يكفي لمواجهة... اليمن الجنوبي!! إلا ان اعترافات السفير اعلاه تؤكد بأن شركات السلاح الأمريكي تعيد، بشرف وامانة آل كابوني، جزءاً كبيراً من هذه المبالغ الهائلة إلى الشعب السعودي، ممثلاً في جيوب امرائه.. الفقراء..

تقوم منشآتها في وسط المعاقل الشيعية. رد آل سعود على خلاصة تقرير المسؤولين بصب الأموال بلا حساب على بناء المدارس والطرق ومشاريع الاسكان. وبدأ أفراد العائلة المالكة يتجولون في المنطقة للاجتماع بالوفود الشيعية ومحاولة تهدئتهم.

وما ان حلت نهاية عام ١٩٨٠م حتى تم عقد صفقة بين الطرفين وهي اطلاق سراح مايقدر عدده بـــ ٧٠٠ من السجناء الشيعة، مقابل وعود بالسلوك الحسن. ومع ذلك، فقد الحقت آلاف من قوات الحرس الوطني بالوحدات الموجودة في الاحساء مما دفع بأحد المسؤولين الأمريكيين إلى وصف الحضور الأمني هناك بأنه "هائل الحجم" بل "وكبير بما يكفي للتعامل مع اية تظاهرة أو ظاهرة تمرد مباشر. ليس هناك من شك في ان لدى العربية السعودية القوة الكافية لاعادة فرض النظام والسيطرة على الوضع" هذه التأكيدات والتطمينات، قليلون هم الذين لاحظوا انها عظيمة الشبه بما قالته وزارة الخارجية الأمريكية عن ايران قبيل سقوط الشاه.

وبالفعل، فقد توقف الشيعة عن اظهار سخطهم علنا. لكن كانت هناك دلائل كثيرة على ان الحركة لم تنته. فبعد عمليات الاطباق على الشيعة عامي ١٩٧٩ و١٩٨٠م لم تعد الاخطاء. كما ثبت فيما بعد في البحرين والكويت ــ مجرد مظاهرات، بل اصبحت هجمات عل المنشآت الحيوية تقوم بها حركة سرية. وازداد قلق الولايات المتحدة إلى حد امرت معه دبلوماسييها المقيمين في منطقة الاحساء بأن يجروا مسحاً استخبارياً للشيعة. وعندما قرر هؤلاء انه ليس هناك من دليل قوي على وجود تهديد، أمروا بأن يعاودوا الكرة مرة اخرى.

تشتمل العقيدة الشيعية على مفهوم يعرف بالتقية. وهو يعني اساساً اخفاء العقيدة الحقيقية في أوقات الخطر، أو حين يتواجد الشيعة في بيئة معادية. حول هذا كتب احد الكتاب السنة يقول:

"ان احد العوائق الاساسية التي تحول دون تلقيهم (الشيعة) استجابة ايجابية منا هو مبدأ التقية الذي يؤمنون به، والذي يظهرون لنا بموجبه عكس ما يخفونه في قلوبهم. والسني البسيط الساذج تخدعه ادعاءاتهم الظاهرة برغبتهم في التغلب على الخلافات بيننا وتجاوزها".

وغالبا ما يقدم الشيعة التقية على انها احد الاسباب التي جعلت الآخرين ينظرون اليهم ــ تاريخيا ــ على انهم قوم سلبيون مسالمون. وقد مارس التقية الشيعة في ايران حين كانوا اقلية هناك، وقبل ان تصبح عقيدتهم دين الدولة في القرن السادس عشر الميلادي.

تدعي مصادر الشيعة ان التقية اصبحت مرة أخرى رداً واستجابة من الأكثرية بعد مظاهرات الاحساء وماتلاها. ولكن عدداً ضئيلاً منهم فقط كانت له الجرأة والشجاعة الكافية للاستمرار في حملتهم المقدسة. وقد اكد مسؤول أمريكي ان اعداداً غير محددة من الاصوليين الشيعة السعوديين قد توجهوا إلى ايران بعد الثورة، ثم عادوا عن طريق البحرين. وهذا مايفسر سهولة القاء القبض على الراديكاليين الشيعة المشبوهين واستجوابهم مرات عديدة.

السعوديون يتكتمون تكتماً شديداً عادة حول حالات القلق والاضطراب الداخلي، حتى بين شركائهم في مجلس التعاون الخليجي، الذي تأسس عام ١٩٨١م كرد فعل على احداث ايران والغزو السوفييتي لأفغانستان. إلا ان حلفاءهم الاقليميين على علم بمعالم العديد من الحوادث بين الشيعة.

وقد دون احد المبعوثي الأجانب الذي خدم في الظهران، حيث يقوم مقر رئاسة أرامكو في منطقة الاحساء، دون بعض الحوادث الصغيرة. فقد ظهرت بين الحين والآخر منشورات ودراسات تنتقد الحكومة. وغطت الجدران كتابات مؤيدة للخميني ومعادية لأمريكا. ولاحظ احد البحارة الذين يقومون برحلات منتظمة إلى الموانئ النفطية تأخيراً متعمداً وبعض اعمال التخريب والعرقلة الصغيرة التي لايمكن التعرف على مصادرها، ولكن مصادر معلومات هذا البحار قالت ان مرتكبيها هم من الشيعة المتطرفين الذين يحاولون ايقاع الضرر بالأعمال التجارية الغربية.

بدأت اعمال التخريب والعرقلة الصغيرة هذه تتزامن مع "انتظامية" في التهديدات الأكبر، موجهة إلى منشآت النفط البحرية والمنشآت الحكومية. معظمها لم ينفذ أو احبط قبل وقوعه. إلا ان هذه التهديدات غالباً ماكانت تؤدي إلى اعتقالات "احتياطية" الأمر الذي كان يزيد من عمق الغضب الشيعي ومن كره الشيعة لسادتهم السعوديين. وقد اعترف مصدر في وزارة الخارجية الأمريكية بأن الحملات الشيعية "يمكن ان تؤدي إلى نتيجة ما لها وقع مدوٍ ودخان كثير على واجهة الاعلام والنقاط البارزة في الاحساء، كما في معامل التكرير في رأس تنورة" ويتابع قائلاً: "وان حجم هذه المنشآت الهائلة لوحده يجعل من الصعب، بل من المستحيل حمايتها ضد مخربين مصممين غير ابهين بالعواقب".

* * * *

في أوائل عام ١٩٨٠م صعد الايرانيون من حملتهم الاعلامية ضد السعوديين. راح جهاز محطة ارسال يرسل بانتظام الخطب الدينية ورسائل بإسم منظمة الثورة الاسلامية في الجزيرة العربية. استطاعت محطة رصد ال ــ بي بي سي ان تسجل على شريط احد البرامج المذاعة في شهر مارس (آذار) من راديو طهران، بدأ بآية من القرآن تقول: "ان الملوك إذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة" كما حاولت ايران مرات عديدة ان تخلق المقارنات بين تجاوزات وقسوة الشاه وبين حكم الأمراء السعوديين. وقد ركز هذا البرنامج على هذا الموضوع بالتحديد فقال: "حين يكون الشعب واثقاً من نفسه ويتمتع بروح معنوية عالية، فإنه يبدأ بالمطالبة بحقوقه وبمعارضة سياسة السلطة وسلوكها. وهذا هو في الواقع ما تخشاه الملكيات الوراثية اكثر من أي شيء آخر. ولهذا فهي تحاول دائماً ان تدوس على كرامة الشعب وروحه المعنوية، وان تضطهده وتخضعه للتحقير والاذلال لكي تحرم على هذا الشعب مجرد التفكير بالمعارضة والمواجهة، ولتجبره على الاستسلام والخضوع للسلطات الحاكمة. هذه هي طبيعة الأنظمة الملكية التي يرفضها الاسلام. وهذا هو مايعانيه شعبنا في شبه الجزيرة العربية تحت حكم آل سعود".

حاول السعوديون ان يحولوا دون وقوع اية اثارة أو تحريض يمكن ان يؤدي إلى مواجهة مكشوفة مع الحكومة الايرانية. استمرت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، ولكن في عام ١٩٨١م، أي بعد حوالي العامين تقريباً من وقوع أولى الاحداث الشيعية، ظهر القلق على حكام المملكة تجاه موسم الحج، وهو الحج السنوي

الذي يؤدي فريضته المسلمون القادمون من مختلف انحاء العالم إلى مدينتي مكة والمدينة المقدستين. فأصدروا تحذيرات مسبقة حول محاولات تجري لتحويل هذه المناسبة الدينية إلى مظاهرة سياسية[1]. وتعهد حاكم مكة بأن "تضرب السلطات بيد من حديد كل من يحاول خرق النظام والقانون. ومما لفت النظر ان ايران كانت تعد لإرسال ثالث أكبر مجموعات الحجاج إلى السعودية، حيث بلغ عددهم ٧٥٠٠٠حاج، وقيل انها كانت تدفع الأموال لشيعة الأقطار الأخرى لكي يتوجهوا لأداء فريضة الحج.

ومع ذلك، فقد بدأت هذه المناسبة الدينية بالمشاكل. فقد قام مئات الحجاج الايرانيون بتظاهرة احتجاج قرب قبر الرسول محمد. وهناك انشدوا ثمن رددوا شعارات الثورة: "الموت لأمريكا والصهيونية" و "الثورة ــ الخميني قائدها" ويقال ان احد الحجاج الايرانيين قال انه من واجب الايرانيين "اشعال روح اليقظة بين المسلمين في جميع انحاء العالم، بعد طول سباتهم" وقيل ان عشرين حاجاً ايرانياً اصيبوا بجراح حين استدعي البوليس السعودي للتدخل. وبالفعل، فإن راديو طهران تفاخر بتحدي الحجاج للتحذيرات السعودية، مدعياً بأن الآلاف منهم عبروا عن احتجاجهم في موجة من اعمال العنف. وقد منع مالا يقل عن ثمانين حاجاً ايرانياً وبعثة التلفزيون الحكومية من دخول منطقة الحج بعد ان عثر معهم على صور الخميني، ومناشير سياسية تحض على الثورة ضد الدول الاسلامية المحافظة.

زادت هذه الحوادث في تأزم العلاقات المتأزمة فعلاً بين العربية السعودية وايران. فكتب آية الله الخميني إلى الملك خالد يتهم السعوديين بإساءة معاملة الحجاج. وقال في رسالته "ان منع الحجاج من التدخل في السياسة انما يخدم مصالح أمريكا واسرائيل واعداء الاسلام الآخرين".

وبدأت الحرب النفسية بين الطرفين تخرج إلى العلن. فقد تبع اضطرابات الحج في خريف عام ١٩٨١م مظاهرات شعبية عارمة في طهران خلال شهر نوفمبر (تشرين الثاني) احتجاجاً على مشروع السلام السعودي ذي النقاط الثمانية لحل النزاع العربي ــ الاسرائيلي حول مسألة ايجاد وطن للفلسطينيين. وسارت آلاف مؤلفة مخترقة الشوارع العامة ومنادية بالموت لولي العهد، الأمير فهد الذي رعى المقترحات التي سميت بإسمه فيما بعد. ووصفته الرايات واللافتات المرفوعة بأنه "عدو الاسلام" ربما بإيحاء من تصريحات آية الله الخميني التي اعلن فيها ان مشروع فهد "لايتفق مع الاسلام". رداً على هذا وصفت الصحافة السعودية نظام الخميني بأنه "ضد الدين"، حيث استخدمت احدى الصحف لغة قوية غير عادتها، واصفة القيادة الايرانية بأنها "جهنمية" أو "شيطانية".

أما الصدمة أو الهزة الحقيقية فقد بدأت تتفاعل وتتطور في شهر ديسمبر ــ كانون الأول، حين تم اكتشاف خطط الانقلاب الذي كان يعد لقلب نظام الحكم في البحرين المجاورة. كانت تلك آخر قشة قصمت

---

1 ــ تحت هذه الحجة دأب آل سعود على حرمان كل القوى العربية والاسلامية، منذ ان سيطر ابن سعود على الحجاز، من الاستفادة من هذه المناسبة لإطلاع مسلمي العالم على ما يحكيه الاستعمار والامبريالية ضد ارضهم ووجودهم. ولقد منع ابن سعود شعب فلسطين من نشر الدعاية في مكة ضد بريطانيا واليهود اثناء المذابح التي تعرض لها الفلسطينيون في الثلاثينات والأربعينات، ومنع عقد مؤتمر حول فلسطين في مكة أيضاً. وفي حين استخدم ابن سعود حجة ان هذه مناسبة دينية لايجوز ان تستغل لقضايا سياسية، فإنه اكبر لبريطانيا يومها انه لم يفعل مافعل إلا ارضاء لبريطانيا وحفاظاً على صداقته لها.

ظهر البعير السعودي، الذي كان يعتبر هذا الأرخبيل الصغير مفتاح مملكته. قال احد المبعوثين الغربيين العاملين في المنطقة عام ١٩٨١م: "لقد جن جنون السعوديين، اذ ادركوا ان كل الطائفة الشيعية قد طعنتهم في الخلف"... وقبل ان ينطلق الأمير نايف، وزير الداخلية إلى البحرين ليعرض المساعدة بالقوات العسكرية وغيرها من المساعدات، أعلن هذا ان "المؤامرة التخريبية قد وضعت خطوطها وصممتها الحكومة الايرانية، وانها مؤامرة ضد العربية السعودية".

وهكذا فإن الريبة والشك والامتعاض الذي كان السعوديون يشعرون به تجاه المتعصبين الايرانيين تحول إلى حقد وكراهية. أما ردة الفعل (السعودية) تجاه المؤامرة الفاشلة التي كانت تخطط قريباً من سواحل السعوديين، فكانت اكثر حدة وعنفاً مما جرى في البحرين نفسها. قال احد الدبلوماسيين الغربيين يصف ردة الفعل تلك: "لقد فرض حظر على السفر والتنقل في المنطقة الشرقية. فكل مولود في المنطقة الشرقية صار يمر في عملية مسح وتحرٍ أمنية خاصة قبل ان يسمح له بالسفر. وصار كبار رجال الاعمال في المنطقة الشرقية يوقفون ويفتشون ويدقق في هوياتهم" وتخلى السعوديون عن حرصهم وحذرهم عند التعامل مع الايرانيين. فقال الأمير نايف بصراحة بالغة: "ان الايرانيين الذين قالوا بعد الثورة انهم لايريدون ان يكونوا شرطي الخليج، قد اصبحوا ارهابيي الخليج".. وفي اعقاب اجتماع قمة لوزراء خارجية دول مجلس التعاون الخليجي، واعلنت الهيئة السداسية التي تهيمن عليها السعودية عن عزمها وتصميمها على مواجهة "أعمال التخريب الايرانية الهادفة إلى زعزعة الاستقرار في منطقة الخليج".

والحقيقة ان العلاقات متزايدة الحدة والتأزم بين ايران والعربية السعودية، كانت، في كثير من الأحوال، من المفارقات الأشبه بسخرية القدر. فرغم الاختلافات الهائلة بينهما، كانت هناك أوجه تشابه عديدة. فالحكومتان في كلا البلدين وليدتا حركات احتجاج وسخط قام بها مناضلون متدينون. وأساس الشرعية في كلا البلدين هو الاسلام. والشريعة الاسلامية، المستندة إلى الوحي الذي انزله الله على محمد بواسطة الملاك جبريل ــ وهي بالتالي مجموعة القوانين المدنية الوحيدة على ظهر الأرض التي لم يضعها انسان ــ مصدر الاطار المنظم للسلوك الشخصي والسياسي في كلا البلدين[1].

وعلق احد المؤلفين قائلا ان السعوديين "لايحتاجون إلى من يذكرهم بطاقات الاسلام الثورية الكامنة". فقد كانت الاصولية الاسلامية قوة مؤثرة في الجزيرة العربية في القرن الثامن عشر. والحقيقة ان العربية السعودية نشأت من مجموعة من المشيخات القبلية المتصارعة بسبب جاذبية وكفاحية صنف معين من الايمان عرف بإسم الوهابية. حول هذا كتب اختصاصي بريطاني يقول: "تستطيع تأريخ صحوة الاسلام كقوة فاعلة ثورية بدءاً من ظهور الحركة الوهابية". وذهب اكاديمي أمريكي إلى ابعد من ذلك حين وصف الوهابية بأنها ربما تكون "اشد الحركات الاصولية تطرفاً استطاعت النجاح سياسياً". وفي كتابه "المملكة" يقول روبرت لاسي (Robert Lacey): "ان عصر النهضة في الاسلام لم يبدأ بآية الله الخميني. ولكه بدأ قبل ذلك بثمانين عاماً، وفي

---

1 ــ لاندري لماذا يسمي روبن رايت هذه الحالة بالمفارقة وسخرية القدر، اللهم إلا اذا نسي ان الصين يؤمن بنفس شيوعية الاتحاد السوفيتي، ويوغسلافيا تقول بأنها شيوعية تماماً مثل البانيا، وحتى "أمير المؤمنين جعفر النميري" و"الرئيس المؤمن محمد انور السادات" لم يكونا (بعيدين كثيراً) عما يقوله الخميني حول عموميات الشريعة الاسلامية.

الصحراء العربية، حين استولى عبد العزيز على السلطة والقيادة التي اعتمدت على مذهب ديني". والكلمات البيضاء المنقوشة على العلم السعودي الأخضر الزمردي تعكس الجذور الدينية للدولة: (لا اله إلا الله، محمد رسول الله).

اخذت الحركة الوهابية اسمها من محمد ابن عبد الوهاب، وهو رجل دين عاش في القرن الثامن عشر كانت حركته الاصولية تدعو إلى العودة إلى سنة الرسول، والى التطبيق الدقيق للقانون الاسلامي باعتباره الاساسي السياسي والاجتماعي الوحيد للحياة. أراد أن "يطهر" العالم الاسلامي، وان "يطهره ويعيده إلى تشدده البدائي" ــ وهي اهداف طموحه ستصبح مألوفه جداً، ولكن ضمن اطار آخر، بعد مائتي عام من ظهورها.

ففي عام ١٧٤٤م، ورغبة في نشر الايمان وتدعيمه، اقام محمد ابن عبد الوهاب تحالفاً مع الزعيم القبلي القوي محمد ابن سعود. وبالعمل معاً، استطاع رجل الايمان ورجل السيف ان يبنيا أولى دول ثلاث اقيمت على مدى قرنين من الزمن على اكتاف القوى الوهابية ــ السعودية المشتركة. كان هذا تحالفاً قوياً قاد عبد العزيز ابن سعود في النهاية، وعلى ارضية وهابية، إلى إقامة المملكة الحالية في اوائل القرن الحالي.

وفي عام ١٩٠٢م، شن ابن سعود، كما اشتهر فيما بعد، حملته المقدسة، تساعده مجموعة صغيرة من اتباعه، لقولبة اكبر دولة في شبه الجزيرة العربيةه، قائداً لما بدأ على شكل حركة اصلاح نضالية ضد اولئك الذين ضلوا عن طريق الاسلام المستقيم. وكما في حالة آية الله الخميني في ايران الآن، فإن المحارب السعودي المتدين الشاب كان عازماً مصمماً في ذلك الحين على جعل فهمه هو للاسلام هو المتبنى والسائد في جميع انحاء المنطقة. فإبن سعود ايضاً كان قائداً نضالياً يؤمن بالعنف الثوري، ومن الداعين إلى تطهير الدين، مشابها بذلك في بعض الأمور لنظام الحكم الايراني الحالي. أما كوادر ابن سعود وعناصره المقاتلة فكانوا يعرفون بإسم الاخوان ــ وهم نفس القوة التي حاول جهيمان تقليدها فيما بعد. كانت حياتهم صعبة متقشفة، وكانت تقية ورعة إلى ابعد الحدود. يقول شاهد عربي تفسيراً لهذه الظاهرة: "لقد رأيتهم وهم يلقون بأنفسهم على أعدائهم، لايهابون الموت ابداً، ولايأبهون إلى عدد من سقط منهم مهماً عظم، يتقدمون مهاجمين صفاً وراء صف، لا تحدوهم إلا رغبة واحدة ــ إلا وهي هزيمة العدو وابادته. ومن عادتهم انهم لايوفرون احداً، لا ولداً ولا شيخاً هرماً، هم رسل الموت الحق الذي لاينجو من قبضته احد"..

وظاهرة التشابه الأخرى مع جمهورية ايران الاسلامية هي ان المسلمين الآخرين كانوا هدف الاخوان الوهابيين الأول. "فمن عام ١٧٤٥م إلى عام ١٩٣٤م، كانت كل معركة خاضها الوهابيون ضد اعداء مسلمين. وقد برروا سياستهم التوسعية بأن رفضوا الاعتراف بإسلام المسلمين غير الوهابيين... وكان الوهابيون يعتقدون بإخلاص ان المسلمين الآخرين غير صادقي الايمان، وبالتالي هم هدف مشروع للجهاد ضدهم. وكانت الخلافات الدينية هي الدوافع وراء هذه الحروب". دامت هذه الأحوال ثلاثين عاماً، ولكن ما ان حل عام ١٩٣٢م، حتى كان ابن سعود والاخوان العاملون معه قد اقاموا معاً واحدة من دولتين اثنين في العالم تحملان اسم منشئتها، وأقاموا الدولة الوحيدة الحديثة القائمة حصراً على مبادئ الاسلام.

بعد ان ثبت ابن سعود دعائم مملكته، حل وشتت شمل الاخوان ــ الجراء (!؟)، والذين كان في بعض الاحيان يجد صعوبة في السيطرة عليهم.

"وهكذا فقد عاد الاسلام إلى تأدية مهامه المألوفة: تمتينا للنظام الاجتماعي، وليس قوة لتهديده... في نظر النظاليين المتدينين، كان ذلك (ضرب الاخوان) مثالاً تقليدياً وكلاسيكيا عن اساليب التخلي والطعن الايديولوجي: اذ بدلا من ان يسمح للاخوان بإعادة تشييد الحكومة الاسلامية، التي هي حلمهم، فإن الاخوان، مثلهم في ذلك مثل العديد من سبقوهم في أيام الخلفاء الراشدين، كان قد استخدموا لتحقيق طموحات حاكم سلالي دنيوي"..

ما ان اقتربت الثلاثينات من نهايتها حتى كانت الثورة في العربية السعودية قد ولت وانتهت عمليا. فقد اطلق ابن سعود على نفسه لقب "الملك" ولم يدع أو يتظاهر بأن مصدر سلطة دينية. "ولم يعد وارداً ايجاد اية علاقة بين الدولة السعودية وحركة اصلاح نضالية مصممة على فرض فهمها الخاص بها للاسلام على بقية بلدان العالم. بل اصبحت السعودية بلداً اسلامياً من بين عدد آخر من الدولة الاسلامية، ذات حدود واضحة محددة، ولها حكومة دائمة الاستعداد للتعامل مع الحماس الديني بالبراغماثية الدنيوية".

في عام ١٩٥٥م، كتب هاري سينت جون فيلبي (St. John Philby Harry) وهو المتعرب الانكليزي المحترم وصديق ابن سعود ــ كتب يقول:

"لم تعد الكلمتان المرعبتان: الاخوان والوهابية، تسمعان الا نادراً في هذه الأرض (السعودية) منذ اكثر من عشرين عاماً، ولا تذكر ان الان ولا شيء من حمرة الخجل يعلو وجه ذاكرهما".

في أواخر عام ١٩٨٤م، شجبت العربية السعودية كل الجماعات والأفراد الذين يستغلون مبادئ الاسلام لتبرير العنف تحت ستار الجهاد. فقد اعلن عبد الله ناصيف، سكرتير عام رابطة العالم الاسلامي في مكة، ان "الاسلام يشجب العنف ويدينه، مهما كان نوعه... ومن غير المعقول ان يوافق عالم (اسلامي) مخلص الجرائم التي ترتكب ضد الانسانية، وهدم المنشآت، والارهاب الذي يمارس ضد الناس الابرياء ويرتكب بحجة الجهاد. فالجهاد في الاسلام اقر للدفاع عن قضية العدالة والكرامة و(تطبيق) حكم القرآن عن طريق اعلان رسمي للحرب ضد قوى عازمة على الاساءة إلى هذه الحقوق والقيم". واضاف المسؤول السعودي قائلاً ان "حركات الاصوليين التي تؤمن بالعنف انما هي "مسيئة" للعقيدة الاسلامية"..

ومع ذلك، فعلى مدى فترة مابعد الحرب العالمية الثانية، وهي الفترة التي شهدت تغييرات هائلة في المعسكرين العربي والاسلامي، بقي السعوديون من حيث المبدأ، أوفياء لعقيدتهم الدينية، لم تزحزحهم الايديولوجيات المختلفة الاشتراكية أو القومية أو البعثية أو الناصرية التي اكتسحت العالم الاسلامي. في عام ١٩٦٦م قال الملك فيصل: "دستور؟ ولماذا الدستور؟ فالقرآن هو اقدم وافضل دستور في العالم".

وخلال نفس الفترة اطاح الثوريون بالأنظمة الملكية في كل من العراق وليبيا ومصر، فلم يبق إلا ملكيتان عربيتان فقط خارج شبه الجزيرة العربية، وهما الاردن والمغرب البعيد. على ضوء هذه التطورات، بدت العربية السعودية وكأنها على حافة ان تصبح مفارقة تاريخية. والحقيقة انها، وفي بعض المجالات والآفاق، لم يكن لها خيار آخر، حول هذا كتب وليم كوانت (William Quant) العضو السابق في مجلس الأمن القومي الأمريكي، يقول: "فبدون هالة الشرعية التي كان الاسلام يضفيها على نظام الحكم السعودي، تتناقض هيبة هذا النظام ومكانته كثيراً داخل البلاد وخارجها، ومن غاية الصعوبة بالنسبة للحكام السعوديين

ان يتجاهلوا القوى الاسلامية في بلدهم ذاتها أو في البلدان الأخرى". أو كما عبر وزير الخارجية السعودي عن هذا الأمر في نفس اليوم الذي تم فيه طرد المتعصبين السنة من الحرم، حين قال: "ان العربية السعودية ثابتة مستقرة قدر ثبات واستقرار روابطها مع الحركة الاسلامية".

* * * *

خلافاً للحركات المتفرعة الصغيرة داخل المسيحية، فإن التنافس التاريخي بين ايران والعربية السعودية ــ كالتنافس القائم بين المذهبين الرئيسيين في الاسلام ــ كان ذا منشأ سياسي بقدر ما هو ديني. فقد ظهر اعظم شرخ نتيجة منافسة سياسية فقط قبل ثلاثة عشر قرناً من الزمن. لقد كان الاسلام دائماً قوة سياسية. وكما قال آية الله "فإن كل الاسلام سياسة" إلا ان اساليب واهداف المذهبين كانت مختلفة. يقول ادوارد مورتمر (Edward Mortimer) "الاسلام السني هو عقيدة القوة والسلطة والانجاز. اما الاسلام الشيعي فهو عقيدة المعارضة والمقاومة. فنقطة انطلاق الشيعية كانت هزيمة".

العربية السعودية وايران هما اليوم رمزان للتنافس الايديولوجي الاعظم في العالم الاسلامي. ايران اليوم هي بلد ثيوقراطي (ذات حكم ديني مطلق) والعربية السعودية ملكية اسلامية. في طهران، المرشد الديني، الذي يتدخل ويتوسط بين الله والناس[1] هو السلطة والمرجع الأعلى. وفي الرياض لايدعي رجال الدين انهم يتلقون وحياً من السماء، ولهذا فهم لايعدون ان يكونوا مستشارين اقوياء ونافذين وخبراء في القانون الاسلامي.، هم في الحقيقة مؤسسة من مؤسسات الدولة، تدفع الحكومة رواتبهم وتبني مساجدهم.

وهكذا فإن آل سعود يتمتعون بسلطة واسعة على رجال الدين، وغالباً مانجح الضغط الملكي في استبعاد قرارات وفتاوي كان العلماء ينوون اصدارها أو العكس، كما يتضح ذلك في حالة استخدام القوة المسلحة في احداث انتفاضة الحرم. استطاع الملك عبد ال عزيز ان يقنع رجال الدين بأن الراديو مقبول لأن بالامكان استخدامه لاذاعة القرآن. فيما بعد، استخدم ابنه فيصل نفس الحجة، وبنفس القدر من النجاح لتبرير ادخال التلفزيون، والذي كان محرماً اصلاً في الاسلام "لأنه لايجوز ان يسمح لصور مخلوقات بأن تلهي العقل عن ادراك و تأمل كلام الله".

وقد استطاعت العربية السعودية ان تلتف حول عدد كبير من القضايا التي يجري حولها جدل مشحون بالعاطفة، بدءاً من الغاء الرق (١٩٦٢م) إلى تعليم المرأة (١٩٦٠م)، إلى رفض دفن غير المسلمين في أرض السعودية. وأرامكو اليوم لديها مسؤول دفن للموتى من العمال الأجانب الذين لا تنقل جثثهم إلى بلادهم. في هذه الحالة يبنى في الحفرة بطانة اسمنتية، ثم ينزل التابوت فيها، دون ان يمس التراب السعودي. كما جرى الالتفاف حول تحريم الراب في العمليات المصرفية عن طريق استبدال الفائدة بـــ "رسوم واجور الخدمات"[2].

---

1 ــ وهذا ايضاً من الدجل والتشويه والطعن.

2 ــ أي طريقة تحايل على الشرع، فبدل كلمة (ربا) يوضع "رسوم واجور خدمات"!!

اما الشرطة الدينية، أو المطوعون من لجان الاخلاق العامة (هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) فيجوبون الشوارع لتطبيق قوانين مثل تحريم شرب الخمور. إلا ان البيوت محرمة لايجوز دخولها. وقد قال احد الدبلوماسيين الغربيين انه لم يتوفر له من المشروبات الكحولية طيلة حياته قدر ما توفر له في مملكة آل سعود، بما في ذلك قصور أفراد العائلة المالكة. واعترف عقيد (كولونيل) أمريكي بأن مشاكل ادمان على الكحول خطيرة قد ظهرت بين الخبراء العسكريين الأمريكيين الموجودين هناك. وصارت احدى المزايا الثابتة والرئيسية في كل منزل من منازل مجمعات أرامكو، وهي واحة تشبه مدينة في كاليفورنيا في منتصف الخمسينات نمت وترعرعت في وسط الصحراء السعودية ــ غرفة خلفية صغيرة مزودة بالمواسير والتمديدات الضرورية لعمليات تقطير الكحول.

هذا النوع من "اللي" المناسب للقوانين الاسلامية هو المسؤول جزئياً عن التهم والاتهامات بالفساد الخلقي والاستسلام السياسي في العربية السعودية. لكنه ليس العامل الوحيد في حملة ايران المتصاعدة ضد آل سعود. فآل سعود في نظر طهران، لم يتخلوا فقط عن الحماس الديني الأول، ولكنهم ايضاً رابطوا انفسهم بمعسكر دولي كافر ليحميهم ويحمي ملكهم ــ هو معسكر الغرب: ومن هنا التقويم المحكم البليغ الذي اصدره المؤلف البريطاني ماليز روثبن (Malise Ruthben) حين قال "ان الغرب، بسيطرته العسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية، قد جاء ليفرض تحدياً أولاً، وتهديداً أخيراً للعالم الاسلامي".

والغرب مكروه مبغوض لثلاثة اسباب رئيسية: أولاً، كانت القوى الأوروبية الاستعمارية هي المسؤولة عن وضع، ثم تجميد الحدود التي قسمت الامبراطورية الاسلامية إلى اقطار ودول علمانية حديثة، وهي المسؤولة عن تنصيب سلالات مالكة كانت في الغالب معادية لأي تغيير قدرما كانت مكروهة ممقوتة من قبل شعوبها. واعتباراً من منتصف القرن الثامن عشر وحتى اوائل القرن العشرين، دأبت الدولة الغربية على تقزيم حجم "دار الاسلام" بشكل كبير ومتواصل. كما كانت مصدر تهديد للشريعة الاسلامية باعتبارها مصدر القوانين والسلوك، بأن احلت محلها الأنظمة والقوانين الأوروبية. ثانياً، كان الغرب هو المسؤول عن خلق اسرائيل والابقاء على حياتها على حساب الفلسطينيين والعالم العربي، والاسلام. ثالثاً، اعتبرت دول الغرب النفط مجر الرحى لحياتها الاقتصادية، ولكنها لم تقدم الا القليل، وربما لم تقدم شيئاً ابداً بالمقابل. ويوضح كوانت هذه النقطة فيقول: "لو ان الصادرات السعودية توقفت، فسيكون وقع ذلك على الاقتصاد العالمي مساويا لوقع فترة الضائقة الاقتصادية العالمية في الثلاثينات". ومع ذلك فقد شعر السعوديون مراراً بالحرج الذي أوقعهم فيه حماتهم الأمريكيون، خاصة اثناء الغزو الاسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢م، واثناء الجدل الذي اثير حول بيع امريكا طائرات الانذار المبكر اواكس (AWACS) للسعودية.

يرى الاصوليون ان اعتماد آل سعود على الغرب يمثل نفس الخطيئة الكبرى التي اقترفها الشاه حين "باع روح الأمة الاسلامية، وليس مصادرها وثرواتها الكبرى فقط، للكفرة الذين لم يزيدوا عن ان استغلوا هذه العلاقة بالالتفاف إلى دعم اسرائيل باستمرار ضد العرب. وان العربية السعودية والخمسة الصغار الدائرين في فلكها (يقصد: دول مجلس التعاون الخليجي ــ المترجم) لاينظر اليها الا كألعوبة في يد امريكا وحلفائها، مالياً وعسكرياً".

كتب احد الخبراء الأمريكيين البارزين حول شؤون الخليج يقول: "ان العلاقات والارتباطات الوثيقة الحميمة التي تقيمها العديد من العائلات الحاكمة مع الغرب عموماً ومع الولايات المتحدة على وجه الخصوص، بدأت تعمل بشكل متزايد ضد شرعية هذه العائلات داخل بلدانها. وان سرعة التحديث الهائلة، مع مايرافقها من العناصر والمكونات الغربية، انما تتحرك عكس وضد التوجه والاندفاع للعودة إلى الجذور الاسلامية".

والحقيقة ان مشيخات الخليج الجرداء القاحلة لاتملك إلا القليل من الخيارات. فخلافاً لإيران، ليس هناك الا القليل من النشاط الزراعي فيها تستطيع استغلاله لتأمين طعامها، وليس لديها من الصناعة إلا القليل، ماعدا النفط. ولم يكن هناك نظام تعليمي راق ليساهم في نقل الشعب إلى واقع القرن العشرين. فكان عليها ان تتوجه إلى مصدر آخر طلباً للصادرات والمستوردات والخبرة الفنية.

وتركزت غضبة ولعنة (الاصوليين) على مدى صفاقة وحدة الاعتماد السعودي (على الغرب). وغالباً ما تتهم ايران المعسكر المحافظ في منظمة الأوبيك بأنه يرهب شركاءه ويرعبهم للإبقاء على اسعار النفط وحجم الانتاج متناسباً مع رغبات الاقتصاد الغربي، حيث تستثمر دول ذلك المعسكر ارباحها وأموالها.

والأمر الذي يزعج الايرانيين كان واضحاً وجلياً في اعلان سعودي في صفحتين ظهر في مختلف الصحف والنشرات الأمريكية في الثمانينات، هذا الاعلان يتفاخر بأن حجم المشتريات السعودية من الولايات المتحدة يصل إلى تسعة بلايين دولار سنوياً، مقابل اقل من بليون دولار سنويا قبل حوالي عشرة أعوام. وكان هذا يعني ان السعوديين ينفقون حوالي ١٣٠٠ دولار سنوياً في الأسواق الأمريكية مقابل كل رجل سعودي وامرأة وطفل.. أي انهم يشترون اكثر مما تشتريه اية دولة اخرى بالمقارنة بعدد السكان. إلا ان نغمة الاعلان كانت تنم عن اكثر من ذلك بكثير: فقد كان السعوديون يعلنون لتحسين صورتهم عند الأمريكيين، أما المسلمون الكفاحيون فيشعرون بأن العكس هو مايجب ان يكون. ومن الناحية العسكرية لم يكن سراً ان الفي (٢٠٠٠) خبير عسكري أمريكي ينتشرون في انحاء المملكة كمستشارين رئيسيين في مجال تطوير عسكر العربية السعودية الاغرار (حديثي التفريخ) والولايات المتحدة هي المصدر الرئيسي للسلاح. وكما في عهد الشاه، فقد كان الايرانيون ينظرون إلى هذا الوضع على انه وسيلة اخرى من وسائل نهب خيرات المسلمين ونهب ثرواتهم والسيطرة عليهم.

ولقد كانت كلمات الدكتور غازي القصيبي، وزير الصناعة والكهرباء السعودي، تلك الكلمات المليئة بالعرفان والتشكرات، هي ذلك النوع من الأمور الذي كان يبدو وكأنه تبرير للنقد الايراني اللاذع من جهة وللمعارضة (السعودية) الداخلية من جهة أخرى. عن العلاقات السعودية ــ الأمريكية قال القصيبي: "ما من اعتماد متبادل يمكن ان يكون كمالاً.. واستقلال البلاد العربية في وجه الشيوعية التوسعية لايمكن الحفاظ عليه بدون قوتكم وتصميمكم (الأمريكي)".

هذه العلاقات الأمريكية ــ السعودية صارخة المظاهر بدأت تأخذ مظهراً اقل وضوحاً في اعقاب انتفاضة الحرم، فقد ادركت العائلة المالكة في السعودية، ان الانتقاد لم يكن مصدره ايران فقط. فالارتباط (بين امريكا والعائلة اياها) يدركه الجميع في داخل البلاد أيضاً، سنة وشيعة على حد سواء ويدركون انه اعتماد وارتباط لايسمح به الاسلام.، في عام ١٩٨١م، لاحظ مراقبون محايدون ان "العربية السعودية تدفع

ثمناً باهظاً داخلياً للمحافظة على نسبة انتاجية عالية لكسب واستجلاب النفوذ والتأثير الغربي". فالشيخ اليماني وزير النفط "الذي كان في السابق يدافع عن التحديد السعودي لأسعار النفط امام الغرب، يبدو ان مهمة جديدة قد اوكلت اليه الآن: ألا وهي مهمة الدفاع عن سياسة النفط امام الرأي العام السعودي المتنور والمطلع. وفي الأساس، يبدو ان هذه السياسة تقوم على أساس الحفاظ على نسبة عالية من الانتاج النفطي، دون اية زيادة حقيقية في الأسعار في المستقبل المنظور". وباختصار، فإن آل سعود سيواصلون سياساتهم القديمة ولكن تحت قناع جديد. الا انهم سيدفعون ثمناً باهظاً مقابل تجاهلهم لمصادر النقمة عند الاصوليين.

* * * *

كان موسم حج عام ١٩٨٢م، وبعد ستة اشهر من ندوة طهران حول الحج، نقطة تحول بارزة في موقف ايران الهجومي. يقال ان آية الله قد حض الحجاج قائلاً: "هيا احيوا السنة السياسية الالهية لفريضة الحج.

اطلعوا المسلمين على مايجري في لبنان العزيز، وفي ايران المجاهدة، وفي افغانستان المضطهدة. ابلغوهم بواجباتهم الكبرى في مواجهة المعتدين واللصوص الدوليين".

وعكست مشاكل موسم الحج تكتيكا آخر من تكتيكات الحملة. وكما قال الرئيس الايراني، علي خامنئي، بعد الندوة بفترة قصيرة فإن "دعمنا لحركات التحرر في الخليج والمناطق الأخرى هو دعم روحي بالدرجة الأولى.. فنحن نهدف إلى ان ننقل لشعوب العالم ايديولوجيتنا، وتجاربنا وخبراتنا، وادراكنا للأمور المتعلقة بقضايا الثورة". هذه كلمات كانت اكثر اهمية بكثير من الأسلحة في نشر رسالة الاسلام الكفاحي والنضالي.

وفي عام ١٩٨٢م، وقعت عدة حوادث اشترك فيها آلاف الايرانيين في مكة والمدينة، افسدت موسم الحج. شتت قوات الأمن السعودية التجمعات السياسية التي كان الاصوليون يخطبون فيها ويحضون مسلمي البلاد الأخرى على الانضمام لحملتهم الجهادية المقدسة. وقد وجدت اسلحة مع بعض الحجاج. وقد استخدم الغاز المسيل للدموع مرة على الأقل لوقف مسيرة المتظاهرين. ومرة اخرى، جرح حجاج كثيرون.

اتهم راديو السعودية الحكومي مثل آية الله الخميني الشخصي بالتحريض على اعمال الفوضى والعنف. كان هذا الممثل هو حجة الاسلام محمد حسين موسوي خوئيني ها، الذي كان قد اكتسب شهرة سيئة للغاية كمستشار للطلبة الذين احتلوا السفارة الأمريكية في طهران. طبقاً لاحدى الروايات، حاول عدد من كبار المسؤولين السعوديين ان يقنع رجل الدين المتنفذ هذا بمناشدة المتظاهرين لإيقاف مظاهراتهم.

فرد رجل الدين قائلاً: "وهل ترديد شعارات مثل "الموت لاسرائيل والموت لأمريكا" يخلق الفوضى؟ هل ترديد هذه الشعارات يسبب الازعاج للمسلمين؟... نحن لانية لدينا لخرق الأمن، كل ما في نيتنا هو دعوة المسلمين للوحدة ضد الولايات المتحدة واسرائيل والاتحاد السوفيتي. نحن نستغرب معارضتكم لمثل هذا العمل، لأننا نتوقع منكم ان تكونوا الرواد في هذا المجال". وكان حجة الاسلام خوئني واحداً من عشرات الذين تم توقيفهم ثم ترحيلهم من المملكة.

يشكل استغلال موسم الحج للأغراض السياسية فارقاً رئيسياً بين المذهبين السني والشيعي[١]. بالنسبة للسنة موسم الحج هو فريضة دينية بحتة. وهي اقصى مظاهر الخضوع لله، واقدس ايام العام، بل اقدس ايام العمر كله. الحج هو احتفال باخوة المسلمين. وبالتالي فإن احترام هذه المناسبة وتبجيلها كان مطلقاً. ومع اجتماع مايقرب من مليوني رجل وامرأة يرتدون لباس الاحرام الموحد، وهو رداء غير مخيط، فإن رمزية الطقوس المتعددة كانت كافية للتأكيد على ان الاسلام رمز للعدالة والمساواة المطلقة والشاملة.

اما بالنسبة للشيعة، فإن المناسبة تعد في مرتبة ثانية، عمليا، بعد مناسبة عاشوراء (وهذا كلام مدسوس ورخيص من الكاتب)، وهي مناسبة شبهها البعض بالجمعة الحزينة عند المسيحيين ويوم الغفران عند اليهود. والأهم من ذلك ان "الايرانيين كانوا ينظرون إلى الأمور من زاوية مختلفة: مظالماً ان الاسلام لايميز بين العمل الديني والعمل السياسي، ففريضة الحج، اذن، هي فريضة سياسية بطبيعتها، والذين حاولوا جعلها مناسبة روحية بحتة حادوا وانحرفوا عن الصراط المستقيم الذي حدد النبي معالمه!" لم تكن القضية، اذن، مجرد تعبير عن الايمان الصادق: فلابد من العمل الفعلي لوضع مبادئ الاسلام موضع التنفيذ[٢].

وقد انعكس هذا الاختلاف في الخطب الرنانة المتبادلة بين حكام السعودية الملكيين السنة، وحكام ايران الشيعة الثيوقراطيين. مثل موسم الحج عام ١٩٨٤م، اخبر الرئيس الايراني علي خامنئي مؤتمراً لرجال الدين والمشرفين على الحج بأن "الناس اليوم يتوقعون ان يعلمهم الحجاج الايرانيون واولئك الذين يتهمون مسلمينا المناضلين والمضحين بأنهم يستغلون الحج كساحة لجني الفوائد السياسية لايسمحون لشعبهم بأن يفهم مغزى الحج فهماً صحيحاً".

وفي اجتماع مشابه مستقل عن الأول، قال آية الله حسين علي منتظري، المرشح الأول لخلافة آية الله الخميني، قال حاضاً موجها: "ينبغي على الحجاج الايرانيين اثناء ادائهم لفريضة الحج ان يبلغوا الأمم المستضعفة بسر انتصار الثورة الاسلامية في ايران. واذا حدث، كما رأينا في الماضي، ان وضع المسؤولون السعوديون كعادتهم، اجراءات لمنع الحجاج الايرانيين من الاتصال باخوتهم واخواتهم من الأقطار الأخرى، فلانهم يخشون هذا. ونحن اذ نصدر الثورة، فإنما نقصد ان نضع خبرتنا وتجاربنا وثمار ثورتنا تحت تصرف المستضعفين والمحرومين في العالم... وعلى قادة البلدان الاسلامية ان يدركوا انه، سواء كانوا يؤيدون هذا أم لا، فإن الشعوب بدأت تستيقظ من رقادها فإذا كانوا يرغبون في البقاء في مواقع السلطة وحكم بلادها، وجب عليهم الارتكاز إلى الاسلام وإلى شعوبهم، وليس على امريكا وروسيا".

---

١ ــ ان يقول هذا الكاتب ان ذلك يشكل خلافاً بين آل سعود وبين جميع المسلمين أمر مقبول، اما انه خلاف بين الشيعة والسنة فافتراء وكذب وتضليل. قبل الشيعة الايرانيين، حاول شعب فلسطين، وهو سني بأغلبيته، ان يجند تأييد المسلمين لصالح قضية فلسطين وشعبها، ومنعه ابن سعود ارضاء لبريطانيا، الخلاف الحقيقي والرئيسي ليس بين الشيعة والسنة، ولكن بين اسلام آل سعود واسلام محمد بن عبد الله.

2 ــ واما ان عاشوراء تأتي في المرتبة الأولى قبل الحج لفريضة من فرائض الاسلام الخمسة، فهذا مايرفضه الشيعة قبل السنة، فعاشوراء حادثة وقعت بعد وفاة الرسول واكتمال رسالة الاسلام. وأما تشبيه عاشوراء بالجمعة الحزينة أو بيوم الغفران، فلابد ان يكون من صنع بعض "المتغربين" الذين يفقدون حادثة عاشوراء معناها ومضمونها الاسلامي بقبولهم لهذا التشبيه.

في عام ١٩٨٤م، ارسلت ايران أكبر مجموعة من الحجاج ترسله اية أمة على الاطلاق: ١٥٤٠٠٠ حاج، توجهوا إلى مكة والمدينة، مضاعفين ثلاثة اضعاف على مدى ثلاثة اعوم، أما السعوديون الحذرون فقد بدأوا، في العام السابق، بفصل الايرانيين عن الحجاج الآخرين. أوضح احد مسؤولي وزارة الاعلام ذلك قائلاً بحنق: "نحن نضعهم مع حجاج افريقيا الغربية، فلا يستطيعون التحدث اليهم". وقد وقعت حادثة صغيرة واحدة اشترك فيها الايرانيون ليس بتحريض منهم حسبما اوردته معظم الروايات. فقد سار الحجاج العراقيون، وهم يحملون صور رئيسهم صدام حسين، زاحفين باتجاه الخيام الايرانية في المدينة. ولما كان قد مضى اربعة اعوام عندها على الحرب الطاحنة بين البلدين، فلم يكن مستغرباً ان يبدأ العراك بين المجموعتين. قتل نتيجة ذلك احد الايرانيين وجرح آخرون. واضطرت قوات الأمن السعودية الخاصة ان تتدخل لمنع وقوع اضطرابات أخرى.

الا انه في اطار العداء العميق الذي نشأن الآن بين ايران والعربية السعودية كان ذلك الحدث كافيا لاشعال شرارة التباغض مرة أخرى.

اوحت ايران في تعليقها على الحادث بوجود توطؤ سعودي، أو بأن القوات السعودية قد اغمضت عينها في البدء عن تصرفات العراقيين المهاجمين. وجاءت ردة فعل راديو طهران الموجه بالعربية عبر الخليج سريعة، تحمل انذاراً من محمد خاتمي، وزير الارشاد الاسلامي: "اننا نلفت أنظار الحكومة السعودية إلى انه كما ان الاعتداءات والضرب والسجن التي مارستها الحكومة السعودية في السنوات الأخيرة قد فشلت في احباط جهود المسلمين لتنفيذ مهمتهم المقدسة ــ أي تحرير انفسهم من المرائين والمتعالين الصلفين ــ فإن الاساءة الجديدة التي ارتكبها عملاء الاستعمار واذنابه لن تفشل في ايقاف هذه الحركة الهائلة فحسب، وانما ستزيد بدلاً من ذلك، من غضبه الذين صحوا واستيقظوا".

رد السعوديون بغظاظة على لسان الأمير نايف الذي قال: "ان ماحدث كان رسالة صريحة وواضحة لأي شخص يريد ان يتلاعب أو يستغل هذه المناسبة الدينية المقدسة، مؤكدين بأن المملكة لن تسمح بأية احتفالات سياسية أو برفع أية راية غير راية الدين خلال موسم الحج". وحاول بضع مئات من الحجاج القيام بمظاهرة، ولكن وحسبما قال الأمير نايف، فإن قوات الأمن تمكنت من سد الطريق عليهم.

علق كاتب بريطاني على ذلك قائلاً: "بالنسبة للثوريين الايرانيين والعاملين الاسلاميين الآخرين، فإن الاجتماع السنوي للمسلمين في مهد الاسلام هو احياء رمزي لأيام الاسلام الأولى، ومن المحتم ان يؤدي إلى خلق نظام اسلامي حقيقي، وبالتالي إلى عالم متحرر من الظلم والاضطهاد". اما بالنسبة لآل سعود، فإن موسم الحج قد اصبح اكبر مصدر لتحطيم اعصابهم من كل أيام العام، خاصة بعد ان تكشفت حقيقة "أوراق اعتمادهم" الاسلامية.

حين التقى قادة الدول الست التي تشكل مجلس التعاون الخليجي في مؤتمرهم السنوي الخامس خلال شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٤م، كانوا يواجهون درساً كئيباً كالحاً في الخيارات العملية. كانت جيوشهم وقواتهم الجوية قد انهت لتوها مناوراتها العسكرية المشتركة الثانية، والتي كلفت مبالغ باهظة، حيث راحت تتدرب لمدة شهر كامل تقريباً في القاعدة السعودية الشاسعة في حفر الباطن، لمجرد تنفيذ مناورة واحدة

بالذخيرة الحية استمرت ثلاث ساعات. كانت دول مجلس التعاون الخليجي تنفق فيما بينها حوالي الأربعين بليون دولار سنوياً على الدفاع والأمور المتعلقة به. أما المناورات فجاءت تتراوح في موقع وسط بين المسرحية الهزلية المضحكة وبين الكارثة.

ولكي تزيد الأمور سوء لم يستطع القادة الستة الاتفاق يومها، أي في مؤتمر القمة، حول اهم قضيتين على الاطلاق تتعلق ببقائها واستمرارية وجودها جميعا: الأولى، الاتفاقية الأمنية المشتركة، في مجال الأمن الداخلي، والتي كانت مجمدة قبل ذلك بعامين، كان سيسمح لهذه الدول بتبادل المعلومات حول عمليات التخريب الداخلي، كما سيسمح لها بمتابعة كل منها لعمليات الملاحقة عبر حدودها المشتركة. والقضية الثانية هي قضية تشكيل قوات التدخل السريع الخاصة بالمجلس، وهي قوة من فرقتين تتمركزان في مجمعات عسكرية في كل من العربية السعودية والامارات العربية المتحدة. ورغم التهليل والتطبيل المسبق قبل عقد القمة، فإن الاتفاقية النهائية راوحت عند حدود اللاشيء! قالت الاتفاقية ان أية دولة من الدول الست الاعضاء تستطيع، اذا تعرضت لتهديد، ان تستدعي قوات دولة أخرى من الدول الاعضاء. لن تكون هناك اية وحدة عسكرية مشتركة في حالة استعداد دائم، ولن تهيأ قواعد مشتركة مسبقا. قال مبعوث غربي كان يأمل بأن تكون النتائج افضل "ان العامل الزمني يجعل من هذا كله امراً عديم الفائدة".

ان هذا الخلاف الداخلي كان امراً يكاد يستحيل تصديقه نظراً للمخاوف المتعددة التي واجهتها كل من هذه الدول. فبعد حملة التفجيرات التي وقعت في الكويت في أواخر عام ١٩٨٣م، نجا السعوديون بأعجوبة من كارثة محققة. كان شخص ما قد سرق من رأس تنورة، حيث يقوم أكبر مجمع نفطي من نوعه في العالم، مجموعة من البطاقات الأمنية الخالية من الأسماء التي يحتاج اليها كل من يريد الدخول إلى مركز الحفر والمصفاة ومواقع التصدير. وعلى الفور ارتفعت قوالب اسمنتية هائلة الحجم امام المنشآت النفطية وامام منازل الأمريكيين العاملين هناك (اذ يعيش في مجمع أرامكو هناك عدد من الأمريكيين المدنيين يزيد عن عددهم في أي مكان آخر في العالم خارج الولايات المتحدة، طبقاً لما يقوله الخبير في شؤون الخليج جون ديوك انتوني). ومنع وقوف السيارات، وتمركزت القوات السعودية في جميع ارجاء المجمع. "في كل مكان تذهب اليه، كنت تستطيع ان ترى الناس يتحدثون عن (متى ستقع الضربة)"، هذا ماقاله أمريكي كان يقيم في رأس تنورة منذ ثماني سنوات، ثم تابع "ولقد كان هذا مكاناً صغيراً غافياً.. انه لأمر مرعب حقاً."

وفي اليوم التالي لتفجيرات الكويت، القي القبض على مصرفيين بريطانيين، كلاهما اشقر الشعر، وكلاهما يرتدي طقماً رسمياً انيقاً، اعتقلهما حرس الأمن السعودي فاقد السيطرة على اعصابه، وذلك في المطار القريب من حقول النفط. وبعد ان صودر جواز سفرهما، وفتشت حقائبهما، خضعاً لاستجواب دقيق استمر اكثر من ساعة لأن احدهما وجد في حوزته خارطة وضعت عليها اشارة صليب على منطقة قرب مطار العاصمة. يبدو ان الجنود السعوديين ظنوا ان العلامة المعلمة بإشارة (×) كانت الموقع المقرر لاجراء التفجيرات، في حين انها كانت في الواقع تمثل قطعة من الأرض كان احد زبائنهما يعتزم شراءها. وقد علم المصرفيان فيما بعد ان السعوديين تلقوا تحذيراً مفاده ان منشأة نفطية كبرى سيجري تفجيرها. كما ان عديدين ايضاً، ممن لم تكن تنطبق عليهم أوصاف الارهابيين "قد تعرضوا للاستجواب".

"ان المشاكل الداخلية الاجتماعية والسياسية التي تنتشر كالوباء في اقطار الخليج ذات التقاليد القائمة على رئاسة وزعامة الشيخ الوارث لاتعيش في خواء سياسي. لكنها تواصل الانتشار في اطار اقليمي متفجر، حيث تتساقط بذور الثورة التي تنتشر مع الرياح الآتية من الشمال الايراني". هذا مايقوله جيمس بيل (James Bil) وهو خبير مختص بالشؤون الايرانية في جامعة تكساس، الذي يضيف قائلاً: "ان التحديات الاجتماعية والسياسية التي تواجه انظمة الحكم التقليدية في منطقة الخليج لابد وان تكبر وتتعاظم مع مرور الزمن. وان قدرة حكام الخليج على مواجهة هذه التحديات هي أمر ليس مؤكداً. فإذا ثبت عدم وجود مثل هذه القدرة، فإن علينا عندئذ ان نتوقع الكثير جداً من الانتفاضات السياسية والعنف الثوري في منطقة الخليج في فترة أواخر الثمانينات".

ان الدرس المستقى من الاحداث المقارنة هو انه، على مدى المستقبل المنظور، ستظل العربي السعودية وحلفاؤها المقربون معتمدة كلية على الغرب، وستكون، بناءاً على ذلك، معرضة لشكوك وريبة وغضب القوة التي كانت تخشاها وترتعد فرائصها منها اكثر من اية قوة اخرى. وان كل ماحدث ويحدث في العربية السعودية لابد وان يؤثر على المشيخات الصغيرة المعشعشة على طول حدود السعودية.

الملحق السادس

السعودية تبحث عن الأمن

المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية ــ (عضيد دويشه).

ان استقرار العربية السعودية، بل واستقرار شبه الجزيرة العربية كلها، هو ام ينظر اليه بعين القلق المتزايد في اعقاب قيام الثورة الايرانية، وخاصة بعد الهجوم الذي شن علىالحرم في مكة. وتشكل العربية السعودية، باعتبارها قوة من قوى المحافظة على الوضع الراهن تتبع سياسات معتدلة وبراغماتية، تشكل مصلحة غربية حيوية هامة في المنطقة، وعلى هذا الأساس، فإن الحفاظ على نظام الحكم السعودي الحالي كان ومايزال هدفاً رئيسياً من اهداف سياسة الولايات المتحدة الخارجية، وسياسات العالم الغربي عموماً. وليس هناك من شك في ان انتفاضة جماهيرية في تلك المملكة الغنية بالنفط والمنحازة إلى الغرب، ستكون لطمة عنيفة توجه للغرب، ولهذا، فليس من المستغرب ابداً ان تكون الدوائر الغربية متخوفة من امكانية ان تكرر الثورة الايرانية نفسها في المملكة السعودية، الأكثر انكشافاً والأقل أماناً.

إلا انه يمكن ان يجادل البعض بالقول بأن هذه المخاوف مبالغ فيها إلى حد ما، وان خطر تعرض العربية السعودية لذلك النوع من انتفاضات التي اصابت ايران هو، حالياً، خطر ضئيل إلى أبعد الحدود. فأولا، لايتجاوز عدد سكان السعودية ثمن (٨/١) عدد سكان ايران، مما جعل بلامكان ان تستفيد كل طبقات المجتمع من الزيادة الهائلة في ثروة البلاد والتي تحققت بعد عام ١٩٧٣م. كما استطاعت الحكومة السعودية، بسبب احتياطها وفائضها الهائل من الأموال، ان تنفذ العديد من المشاريع الاجتماعية الواسعة (مثل مشاريع

الاسكان وانظمة الري والنقل وتحسين الطرق)، وخلافاً لنظيرتها في طهران، استطاعت ان توصل فوائد ومزايا هذه المشاريع إلى ادنى مستويات المجتمع السعودي. واضافة إلى ذلك، فقد نجحت نجاحاً باهراً في ايحائها للشعب بأن التقدم الكبير في ظروف حياتهم الاجتماعية والاقتصادية، انما يعود كلية إلى كرم ومزايا النظام الملكي، وبناءاً على ذلك فإن أي تهديد للعائلة المالكة يمكن ان يعرض للخطر مصالح الشعب السعودي واستمرار رخائه!!

وهكذا، فإنه بالرغم من الفارق الكبير القائم حالياً بين الطبقات العليا والطبقات الدنيا في المجتمع السعودي، فإن مستوى المعيشة الذي يتمتع به فقراء السعودية قد تحسن إلى درجة يبدو انهم اصبحوا معها يربطون مصالحهم الآن ربطاً كاملاً بالحفاظ على النظام الملكي السعودي.

وهناك فارق آخر مهم بين السعودية وايران، نجده متمثلاً في الدور الذي تلعبه المؤسسة الدينية في النظام السياسي. فقد كان احد اهم العوامل الهامة المساهمة في اندلاع الثورة الايرانية، هو الاستياء المتزايد الذي كان يشعر به رجال الدين الشيعة تجاه ملك علماني مصمم على تقليص دورهم السياسي ونفوذهم. هذا لاينطبق على السعودية، حيث النظام السياسي غارق عن عمد بالقيم القرآنية، وحيث المؤسسة الدينية تستشار باستمرار ويطلب منها المشاركة الكاملة في عملية صنع القرار (هذا غير صحيح بالمرة ــ المترجم!!).

واخيراً، فبالرغم من ان النظام السياسي السعودي هو بلا شك نظام فاشي، بل قديم بالٍ، فإنه نظام يقوم على التقاليد القبلية وله نوعه الخاص من الديموقراطية المتجذرة. وكما ذكرنا آنفاً، فإن العائلة المالكة، من خلال مؤسسة المجلس (أي مجلس؟! ــ المترجم)، تكون على صلة دائمة بالشعب. وبهذا امنت تلك العائلة تواصل الشعب الدائم بها، واطمأنت إلى ان الاتصال بين الحكام والمحكومين قائم باستمرار. وهذا وضع مناقض تماماً للوضع الذي كان سائداً في ايران، حيث ازدادت عزلة الشاه عن الشعب ومشاكله وطموحاته وآماله.

إلا ان هناك اخطاراً واضحة ناتجة عن عملية التحديث السريع للبلاد التي تجري حالياً في السعودية.. من الصعب التنبؤ بالآثار النهائية لعملية التحول الاجتماعي هذه، على الولاءات التقليدية للشعب، وعلى مجموعة القيم السائدة حالياً في المجتمع السعودي. من الممكن تماماً ان تؤثر هذه العملية على استقرار البلاد بأن تضعف وتقلل من أهمية تلك الانماط الاجتماعية والقيم الثقافية التي تضمن بذور ومبرر شرعية النظام الملكي. إلا انه يبدو ان الحكام السعوديين قانعون بأن فرص التخلل الاجتماعي الخطير والجدي الناتج عن التحديث السريع هي فرص ضئيلة في الوقت الحاضر. فقد ذكر وزير النفط السعودي، الشيخ زكي اليماني، ان التغيير السريع لابد وان يفرز توتراً، لكنه اضاف بأنه يعتقد بأنه سيمر جيل كامل آخر على الأقل قبل أن تسبب عملية (التحديث) تغييراً اجتماعياً كبيراً. أما غازي القصيبي، وزير الصناعة، فيصر على ان التأثير القوي الذي تمارسه العائلة (المالكة) سيكون صمام الامان الذي يقود ويوجه الشعب عبر مرحلة التحول، وقد ردد تلك المشاعر هشام الناظر وزير التخطيط، الذي وصف العائلة بأنها: "حصن الاسلام المنيع الذي سيدافع عن السعوديين في وجه الفاسد القادم من العالم المتحضر"!!!

بقي ان ننظر لنرى ماذا كانت هذه العوامل الموحدة، والتي تنبع من جذور المجتمع السعودي، ستستطيع ان تقف أمام الآثار المخلة حتما، والتي سيسببها التحديث السريع، لكن ليس هناك أية مؤشرات حالية على

وجود أي انفجار وشيك. وبناءاً على ذلك، فقد استطاع الأمير نايف، وزير الداخلية، ان يتفاخر عام ١٩٧٧م، "بأننا لم يكن لدينا في يوم من الأيام أكثر من ٢٥٠ سجين سياسي، واننا اطلقنا سراح آخر ٦٣ سجينا منذ عامين". قد يبدو هذا ادعاءاً معهوداً يطلقه أمير، لكن قليلين جداً هم الذين يشككون بصدق هذا الادعاء. والحقيقة ان تقريراً وضعته وزارة الخارجية الأميركية واصدرته لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الاميركي في فبراير ــ شباط ــ عام ١٩٧٨م خلص إلى النتيجة القائلة بأن الاعتقال الاعتباطي أو التعسفي في العربية السعودية أمر لايمارس ولايقبل ان يتهاون به أبداً، وانه لايوجد دليل على زج الأفراد في السجون هناك بسبب آرائهم السياسية. ويضيف التقرير قائلاً ان التعذيب لايمارس ولايوافق عليه، وان المحاكمات المغلقة لم تحدث إلا نادراً خلال الأعوام الأخيرة. وهكذا يمكن القول بإطمئنان انه، وعلى مدى المستقبل القريب والمنظور على الأقل، ليس هناك مايخشاه الحكام السعوديون من شعبهم إلا القليل النادر[١]..

وإذا صحت الاستنتاجات الواردة اعلاه، فكيف يمكن تفسير الهجوم على الحرم في مكة في شهر نوفمبر ــ تشرين الثاني ــ من عام ١٩٧٩؟ من المهم منذ البدء الا يبالغ في حجم وشعبية العملية أو في ردود الفعل عليها. فالهجوم قاده متعصب ديني قام مع حوالي ٢٥٠ من اتباعه باحتلال الحرم عند صلاة فجر اليوم الأول من القرن الخامس عشر الهجري، وادعى انه هو المهدي. وقد استغرق الأمر قوات الأمن السعودية اسبوعين كاملين حتى هزمت المتمردين وقتلت ٧٥ منهم وقبضت على ١٧٠، اما خسائر قوات الأمن فقد بلغت، رسمياً، ٦٠ قتيلاً واكثر من ٢٠٠ جريح.

مما لاشك فيه ان المدة الطويلة نسبياً التي استغرقتها المواجهة العسكرية، ومانتج عنها من خسائر كبيرة قد اضفت على العملية اهمية تجاوزت كل الحدود وكل معايير اهميتها الفعلية، باعتبارها تعبيراً عن امكانية ثورية عامة كامنة في البلاد. ولولا نظام الممرات تحت الأرضية المعقدة التي تنتشر تحت المسجد الحرام، ولولا تردد قوات الحكومة الطبيعي باستخدام الأسلحة الثقيلة داخل اقدس مقدسات الاسلام، لأمكن تطهير الحرم من المهاجمين بسرعة أكبر بكثير، وبعدد اقل كثيراً من الخسائر والاصابات. واضافة إلى ذلك، فإنه في حين ان عدداً من المهاجمين المسلحين كانوا من الطلبة المصريين والكويتيين واليمنيين والباكستانيين والمراكشيين، فإن معظم المهاجمين كانوا من البدو السعوديين من قبيلة العتيبة، مما يوحي بان الدعم الذي تلقاه حصار الحرم كان محدوداً وقائماً على اسس قبلية. واثناء احتلال الحرم وبعده، لم تسمع اية تقارير أو اخبار عن اضطرابات أو قلاقل، أو حتى تململ في المدن الرئيسية، أو بين البدو الزراعيين[٢] كما لم يحدث أي نقص في الاستثمارات المحلية أو الأجنبية نتيجة للهجوم.

ربما كان مصدر الشؤم الأكبر بالنسبة للنظام الحاكم هو الاضطرابات التي لم تكن مرتبطة بحصار الحرم، والتي وقعت بين السكان ذوي الأغلبية الشيعية في المنطقة الشرقية في شهر نوفمبر ــ تشرين الثاني ــ ١٩٧٩م. فخلال احتفالات عاشوراء (وهي فترة القلق السنوي والحداد الديني عند المسلمين الشيعة) حدثت

---

[1] ــ هناك العديد من الملاحظات على هذه الدراسة، إلا ان هذا المقطع غارق في السطحية وعدم العلمية والمعرفة بما يجري في البلاد.. فكل مايذكره هنا مديح لآل سعود، والذي يجري عكس مايقوله تماماً.

[2] ــ صاحب الدراسة لم يسمع، أو لا يعلم حقيقة الأمر، واستنتاجاته هنا بعيدة عن الواقع.

اعمال عنف قتل على اثرها بضعة عشر شخصاً، وجرحخ عدد كبير، وقعت هذه الاحداث في عدد من المدن الصغيرة الواقعة قرب المنشآت النفطية الرئيسية في الظهران والدمام. وفي حين لايشك بأن العنصر الشيعي في السكان اصبح اكثر قلقاً واضطراباً في اعقاب الانتفاضات الايرانية، فإن الامكانيات الثورية الكامنة في ذلك العنصر داخل العربية السعودية هي امكانيات محدودة جداً، لأن هذا العنصر لايشكل اكثر من ١٢% من مجموع سكان السعودية. واضافة إلى ذلك، فلأن هذا العنصر بقي متخلفاً عن بقية السكان، فقد بدأ الآن يستفيد مالياً من الطفرة النفطية التي حدثت في المنطقة الشرقية. وان ازالة المظالم لابد وان يقلل بالتدريج من أي ميل لخلق المشاكل وعدم الاستقرار الذي قد يكون قائماً في الوقت الحالي.

واخيراً، فالتقليل من احتمالات الانفجارات في المستقبل تعبيراً عن الاستياء، فإن آل سعود، وكما فعلوا في الماضي، جاء ردهم هذه المرة سريعاً، على صورة الخليط المعتاد من الاجراءات الاصلاحية والقمعية الفاشية. قالت الحكومة انه سيكون في الخطة الخمسية الثالثة مستوى ادنى من الانفاق ومستوى ابطأ من النمو، ويبدو ان هناك تحركاً للتركيز على التنمية الريفية بدل التنمية المدينية. كما ستتم مراقبة الفساد عن قرب، كما ان الملك منع بالفعل بعض كبار الأمراء من المشاركة في المشاريع والأعمال التجارية. في نفس الوقت، يبدو ان دخول المرأة (السعودية) المتوقع إلى مجال القوى العاملة السعودية قد تم طيه ووضعه على الرف، وهناك تقارير تفيد بأن البوليس الديني (أي المطوع) قد اصبح الآن أكثر اجتهاداً وحماساً في تأدية واجباته.

وهكذا، فإن احداث والمنطقة الشرقية، رغم ان اثارها كانت ضيقة محلية ومحدودة على استقرار النظام الحاكم عامة، يبدو انه قد كان لها آثارها الكبيرة على العائلة المالكة. واعتماداً على الدروس التي يتعلمها النظام الحاكم من هذه الأحداث، وعلى كيفية مواصلته للرد عليها، فإن الهجوم على المسجد الحرام والمظاهرات التي قامت في المنطقة الشرقية يمكن النظر اليها على المدى الطويل على انها قد قوت النظام الحاكم وعززته، بدل ان تضعفه. وبناءاً على ذلك، وفي الوقت الحالي، فإن أي تعبير عن الاستياء بين السكان السعوديين لايبدو عميقاً أو واسع الانتشار بالقدر الذي يشكل خطراً على استقرار النظام السعودي الحاكم!!.

إلا انه لايمكن القول بأن هذا ينطبق على القوى العاملة الوافدة التي تعمل في العربية السعودية منذ سنوات عديدة. وكما رأينا، فإن الخطة الخمسية لفترة ١٩٧٥ ــ ١٩٨٠م تستدعي زيادة في أعداد هؤلاء العمال تبلغ ثلاثة اضعاف عددهم الحالي، وإذا ماستمر الاتجاه الحالي، فإن واحداً من كل ثلاثة عمال يعملون في العربية السعودية سيكون من غير السعوديين مع حلول عام ١٩٨٠م. وبوجه الاجمال، فإن هؤلاء العمال، والعديد منهم من الشيعة اليمنيين الراديكاليين، قد حرموا من الفوائد العديدة التي تقدمها الدولة للمواطنين السعوديين، ومع تزايد اعداد هؤلاء باستمرار وتزايد تدهور اوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بالمقارنة بأوضاع السكان الاصليين، فقد اصبح (العمال) المهاجرون يشكلون مصدراً متعاظماً للقلق عند سلطات الرياض. ولأن هذه الجماعة من العمال يشكلون جالية محبطة مسحوقة تتزايد مشاعر التظلم لديها، فإنهم يمكن ان يصبحوا عاملاً مخلاً بالاستقرار في سياسات السعودية الداخلية. ولهذا لم يكن من المستغرب ابداً انه حين تم تشكيل حزب شيوعي سعودي سراً في شهر نوفمبر ــ تشرين الثاني ــ من عام ١٩٧٥م، اعلنت قيادته انها ستركز معظم نشاطها على (العمال القادمين من الخارج "الوافدين"). ونتيجة لذلك عمدت السلطات

السعودية إلى تشديد القيود على الجالية المهاجرة في السعودية، ويبدو ان هذا قد زاد في حدة التوتر القائم حالياً. وقعت في خريف عام ١٩٧٨م عدة صدامات بين المهاجرين وقوات الأمن السعودية، وقالت التقارير ان اكثر من ثلاثين شخصاً قد قتلوا وجرح أكثر من مائة وعشرين في حادثة عنف واحدة، وهاجمت افتتاحية احدى الصحف "الاعتداءات التي وقعت مؤخرا على قوات الأمن من قبل عناصر أجنبية كان يجري التدقيق في هوياتها". وهكذا فإنه يبدو جلياً انه طالما ان العمال الوافدين يجري استبعادهم من الفوائد والخدمات الاجتماعية والاقتصادية الكاملة، ومن الفرص التي تقدمها الدولة للمواطنين السعوديين، فإن مثل هذا الاحتكاكات والصدامات لابد وان تعبر عن نفسها على صورة مواجهة متصاعدة يمكن ان تؤثر سلباً في نهاية الامر على استقراب النظم الاجتماعية والسياسية في العربية السعودية.

إلا ان الدقة في الرأي تقول ان العمال الوافدين لايشكلون مصدر خطر أو تهديد داخلي لنظام الحكم، لأن الأجانب يمكن ترحيلهم في أية لحظة أذا ما اعتروا مصدر لمثل ذلك الخطر. ومعظم هؤلاء الأجانب هم من العمال غير المهرة الذين يمكن استبدالهم بسهولة وسرعة بعمال من أقطار أخرى، دون تأثير يذكر على خطط التنمية. وبناءاً على ذلك، مثلاً، فإن العمال الهادئين (المسالمين) والأكثر التزاماً بالاعراف القادمين من الباكستان وبلوخستان والفليبين وكوريا الجنوبية يمكن، إذا دعت الحاجة، أن يحلوا محل اليمنيين الراديكاليين. وأقوى الاحتمالات تؤكد ان مثل هذا الاجراء سيلقى أعظم التأييد من السكان السعوديين الاصليين[1]..

إذا كانت هذه الاستنتاجات تجعل الأمور تبدو وكأن كل شيء على مايرام داخلياً، فإنه يبقى هناك عدد من المشاكل عالقة على الافق، وهي مشاكل إذ ماستمر تجاهلها يمكن ان تهز حالة الرضى الذاتي والتهاون عند العائلة المالكة. فهناك فساد واسع الانتشار، وهناك قدر كبير من التهافت المادي الذي يتصادم بعنف مع الالتزام الروحي بالمثل العليا الاسلامية، وهناك حالة من التأزم داخل العائلة المالكة، بل وقدر من التحزب والتكتل داخلها، وقد يأتي وقت قريب لايعود فيه البحث عن الثروة والاثراء كافياً بحد ذاته لارضاء طموحات الشعب السعودي. في الكويت، بدأ التجار يتحدون السلطة السياسية للشيوخ، وسيكون من المستغرب الا يحاول العوام في السعودية الحصول على قدر من السلطة السياسية خلال الأعوام القادمة. وسيعتمد الكثير من الأمور على عدم رغبة العائلة المالكة بالسماح لبعض مواقع السلطة بالخروج من ايديها. وان التقسيم الدائم للبلاد إلى مواطنين من الدرجة الأولى ومواطنين من الدرجة الثانية ــ بحسب مولدهم ــ يمكن ان يثير الاستياء بين طبقات المجتمع الدنيا، مما يؤدي إلى ضغوط يمكن ان تقود في نهاية المطاف إلى انفجار حرب أهلية.

[1] ــ هذا شاهد آخر على عدم موضوعية ودقة دويشه، فهو يتنبئ بشيء لا اساس له من الواقع.

الملحق السابع

مقابلة مع ضحية لآل سعود

نشرت مجلة (النشرة) الصادرة في اليونات في عددها رقم (٨٣) والمؤرخ في ١٩٨٦/٧/١٤م، لقاء مع احد المصريين المسلمين كان قد اعتقل قبل سبع سنوات وافرج عنه مؤخراً.. والمواطن المصري اسمه (محمد محمد بدير) عمره ٤٤سنة، وهو مهندس زراعي، ويقيم حالياً بكفر الجرايدة بمدينة كفر الشيخ بمصر.. وهذا هو نص الحوار الكاشف لهمجية النظام السعودي:

س) ماهي الظروف التي ادت لاعتقالك ضمن احداث الحرم؟

(محمد): الواقع اني كنت اعمل كمدير لمدرسة اهلية في تهامة بالعربية السعودية. اسمها مدرسة هبر. وهو مدرسة خاصة بتحفيظ القرآن والعلوم الدينية، وكان ممول هذه المدرسة شخص سعودي يدعى مشيب الشهراوي، وهو من الذين بايعوا محمد بن عبد الله القحطاني الرجل الثاني في حركة جهيمان العتيبي الذي قاد عملية المسجد الحرام، وفي موعد الحج.. وبالتحديد يوم ٥ ذي الحجة ١٣٩٩هـ عام ١٩٧٩م ذهبنا إلى مكة لأداء فريضة الحج، وكان بصحبتي ممول المدرسة الذي دعاني لمقابلة محمد القحطان الذي كان يخطب في ٥٠٠ فرد من مناصريه، وبعد ذلك انتقلت إلى الطائف بصحبة اسرتي لأقيم هناك بعد ان انهيت عملي في المدرسة، وقد حملت احدى سيارات المدرسة امتعتي للطائف.. وما ان وصلنا إلى المكان الذي يفترض ان اقيم فيه، حتى فوجئت برجال الأمن السعوديين يقبضون علينا جميعاً انا وابني الصغير والسائق، حيث تم ايداعنا احد السجون بجدة.

س) هل يعني ذلك انه تم القاء القبض عليك قبل احداث الحرم؟

(محمد): نعم.. لقد اعتقلت يوم ٢٨ ذي الحجة ١٣٩٩هـ، أي قبل احداث الحرم بيومين، حيث جرى على الفور نقلي إلى سجن جدة، وبعد يومين فقط من الاعتقال فوجئنا بتغيير المعاملة.. حيث ساءت معاملتنا إلى اقصى الحدود، ولم نكن نعرف سبب ذلك إلا بعد ٢٥ يوماً من هذا التاريخ، عندما علمنا بأحداث الحرم من أحد المصريين الذي كان قد القي القبض عليهم وجيء بهم إلى سجن جدة.

س) ماهي التهم التي اتهمتك بها السلطات السعودية؟

(محمد): بداية.. لم اشارك في احداث الحرم، وكانت علاقتي بممول المدرسة هي السبب الأساسي في اعتقالي، ورغم عدم الحصول على أي دليل ضدي اثناء تفتيش منزلي.. إلا انهم اصروا على اعتقالي دون ذنب أو جريرة، ولم اكن انا وحدي في هذا الموقف.. بل شاركني المئات من المصريين والعرب من الجنسيات المختلفة.. معظمهم اعتقلوا من الشوارع لمجرد انهم ملتحون أو حامت حولهم الشبهات.

س) كيف جرى التحقيق معك؟.. وهل هناك اشخاص أو جهات معينة قامت بمهمة التحقيق معكم؟

(محمد): بدأ التحقيق معي في سجن العمرة، وهو يقع إلى جوار الحرم. أي نقلت من سجن جدة وأنا معصوب العينين واليدين والرجلين. وبدأ التحقيق معي في جو من الارهاب والتعذيب القاسي الذي اتخذ

اشكالاً وصوراً لم تخطر لي على بال اطلاقاً. وقد كان يحقق معي ضابط برتبة مقدم في الشرطة السعودية. وكان هذا الضابط ذو صفات سيئة جداً، حيث كان يتعمد ان يعتدي بالسب والضرب على المتهم قبل السؤال عن أي شيء، أو توجيه أي اتهام اليه. وبعد ان اجرى التحقيق الأولي ابلغني بأن مدير عام المباحث الفريق أول عبد العزيز بن سعود يطلبني.. وكان عبد العزيز بن سعود قد اصيب في حادث الحرم بطلقة في رجله. لذلك كان شريراً جداً في مواجهة المتهمين. وعندما ادخلوني عليه وجدته يتكلم بشراسة وبصوت عال ويقول: .. (أما الحقائق لاتستجدي.. بل تنتزع انتزاعاً).. ورغم محاولتي افهامه انه ليست لي علاقة بأحداث الحرم، إلا انه أمر بضربي وتعذيبي مستخدمين في ذلك الوسائل الجهنمية.

وعندما رفضت الاقرار بما ارادوا املاءه علي، وضعوني مع مائتي قتيل من ضحايا حادث الحرم في احدى الثلاجات، ودفعوني دفعاً لكتابة اعتراف غير حقيقي بالمرة.. ويبقى ان اذكر انهم كبلوني بالقيود في قدمي داخل زنزانة لاابرحها طيلة ٣٩٦ يوماً.

س) هل تم تقديمكم إلى المحاكمة؟.. ومتى وكيف كانت الاجراءات المتعلقة بها؟

(محمد): أولا ان الاجراءات في السجون السعودية كانت تمر ببطئ شديد جداً. فبعد ٧ أشهر من تاريخ اعتقالنا، جاءت احدى اللجان لتوجه ٤٠ سؤالاً لكل متهم بغرض الاطلاع على افكاره الدينية. وبعد ان اكملنا عاماً في الحبس جاءت لجنة اخرى لتسجل اعترافاتنا على شاشة التلفزيون تحت الضغط والارهاب، وبعد سنتين ونصف جاءت لجنة مشكلة من عدد من (الجلادين) اذكر منهم الشيخ المزروم والشيخ دريج، حيث شكل هؤلاء مايشبه المحكمة.. ومثل (الجلاد) العميد سليمان العدواني الادعاء، وهو الذي مارس اصنافاً مختلفة من التعذيب على المتهمين.. وقد بينت لهيئة المحكمة ان اعترافاتي السابقة غير صحيحة، لأنني اتيت بها تحت ظروف نفسية وجسدية رهيبة. وقد سجلت المحكمة ذلك. الا انني وغيري تعرضنا للضرب والجلد المبرح بعد مغادرة هيئة المحكمة للسجن.

س) اذن كيف صدرت الاحكام في مواجهتكم؟

(محمد): لم تصدر اية احكام من قبل هيئة قانونية مختصة. بل تم اعداد كشف كامل بأسماء المعتقلين، ووضع الامير فهد بن عبد العزيز ولي العهد حينئذ الأحكام بنفسه دون الاستعانة بأية جهة قضائية. وتراوحت الأحكام بين ٥ سنوات إلى ٢٥ عاماً. هذا بالنسبة لمن تم اعتقالهم بشبه اشتراكهم في عملية الحرم، أما من ضبط وهو يحمل السلاح.. ولو لم يستعمله، فقد تم اعدامهم جميعاً.

بعد ذلك تم توزيعنا جميعاً على السجون المختلفة في البلاد.. كأبها والطائف وجدة والمدينة وغيرها.

س) هل سمح لكم بالاتصال بأهلكم للاطمئنان عليكم؟

(محمد): لقد اتخذت السلطات السعودية موقفاً لاانسانياً، فقد رفضوا رفضاً مطلقاً ان نتصل بأحد، حتى اني كنت احاول ان اتصل بزوجتي لأعرف وهي بمفردها، ولاطمئنان بأني مازلت على قيد الحياة.. ولكني لم اتمكن. ورغم اننا اضربنا أكثر من مرة عن الطعام.. الا ان احتجاجاتنا ذهبت سدى. وعندما وجدنا ان كافة طلباتنا مرفوضة استسلمنا للأمر الواقع.

ورغم ان احوالنا الصحية ساءت جداً نتيجة للأحوال المعيشية الصعبة.. إلا ان السلطات لم تسع لعلاجنا، بل كانوا يستخدمون الاطباء الباكستانيين لعلاجنا، الذين لم يكونوا يبدون أي تعاطف تجاهنا. وهم اضافة إلى ذلك قليلي الخبرة وغير مؤهلين. ولم يتوفر لنا العلاج رغم الحالة المرضية الخطيرة لبعض المسجونين نتيجة الأحوال الصحية السيئة.

س) متى اطلق سراحكم.. وكيف تمت عملية ترحيلك من هناك؟

(محمد): بعد عيد الفطر (١٩٨٦/٦/٩م) الماضي بستة أيام، صدر أمر بالافراج عني بعد ٧ سنوات من الاعتقال في سجون المملكة العربية السعودية. وقد استخرجت لي وثيقة سفر للمرور بها إلى القاهرة. وفي القاهرة تم ايداعي بمبنى مباحث أمن الدولة.. حيث جرى استجوابي على مدى يومين ثم اطلق سراحي.

المسجونين والمفقودين

الجدير بالذكر ان مايقارب الخمسين مصرياً مسجونون في البلاد، وان بعضهم اعدم، ووضع في عداد المفقودين.. وهذه هي اسماء المسجونين والمفقودين:

١) مصطفى محمد عبد العال موسى ــ ٢٩ سنة ــ مفقود.
٢) عبد المحسن عبد الحميد ــ مفقود.
٣) صلاح صالح ــ ٣١ سنة ــ مفقود.
٤) عبد الفتاح محمد حسنين ــ ٢٨ سنة ــ مفقود.
٥) احمد عبد الفتاح ناصر ــ ٢٨ سنة ــ مفقود.
٦) نبيل مختار جاد المولى ــ ٣٠ سنة ــ مفقود.
٧) اكرم محمد وجدي ــ طالب بكلية الطب جامعة الزقازيق ــ مفقود.
٨) رأفت جميل مصطفى محمود ــ مفقود.
٩) محمد ابراهيم سلامة ــ مهندس بالاسكندرية ــ مفقود.
١٠) خالد عبد الكريم ــ ٣١ سنة ــ مسجون.
١١) عبد المنعم عبد الحميد بيومي سلطان ــ ٣٢ سنة ــ مسجون.
١٢) محمد سليمان عبد المجيد ــ ٣١سنة ــ مسجون.
١٣) علاء الدين بيومي عثمان ــ طالب بطب الاسكندرية ٢٨ سنة ــ مسجون.
١٤) محمد احمد فتحي عبد الغفار ــ طالب بطب الاسكندرية ٣١ سنة ــ مسجون.
١٥) حمدي السيد حسين ــ ٢٢ سنة ــ مفقود.
١٦) مصطفى ابراهيم احمد ابو شعير ــ طالب بطب الاسكندرية ٢٨ سنة ــ مسجون.
١٧) احمد علي شبلي زيدان ــ تاجر ٣٢ سنة ــ مسجون.
١٨) محمد عامر احمد صقر ــ مهندس زراعي ٣٤ سنة دراسات عليا جامعة القاهرة ــ مسجون.
١٩) طالب طه ابراهيم فرة ــ طالب بتربية طنطا ٢٩ سنة ــ سمجون.

٢٠) محمود قاسم حسين عاشور ــ مهندس ــ مسجون.
٢١) احمد عرفة ــ مهندس زراعي ٣٤ سنة ــ مسجون.
٢٢) حمدي مصطفى ــ ٣١ سنة ــ مسجون.
٢٣) محمد بدير ــ مهندس زراعي بمركز البحوث الزراعية ٤٥ سنة ــ مسجون.
٢٤) عادل اسماعيل الشريف ــ ٢٩ سنة ــ مسجون.
٢٥) عبد الخالق احمد حسن ــ ٣٥ سنة ــ مسجون.
٢٦) عبد الرحمن محمد عبد القادر الطنطاوي ــ ٣٤ سنة ــ مسجون.
٢٧) عبد الله عبد اللطيف احمد رضوان ــ مفقود.
٢٨) محمد عمر الياس ــ مفقود.
٢٩) حسن ابراهيم بيومي ــ مفقود.
٣٠) احمد محمود علي حسين ــ مفقود.
٣١) سمير عبد المجيد محمود فؤاد ــ مفقود.
٣٢) كمال احمد حسن ــ طالب بزراعة عين شمس ــ مفقود.
٣٣) احمد حجاج محمود احمد ــ مفقود.
٣٤) صلاح عبد الفتاح موسى ــ مفقود.
٣٥) حامد احمد ابراهيم ــ مفقود.
٣٦) احمد عبد الله شكري ــ ٣٢ سنة ــ مسجون.
٣٧) محمد حسن محمد صادق ــ مفقود.
٣٨) مؤنس محمد ــ مهندس زراعي ٣٤ سنة ــ مفقود.

الملحق الثامن

المصير المجهول للشباب المصري

في منتصف عام ١٩٨٦م، تكشفت حقائق كثيرة عن مجموعة من المصريين الذين اعتقلوا في السعودية ابان حادثة الحرم.. وهذا مادعا صحيفة (الأحرار) المصرية بتاريخ (١٩٨٦/٧/٧م) ان تنشر تحقيقاً اعده (لطفي عبد اللطيف) تحت عنوان (المصير المجهول للشباب المصري في سجون السعودية) هذا نصه:

فجر حادث الحكم بإعدام عشرة من العمال المصريين بالعراق، والذي خفف إلى الاشغال الشاقة المؤبدة، قضية اوضاع المصريين في البلدان العربية والأجنبية، وفشل الحكومة المصرية ومكاتبنا وسفاراتنا في الخارج في تبني قضايا المصريين العاملين خارج الحدود المصرية.

هذا في الوقت الذي نجد السفارات والمكاتب الدبلوماسية بمصر تتبنى قضية أي مواطن اجنبي، وتتكفل بتكليف محامين للدفاع عنه.. ولو كان في قضية دعارة أو مخدرات!!

وكانت حادثة الحكم بإعدام عشرة من المصريين بالعراق، وتحرك وزير الخارجية المصري وسفره إلى بغداد ثم تخفيف الحكم.. كانت هذه الحادثة بمثابة ناقوس يدق لتنبيه المسؤولين المصريين إلى خطورة اوضاع المصريين في الدول العربية والأجنبية، وفشل سفاراتنا ومكاتبنا الدبلوماسية في تبني قضايا رعاياها..

ولكن هل اخذنا درساً من حادث المصريين بالعراق؟!.. وهل بدأت الخارجية المصرية في إعادة النظر في الملحقين الدبلوماسيين وتوجيه انظنارهم إلى قضايا المصريين بالخارج أم لا؟!

الواقع يقول ان الحال كما هو، وان تجاهل قضايا المصريين في الخارج مستمر.. وسيستمر، مادام استمر حال المسؤولين هكذا!! والدليل على ذلك هذه القضية التي تدور احداثها في دولة عربية اخرى وهي السعودية، منذ أكثر من سبع سنوات، وتتعلق بمصير اكثر من ثلاثين مصرياً تم ايداعهم داخل السجون السعودية بلا تهمة ولاجريمة اقترفوها، البعض منهم لاقى حتفه دون ان يعلم اهله شيئاً عنه، والبعض الآخر مازال في السجون.. وللأسف.. الخارجية المصرية لاتعرف شيئاً عن هؤلاء..

والقضية في ذاتها تضم نخبة من طلاب مصر، منهم طالب الطب، وطالب الهندسة، والتجارة..

وتبدأ احداث هذه القضية عندما سافرت مجموعة من طلاب الجامعات المصرية لأداء العمرة في أواخر شهر رمضان ١٩٧٩م، وكانت المجموعة تضم اكثر من ١٥٠ طالباً من مختلف الجامعات المصرية.. وبعد انتهاء العمرة تخلف اكثر من ثلاثين طالباً منهم لأداء فريضة الحج..

وبدأ الطلاب المتخلفون يعملون في أعمال مختلفة حتى يتيسر لهم اداء فريضة الحج فمنهم من عمل في مكتب مراقبة الصحة بأمانة مكة المكرمة، ومنهم من وجد له عملاً في المحلات التجارية القريبة من الحرم حتى يستطيع اداء كافة فرائض الصلاة في الحرم..

في ليلة رأس السنة الهجرية ١٤٠٠ (سنة ١٩٧٩م) وقع حادث الحرم، والذي تزعمه جهيمان العتيبي، وقامت السلطات السعودية بعملية القبض العشوائي على كل من بداخل الحرم، وكذلك على بعض الأجانب الذين يعملون بجوار الحرم، وكان من بين المقبوض عليهم معظم الطلاب المتخلفين من رحلة العمرة.

وبلغ عدد المصريين المقبوض عليهم في أحداث الحرم اكثر من خمسين مصرياً، افرج عن البعض منهم.. وبقي في السجون اكثر من ثلاثين مصرياً، اغلبهم من الطلاب المصريين.

وبعد احداث الحرم بثلاثة اعوام.. شكلت محكمة سريعة لمحاكمة المصريين المقبوض عليهم، وكانت المحكمة بقيادة ثلاثة من الشيوخ السعوديين، منهم الشيخ غيهب والشيخ سليمان العمر، ولم تكلف الخارجية المصرية نفسها بمتابعة هذه المحاكمات أو متابعة اجراءات المحكمة والأحكام التي ستصدر.

واصدرت المحكمة حكمها بتاريخ (شعبان ١٤٠٣هـ).. أي بعد الحادث بثلاث سنوات بالحكم على العديد من المصريين من المقبوض عليهم في أحداث الحرم منهم:

* احمد شبل زيدان وحكم عليه بثماني سنوات.
* سيد عباس عبد الرسول حكم عليه بسبع سنوات ونصف وهو طالب بهندسة شبرا.

* محمود قاسم حسين عاشور، سبع سنوات ونصف وخفف إلى أربع سنوات ونصف، وهو يعمل مهندساً ووالد زوجته الدكتور عبد المنعم خزبك عضو مجلس الشعب.

* خالد طه قرة حكم عليه بعشرة سنوات وهو طالب بكلية التربية، طنطا.

مجموعة اخرى لم تحاكم.

اما المجموعة الأخرى المقبوض عليها في نفس الاحداث ولم تحاكم لعدم وجود أي ادلة لادانتهم، فقد صدرت عليهم احكام ادانة دون أي محاكمة، وذلك عقب الأحداث بشهرين.

والغريب ان هؤلاء المقبوض عليهم.. سواء الذين حوكموا وصدرت عليهم احكام، أو من صدرت عليهم الاحكام دون محاكمة، أو الذين لح يحاكموا ولم تصدر عليهم احكام ولكنهم باقون في السجون، ان هؤلاء جميعاً لايعلمون شيئاً عن هذه الأحكام، على الرغم من قيامهم بعدة محاولات لمعرفة اوضاعهم داخل السجون السعودية، فقاموا بعدة اضرابات عن الطعام بلغ من شدتها ان ارسل احدهم إلى المستشفى التخصصي في الرياض ووضع تحت العناية المركزة، واجريت لآخر (محمد فتحي) عملية جراحية نتيجة الاضراب.

وعندما علم اهل المقبوض عليهم بمصر، قاموا بعدة محاولات منها الاتصال بالسفارة السعودية ومحاولة الاستفسار عن وضع ابنائهم، ومنهم من سافر إلى السعودية وطاف معظم سجون المملكة السعودية للبحث عن ابنه أو اخيه،ومن هؤلاء والدة الطالب اكرم احمد وجدي. طالب بطب الزقازيق، والتي سافرت إلى السعودية ثلاث مرات متتالية.. في كل مرة تطوف معظم سجون المملكة بحثاً عن ابنها.

وتقول والدة أكرم: (انني ابلغت بأن ابني قد قتل اثناء اداء الصلاة داخل الحرم اثناء اقتحام المسجد الحرام، ولكنني تلقيت اخطاراً آخر يفيد بأن أكرم في سجن مكة الجديد، وانه لايزال على قيد الحياة.. فسافرت إلى السعودية على الفور وذهبت إلى سجن مكة الجديد ولكن لم يدلني احد على أي شيء)..

اما المصريون الذين ذهبوا إلى القنصلية السعودية بالقاهرة للاستفسار عن ابنائهم المقبوض عليهم في أحداث الحرم، فقد افادت القنصلية اهالي سبعة من المقبوض عليهم بعد محاكمة هؤلاء السبعة وهم:

* اسامة عواد.
* محمد سليمان عبد المجيد.
* خالد عبد الكريم.
* علاء الدين بيومي.
* محمد فتحي عبد الغفار.
* حمدي السيد حسين.
* عبد المنعم عبد الحميد سلطان.

وحتى الآن لايعرف اهالي هؤلاء السبعة الحقيقة، هل ابناؤهم محكوم عليهم.. أم لا!؟

وإذا كانوا لمن تصدر ضدهم احكام.. فلماذا لم يفرج عنهم؟

هذا بالاضافة إلى وجود أكثر من طالب جامعي قبض عليه في احداث الحرم داخل السجون السعودية ولايعرف عنهم شيئاً، منهم:

* اكرم احمد وجدي (طب زقازيق)
* احمد ناصف (تربية طنطا)
* صلاح صالح (هندسة القاهرة)
* عبد الفتاح حسنين ونبيل مختار جاد المولى (زراعة الأزهر)
* رأفت محمد عبد المحسن

ومعظم المصريين المقبوض عليهم في احداث الحرم تم ايداعهم سجن مكة، ويؤكد اهالي المقبوض عليهم انه لم تسمح لهم بزيارة اولادهم واخوانهم وذويهم المقبوض عليهم في احداث الحرم إلا بعد عامين ونصف من اعتقالهم، وتم السماح بزيارة للأم والأب.

وفي أول زيارة قام بها اهالي المقبوض عليهم لذويهم في سجن مكة الجديد.. عرفوا بأنه تم ترحيل مجموعة من الطلاب المقبوض عليهم في الحرم إلى سجن الرياض.

ويؤكد اقارب المقبوض عليهم في احداث الحرم انه عند زيارتهم لابنائهم في سجن مكة كانت تبدو على ابنائهم آثار التعذيب في ايديهم وعلى أرجلهم، وكانت الزيارة لاتتعدى ربع ساعة، وكانت حالتهم سيئة للغاية.

الملحق التاسع

جهاز القمع بعد الانتفاضة

في كتابه الحديث "العربية السعودية: البحث الدائم عن الأمن"[1]، يطرح نداف سفران ثلاثة عوامل رئيسية للطفرة الكمية والكيفية في تطوير النظام السعودي لأجهزة القمع الداخلي بعد عام ١٩٧٩م، أو مايطلق عليه حالياً "أجهزة الأمن الخاصة". هذا "التطوير" الذي تمثل في المزيد من الاعتماد على اجهزة الاستخبارات الأمريكية والأوروبية، وخاصة البريطانية والألمانية الغربية، بدأ في اعقاب اكتشاف مدى تهلهل وعجز قوات الحرس الوطني والجيش السعودي امام ثلاثة احداث هامة:

أـ انتصار قوى الثورة في ايران على قوى العمالة والقمع المتمثلة في نظام الشاه وجهازه المشهور (السافاك)، والذي كان يشكل امتداداً رئيسياً لجهاز المخابرات الأمريكي واجهزة المخابرات الأوروبية داخل منطقة الشرق العربي والدول الاسلامية. وكان من اثر سقوط الشاه ان بدأت العائلة المالكة في السعودية ومن يعيش في ظل نعمها يتحسسون رؤوسهم، ويرفعون من درجة استعداداتهم القمعية استعداداً للطوارئ.

ب ـ وفي نفس العام الذي تفجرت فيه الثورة الايرانية، جاءت انتفاضة الحرم (٢٠ نوفمبر، تشرين الثانية ١٩٧٩م) لتضيف دليلاً جديداً على حالة الاستياء والتفجر التي تعيشها الجزيرة العربية، وعلى عجز

---

[1] NADAV SAFRAN, SAUDI ARABIA: The Cealeless Quesr For Security The Bebknap Press of Haward University Press, 1985.

أجهزة آل سعود عن الوقوف أمامها، مما دفع بالنظام إلى الاستعانة مباشرة بالقوات الفرنسية الخاصة، ودفع بأجهزة الأمن العسكري الأمريكي إلى اعلان حالة التأهب.

ج ــ ثم تأتي الانتفاضة الجماهيرية في المناطق الشرقية من العربية السعودية، وهي منطقة آبار النفط والقواعد العسكرية الأمريكية، لتدفع بحالة الرعب التي بدأ النظام يعيشها إلى اقصاها، ولتقنع هذا النظام بأن "المحترفين" الأمريكيين والأوروبيين، الذين لايطلبون مقابل خدماتهم سوى الأموال الطائلة والسيطرة السياسية دون ان يعني ذلك سحب البساط من تحت اقدام العائلة، هم الأفضل للحفاظ على وجودها وامنها سوى من حيث الاشراف أو من حيث تدريب العناصر المحلية وتجهيزها.

ضمن هذه العوامل الثلاثة، ومضاعفاتها، يطرح نداف سفران، ومن خلال تقارير ووثائق وفرتها له اجهزة الاستخبارات الأمريكية والأوروبية، رؤيته لواقع اجهزة القمع السعودية "الخاصة" الجديدة في اعقاب هذه الأحداث. والأهداف التي خلق هذه الواقع القمعي الجديد لتحقيقها، فيقول: "جاء المنعطف الرئيسي الأول في سياسة العائلة السعودية المالكة في الأشهر الأولى التي شهدت، عام ١٩٧٩م، الانهيار شبه المتزامن لنظام حكم شاه ايران مع التوقيع على المعاهدة المصرية الاسرائيلية (يقصد معاهدة كامب ديفيد التي وقعها السادات مع اسرائيل تحت اشراف امريكا ــ الكاتب)، ومع اندلاع الحرب بين شطري اليمن حيث دفعت هذه الأحداث الثلاثة إلى حوار خطير وحاسم حول السياسة التي يجب تبنيها، جرى بين القادة السعوديين وانتهى بهزيمة فهد ومغادرته المملكة إلى حيث فرض على نفسه نفياً طوعياً. وكادت هذه الواقعة ان تصل بالعائلة المالكة إلى حالة الانقسام التي ضربتها خلال حكم الملك سعود.."[١].

"ومن التطورات الهامة الأخرى ضمن العائلة المالكة وصول ابناء ابن سعود واحفاده الصغار إلى سن الرشد، وتمدد العائلة المالكة بصورة عامة. مع انتهاء حكم خالد، اتفقت التقديرات المختلفة على ان عدد افراد العائلة المالكة الذكور من آل سعود يتراوح بين ٣٠٠٠ و٥٠٠٠ شخص. وفي حين يسيطر الاعضاء الأكبر سناً على الحكومة المركزية والحكومات الاقليمية، فإن الاعضاء الصغار في تلك العائلة يهيمنون على المراتب العليا في جهاز الخدمة المدنية والقوات المسلحة، اضافة إلى الوكالات والمؤسسات شبه الحكومية، ومؤسسات الأعمال المالية والتجارية الخاصة الكبرى في البلاد..."[٢].

"... وعلى وجه الاجمال، فإن خطوات التنمية المتسارعة خلال فترة حكم خالد، وصفت المجتمع السعودي بأكمله في حالة حركة دائمة، واطلقت قوى فاعلة تعمل على تحقيق تغييرات اخرى لم يكن النظام قادراً على ادراك مضمونها وابعادها، ناهيك عن السيطرة عليها أو التحكم فيها. كما ان النمو المبهر في سرعته لعدد من التجمعات المدنية ادى إلى انقسام حاد بين اساليب الحياة المدنية والأساليب الريفية والقبلية، اضافة إلى الانقسام والتباين الحاد في التنظيم الاجتماعي، والقيم، ومستويات المعيشة. ضمن القطاع المدني نفسه، ادى الصدع المتعاظم إلى ظهور طبقات جديدة متباينة برزت من بقايا التجمعات المدنية التقليدية ومن المهاجرين الريفيين الجدد، ومن طبقات جديدة تختلف عن هذين النوعين، برزت من بين جمعوع العمال

---

[1] ــ ص٢١٨ــ٢١٩.

[2] ــ ص٢١٩.

الأجانب. وهكذا فإن التوتر والتأزم الذي رافق هذه التغيرات قد تفجر في نوفمبر (تشرين الثاني) من عام ١٩٧٩م على صورة استيلاء الاصوليين الاسلاميين على الحرم الشريف في مكة، حيث ضمت صفوفهم طلاب العلوم الدينية، والعمال الأجانب، ورجال قبيلة العتيبة، وحتى المستائين الغاضبين من احتياطي الحرس الوطني[١] بعد اخماد العصيان المسلح بقوة السلاح، رد النظام كعادته، بالقيام ببعض الاجراءات الهادفة إلى مهادنة وتهدئة مخاوف المتمردين الكامنة وراء العصيان، وإلى صقل صورة النظام باعتباره نظاماً يسعى إلى تأكيد القيم التقليدية والحفاظ عليها، كما قام بإجراءات اخرى تهدف إلى طمأنة الطبقات (الاجتماعية) الجديدة التي ترتبط مصالحها باستمرار التطور والتغيير[٢].

وتضم الطبقات الجديدة في السعودية طبقة البروليتاريا الصناعيين، وطبقة البورجوازية التجارية ومايسمى بالطبقة الوسطى الجديدة. أول هذه الطبقات رغم صغرها النسبي، تتركز في صناعة النفط الحساسة، ولها تاريخ من النشاط والحركة يعود إلى الخمسينات[٣]. اما الطبقة الثانية فهي مؤلفة من العائلات الحجازية التي تعمل في التجارة منذ القدم، ومن القادمين الجدد الذين اثروا وازدهروا نتيجة مشاريع التنمية العديدة. ولأن هذه الطبقة تعيش، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، على نفقات (انفاق) الحكومة بدلاً من ان تكون هي نفسها مصدراً اساسياً من العائدات لخزينة الحكومة عن طريق دفع الضرائب، فإنها ماتزال تفتقر إلى الدافع الذي دفع بالبورجوازيات الغربية إلى العمل على المشاركة في السيطرة على القوى والسلطة السياسية. إلا ان تلك الطبقة، ما ان تتعود على ثرواتها الجديدة الهائلة، حتى تبدأ هي الأخرى بالضغط ليكون لها دورها وصوتها في ادارة الحكم. وحتى يحين ذلك الوقت، فإن "تواطؤها" مع افراد العائلة المالكة هائلي العدد في تجميع الثروات بوسائل مشروعة وغير مشروعة، وكذلك استهلاكها الباذخ والمنافي للذوق السليم قد شكلا مصدر تحريض واستياء متزايد لعناصر المجتمع التقليدية والعناصر الجديدة الأخرى..

"ربما كان بروز مايسمى بالطبقة الوسطى الجديدة هو اهم نتيجة سياسية لحركة التحديث بالغة السرعة في المملكة. تتألف هذه الطبقة من مدرسي المواد الحديثة (تمييزاً لها عن مدرسي الدين التقليديين) ومن موظفي الحكومة من النسق المتوسط والأعلى، ومن الضباط العسكريين، واصحاب المهن الحرة. الصفة العامة المميزة لهذه المجموعات هي انها مدينة بمركزها ودخلها لثقافتها الحديثة، فهي ثقافة لاتشكل وسيلة

---

[1] ــ ص٢٢٥: يريد هنا اليهودي ــ الأمريكي نداف سفران ان يقنع القارئ بأن عجلة التغيير والتطور، والطبقات المستفيدة منها كانت ضحية تآمر القوى "التقليدية" المتمثلة بالاصوليين الاسلاميين. كنا نود ان نطرح آراء هذا الباحث دون تعليق، خاصة حول ماقاله عن الاجراءات التي يقام بها النظام السعودي لتهدئة خواطر "التقليديين" لولا ان الصورة التي يقدمها، مجردة من الوقائع الحقيقية، تأتي هنا منافية للواقع، اللهم الا إذا اراد نداف ان يقول ان التغيير والتطور الذي يعنيه هو سرقة ثروة الشعب وتوزيعها على أفراد العائلة المالكة وحواشيها، وفتح بيوت العائلات المسلمة لنوع جديد من "السبايا" و"البغايا" على صورة الخادمات، واغراق البلاد بسيل من "الثقافة الأمريكية" تمثلت بأجهزة الفيديو وأفلام الدعارة وانشاء وباء المخدرات وبناء القواعد العسكرية الأمريكية وتجهيزها بالعناصر والمعدات على حساب الشعب لضرب الأمة الاسلامية. اذا كان هذا هو التغيير المعني، فاستنتاج نداف صحيح، اما اذا كان التغيير يعني وضع مقادير البلاد واقتصادها وثرواتها وقيمها بين ايدي شعبها، فهذا مالم يحصل ابداً، وهو ماقامت الانتفاضة الاسلامية لتطالب به. ــ المؤلف.

[2] ــ نفس المصدر السابق.

[3] ــ اشارة إلى الاضراب الذي قام به عمال أرامكو مطالبين بتحسين اوضاعهم ومساواتهم بالعمال والموظفين الأمريكيين. وقد ضرب النظام هذا الاضراب بيد من حديد وقتل وسجن وطرد قادته من البلاد، متهماً اياهم بأنهم شيوعيون أو قوميون سوريون.

عيش هذه المجموعات فحسب، ولكنها العامل الحاسم ايضاً في وعيها والقوة الدامغة في سلوكها. وقد ثبت ان طبقة وسطى يجري خلقها في العالم الثالث من قبل انظمة تقليدية تبحث عن "تحديث دفاعي" إلا ان هذه الطبقة سرعان ما تميل إلى ان تصبح معزولة عن مكونيها، لأن ضغطها الدائم لخلق تحديث جديد سرعان ما يبدأ باختراق مجال وعالم الحكام المتميز والمقصود عليهم، أو باختراق الدعائم الايديولوجية كسلطة هؤلاء الحكام السياسية. ومع ان هذه الطبقة (في السعودية) تفتقر عموماً إلى الترابط والتلاحم الضروري لتقوم بدور الطبقة الثورية، فإن عزلتها (عن النظام) تقلل من اهمية هذا النظام، وتخلق الجو المناسب لانتفاضات تقوم بها جماعات أخرى، غالباً ما تكون القوة العسكرية (في بلدان العالم الثالث). وان هزيمة عسكرية رمزية او انتكاسة اقتصادية خطيرة غالباً ما تكون الشرارة التي تشعل نار مثل تلك الانتفاضة..

"أما عدد الذين ينتمون إلى هذه الطبقة في المملكة العربية السعودية فقد ازداد أربعة اضعاف خلال عقد من الزمن ــ ٢٢٢٠٠ عام ١٩٧٠م إلى ٨٦٢٠٠ عام ١٩٨٠م، وهي زيادة ترتفع نسبتها من ٢,٥ بالمائة من مجمل القوى العاملة السعودية إلى ٧,٢ بالمائة. في دول الشرق الأوسط الأخرى، وفي دول العالم الثالث عموماً، غالباً ماتقوم هذه الطبقة بدور المنفذ للحركات الانقلابية والتغيير الثوري، أو العميل لها، طبقاً للديناميكيات الموصوفة والمعروفة، وذلك بعد ان تؤمن وسطاً جماهيرياً مقبولاً نسبياً. ورغم ان ثروة العربية السعودية الوفيرة، ورغم حجم عائلتها المالكة الهائل ونشاط هذه العائلة الاجتماعي، ورغم اراضيها الشاسعة غير المترابطة، وما توفره هذه الأراضي من ظروف خاصة، فقد اظهرت دراسة حديثة بأن هذه العوامل ذات أثر مؤزم بقدر ماهي مصدر تخفيف لحدة الأزمات، وهي بالتالي، لاتعفي المملكة من الديناميكيات الأساسية للعلاقات (المذكورة اعلاه) بين النظام الحاكم والطبقة الوسطى الجديد. كما عبر النظام الحاكم نفسه عن وعي وادراك جزئي لهذه الحقيقة، وذلك بتحاشيه لأية مواجهات عسكرية يمكن ان تنتهي بهزيمته[1]، وان تشعل هذه الهزيمة انتفاضة ضد النظام. الا ان علاقة النظام السعودي بالطبقة الوسطى الجديدة يمكن التعبير عنها وايضاحها بأفضل صورة بالأسلوب الذي يتبعه النظام الحاكم في معالجته لموضوع وضع قانون اساسي في البلاد، وهو هدف تاريخي تقليدي من اهداف تلك الطبقة في اندفاعتها نحو الترشيد واقتلاع الجذور القديمة.

منذ أواسط الخمسينات، كان النظام الحاكم، في كل مرة كان يتعرض فيها للمصاعب أو يواجه المشاكل، في الداخل أو في الخارج، يعد باستصداد قانون اساسي يحدد حقوق وواجبات المواطنين، ويؤمن مشاركتهم بالعملية السياسية، وفي كل مرة كانت تتلاشى الأزمة القائمة وكان يلقى بهذا الوعد على الالوف، لالشيء الا ليكرره ويؤكده من جديد حين تنشب أزمة جديدة . حدث هذا التتابع عام ١٩٥٨م نتيجة أول أزمة الصراع بين سعود وفيصل، وحدث عام ١٩٦٠م، في تفجر آخر لذلك الصراع، وحدث عام ١٩٦٢م، حين اندلعت حرب اليمن، وعام ١٩٧٠م، في اعقاب المحاولات الانقلابية التي وقعت عام ١٩٦٩م وماتلاها من حملات "التطهير". وحدث ايضاً عام ١٩٧٥م، بعد اغتيال فيصل، وعام ١٩٧٩م، في اعقاب استيلاء الاصوليين الاسلاميين على الحرم الشريف، وفي عام١٩٨٢م، في اعقاب وفاة الملك خالد. وان حقيقة كون العديد من

[1] ــ ومن هنا جاء رفض السعودية القاطع بأن توصف بأنها "من دول المواجهة مع اسرائيل" ــ الكاتب.

القادة السعوديين قد شعروا بضرورة تقديم هذه الوعود يظهر مدى ادراك هؤلاء لذلك المطلب (الجماهيري) الذي لم يلب والذي لابد من تهدئة ومهادنة المطالبين به، وان حقيقة كون اولئك الذين قدموا الوعود غير راغبين أو غير قادرين على تحقيق وعودهم والوفاء بها انما تفضح وتكشف عن حركة معارضة وليدة داخل مراكز السلطة في النظام تشل قدرته على التكيف السياسي[١] وتحمل في طياتها نذير الشؤم لمستقبل ذلك النظام"[٢].

بعد هذا الاستعراض لعوامل الصراع، ينتقل الكاتب إلى الأحداث التي واجهت النظام والأساليب التي اتبعها في معالجتها. يبدأ أولاً بعلاقة آل سعود بالثورة الايرانية فيقول: ــ

"في منطقة الخليج، جاء التوقيع على معاهدة الجزائر يوم ٦ مارس (آذار) ١٩٧٥م، التي حلت النزاع الطويل بين العراق وايران، يحمل وعداً ببداية مبشرة بالنجاح لحكم خالد. هذه الاتفاقية، التي لمن يمكن التوصل اليها إلا بعد ان قدم العراق تنازلات لإيران، شكلت ايضاً منعطفاً عراقياً باتجاه الاعتدال في علاقاته بجيرانه العرب، ونقلت مركز الثقل الاستراتيجي في منطقة الخليج إلى موقع في صالح السعودية. في السابق كانت السعودية تضطر نتيجة عداء العراق الفعال، إلا الاعتماد على (شاه) ايران طلباً للحماية، رغم ماكان يحمله ذلك من مخاطر زيادة طموحات الشاه في الهيمنة والسيطرة. أما الآن، فقد استطاع آل سعود الايقاع بين ايران والعراق، ونجحوا بذلك في تحييد واحتواء الاخطاء القادمة من كلا الاتجاهين، بل وفي الانطلاق إلى تحقيق طموحاتهم هم لخلق منطقة نفوذ وسيطرة كاملة لهم على دول الخليج الصغيرة، واضافة إلى ذلك، فإن السعوديين صاروا قادرين الآن، بعد ان حيدوا الخطر العراقي (من خلال صراع العراق وايران ــ الكاتب) على استغلال سياستهم النفطية لتحدي مركز ايران (الشاه) باعتبارها البلد المفضل اقليميا لدى ادارتي نيكسون وفورد (امريكا) وعلى تشجيع حكومة كارتر على اتخاذ موقف اكثر برودا تجاه ايران..

"... مع سقوط الشاه وانهيار نظامه، انهارت كل مكاسب آل سعود السابقة، وانقلب مركز الثقل الاستراتيجي في منطقة الخليج رأساً على عقب. وهكذا بدأت مملكة آل سعود تواجه اخطاراً جسيمة قادمة... وما زاد الطين بلة.. ان الولايات المتحدة لم تكتف بالتخلي عن الشاه وتركه يهودي وبل ومغازلة البدائل المحتملة، ولكنها اقترحت، بعد انهيار امبراطورية الشاه نهائياً، ان تربط حمايتها لآل سعود من ايران بدعم آل سعود (المكشوف؟) لمعاهدة الصلح المصرية ــ الاسرائيلية، في تحد صارخ للجبهة العربية التي تشكلت لمقاومة هذه المعاهدة...[٣].

أما عن أسلوب آل سعود في التعامل مع الواقع الجديد في ايران والأحداث التي تبعته، فيقول الكاتب:

"من بين الأحداث التي اثرت على موقف السعوديين الأولي، اعتقال الرهائن الأمريكيين من قبل الايرانيين، واستيلاء الاصوليين الاسلاميين على الحرم الشريف في مكة، والغزو السوفيتي لأفغانستان. وهي الأحداث التي وقعت جميعها في الشهرين الأخيرين من عام ١٩٧٩م. كان من آثار اعتقال الرهائن ان ساعد

---

[1] ــ ماهو التكيف السياسي الذي يطالب به نداف سفران؟

[2] ــ نفس المصدر ص ٢٢٥ ــ ٢٢٧.

[3] ــ نفس المصدر ص٢٣٠ ــ ٢٣١.

على التقريب من وجهات النظر بين السعوديين والأمريكيين تجاه ايران، وشجعت موقف العداء العراقي من نظام طهران. أما حادثة مكة فقد قللت إلى حد كبير من صورة الوضع المستقر التي كان النظام السعودي يريد ويود ان يظهر بها، كما قللت من اهمية اوراق ذلك النظام الاسلامية، ودفعته إلى التعويض عن طريق.. قيادة المعارضة الاسلامية للغزو السوفيتي لأفغانستان! وقد اعتبر التحرك السعودي الأخير هذا عاملاً مساعداً في عزل سورية وقرب آل سعود اكثر فأكثر من أمريكا..".

"... وهكذا... فحين تحولت الحرب في الخليج إلى صالح ايران، وحين كثفت ايران من جهودها المعادية لحكومات دول الخليج، هرع آل سعود إلى امريكا طلباً للحماية العسكرية، وهرعوا في نفس الوقت إلى سوريا طلباً للحماية والدعم الدبلوماسي... [1].

ويتابع نداف حديثه حول هذا الموضوع فيقول: ــ

"دفعت نهاية الشاه المحتومة والمتسارعة بآل سعود إلى التوجه إلى أمريكا، والذعر يملأ قلوبهم، يطلبون منها التأكيدات والضمانات. أما حكومة كارتر والتي كانت هي نفسها تتخبط في حالة من الفوضى تجاه ما يجدي في إيران، وتتمنى لو تستطيع تحاشي مواجهة حقيقة ان اوضاع ايران تمثل خطراً على جيرانها، فقد استجاب لنداء آل سعود بعرض غريب الاطوار، وهو ان يرسل سرباً غير مسلح من طائرات الـ F-15 إلى السعودية ومعه ٣٠٠ عنصر دعم، في زيارة "استعراضية" للمملكة. وكان الرعب قد وصل حدا في قلوب آل سعود إلى درجة وافقوا على استقبال السرب الذي وصل، بعد تأخير، يوم ١٥ يناير ١٩٧٩..."[٢].

ويتابع نداف قائلاً بعد ذلك: ــ

"... وفي فبراير ١٩٧٩م، وقع وزير الداخلية السعودي مع نظيره العراقي اتفاقية للتعاون في مجال الأمن الداخلي، وذلك بهدف زيادة قدرة آل سعود على التعامل مع عواقب الثورة الايرانية"[٣].

وفي معرض تحليله لانتفاضة الحرم، يقول مؤلف الكتاب:ــ

"... وفي ٢٠نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٩م، وهو نفس اليوم الذي انعقد فيه مؤتمر القمة العربية في تونس، سيطر الاصوليون الاسلاميون على الحرم الشريف في مكة في محاولة لاطاحة بالنظامن السعودي كله. وخلال ايام المؤتمر الثلاثة، بقيت تفاصيل الحادثة مجهولة، كما ان التعليقات الرسمية السعودية قللت من اهمية الحادثة واكدت بأن (العصاة المضللين) ستتم تصفيتهم بسرعة. حتى ان الأمير فهد، الذي كان يمثل بلاده في المؤتمر المنعقد في تونس، لم يغادر المؤتمر. إلا ان الشائعات حول الحادثة لم تغب عن ذهن احد من الحاضرين، كما ان المخاوف من اسوأ الاحتمالات وضعت السعوديين وجيرانهم الخليجيين وحلفائهم الآخرين في وضع لم يكن ليسمح لهم باجتلاب متاعب اضافية عن طريق اظهار مقاومة كبيرة لمطالب تقدم بها المشاركون الآخرون في المؤتمر ولم تكن تعجب آل سعود..." [٤].

---

[1] ــ نفس المصدر ص٢٣٤ ــ ٢٣٩.

[2] ــ نفس المصدر ص٢٧٧و٢٧٩.

[3] ــ المصدر السابق.

[4] ــ نفس المصدر ص٣١٦ ــ ٣١٧.

ثم يقول:ـــ

"... والحادثة الثانية (بعد حادثة الرهائن الأمريكيين في طهران.. والتي اثرت بعمق على مركز آل سعود) وقعت يوم ٢٠ نوفمبر ــ تشرين الثاني ١٩٧٩م، حين قام عدة مئات من المتحمسين المسلمين المسلحين بالاستيلاء على الحرم الأكبر في مكة، وهو اقدس مقدسات المسلمين، حيث تحصنوا في بنائه الكبير ونادوا على واحد منهم قائداً للأمة الاسلامية، واذاعوا من مكبرات صوت الحرم هجوماً عنيفاص على العائلة المالكة، واعمالها البشعة، وعلى جو الانهيار الخلقي في البلاد. لم تستطع وحدات الحرس الوطني والجيش ان تخضع المتمردين الا بعد اسبوعين من القتال والخسائر البشرية الكبيرة. في هذه الاثناء وفي يوم ٢٨ نوفمبر على وجه التحديد، قام شيعة القطيف بمحاولة للاحتفال بيوم عاشوراء متحدين الخطر الذي فرضه حاكم المنطقة. وادت محاولة الحرس الوطني لمنعهم من هذا الاحتفال إلى اشعال نار اضطرابات واسعة استمرت أربعة وعشرين ساعة كانت حصيلتها سبعة عشر قتيلاً.

هاتان الحادثتان اظهرتا مدى ضعف وهشاشة النظام، وهزتا ثقته بنفسه. كما قللتا من قيمة المملكة باعتبارها ميزة استراتيجية في نظر الولايات المتحدة بينما كانت هذه الأخيرة تتخلى عن اوهامها السابقة فيما يتعلق بإيران، كما عمقت هاتان الحادثتان ايضاً شكوك الأقطار الخليجية الصغيرة حول قيمة المملكة باعتبارها مصدراً للأمن لهذه الدول..."[1].

بعد هذا الاستعراض للعوامل الداخلية والدولية والعربية للظروف التي سبقت ورافقت حادثة الحرم، وبعد ان يستعرض الكاتب ردود فعل آل سعود الدبلوماسية والسياسية التي عالجت بها الموقف، والتي تتلخص بدفع مصر إلى اقامة تحالف عسكري مع أمريكا يكون آل سعود طرفاً غير مباشر فيه، وبعد محاولة خلق حلف عسكري وأمني بين دول الخليج تكون السعودية لا العراق ولا ايران، صاحبة القرار فيه ضمن الخطة الأمريكية، وبعد وضع الخطط لاستقدام القوى البشرية العسكرية من باكستان والاردن تحسباً من ردود الفعل الشعبية لثورة ايران، يصل نداف إلى موضوع جهاز الأمن الداخلي وتطوراته عامة، وخاصة في اعقاب نجاح الثورة الايرانية وانتفاضة الحرم. من الأرقام التي ترد في الكتاب يتضح ان آل سعود لم يجدوا سوى رصد الأموال الهائلة لتطوير جهاز القمع الداخلي بشرياً وفنياً، طريقاً إلى الاطمئنان إلى استمرار وجودهم في سدة الحكم، خاصة بعد ان اوضحت أمريكا، في اعقاب سقوط شاه ايران، وانتفاضة الحرم، واحداث القطيف، انها قادرة على حماية مصالحها النفطية في المنطقة، ولكنها ليست متأكدة من قدرتها على حماية عائلة مالكة من غضبة جماهيرية كالتي حدثت في ايران، خاصة وان آل سعود وجدوا حرجاً بالغاً في قبول طلب أمريكا بإنشاء قواعد عسكرية أمريكية جديدة فوق الأراضي السعودية، في نفس الوقت الذي نجحت فيه أمريكا في ارغام السادات على عقد صلح مع اسرائيل. لهذه الأسباب كلها، كان لابد حسبما يورده نداف من معلومات وأرقام خيالية، من انشاء "جهاز أمن خاص" يأمل آل سعود في ان ينجح حيث فشلت وحدات الجيش والحرس الوطني. في هذا المجال يقول الكاتب:ـــ

---

[1] ــ نفس المصدر ص٣٥٧ ــ ٣٥٨.

"واصلت مخصصات الدفاع والأمن ارتفاعها بنسب هائلة جداً. فخلال السنوات الست التي يتناولها هذا الكتاب، قفزت هذه المخصصات من ٣٦ بليون ريال سعودي إلى ٨٥ بليون ريال، وهي زيادة بلغت نسبتها ١٣٣ بالمائة. وزادت المخصصات، بدءاً من العام المالي ١٩٧٣ ــ١٩٧٤م وانتهاءاً بالعام ١٩٨٠ ــ ١٩٨١م من٧,٦ بليون ريال إلى ٨٤,٨ بليون ريال، وهي زيادة بلغت احد عشر ضعفاً خلال ثماني سنوات...".

"... خلال نفس الفترة، زادت مخصصات قطاعات الخدمات المدنية والتنمية بنسبة متواضعة جداً. فمخصصات وزارة الصحة، مثلاً، ازدادت من ٣,٢ بليون ريال عام ١٩٧٥ ــ١٩٧٦م إلى ٥,٧ بليون ريال عام ١٩٨٠ ــ ١٩٨١م..." [1].

"هذه الأرقام المتباينة تكشف عن قدر عال جداً من القلق المتواصل حول الدفاع والأمن بين حكام المملكة، وعن ميل متواصل لتخفيف حدة هذا القلق عن طريق تخصيص الأموال الطائلة للدفاع والأمن، ثم وضع الخطط لانفاق هذه الأموال بعد ذلك..."!!

"مع الانتهاء من وضع ميزانية العام المالي ١٩٧٩ ــ ١٩٨٠م، كانت المرحلة (الهادئة الآمنة) قد وصلت إلى نهايتها مع بروز الأزمات المركبة المتعددة التي تمثلت في سقوط الشاه، ومعاهدة الصلح المصرية ــ الاسرائيلية، والحرب بين شطري اليمن. وتنعكس هذه النهاية لمرحلة الهدوء في الزيادة الكبيرة في معدلات مخصصات الدفاع والأمن عموماً في ذلك العام والعام الذي تلاه... حيث وصلت هذه المخصصات إلى ٩٣,٨ بليون ريال سعودي"..

"... وتعكس ميزانية عام ١٩٨٠ ــ١٩٨١م انتفاضة الحرم والاضطرابات الشيعية التي وقعت في أواخر عام ١٩٧٩م، بشكل واضح، حيث نجد زيادة كبيرة جداً، وصلت إلى ٨٠ بالمائة في مخصصات "نفقات الطوارئ" والتي تعد جهازاً دقيقاً لقياس حرارة الشعور الأمني عند آل سعود. كما انعكست هذه الأحداث في مخصصات وزارة الداخلية، والتي ارتفعت ذلك العام بنسبة ٢٦,٥ بالمائة. ضمن وزارة الداخلية نفسها، تتلقى قوات "الأمن الخاصة" زيادة استثنائية تصل نسبتها إلى ١٣٤ بالمائة زيادة عن مخصصات السنة السابقة، فترتفع مخصصات "قوات الأمن الخاصة" من ١٦١ مليون ريال إلى ٣٧٧ مليون ريال.

ويتابع الكاتب استعراضه لانعكاسات احداث الحرم والمنطقة الشرقية فيقول:ــ

"... ومن غير المحتمل على الاطلاق ان يكون الانخفاض الظاهر في بند "الرواتب" (في وزارة الدفاع وجهاز الأمن ــ الكاتب) في ميزانية عام ١٩٧٦ ــ ١٩٧٧م انعكاساً لتخفيض فعلي في رواتب العناصر، حيث يأتي هذا الانخفاض بين زيادتين بلغت كل واحدة منهما ١٠٠ بالمائة. هذا الانخفاض لابد وان يعكس، اذن، انخفاضاً كبيراً جداً في عدد هذه العناصر العسكرية والأمنية. ولأن هذا التخفيض يعكس آثاره بل ويؤثر على كل ادوات وآليات الدفاع والأمن، ولو بدرجات متفاوتة، ولأنه يأتي ضمن اطار من الزيادات الكبيرة في

---

[1] ــ نفس المصدر ٤٢١ ــ ٤٢٢: اوردنا هذا المثل للمقارنة، ولنظهر مدى الانفاق الهائل على آلة القمع التي يعدها آل سعود. ونحن لانقول انها آلة قمع من باب الاتهام: فآل سعود لم يحصلوا على السلاح الأمريكي إلا بعد ان قدموا الضمانات القاطعة لأمريكا بأن هذا السلاح لن يوجه إلى اسرائيل بأي حال من الأحوال، والا بعد ان رفضوا رفضاً قاطعاً اعتبار مملكتهم احدى دول المواجهة مع اسرائيل. يبقى السؤال هنا، اذن، لماذا هذا السلاح؟ وضد من يفترض ان يحمل؟

المخصصات الاجمالية المقررة لهذه الأدوات، فإنه من غير المحتمل ان يعكس التخفيض في عدد العناصر حالة استرخاء في التوتر الأمني. وهكذا يبقى تفسير واحد لهذا التخفيض: الا وهو حركة "تطهير" واسعة شملت جميع اجهزة الدفاع والأمن في البلاد...".

"مثل هذه الفرضية تفسر ايضاً الزيادة اللاحقة في بند الرواتب للعام التالي، والتي بلغت ايضاً ١٠٠ بالمائة. فبموجب هذه الفرضية يمكن النظر إلى هذه الزيادة على انها محاولة لاسترضاء عناصر الأمن بعد هزة "التطهير". المشكلة الوحيدة في هذه الفرضية هي انه لايوجد تأكيد موثق لها من مصادر اخرى. في دراسة نشرها معهد لندن للدراسات الاستراتيجية، يقول احد المراقبين المطلعين ان سبعة عشر ضابطاً وعدداً كبيراً من المدنيين قدموا إلى المحاكمة في شهري أوكتوبر ونوفمبر (تشرين الأول وتشرين الثاني) من عام ١٩٧٧م، بتهمة التآمر لقلب نظام الحكم، ومن ضمن هؤلاء ثلاثة ضباط من سلاح الجو، حوكموا غيابياً بعد الهرب بطائراتهم إلى العراق. واذا افترضنا ان هذه المحاكمات لاتكشف الا عن غيض من فيض، فإن مشكلة التوقيت تبقى بدون حل. بما ان ميزانية عام ١٩٧٦ ــ ١٩٧٧م تم اقرارها في شهر مايو (آيار) من عام ١٩٧٦م على ابعد حد، فلابد ان تكون عمليات "التطهير" قد حدثت قبل ذلك، مما يبقي على فجوة طولها عام ونصف العام على الأقل مابين عمليات التطهير وبين المحاكمات. هذا وضع ليس مستحيل الوقوع، ولكنه ليس مقنعاً تماماً.

كما تظهر الجداول انخفاضاً طفيفاً في بنود الرواتب لقوات الجيش والطيران، وزيادة طفيفة جداً في رواتب الحرس الوطني عام ١٩٧٩ ــ ١٩٨٠م. هنا يمكن ان تكون فرضية "التطهير" اكثر اقناعاً في تلك المرحلة التي عجت بالاحداث والاضطرابات. ولكن ومرة أخرى، لانجد دليلاً يمكن ان يسند اكثر من مجرد تلميح غير مقنع. اما تقرير "التوازن العسكري" الذي يصدره معهد الدراسات الاستراتيجية فيتحدث عن اعداد اجمالية للجيش السعودي، والقوات الجوية وقوات الحرس الوطني، هي اقل بنسبة ٢٢ إلى ٤٣ بالمائة مما ذكره تقرير مماثل في العام السابق، ولكن التقرير لايقدم أي تفسير لهذا الانخفاض".

وأخيراً يخلص مؤلف الكتاب إلى القول بأن "الثورة الايرانية، وفشل محاولات آل سعود لمهادنة ومراضاة الايرانيين الثوريين قد ايقظت المخاوف السعودية القديمة، التي عانت العائلة المالكة في أيام مجد الناصرية وعزها، من احتمال اجتماع الضغوط العسكرية الخارجية[1] وحركات التمرد الداخلية. وهكذا قرر آل سعود عام ١٩٨٠م، وفي اعقاب انتفاضة حرم مكة والأداء الهزيل الذي ابداه الحرس الوطني والجيش عند اخمادها، ــ فرؤا، من بين امور عديدة، انشاء قوة امن خاصة أخرى لمواجهة طوارئ الأمن الداخلي، وقد وضعت هذه القوة تحت امرة وزارة الداخلية للتعامل مع حالات طارئة مشابهة لحادثة الحرم. واضافة إلى ذلك، وخلال زيارة قام بها إلى المملكة وزير الدفاع الأمريكي في بداية عام ١٩٨٢م، اقترح الوزير انشاء قوة اردنية للتدخل السريع، تكون صغيرة ولكن فعالة ومؤثرة، وذلك لمساعدة آل سعود في بعض

[1] ــ رغم كل الوقائع والوثائق، فلا يسعنا الا ان نستغرب غياب اسم اسرائيل تماماً من أي احتمال لصدام عسكري خارجي بين السعودية والدول الأخرى.

الحالات الطارئة، خاصة تلك الحالات التي يكون التدخل الأمريكي المباشر فيها محرجاً لآل سعود أو مصدر اشكال من انواع اخرى. وافق آل سعود على المشروع سراً، ولو انه ليس من المعروف ما اذا كانوا قد وافقوا على تقديم الدعم المادي لاخراجه إلى حيز الوجود...".

"ان التغيرات التي طرأت على الأهداف الاستراتيجية استجابة لعملية التحول في مركز الثقل الاستراتيجي، قد فرضت مراجعة كبرى لمفاهيم عام ١٩٧٤م العملياتية.. حيث ادت اولوية وطبيعة التهديدات القادمة من ايران إلى زيادة هائلة في التركيز والتأكيد على اهمية الدفاع ضد الهجومات الجوية، والعمليات الجوية المعادية، وعمليات التخريب الداخلية (المقصود طبعاً، هو الانتفاضات الجماهيرية المتوقعة ــ الكاتب) وقد انعكست آثار هذه المراجعة الشاملة للأولويات في النمط العام لمشتريات آل سعود من الأسلحة خلال عهد خالد وفي البرامج الدفاعية المحددة التي تبنتها كل قوة من قوات المملكة المختلفة..".

"..وهكذا فقد بلغت قيمة المعدات التي تم التعاقد على شرائها، وتكاليف برامج الخدمة والصيانة والتدريب المرتبطة بها اثكر من ٢٥ بليون دولار. واضافة إلى ذلك، تم التعاقد مع الحكومة الأمريكية وحدها على انشاء ماتزيد تكاليفه على ١٧ بليون دولار من المنشآت العسكرية[١].

"كما ان السرعة التي تعاقد بها آل سعود على شراء هذه المعدات كجزء من برامج اكثر شمولاً، انما توحي بوجود شعور بين القادة السعوديين بأن الأمن (أمن النظام) يزداد ويقوى بمجرد تجميع وجلب المعدات العسكرية. وان حقيقة ان كل الصفقات العسكرية تقريباً قد تمت بحلول اوائل عام ١٩٧٨م تعكس مدى توثق العلاقات وقوتها بين آل سعود وأمريكا خلال تلك السنوات، كما ان الحقيقة التي لاتقل أهمية عن الأولى، والقائلة بأن علاقات آل سعود بالأطراف العربية الرئيسية في ذلك الوقت كانت من القوة بحيث لم يشعر آل سعود بأي خوف من اقامة العلاقات الوثيقة علنا مع الولايات المتحدة...".

ثم ينسى نداف سفران، عن غير قصد طبعاً، ضرب اسرائيل للمفاعل النووي العراقي اثناء تحليق طائرات الأواكس في الأجواء السعودية، ويتحدث عن نقائص الترسانة الحربية السعودية، رغم ماصب فيها من أموال، في مجالات أكثر اهمية، من وجهة نظره طبعاً: ــ

"برر المخططون العسكريون، الأمريكيون والسعوديون، الحاجة إلى طائرات الأواكس بالرجوع إلى الخصائص الجغرافية والطوبوغرافية التي تؤثر على الدفاع عن المنشآت النفطية السعودية. فهذه المنشآت جميعها تقع على بعد أربعين ميلاً عن الساحل، وبعضها قائم على الساحل أو في داخل البحر ــ في مناطق وتضاريس لاترتفع عن مستوى سطح البحر. ونتيجة لذلك، فإن أي محطة رادار ارضية لايمكن ان تقدم تغطية لأكثر من ثلاثين إلى خمسين ميلاً ضد الطائرات المحلقة على علو منخفض، أو مايعادل فترة دقيقتين إلى أربع دقائق من الانذار المبكر. أما الطائرات المقاتلة فلا تستطيع، ولا حتى نظرياً، ان تنطلق وتصل إلى مسرح الأحداث رداً على مثل هذا الانذار، إلا بعد ان تكون الطائرات المهاجمة قد بدأت بالخروج منه بعد ان تكون قد ضربت الأهداف المحددة لها. وتحجج البعض بأن طائرات الأواكس ستزيد من فترة الانذار إلى سبع

---

[1] ــ نفس المرجع ص٤٣٣.

دقائق على الأقل، مما سيسمح لطائرات الأواكس بأن توجه طائرات F-15 بحيث تقوم بحركة تماس واحدة على الأقل مع الطائرات المهاجمة قبل ان تقصف هذه الأخيرة هدفها، وان توجه الرادارات السعودية الملحقة ببطاريات صواريخ هوك وتسمح لهذه بالاشتباك المؤثر والفعال (مع الطائرات المهاجمة)، وتسمح ايضاً بتنسيق بعض عمليات الدعم من طائرات الـــ F-15 السعودية..".

"... ومع ذلك، حصلت عدة مناسبات خضعت فيها قوات الدفاع السعودية لامتحانات فرضها عليها آخرون، ولم تكن النتائج مطمئنة ابداً. اهم هذه الأحداث كانت انتفاضة الحرم ودور الحرس الوطني والجيش في اخمادها. لابد من الاعتراف بأن تلك الانتفاضة كانت خارقة لكل مألوف، وكانت تتطلب عمليات قتالية في منطقة مأهولة بالسكان، كما ان قدسية الحرم فرضت قيوداً على نوع الأسلحة والتكتيكات التي يمكن استخدامها. ومع ذلك فإن غربلة دقيقة لآلاف التقارير حول الحادثة تظهر مدى الاضطراب والفوضى المفرطة على اعلى مستويات القيادة، وانعدام التنسيق بين الحرس الوطني وتشكيلات الجيش، ومدى غباء القرارات التكتيكية، والتنفيذ غير الكفء وانهيار المعنويات وانعدام الانضباط بين الجنود، خاصة بين صفوف الحرس الوطني، حيث افادت التقارير بأن قادة التشكيلات الآلية المحدثة جوبهوا بالعصيان حين اصدروا أوامرهم إلى القوات التي لم تكن قد "حُدثت" بعد. انعكس كل هذا في حقيقة كون العمليات العسكرية استمرت مدة اسبوعين كاملين، وان قوات الأمن السعودي تكبدت خسائر بلغت ٥٧٨ فرداً، منهم ١٢٧ من القتلى، بينما لم يتجاوز عدد قوة الأمن المهاجمة الـــ ٣٠٠٠ شخصاً. وبهذا تكون خسائر النظام السعودي اكثر من ضعف خسائر المتمردين الذي خسروا، طبقاً للمصادر السعودية الرسمية، ٢٧٢ شخصاً بين قتيل وأسير...".

"ولقد اعترف السعوديون انفسهم ضمنا بالأداء السيء اجمالاً للجيش والحرس الوطني حين قرروا فيما بعد انشاء قوة أمن خاصة تحت اشراف وزارة الداخلية، وحين استبدلوا رئيس اركان الجيش، وقائد القوات البرية، وقائد القوات الجوية، ومدير العمليات العسكرية وقائد قوات الحدود، ومدير الأمن العام في وزارة الداخلية. كما ان حاكم مكة الامير فواز بن عبد العزيز، استقال ايضاً، متذرعاً (بأسباب صحية)".

".. ومن المعروف ان حادثتين آخريين وقعتا ايضاً، لتكشفا (عن مدى القصور في اداء قوات الدفاع والأمن السعودية). القوات الجوية السعودية المتمركزة في الظهران تستخدم في خططها للطوارئ مايعرف محلياً "بخط فهد" نسبة لمدير العمليات الجوية، العقيد فهد ابن عبد الله آل سعود. هذا الخط يمتد من عبادان، عند النهاية الشمالية للخليج، عبر منتصف الممر المائي إلى مضيق هرمز في نهاية الخليج الجنوبية. والطائرات المجهولة الهوية التي تعبر ذلك الخط تعتبر طائرات معادية ويفترض ان يتم اعتراضها من قبل المقاتلات السعودية المستعدة للاشتباك القتالي. اما طائرات الأواكس التي يقودها ويشرف عليها الأمريكيون وكذلك محطات الرادار الأرضية التي تغطي فجوات الأواكس فإنه يفترض بها ظاهرياً ان تقوم بالتحدي والتتبع وتعطي التعليمات لتحرك الطائرات المعترضة التي يقودها السعوديون، والتي ترتبط بطائرات الأواكس بواسطة اتصالات صوتية. ومع ذلك، فإن طاقماً هارباً لطائرة فانتوم F-4 ايرانية استطاع التحليق فوق الخليج وقيادة طائرته ــ التي تستطيع حمل ٩,٧٥ طن من القنابل فوق مصب النفط الحيوي في رأس تنورة... وقد دخلت طائرات F-5 السعودية مرحلة الاقلاع للقاء الطائرة، ولكن بعد ان كانت هذه الأخيرة

توشك على الهبوط... وفي نفس العام قام طاقم طائرة ايرانية هارب آخر يقود طائرة نقل من طراز بوينغ ٧٠٧ قادرة على نقل ٤٣ طناً من البضائع أو ١٨٠ راكباً، بعبور الخليج واجتياز العربية السعودية من شرقها إلى غربها ثم الهبوط في القاهرة دون ان تستطيع طائرات الأواكس المحلقة الا بعد ان كانت الطائرة تهبط في مطار القاهرة. ولم يقدم أي تفسير لهذه الواقعة هذه المرة..".

وفي معرض حديثه عن تطوير كل قوة من القوات التابعة لآل سعود، يقول نداف سفران:

".. فيما يتعلق ببرامج (تطوير) الحرس الوطني، واصلت هذه البرامج اتباع ايقاعها الخاص بها، والمتعلق بسياسة العائلة المالكة واوضاع الأمن الداخلي، اضافة إلى التغيرات الحاصلة في الوسط الاستراتيجي الخارجي. وعلى أي حال، فإن هذا الحرس لم يشعر بأية حاجة أو ضرورة للاستجابة للأحداث الخطيرة التي وقعت عام ١٩٧٩م و١٩٨٠م، سواء في الوسط الاستراتيجي الخارجي ام في الداخل، لأنه ــ الحرس ــ كان قد تبنى خطة وبرنامجاً للتوسع والتطوير قبل وقوع تلك الأحداث... وفي عام ١٩٧٩م (يوليو ــ تموز)،... عقد الحرس الوطني اتفاقاً للتسليح والتدريب مع الولايات المتحدة بلغت قيمته ١,٢ بليون دولار أمريكي.

"وقد اثرت احداث عامي ١٩٧٩و١٩٨٠م، خاصة حادثة الاستيلاء على حرم مكة، على تطوير أدوات الأمن الداخلي العاملة تحت اشراف وزارة الداخلية، والتي كانت حتى ذلك التاريخ تتبع خططها الخاصة بها فحسب. فمع اقتراب نهاية عام ١٩٧٥، مثلاً، كانت ادارة المخابرات العامة قد وقعت على عقد مع شركة كمبيوتر متفرعة عن شركة بريتش بتروليوم النفطية (British Petroliuom) تعرف بإسم "أنظمة التحكم العلمي" (Scicon)، بلغت قيمته ٢٤ مليون جنيه استرليني، وذلك لاقامة شبكة على امتداد البلاد من اجهزة الاستخبارات العاملة بالكمبيوتر. وكان المشروع يقضي بإنشاء مركزين توأمين للكمبيوتر في الرياض وجدة، بحيث يرتبطان بشبكة راديو موزعة على ٢٧ مكتب فرعي لادارة الاستخبارات العامة في المطارات ونقاط الحدود والمراكز الصناعية والمدن الرئيسية. تدخل هذه الفروع معلوماتها الاستخبارية إلى نظام الكمبيوتر، وهي تقارير المعلومات القادمة من شبكة من المخبرين والعملاء. مما يمكن من الحصول على ملف فوري حول أي شخص معين. كان الهدف من هذا النظام رصد تحركات العمال الأجانب، والزوار الأجانب، وفوق هذا وذاك، الأعداد الكبيرة من الحجاج الذي يأتون سنوياً لزيارة الأماكن المقدسة، والتحقق من انتماءاتهم بموجب قائمة رصد وتحر. واعتبر تاريخ ١٩٨١ تاريخاً محدداً لاتمام المشروع...".

"إلا ان فشل جهاز الاستخبارات في تحدي انتفاضة مكة استتبع اسراعاً في تنفيذ المشروع. والأهم من ذلك فإن الاداء المريب للحرس الوطني والجيش في اخماد هذه الانتفاضة قد ادى أيضاً إلى اتخاذ قرار جديد بإنشاء وحدة خاصة جديدة، قوامها ١٢٠٠ رجل، لمقاومة الارهاب، وتكون مجهزة بطائرات الهليوكوبتر وخاضعة لإشراف وزارة الداخلية. وقد سعى آل سعود للحصول على معاونة ودعم فرنسا لتحقيق هذا المشروع، وادى ذلك إلى انشاء هيئة امن مشتركة وإلى التوقيع على اتفاقية في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) من عام ١٩٨٠م تقوم فرنسا بموجبها بتدريب وتجهيز تلك القوة الجديدة. وفي يوليو (تموز) من عام ١٩٨١م

اعلن عن خطط لإقامة "مدينة تدريب أمني" كاملة، على نمط المدن العسكرية المقامة خصيصاً للقوات المسلحة والحرس الوطني...".

".. ورغم ان البرامج قد صممت آخذة بعين الاعتبار ندرة القوى البشرية السعودية، وهو الأمر الذي ادى إلى فشل العديد من الخطط الدفاعية السابقة، فإن السعوديين واجهوا مشاكل وصعوبات رغم ذلك، في تلبية الحد الأدنى من المتطلبات المخططة. فتح باب الخدمة العسكرية للحجازيين والعناصر الأخرى التي كانت مستبعدة جزئياً في الماضي، مما وسع نطاق القوى البشرية، إلا ان جاذبية الفرص المتاحة في القطاع المدني المزدهر، والكراهية المتوارثة للإنضباط والعمل المنتظم، حسبما تقتضيه الاعراف العسكرية ادى إلى ابتعاد الرجال السعوديين عن قطاع القوات المسلحة. حاول سلطان بن عبد العزيز، وزير الدفاع، ان يتغلب على هذه المشكلة بأن دعا في مارس (آذار) عام ١٩٧٩م إلى فرض الخدمة الالزامية بعد سقوط نظام الشاه، وكرر ذلك بالحاح مرة ثانية عام ١٩٨٠م بعد الغزو السوفيتي لأفغانستان، الا ان عبد الله بن عبد العزيز قاومه بنجاح، لأنه ــ عبد الله ــ كان يسعى إلى حماية الطبيعة القبلية لقواته، أي قوات الحرس الوطني، وكان يخشى اختراق العناصر المستاءة من النظام للقوات المسلحة..".

"من ناحية ثانية، اعترض سلطان على الحل البديل الذي اقترحه بعض اشقائه، والقاضي باستئجار خدمات القوات المسلحة الباكستانية ضمن اطار اتفاق شامل على التعاون الاستراتيجي مع ذلك البلد الاسلامية المجاور. فقد اظهر سلطان قلقاً اتجاه الاقتراحات القائلة بأنه ليس من الضروري ان تكون قيادة تلك القوات المقترحة خاضعة لوزارته حصراً، واحتج بأن المشروع بأكمله يضر كثيراً بهيبة ومكانة الحكومة السعودية وبمعنويات القوات المسلحة لأن المشروع يبرز عدم قدرة وكفاءة القوات المسلحة السعودية عى القيام بواجبها في الدفاع عن المملكة بشكل مستقل. وحين ابرزت حرب الخليج مرة اخرى وبشكل حاد، مشاكل المملكة الدفاعية، وافق القادة السعوديون اخيراً على حل وسط وضعت بموجبه خطة التجنيد الاجباري على الرف، ولكن قوة باكستانية صغيرة نسبياً، تقدر بفوج أو فوجين طبقاً لمعلومات من مصادر متعددة، تم احضارها إلى البلاد، ووضعت تحت اشراف وزارة الدفاع وتمركزت في مناطق الحدود في تبوك وخميس مشيط. هذا الحق التوفيقي الوسط خفف إلى حد ما من حدة مشكلة القوى البشرية بالنسبة للقوات البرية السعودية (الجيش) ولكنه لم يحل هذه المشكلة بالنسبة للقوات المسلحة عموماً، خاصة القوة الجوية...".

".. استخدم السعوديون العناصر الفنية الأجنبية على نطاق واسع جداً، في محاولة لحل مشكلة القوى البشرية. قدر عدد المستشارين والفنيين الأجانب العاملين في مجال الدفاع في السعودية عام ١٩٧٩م بستين ألف شخص، وهو مايعادل مجمل القوات المسلحة السعودية النظامية بكل وحداتها واسلحتها. وكان هذا العدد الهائل يشمل الاردنيين والباكستانيين والمصريين والآخرين المستأجرين بصورة مباشرة أو المبعثين من قبل حكوماتهم، كما يشمل اوروبيين غربيين ومستشارين يتعاقد عليهم ضمن صفقات الأسلحة الكبرى للتدريب على تشغيل وصيانة ودعم هذه الأسلحة، وللقيام بالمهمتين الأخيرتين إلى ان يتمكن السعوديون من استلامهما. في عام ١٩٨٠م بلغ عدد الفنيين الأمريكيين العاملين في مجال تشغيل الأسلحة الأمريكية (المباعة للسعودية) حوالي ٤٣٢٥ عنصراً، اضافة إلى ٢٠٠٠ خبير فني بريطاني، وربما عدد كبير آخر من العناصر العسكرية

الفرنسية العاملين في مجال تنفيذ برامج متوازية مشابهة. وفي قطاع القوى الجوية لوحده، وصل عدد عناصر الخدمة الأمريكيين العاملين مباشرة فيه، قبل صفقة الأواكس عام ١٩٨١م، مايزيد على ٢٠٠٠ عنصر أي عنصر أمريكي مقابل كل سبعة سعوديين. وفرضت خطط التطوير زيادة هذا العدد إلى ٢٣٠٠ بعد تسليم طائرات الأواكس واتمام البرامج العسكرية الأخرى، على ان يتناقص هذا العدد تدريجياً حتى يصل إلى حوالي ١٥٠٠ عنصر في أواسط التسعينات... وفي هذه الأثناء لايمكن لطائرات الأواكس، وهي عصب الجهاز الدفاعي الجوي، ان تعمل اكثر من أيام معدودات بدون دعم الولايات المتحدة..".

"..وهناك مجال آخر لاستخدام المؤسسة العسكرية السعودية، ربما يتوجب ذكره في هذا المجال. فقد بنى آل سعود منشآت وتسهيلات عسكرية، وتعاقدوا على شراء، أو حصلوا بالفعل، على معدات حربية، ليس بهدف استخدامها من جانب قواتهم المسلحة القائمة فعلياً، أو تخطيطاً للمستقبل، وانما ايضاً بهدف استخدامها من قبل القوات الصديقة عند الضرورة. وهكذا فقد انشئت قواعد عسكرية يمكن ان تتسع للقوات الباكستانية المتواجدة فعلاً في المملكة، اضافة إلى قوات التدخل السريع الأردنية. كما انشئت المطارات العسكرية ذات المهابط الاضافية غير المستعملة حالياً، وانشئت الابنية والتسهيلات الأخرى لتكون مقراً لوحدات القوى الجوية الأمريكية، كما تم تأمين الطائرات الأمريكية واجهزة الاتصال الأمريكية، والرادارات الأمريكية لتكون جاهزة لاستخدام قوات التدخل الأمريكية حين وصولها...".

وماذا عن مستقبل ترسانة آل سعود التي تعد لكل هدف باستثناء أي صدام مع اسرائيل؟ في هذا المجال يقول نداف سفران في ختام كتابه:ــ

"ان السؤال الحقيقي الذي يطرح نفسه بقوة هنا هو: إلى متى يستطيع النظام ان يستمر في الغرف من الاحتياطي المالي، وكم يستطيع ان يقتطع من الانفاق دون ان يسبب انشقاقاً حول السياسة المتبعة داخل القيادة الحاكمة، ويثير النزاعات بين الأمراء العديدين، والجماعات صاحبة المصالح، ودوائر الحكومة ووزاراتها حول عبء "التضحيات" النسبي، ودون ان يثير غضب الطبقة الوسطى الجديدة عموماً، وعناصر مؤسسات الدفاع والأمن بصورة خاصة. من المؤكد ان ظروف الثمانينات تختلف عن ظروف الخمسينات، ولكن حقيقة ان النزاع الذي قام حول فجاعة ادارة الملك سعود للأموال العامة قد امتزج بالمنافسات الحادة داخل العائلة المالكة، وباضطرابات المرحلة، ليعرض المملكة لاخطار هائلة، هي حقيقة توحي بما يمكن ان يحدث اذا استمر هذا الوضع بضع سنين أخرى. احد الأمثلة في هذا المجال هو استقالة الاداري العتيق الذي كان يرأس وكالة "مؤسسة" النقد السعودي، الذي قدم استقالته عام ١٩٨٣م، احتجاجاً في الظاهر على الغرف من الاحتياطي العام. وربما يكون ذا دلالة ايضاً كون ميزانية عام ١٩٨٣ ــ ١٩٨٤م قد خفضت من مخصصات مؤسسات الدفاع والأمن بصورة اجمالية بنسبة ١٨,٥ بالمائة عن مخصصات العام السابق، رغم التأكيدات السابقة التي قدمها فهد واكد فيها بأن هذه المخصصات لن تتأثر بتخفيضات الميزانية.

وبعد، فإن هذا الاستعراض لدراسة نداف سفران حول الوقع الأمني لآل سعود في المرحلة الحالية والمستقبل القريب انما يوضح ان نداف لم يستطع ان يخرج من اطار اسلوب العقلية الغربية في التعامل مع متغيرات الساحة السياسية والاجتماعية والفكرية في الوطن العربي والاسلامي. الا ان اهم مايطرحه نداف

هو ان آل سعود لايتوقعون، على الصعيد الخارجي، عداء سوى من العرب والمسلمين، وليس من اسرائيل، التي يبدو ان الادارة الأمريكية قد وضعتها ضمن اطار اتفاقي ثابت، قدمت السلاح بموجبه لآل سعود. وعلى الصعيد الداخلي، اظهر نداف ان قوى الثورة الداخلية على العائلة المالكة متعددة كثيرة، لم يستثن منها الصراع داخل العائلة المالكة والجيش الجرار من الأمراء، ولا الشرائح الاجتماعية التي تبلورت بعد طفرة النفط. ومع تأكيد نداف على ان آل سعود لايمكن ان يجرؤا، خارجياً، على صدام مسلح مع دولة تتجاوز في حجم سكانها اليمن الجنوبي، رغم كل مايصرفونه من مال على شراء السلاح الأمريكي، فإن المال الذي يصرفونه على اجهزة القمع الداخلي وعلى عمليات "التطهير" الأمني والسياسي ربما يكون الشرارة التي ستشعل فتيل الثورة الداخلية في المستقبل غير البعيد، حين يضطر آل سعود إلى ضغط الانفاق، وبالتالي الاساءة إلى من يملكونهم الآن بالمال.

الملحق العاشر

دمـــاء في الكعبة

هو اسم لكتاب جديد ألفه الكاتب المصري رفعت سيد احمد.. يتكون الكتاب من ٣٧ صفحة من القطع الكبير، وهو يحكي قصة اقتحام المسجد الحرام بمكة المكرمة، بداية العام الهجري ١٤٠٠، ويقدم باختصار دلالات الحادث السياسية، مشفوعة بالوثائق، ومعتمداً فيما ذكر على كتاب انتفاضة الحرم، الصادر عن منظمة الثورة الاسلامية في الجزيرة العربية.

ويسعى الكاتب من خلال صفحات كتابه إلى الاجابة على ثلاثة اسئلة:

الأول: ويدور حول حياة المرحوم جهيمان العتيبي قائد المقتحمين.. ماذا عنه، ومن اين بدأ والى أي القوى السياسية ينتمي؟

الثاني: ويتعلق بأفكار ورؤى المرحوم جهيمان السياسية والفكرية، وهل امتلك بالفعل رؤية سياسية تجاه العالم المحيط به أم لا؟.. وما هي حدودها؟

الثالث: ويتجه إلى تحديد الدلالات المستقاة من الحادث، والمعاني الحقيقية له..

وتحت أول عنوان للدراسة، وهو سقوط (الاسلام السعودي)، يوضح الكاتب تأثير الثورة الاسلامية في ايران على الدول المحيطة وخاصة السعودية، اذ برز اسلام ثوري يتعارض مع ما تدعو اليه الحكومة السعودية، وما ترفع شعاره من اسلام يدعو إلى مهادنة الدول الكبرى، ولايتعارض مع مصالحها..

ويوضح اثر الاسلام الثوري، واثره في عالمنا الاسلامي من خلق صحوة اسلامية، وانتفاضات ومظاهرات ضد الأنظمة الحاكمة، ومن بينها الحكومة السعودية، التي اهتزت بفعل اقتحام الحرم المكي في نوفمبر ١٩٧٩م، وان انتفاضة الجماهير في المنطقة الشرقية الخاضعة لحكم آل سعود.. كان خطراً وتحدياً كبيراً، واجه شرعية النظام السعودي، سياسياً واجتماعياً وايدولوجياً.

ثم يتطرق الكاتب إلى دلالات حادث الحرم بمكة المكرمة المتمثلة في:

أولا: سقوط النموذج الاسلامي الذي يقدمه آل سعود، منذ استيلاء عبد العزيز آل سعود على السلطة في الرياض عام ١٩٠٢م وحتى اليوم، هذا النموذج القائم على التحالف مع اميركا والغرب لتمكين الحكم الوراثي من الصمود امام أي حركة تغيير جذرية..

والمستند ايضاً إلى وجود الاماكن المقدسة في مكة والمدينة، مما ساعد على بسط عباءة اسلامية روحية على الممارسات المستبدة لنموذج آل سعود في الاسلام..

وخلق طبقة من وعاظ السلاطين وسندة الحكم، وتركيز آل سعود.. وبالأخص فيصل وفهد على الاسلام الطقوسي، ذلك النمط من الشعوذة المتمسحة بالدين، ليس في المملكة فقط.. بل وفي خارجها، عبر سيل المعونات المالية الضخمة، المنصرف في اتجاه هذا النمط من الاسلام الطقوسي.

وذكر الكاتب نماذج الدعم للطرق الصوفية في مصر وبلدان المغرب العربي وبعض دول آسيا، على سبيل دعم الاتجاه الانعزالي من الاسلام، مخصصة اكثر من خمسين مليون ريال سعودي لتغذيته، لكون هذا الاتجاه الانعزالي لايتعارض مع مصالحها ومصالح اميركا والغرب.

كما يستند النموذج الاسلامي الذي صاغه آل سعود بتخطيط من الغرب، على التبرير الدائم لنهج التصالح مع العدو الصهيوني تحت مشاريع وشعارات زائفة، ابرزها مشروع فهد، أو مشروع فاس فيما بعد، والذي يتركز على الدعوة لترك السلاح والعمل من خلال التحركات الدبلوماسية، وكأنها سترجع الحق المغصوب..

لقد استطاع حادث الحرم ان يهز هذا النموذج من اساسه، فالرداء الاسلامي الذي غطى اركان هذا النموذج نسفته معركة المسجد الحرام، حيث تقدمت الطائرات الأمريكية والكوماندوز الأميركي (٣ آلاف) والقوات الأردنية والقوات الخاصة السعودية (٣٠ ألف جندي) والقوات الفرنسية، لتقوم كل هذه القوى بضرب وقتل الثوار، رغم ان عددهم لم يتجاوز ألفي شخص، وقد دكت تلك القوات الكعبة المشرفة مافعل الحجاج بن يوسف الثقفي، وكما فعل يزيد بن معاوية..

لقد سقط من يد آل سعود شعار حماية المقدسات الاسلامية، الذي يرفعه كل ملك من ملوك آل سعود..

ثم يتطرق الكاتب إلى الدلالة الثانية لحادث الحرم، حيث يشير إلى أن أي معارضة أو محاولة لتغيير وازالة الحكم السعودي الوراثي لن تنجح الا اذا كانت حركة اسلامية صادقة، نابعة من اعماق الجماهير، غير تابعة للشرق أو الغرب.

أما الدلالة الثالثة، فتؤكد مدى الضعف البنائي والتنظيمي لجميع الأنظمة التي تحكم العالم الاسلامي، وليس النظام السعودي سوى نموذج لها، فالذين اقتحموا الكعبة انتموا من حيث الجنسية إلى اقطار اسلامية وعربية (السعودية، باكستان، اليمن، مصر، تركيا، الأردن، تونس وغيرها).

ومجرد اختيارهم لرمز التقاء المسلمين في ارجاء المعمورة ليكون هو نقطة انطلاقهم (مكانيا) في تحقيق الثورة الاسلامية، وأول يوم من العام الهجري ١٤٠٠ (زمانياً) ليكون هو الموعد الزمني لهذه الانطلاقة، كل هذا اعلان بانهيار كل الأنظمة التي ينتمون إلى اقطارها، وساهمت هذه الأنظمة في اكمال صورة الانهيار

حين رفع اغلبها حالة الاستعداد بين قواته المسلحة، وارسال بعضها بهذه القوات لاخماد هذه الانتفاضة العسكرية..

أما القسم الثاني من الدراسة، فهو يبين رؤية الوثائق لحادثة الحرم الصادرة عن منظمة الثورة الاسلامية في الجزيرة العربية، المعنونة بـــ (انتفاضة الحرم) ١٤٠٠هـــ ــ ١٩٧٩م، والتي تقع في ١٠٨ صفحات، والتي تبدأ بتعريف دقيق وموثق لهوية قادة عملية الحرم، وجذورهم السياسية والفكرية، وامتداد جذورهم إلى حركة الاخوان السياسية في الجزيرة العربية عام ١٩١٤م، والتي تمثل اهداف حركتهم في مقاومة الاحتلال واقامة حكم الله في البلاد.

ثم تتوجه الوثائق بعد تحديد جذور وهوية الثوار الاجتماعية والاسلامية إلى كشف منهج جهيمان العتيبي في العمل الثوري، القائم على اسلوب ظاهري واسلوب سري..

كما بينت الوثائق اسباب اختيار الحرم المكي مكاناً للعملية وهي:

أولاً: هو ان يحرجوا السلطة التي تدعي الاسلام اذا ماقتلتهم في الحرم وهم لاجئون معتصمون.

ثانيا: اعطاء القضية بعدا اعلامياً لاتستطيع السلطة التستر عليه.

ثم تشير الوثائق إلى الترتياب قبل الاقتحام، وكيفية الاقتحام، وعن الأسلحة المستخدمة، وجهات الحصول عليها..

ثم بيان بشاعة العمل الاجرامي الذي قام به آل سعود، بدكهم الكعبة، كما فعل ابرهة الأشرم.. والحجاج.. ويزيد بن معاوية، على مدى التاريخ..

ثم تبين الوثائق جنسيات المقتحمين، وردود الفعل ودروس الاقتحام.

وتنتهي الوثائق بالكشف عن اهم دروس الانتفاضة التي حددتها بضرورة ان تتصل الحركة الاسلامية بالقوى المعارضة الاخرى داخل السعودية، وان تتعلم من درس ابتعادها عن الجماهير..

وتبقى في الأخيرة دلالة حتمية سقوط نموذج الاسلام الأمريكي.. وانتصار الاسلام الحقيقي، الذي يرفض هيمنة المستكبرين مهما كانت قوتهم..

الملحق الحادي عشر

الملوك أفتوا والمشايخ وقَّعوا

زعم آل سعود انهم تأخروا في السيطرة على الحرم بسبب ان العلماء والمشايخ لم يفتوا بمحاربة جماعة الاخوان، الا متأخراً!، والهدف من هذا الزعم هو تبرير استغراق المدة الطويلة في العملية..

بينما الحقائق كلها تشير إلى ان آل سعود اقتحموا الحرم بدباباتهم ومصفحاتهم بدون فتوى من مشايخهم.. والدليل على ذلك مايلي:

١/ لم تنشر الصحافة السعودية الفتوى الا بعد مضي بضعة أيام على وقوع الحادثة.

٢/ ان عدداً من الجنود والضباط، رغم تربية آل سعود العسكرية باطاعة الأوامر العليا، رفضوا دك صوامع وبوابات الحرم، والبدء بالهجوم بدون وجود فتوى شرعية.. وقد حكم على عدد من كبار القادة بالاعدام، فأعدموا ميدانيا من بينهم الرائد خالد بن ناصر الحميد، والعقيد سليمان بن عبد الرحمن الشمّري، واللواء محمد بن فهيد العتيبي، والعقيد فالح عبد الله الحربي، والنقيب عبيد عامر الزهراني، وغيرهم.

٣/ ان التحرك العسكري بدأ بعد بضع ساعات من وقوع الحادثة، بينما الملك خالد زعم انه اجتمع مع الشيخ محمد بن سبيل وغيره من المشايخ، في نفس اليوم واطلعهم على ماجرى، في حين ان الشيخ بن سبيل اعلن انه قتل، وقد ردد الكلام اكثر من اسبوع في اعلام آل سعود.. فكيف اجتمع خالد به في نفس يوم الحادثة، وكيف تسنى للشيخ التوقيع (وهو في عداد الموتى اعلامياً)؟!

٤/ ان الحكومة السعودية قدمت نصين للفتاوي المجيزة لقتال جماعة الاخوان في الحرم، على انها نص واحد، وغير مؤرخة سوى القول في الفتوى الأولى ان الموقعين عليها حضروا عند الملك في يوم الثلاثاء ١٤٠٠/١/١هـ.. وجاء ضمن اسماء الموقعين (الشيخ بن سبيل) مما يعني ان الفتوى لم تصدر في يوم ١٤٠٠/١/١هـ، وانما في تاريخ نشرها الصحف السعودية بعد اكثر من عشرة ايام. وهذا يدل على ان المشايخ اجبروا على القول بأن فتواهم جاءت قبل اقدام الدولة بعملها العسكري.

ولايسعنا هنا إلا ان نضع نص الفتوى، او بالأصح نصي الفتوى، مع الاشارة إلى اننا علقنا على هذا الموضوع في الصفحات السابقة من الدراسة، وان هذين النصين اللذين احبكا ببلاهة فأصبح هناك (نص وبيان) ماهما الا رأي لآل سعود الذين ضغطوا على المشايخ من اجلهما، خاصة وان النص الأول من الفتوى يحوي حكماً مشروطاً، وانه مستند على معلومات الملك (الكاذبة)..

النص

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبيه محمد وعلى آله وصحبه وبعد، ففي يوم الثلاثاء اليوم الأول من شهر المحرم عام اربعمائة وألف من الهجرة، دعانا نحن الموقعين ادناه جلالة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود، فاجتمعنا لدى جلالته في مكتبه بالمعذر، واخبرنا ان جماعة في فجر هذا اليوم بعد صلاة الفجر مباشرة دخلوا في المسجد الحرام مسلحين، واغلقوا أبواب الحرم، وجعلوا عليها حراساً مسلحين منهم، واعلنوا طلب البيعة لمن سموه المهدي، وبدأوا مبايعته ومنعوا الناس من الخروج من الحرم، وقاتلوا من مانعهم واطلقوا النار على اناس داخل المسجد، واصابوا غيرهم وانهم لايزالون يطلقون النار على الناس خارج المسجد، واستفتانا في شأنهم وما يعمل معهم، فافتيناه بأن الواجب دعوتهم إلى الاستسلام، ووضع السلاح فإن فعلوا قبل منهم وسجنوا حتى ينظر في أمرهم شرعاً.. فإن امتنعوا، وجب اتخاذ كافة الوسائل للقبض عليهم، ولو ادى إلى قتالهم وقتل من لم يحصل القبض عليه منهم ويستسلم الا بذلك، لقوله الله تعالى: (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين).. ولقول النبي صلى الله عليه وسلم (من اتاكم وامركم جميع يريد ان يفرق جماعتكم ويشق عصاكم فاضربوا عنقه) رواه أبو مسلم.. والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، ونسأل الله ان يعلي كلمته، وينصر دينه، وان يخذل من أراد الاسلام والمسلمين بسوء، وان يشغله بنفسه، انه سميع مجيب، وصلى وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

نص الفتوى الأخرى والمرفقة بالأولى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد وآله وصحبه.. ونسأل الله ان ينصر دينه ويعلي كلمته ويخذل من اراد الاسلام والمسلمين بسوء وان يعيذنا من الفتن، ماظهر منها ومابطن، وان يكبت من أراد الفساد والالحاد في حرم الله، وانتهاك حرمته وسفك دماء المسلمين، وبعد، فإن هذا العمل الشنيع الذي قامت به هذه الطائفة الظالمة، التي انتهكت حرمة الله واقدس بقعة في أرضه، وسفكت فيه الدم الحرام في الشهر الحرام في البلد الحرام، وفي رحاب الكعبة المشرفة، وروعت المسلمين الآمنين في أمن الله وحرمه.. عمل مخالف لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجماع الأئمة، ويعتبر منكراً عظيماً، واجراماً شنيعاً، والحاداً في حرم الله الذي قال الله فيه: (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم). وقال سبحانه وتعالى: (ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم). وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: (ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام بحرمة الله إلىيوم القيامة، وانها لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار.. وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد الغائب) متفق عليه.. وهذه الطائفة تجرأت على مخالفة أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، واجماع الأئمة، ولذلك سأل ولاة الأمر عن الحكم لمكافحة شر هؤلاء، فصدرت الفتوى الشرعية بأن على ولي الأمر أن يقضي على فتنتهم باتخاذ كافة الوسائل، ولو ادى ذلك إلى مقاتلتهم ان لم يندفع شرهم إلا بذلك.. لقوله تعالى (ولاتقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين). وهذه الآية وان كانت نازلة في الكفار، فإن حكمها شامل لهم ولغيرهم ممن فعل فعلتهم، فاستحل القتال في الحرم باجماع العلماء، ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من اتاكم وأمركم جميع على رجل واحد، يريد ان يشق عصاكم فاضربوا عنقه كائنا من كان). وهذا حكم من يدعي انه المهدي وغيره وهذه الطائفة ارادت شق عصا المسلمين، وتفريق كلمتهم، والخروج على امامهم، فدخلت في عموم هذا الحديث وغيره من النصوص الشرعية الدالة على معناه، وولاة الأمر وفقهم الله لكل خير، مشكورون على ماقاموا به من جهد لاخماد هذه الفتنة والقضاء عليها، فنسأل الله ان يعز بهم الاسلام والمسلمين، وان يوفقهم لما فيه صلاح العباد والبلاد، انه سميع مجيب وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الموقعون

الشيخ عبد الله بن حميد ــ الشيخ عبد العزيز بن باز ــ الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن رشيد ــ الشيخ راشد بن صالح بن خنين ــ الشيخ راشد بن عبد العزيز بن مترك ــ الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن الربيعة ــ الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن فارس ــ الشيخ ناصر بن حمد الراشد ــ الشيخ سليمان بن عبد العزيز بن سليمان ــ الشيخ محمد بن عبد الله الأمير ــ الشيخ عبد العزيز بن محمد بن زاحم ــ الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن رشيد ــ الشيخ محمد بن سليمان البدر ــ الشيخ محمد بن ابراهيم بن جبير ــ الشيخ صالح بن علي ابن غصون ــ الشيخ غنيم بن مبارك الغنيم ــ الشيخ ناصر بن عبد العزيز الشتري ــ الشيخ

عبد الله بن سليمان بن منيع ــ الشيخ عبد العزيز العيسى ــ الشيخ ابراهيم بن محمد آل الشيخ ــ الشيخ محمد علوي مالكي ــ الشيخ صالح بن محمد بن لحيدان ــ الشيخ محمد بن سبيل ــ الشيخ سليمان بن عبيد ــ الشيخ عبد الرحمن حمزة المرزوقي ــ الشيخ محمد بن ابراهيم البشر ــ الشيخ محمد ابراهيم العيسى.

الملحق الثاني عشر

الملك يُصْدِرُ الحكم

اذا كان خالد وفهد عجزاً عن الحصول على الفتوى بإجازة القتال في وقتها، فإنهما عجزاً عن استحصال فتوى بإعدام بقية أفراد الجماعة (الاسارى).. فقد كان الأمراء بحاجة إلى فتوى تجيز القتال، ولكنهم بعدئذ لم يشعروا بالحاجة اليها من أجل اعدام البقية الباقية، أو لم يستطيعوا ــ وهو الأقرب ــ ان يحصلوا عليها.

وذلك ان مجمل المعلومات التي استند عليها المفتون من المشايخ تبين بطلانها قبل وبعد الانتهاء من المعارك، خاصة وان الأمراء اثبتوا بأنهم يكذبون في اعلامهم وتصريحاتهم، وقد اعترفوا بذلك على رؤوس الاشهاد.. وبعد ان وجد بعض المشايخ ان فتاواهم كانت باطلة، طالبوا بأن يتولوا محاكمة الأسرى، فرفض آل سعود، فما وسعهم الا ان يرفضوا التوقيع على الأحكام التي لم تصدر من جهة قضائية.

الا ان آل سعود التفوا على الأمر، وزعموا ان بعض المشايخ اعطوا موافقتهم مشافهة، أو كتابة، ولكنهم لم يثبتوا اسماء هؤلاء الموافقين، مما يلقي بظلال كثيفة من الشك على صحة ماقيل عن الموافقة.

لقد فوجيء الجميع ان الملك خالد (الواقع انه فهد وبإسم خالد) هو الذي وضع الأحكام بنفسه، بناء على معلومات واعترافات أفراد الجماعة نقلها وزير الداخلية (نايف) اليه!!

فقد وجه خالد أمراً ملكياً إلى وزير الداخلية (اخيه نايف) برقم ٢/٤٢٠٧ تاريخ ١٤٠٠/٢/١٩هـ، الموافق ١٩٨٠/١/٧م جاء فيه: [فقد اطلعنا على مارفعتموه لنا من الاعترافات التي ادلى بها المجرمون الذين اعتدوا على الحرم، وادخلوا فيه السلاح والذخيرة، واغلقوا ابوابه على المسلمين الذين ادوا فيه صلاة الفجر في اليوم الأول من شهر محرم المنصرم عام ١٤٠٠.. وقد روعوا المسلمين في الحرم الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً، وسفكوا الدماء البريئة بغير ذنب، واجبروا الناس في الحرم على مبايعة احد افراد الفئة الضالة المفسدة، زاعمين انه المهدي، وهددوا من لم يستجب بالسلاح، كما هو مسجل في احدى خطب هذه الفئة الظالمة التي القاها احد رؤوس الفتنة صبيحة عدوانهم على الحرم..

واستناداً على فتوى اصحاب الفضيلة العلماء بقتالهم مستدلين بقوله تعالى: (ولاتقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه، فإن قاتلوكم فاقتلوهم).. (ملاحظة: اذا كان العلماء افتوا بقتالهم، فهل يصح ان تستخدم الفتوى لاعدام بقيتهم؟! ــ المؤلف).

ولأن هيئة كبار العلماء قد اصدروا في دورة مجلسهم الخامسة عشر بياناً استنكروا فيه هذه الجريمة الخطيرة. وهذا البيان من الهيئة لواقع هؤلاء المجرمين يحتم علينا معاقبتهم عقوبة تزجر عن الفساد، ونرضي بها ربنا سبحانه.

ولأننا تلقينا الفتاوى التي تبين جزاء هؤلاء، منها ماهو مشافهة من عدد من العلماء، ومنها ماهو محرر من عدد آخر من كبار العلماء "لم يذكر الملك أو فهد أي اسم من اسماء العلماء!"، وفيها قولهم عن هؤلاء المفسدين مانصه: (نفيدكم سلمكم الله ان هؤلاء لهم حكم المحاربين الذين قال الله فيهم "انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله، ويسعون في الأرض فساداً ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم".. قال ابن عباس رضي الله عنه في هذه الآية: من شهر السلاح في فئة الاسلام واخاف السبيل ثم ظفر به وقدر عليه فأمام المسلمين فيه بالخيار. ان شاء قتله وان شاء صلبه وان شاء قطع يده ورجله. وقال ابن عباس ايضاً، ماكان في القرآن، بأو، فصاحبه بالخيار، وإلى هذه ذهب الامام مالك بن انس وهو قول سعيد بن المسيب ومجاهد وعطاء والحسن البصري وابراهيم النخعي والضحاك وعمر بن عبد العزيز، واختاره الامام القرطبي وقال شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله فمن كان من المحاربين قد قتل فإنه يقتله الامام حدا ولايجوز العفو عنه بحال، باجماع العلماء. وفي الفتوى قول شيخ الاسلام ايضاً في المحاربين والجمهور على ان الجميع يقتلون ولو كانوا مائة. وان الرد والمباشر سواء قال وهذا هو المأثور على الخلفاء الراشدين فإن عمر بن الخطاب قتل ربيئة المحاربين.

وهو الناظر الذي يجلس على مكان عال ينظر منه لهم من يجيء ولأن المباشر انما تمكن من قتله بقوة الرد ومعونته، وقال العلماء في فتواهم ومادام ان الجميع اعترفوا بجريمتهم بالقتل والفساد في حرم الله فيجوز للامام قتلهم)..

ويمضي الملك موجها امره لوزير الارهاب نايف:

(وعلى هذا فاعتمدوا قتل الأشخاص الموضحة اسماؤهم بالبيان المرفق. ارضاء الله سبحانه، وغضباً لحرمة بيته الحرام، وحرمة عباده الذين يعبدونه حول البيت، وشفاءاً لغيظ المسلمين، وهؤلاء هم الذين صدرت منهم الاقرارات المسجلة في سجلات محكمة مكمة المكرمة لدى عدد من القضاة، اما الذين لم يكن جرمهم كجرم هؤلاء، فلم يسفكوا الدم الحرام عند البيت الحرام، ولم يكونوا من رؤوس الفتنة ومثيريها، وانما كان لهم مشاركة في مساعدة هؤلاء المجرمين بتموينهم وتوزيع الذخيرة والأسلحة عليهم، أو حراسة الأبواب لهم هؤلاء لن يكون جزاؤهم القتل وانما سيكون جزاؤهم السجن، وسنبلغكم بتحديد مدة سجن كل واحد منهم في وقت لاحق بعد تقرير العقوبة اللازمة على كل واحد حسب جرمه ان شاء الله. اما النساء اللاتي شاركن في مساعدة هذه الفئة الفاسدة بالخدمة وتقديم الماء والطعام، أو توزيع الأسلحة والذخيرة، فتسجن كل واحدة منهن سنتين مع العناية بهن في التربية الدينية واصلاحهن. واما الصبيان الذين شاركوا في الجريمة ولم يبلغوا الحلم، فيدخلون في دار الرعاية لاستصلاحهم وتعليمهم حتى يكونوا اعضاء صالحين في مجتمعنا الاسلامي، والسلام عليكم)..

اما الأسماء المرفقة بالامر الملكي، والتي اعدمت في ١٤٠٠/٢/٢١هـ، الموافق ١٩٨٠/١/٩م.. فهي كالتالي (مع توضيح مكان الاعدام)..

في مكة المكرمة:

١ــ جهيمان بن محمد بن سيف ــ سعودي
٢ــ احمد بن مرزوق بن بنيان اللهيبي ــ سعودي
٣ــ يوسف بن عبد الله عبد القادر باجنيد ــ سعودي
٤ــ عصام بن محمد عبد الوهاب شيخ ــ سعودي
٥ــ علي بن احمد شيخ الجعفان ــ يمني جنوبي
٦ــ علي بن صالح الجهضمي ــ يمني جنوبي
٧ــ احمد بن عبد الله بن منصور الزامل ــ سعودي
٨ ــ عباس بن جار الله سلطان ــ سعودي
٩ــ عبد الله عبد اللطيف احمد رضوان ــ مصري
١٠ــ مبارك بن هزاع مفلح الجدعان ــ كويتي
١١ــ سعيد بن عبد الله سعيد القحطاني ــ سعودي
١٢ــ عقاب بن عفاس المحيا ــ سعودي
١٣ــ فارس بن عادي طلق التوم ــ سعودي
١٤ــ سالم الفاتح مصطفى الحاج علي ــ سوداني
١٥ــ فهد دابس باني السعدون ــ عراقي.

في الرياض:

١ــ عيد بن سالم اسماعيل ابراهيم الشابحي ــ سعودي
٢ــ ردن بن غازي حميدان ــ سعودي
٣ــ عبد الله بن جار الله سلطان ــ سعودي
٤ــ سمير عبد المجيد فؤاد محمود رفعت ــ مصري
٥ــ فيصل محمد فيصل ــ سعودي
٦ــ خالد بن محمد عبد الله الزامل ــ سعودي
٧ــ مساعد بن سعود محمد المسلم ــ كويتي
٨ــ علي بن مرعي محمد ــ سعودي
٩ــ محمد عمر ياس ــ مصري
١٠ــ عبد الله بن محمد احمد اسماعيل ــ سعودي

في المدينة المنورة:

١ــ عبد الله علي احمد باحليم ــ يمني جنوبي

٢ــ فهد بن هلال سويلم ــ سعودي

٣ــ عبد الله بن محمد ابراهيم الرميح ــ سعودي

٤ــ عبد العزيز بن محمد سليمان الحصان ــ سعودي

٥ــ كمال احمد حسن ــ مصري

٦ــ عبد الله بن اسماعيل العسيمي ــ سعودي

٧ــ احمد حجاج محمود احمد ــ مصري

في الدمام:

١ــ صلاح عبد الفتاح موسى الرخ ــ مصري

٢ــ حسن محمد سالم محسن بجنف ــ يمني جنوبي

٣ــ احمد بن حسن العقدي ــ سعودي

٤ــ محمد بن عبد الرحمن العبيدلي ــ كويتي

٥ــ تركي بن صالح صليح ــ سعودي

٦ــ عويض بن حبيب عيبان ــ سعودي

٧ــ علي محمد قاسم عبد الله ــ يمني شمالي

في بريدة:

١ــ جابر بن احمد حسن ــ سعودي

٢ــ علي بن محمد بن عبد الله شعيب ــ سعودي

٣ــ حامد احمد ابراهيم يونس ــ مصري

٤ــ سعيد بن عطيه الله الصبحي ــ سعودي

٥ــ يسلم صالح ناصر بافطعي ــ يمني جنوبي

٦ــ صالح بن محمد صالح ــ سعودي

٧ــ عتيق بن محمد عطا الله ــ سعودي

٨ــ مرزوق بن بتاع مرزوق البشرى ــ سعودي

٩ــ احمد محمود علي حسين ــ مصري

١٠ــ محمد بن سميح حمد الصحفي ــ سعودي

في تبوك:

١ــ علي بن احمد بن علي ــ سعودي

٢ــ محمد حسن محمد صادق ــ مصري

٣ــ احمد سنان محمد ــ يمني جنوبي

٤ــ محمد بن عبد الله بن محمد الرايفي ــ سعودي

٥ــ عبد الله بن مريخان فهيد صيفي ــ سعودي

في حائل:

١ــ ابراهيم باشا بن مطر الصبحي ــ سعودي

٢ــ محمد بن معيض السدر صالح الحمادي ــ سعودي

٣ــ محمد أبو خيشه بن عبد الله ــ سعودي

٤ــ حسن ابراهيم بيومي ــ مصري

في ابها:

١ــ عبد المحسن بن علي الحضيني ــ سعودي

٢ــ سلطان بن حمد ابراهيم الصهرس ــ سعودي

٣ــ عواض بن مشل عواض ابو الكحل ــ سعودي.

الملحق الثالث عشر

رثـــاء

خـــل الشـــموعَ علـــى جفـــوني ... تســـقي بأدمعهـــا عيـــوني

خـــلِّ النجـــومَ تهـــلُّ كيـــف تشـــاءُ ... فـــي زمـــنِ الجنـــونِ

انـــا لا أرى الا الـــدماءَ ... تســـيلُ فـــي وطنـــي الحـــزينِ

قُتلـــت بســـيفك الاثمـــينَ ... قداســـةُ الحـــرم الأمـــينِ

ماعـــادَ بعـــد اليـــوم ملجـــأٌ ... لائـــذٍ أو مســـتكينِ

* * *

رُش الشـــموسَ علـــى جفـــوني ... لتضـــيئ معتمـــةَ الســـنينِ

قـــد صـــارت المأســـاةُ بركانـــاً ... تثـــورُ بـــه لحـــوني

يـــامن رأى الأقمـــارَ تســـبحُ ... فـــي بحـــار دمٍ وطـــينِ

ايـــن التفـــت رايـــت اجســـاداً ... معفـــرةَ الجبـــينِ

وســـمعت حشـــرجةَ الشـــهيدِ ... تحـــزُّ أوردة الســـكونِ

والكعبـــة الشـــماءُ تنـــزف ... بالـــدماء وبـــالأنينِ

حتـــــى المـــــآذنُ اســـــقطت تيجانهـــــا وســـــط الاتـــــونِ
نســـــيَ الحمـــــامُ هديلـــــهُ بـــــين الابـــــاطحِ والحجـــــونِ
وتجـــــردَ الزيتـــــونُ مـــــن ريعانـــــه ومـــــن الغصـــــونِ

* * *

واقســـــوةَ المأســـــاةِ مـــــامرت بـــــذهني أو ظنـــــوني
مـــــأرخصَ الانســـــانَ فـــــي بلـــــد المجـــــازرِ والســـــجونِ
مـــــازال محكومـــــاً بنـــــزوةِ مجـــــرمٍ واخـــــي مجـــــونِ

* * *

ام القـــــرى ويـــــح القـــــرى مـــــن كـــــلِّ مـــــأجور خـــــؤونِ
أم القـــــرى انـــــي أحـــــسُ العـــــارَ نـــــاراً فـــــي وتينـــــي
مـــــاللقرى أغفـــــت علـــــى بطـــــش العتـــــاةِ الآثمـــــينِ؟
تركتـــــكِ وحـــــدكِ للجنـــــاةِ وللرصـــــاصِ وللمنـــــونِ
فـــــي كـــــلِ منعطـــــفٍ شـــــهيدُ تحـــــررٍ وشـــــهيدُ ديـــــنِ
واقســـــوةَ المأســـــاةِ حـــــين تغيـــــبُ فـــــي حلـــــكِ الشـــــجونِ
ســـــرقتْ حيـــــاةَ الأبريـــــاءِ وعـــــزةَ الـــــوطنِ الحنـــــونِ

* * *

أم القـــــرى كيـــــف اســـــتحالَ الـــــوردُ شـــــوكاً فـــــي يمينـــــي؟
هـــــم يقطعـــــون يـــــدي أمـــــامَ العـــــالمينَ ويســـــرقوني!
وهـــــم الأولـــــى يزنـــــونَ فـــــي وضـــــح النهـــــارِ ويرجمـــــوني!
قـــــد صَـــــيّروا الاســـــلام ســـــيفاً فـــــي رقـــــابِ المســـــلمينِ

* * *

أم القـــــرى لا ترجفـــــي بالحادثـــــاتِ ولا تهـــــوني
أم القـــــرى مـــــازال لـــــي أمـــــل تَرســـــخَ فـــــي يقينـــــي
فـــــالفجر فـــــي رحـــــمِ الليـــــالي الســـــودِ يكبـــــرُ كـــــالجنينِ
وغـــــداً سينتشـــــرُ فـــــي المشـــــارقِ رايـــــة النصـــــرِ المبـــــينِ